في إفريقية الخضراء

مشاهدات وانطباعات وأحاديث عن الإسلام والمسلمين

بقلم

محمد بن ناصر العبودي

الأمين العام للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة



توزيـع دار الثقافة

بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

الى حضرة صاحب السماحة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ ، مفتي الديار السعودية ، ورئيس الجامعة الاسلامية اهدي هذا الكتاب ، رمزأ للشكر وعرفان الجميل . ؟

محمد العبودي



مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، وامام الهداة المهتدين ، صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وسلم الى يوم الدين .

وبعد .. فقد قدر لي أن أقوم بزيارات متعددة الى بعض الاقطار الافريقية ضمن رحلتين لم يفصل بينهما الا أقل من سنتين ، وقد سجلت خلال زياراتي في مذكرات يومية انطباعاتي ومشاهداتي في تلك الاقطار .

وحين كنت أكتب تلك المذكرات لم أكتبها لتكون تأليفا ، وحتى بعد كتابتها لم أكن أظن أنها ستكون كذلك ، حتى اطلع عليها بعض اخواني ، فأشار علي بأن أحاول اظهارها في كتاب لانها تشتمل على بعض المعلومات والأحاديث عن بلاد تكاد تكون مجهولة لدى جمهرة

القراء في البلدان العربيــة ، كمــا أنها تتضمــن معلومات وملاحظات عــن الأوضاع الاسلاميــة وأحوال المسلمــين في تلك الاقطار، فاستجبت لذلك ركونا الى حسن الظن برأيه، وليس يقينا مني بأن ما كتبته لنفسي من مذكرات وانطباعات يستحق النشر والاذاعة . وعلى كل حال فان مــا في الكتاب مــن مذكرات يومية انما هو انطباعات ومشاهدات لا تصل بطبيعتها الى درجة الدراسة والبحث العميق . أما ما جــاء فيه عــن أحوال الاسلام والمسلمين فانني أرجو أن يجــد فيه الباحثون الذيــن يهمهم هذا الامر بعض ما يحســن الاطلاع عليــه ، ويفيــد .

والله الموفق والهادي الى سواء السبيل .

المؤلف

تصدير

لقد أسست الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة لكي تستقبل العدد العديد من أبناء المسلمين في شتى أنحاء العالم ، فتوفر لهم الدراسة الاسلامية النقية في عاصمة الاسلام الأولى ، لكي يعودوا ــ بعد اتمام دراستهم ــ الى بلادهم دعاة للخير ، وهداة للنور الاسلامي المبين .

وقد درجت الجامعة الاسلامية على أن تخصص كل عام منحا دراسية توزعها على المسلمين في مختلف الأقطار تحتضن من يستفيدون منها من قبل أن يغادروا بلادهم حتى يعودوا اليها . وكانت رئاسة الجامعة الاسلامية تضع في الاعتبار الأول حاجة القطر الذي تخصص له المنح الدراسية الاسلامية الى التعليم الاسلامي قبل النظر في حجمه السكاني ، أو مساحته القطرية ، أو كثرة النسبة العددية للمسلمين فيه ، وذلك من باب البداءة بالأهم قبل المهم ، والأولى على غيره .

ولكن كانت رئاسة الجامعة تجد شيئا من الغموض عندما تحاول أن ترسم التقدير الصحيح لبعض البلدان الاسلامية ، أو البلدان التي يقطنها مسلمون ، وذلك بسبب النقص في المعلومات . لذلك طرح هذا الموضوع على

البحث في مجلس الجامعة ـ في أخريات عام ١٣٨٣ هـ الموافق لعام ١٩٦٤ م ، وهو العام الثالث لانشاء الجامعة ، فرأى المجلس ايفاد بعثة تحت رئاسة الامين العام للجامعة (كاتب هذه السطور) تسافر الى بعض الاقطار الافريقية المحتاجة للتعليم الاسلامي ، وتطلع على أحوال المسلمين هناك . ثم تأتي بتقارير وافية عما شاهدته .

وهكذا سارع صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز ، نائب رئيس الجامعة الاسلامية ، الى العمل على انجاح هذا المشروع كعادته الحميدة في المسارعة الى فعل الخيرات .

وكان أن رفعت رئاسة الجامعة الاسلامية الأمر الى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم فيصل بن عبد العزيز حفظه الله ، وذلك للعرض على جلالته وطلب الموافقة ، فحظي المشروع بالموافقة السامية ، بل ان جلالته لم يقتصر على ذلك ، وانما أمر بأن تصطحب البعثة معها مبالغ من المال تدفع باسم الجامعة في المدينة المنورة الى المؤسسات والمدارس والهيئات الاسلامية في البلاد التي تزورها البعثة على الا يعلن عن ذلك ، أي عن المبالغ المالية شيء ، والا ينشر عنه شيء في الصحف في حينه ، وأن يكون عمل البعثة مقتصرا على النشاط الاسلامي ، والا تقحم نفسها في أي نشاط سياسي قد يؤثر على اداء مهمتها الاسلامية الخالصة .

خطـة العمـل :

تألفت البعثة على النحو التالي :

محمـد بن ناصر العبودي ، الأمين العام للجامعة ، (كاتب هذه السطور) : رئيسا .

فضيلة الشيخ عمر محمد فلالي ، مدير دار الحديث بالمدينة ، والمدرس بالمسجد النبوي الشريف : عضوا .

فضيلة الشيخ أبو بكر جابر بن موسى، المدرس بالجامعة الاسلامية ، والواعظ بالمسجد النبوي الشريف : عضوا .

ورسمت رئاسة الجامعة عمل البعثة فيما يلي :

١ ـ الاتصال بزعماء المسلمين وعلمائهم في الدول التي تزورها البعثة للاطلاع منهم على أحوال المسلمين وفهم مشاكلهم .

٢ ـ القاء محاضرات وكلمات دينية في الاندية والمساجد والجمعيات الاسلامية .

٣ ـ تنظيم جداول احصائية للسكان المسلمين في كل قطر ومواضع سكناهم منه ، ونسبتهم الى مجموع سكانه من غير المسلمين .

٤ ـ تقدير حاجة كل بلد الى المساعدات التي يمكن تقديمها سواء من الجامعة الاسلامية ، أو من الهيئات الأخرى في المملكة .

٥ ـ بذل المساعدة المالية للجمعيات والهيئات ، والافراد

الدعاة من المسلمين ، للمساعدة على بناء المساجد ، أو سير الدراسة في المدارس ، وتشجيع الدعاة على الدعوة ، وذلك في حدود المبالغ المالية التي تحملها البعثة .

٦ ـ توزيع المصاحف والكتب والمطبوعات الاسلامية حسب تقدير البعثة ، على أن تعد بذلك بيانات ترسل بواسطة احدى السفارات السعودية القريبة من البلد الذي تصرف له الكتب .

٧ ـ الاطلاع على النشاط الموجود في الدعوة الى الاسلام بين المواطنين وغيرهم في كل بلد ، ومعرفة ما اذا كان هناك نشاط معاد للاسلام فيه ، ومدى فعاليته .

٨ ـ كتابة ايضاحات مفصلة عن أحوال المسلمين المادية ، ومركزهم الاجتماعي ، في كل بلد تزوره البعثة .

٩ ـ تنظيم جداول بعناوين ومراكز الهيئات والشخصيات الاسلامية الموجودة في كل بلد تزوره البعثة ، ليسهل الرجوع اليها عند الحاجة .

١٠ ـ تحرّي الجمعيات والشخصيات الاسلامية التي تستحق المساعدة أكثر من غيرها اما لاتساع نشاطها، أو اخلاص أفرادها ، أو لانه يرجى أثرها في الدعوة أكثر من غيرها ، وذلك ليكون لها الأولية من المساعدات في المستقبل ، اذا لم يمكن تعميم المساعدة على الجميع .

١١ ــ تقدير المنح الدراسية التي يحتاجها كل بلد في الجامعة الاسلامية في المدينة حسب درجة حاجته للتعليم الاسلامي .

١٢ ــ المساعدة على طبع النشرات والكتيبات الاسلامية في حدود امكانات البعثة .

١٣ ــ تقدير حاجة المدارس الاسلامية الى وجود المدرسين السعوديين الذين يدرسون الدين الاسلامي واللغة العربية ، والذين قد تتوفر الظروف في المستقبل لابتعاثهم الى تلك البلاد .

١٤ ــ تقدير حاجة المسلمين هناك الى الكتب والمطبوعات الاسلامية باللغة العربية واللغات الاخرى .

١٥ ــ جمع المعلومات الممكنة عن الشخصيات والجمعيات الاسلامية في البلاد المجاورة للاقطار التي ستزورها البعثة .

١٦ ــ تقديم الاقتراحات عمن تراهم البعثة أهلا لأن تدعوهم الجامعة الاسلامية لالقاء محاضرات فيها ، أو للتعاون معهم في مجال الثقافة الاسلامية .

١٧ ــ تقديم الاقتراحات بأسماء الشخصيات الاسلامية التي تستضيفها الهيئات والمؤسسات الاسلامية السعودية التي تعنى بشؤون المسلمين في الخارج لغرض تقوية الروابط الاسلامية العامة .

ثم زودت رئاسة الجامعة الاسلامية البعثة بأكثر من ثلاثة

عشر ألف كتاب اسلامي يضاف الى ذلك مقدار من المصاحف والاجزاء القرآنية الكريمة لتقوم بتوزيعها في تلك البلاد .

وقد شحن الجزء الأكبر منها قبل سفر البعثة من ميناء جدة الى مقديشو ، عاصمة جمهورية الصومال ، لكي تقوم البعثة بالتوزيع منها بطريق السفارة السعودية هناك.

وما أن علمت رابطة العالم الاسلامي بقرب سفر البعثة حتى أرسل معالي الامين العام للرابطة الشيخ محمد سرور الصبان مبلغا ماليا طيبا مساهمة من الرابطة في عمل البعثة وليضاف الى المبالغ المالية التي تحملها البعثة من الجامعة ، ويصرف مصارفها .

هذا وقد غادرنا المملكة العربية السعودية عن طريق مطار جدة الدولي الى مطار الخرطوم في يوم الثلاثاء السادس والعشرين من شهر ربيع الثاني عام ١٣٨٤ هـ الموافق لليوم الرابع من شهر اغسطس عام ١٩٦٤ م .

تلك كانت قصة بداية رحلتي الاولى الى إفريقية ، وسوف أستصحبك ــ أيها القارىء الكريم ــ الى أكثر البلدان والقرى والدساكر التي مررنا بها في تلك الرحلة ، عندما نقرأ معا مذكراتي اليومية ، فيما بعد ، ان شاء الله .

وقد استغرق سفرنا مدة ثلاثة أشهر وسبعة عشر يوما ، زرنا خلالها السودان ، وأرتيرية ، والحبشة ، والصومال ، وكينية ، واوغندة ، وبوروندي ، وتنجانيقة ، وروديسية الشمالية ، (زامبية) .

الرحلة الثانية :

بعد أن قدمنا من رحلتنا الأولى رفعنا الى رئاسة الجامعة الاسلامية تقاريرنا التي وضعناها عن الرحلة ، فسارع فضيلة نائب رئيس الجامعة الاسلامية الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله بن باز الى دراسة ما جاء فيها ، وكان أهم ما عمله فضيلته أن قدم اقتراحا لسماحة رئيس الجامعة ، الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ بأن تكوّن لجنة لدراسة التقارير المذكورة من أعضاء عن الجامعة الاسلامية ، ودار الافتاء ، ووزارة الخارجية ، ووزارة المعارف ، ورابطة العالم الاسلامي .

وقد وافق سماحة رئيس الجامعة على الاقتراح المذكور ، والتأم شمل اللجنة . وكان من أهم توصياتها اقتراح بأن ترصد الحكومة السعودية مبالغ معينة من المال ، وتعتمد وظائف تقدر في البدء بخمسين وظيفة ، تخصص لتعيين مدرسين ومرشدين يتعاقد معهم للعمل في أقطار افريقية المختلفة ، ويوضع لعملهم نظام خاص ، ويكون عملهم بعيدا عن التدخل في الأمور السياسية ، وانما يقتصر على العمل في حقل التدريس والارشاد ، وتقديم النصح الديني المحض .

وكان أن قام سماحة مفتي الديار السعودية ، الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ رئيس الجامعة ، برفع هذا

الأمر الى جلالة الملك المعظم فيصل بن عبد العزيز حفظه الله وزاده توفيقاً وتأييداً، فوافق جلالته على ذلك . وأصدر أمره السامي الى وزارة المالية والاقتصاد الوطني برصد المبالغ المطلوبة ، وفتح الوظائف اللازمة على أن يتم ذلك كله على يدي سماحة المفتي ، وأن يكون تنفيذه بوساطة دار الافتاء . وقد عهد سماحة المفتي حفظه الله الى فضيلة نائبه في الافتاء الشيخ ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بالقيام على تنفيذه واخراجه كاملا الى حيِّز الوجود . فصدع فضيلة الشيخ ابراهيم بن محمد بالأمر ، وأخذ في الاجراءات السريعة الكفيلة بعدم تأخيره .

وكان من بين ما رآه فضيلته أن يصدر فضيلة المفتي ، رئيس الجامعة ، أمراً يقضي بتكليفي السفر الى عدد من الاقطار الافريقية المحتاجة للتعليم الاسلامي وذلك للاتصال بالجمعيات الاسلامية ، والاتفاق معها على تعيين أماكن المدرسين ، والمرشدين هناك ، ثم اكمال الاجراآت اللازمة لاستقبالهم وتيسير اقامتهم . فوافق سماحته على ذلك . وتقدم لجلالة الملك فيصل المعظم بالتماس اعطائي مبالغ مالية مما أمر جلالته برصده للدعوة في إفريقيا أقوم بتوزيعها على الجمعيات والهيئات الاسلامية ، وقد وافق جلالته على ذلك ، وأصدر أمره السامي الى وزارة المالية بصرف المبالغ المطلوبة . وهي تزيد أضعافا على المبالغ التي كنا قد وزعناها في رحلتنا الاولى .

وقد رأى فضيلة نائب رئيس الجامعـة الاسلامية ، الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز ، أن أقوم بجانب أداء المهمة المذكورة بمهمة اخرى ، وهي تقديم المنح الدراسية في الجامعة الاسلامية الى المسلمين في تلك الاقطار الافريقية واختيار الطلبة الذين يستفيدون من المنح المذكورة ، واكمال ترحيلهم الى المدينة المنورة . وهكذا أصبحت المهمة التي وكل الي أمر تنفيذها في هذه الرحلة الثانية ذات ثلاث شعب:

أ ـ تعيين أماكن المدرسين والمرشدين في أقطار شرقي ووسط إفريقية الذين تزمع دار الافتاء ارسالهم اليها .

ب ـ توزيع الاعانات المالية على الهيئات والمؤسسات والشخصيات الاسلامية هناك .

ج ـ تقديم المنح الدراسية مـن الجامعة الاسلامية واختيار الطلاب للمنح المذكورة .

هذا وقد اخترت لمرافقتي في هـذه الرحلة الاستاذ عبدالله بن حمـود الباحوث ، رئيس المحاسبة بالجامعـة الاسلامية ، وذلك لخبرته في الشؤون المالية والحسابية التي أحتاجها في ضبط أوراق المبالغ المالية التي أحملها ، ولانه لا بد لي من مرافق في تلك الرحلة الطويلة ، رأيت فيه خير من يصلح لذلك .

وهكذا غادرنا المدينة المنورة يوم السبت ٥ جمادى

الاولى ١٣٨٦ هـ الموافق ٢١ اغسطس عام ١٩٦٦ .

ترتيب الكتـاب :

ان محتويات هـذا الكتاب عبارة عـن مشاهدات وانطباعات في مذكرات يومية كما قدمت ، لذلك أبقيتهـا كما كتبتها ، ولم أضف اليها أي شيء مما يمكن اضافته من المصادر المكتوبة التي تحدثت عن تلك البلاد ، لانها معروفة للباحثين ، وليس لمن يريد الاطلاع عليها . وليس من اللائق أن يأخذ المرء ما ذكره غيره ، وينسبه الى نفسه . ولم أحذف من مذكراتي الا ما كان منها شخصيا محضا، او متصلا بالحديث عن بعض الشخصيات الاسلامية والمقابلات التي تمت مع المسؤولين المسلمين ممـا لا يحسن نشره ، أو لا فائدة في ذكره .

وقد رتبت يوميات الرحلة الاولى لكل بلد على حدة ، ثم أتبعتها بيوميات الرحلة الثانية أو الثالثة اليه ان وجدت ، ثم أتبعت ذلك بحديث عن الاوضاع الاسلامية فيه حسبما توصلت اليه بنفسي مع زملائي وذلك ليسهل الرجوع اليـه لمن أراد ،أي انني لم أرتب اليوميات على التسلسل التاريخي لهـا .

المسـاعـدات :

لقد بلغ عدد الجهات والمؤسسات والهيئات والمدارس

الاسلامية التي صرفنا لهـا اعانات مالية أكثر مـن (٣٢٠) مؤسسة ، كما أننا قدمنا منحا دراسية في الجامعة الاسلامية لجميع البلدان التي زرناها ، وقد وصل أكثر الطلبة مـن تلك البلـدان وهم الآن يواصلون دراستهم في الجامعـة الاسلاميـة .

كما ارسلت دار الافتاء ، ولا تزال ترسل جماعات من المدرسين والمرشدين الى الاقطار الافريقية المختلفة ، وهم الآن يؤدون الاعمال المنوطة بهم في حقل الارشاد والتعليم والتوجيه الاسلامي على خير وجه ولله الحمد .

وبعد : فان ما ورد في هذا الكتاب ليس تقريرا عما تم انجازه في تينك الرحلتين فذلك له مكانـه في الاوراق والملفات الرسمية ، ولكنه حديث الرحلة ذاتها ، أو هـو الحديث على هامش المهمة الرسمية وليس عن المهمة نفسها .

وفي الختام فان الواجب يقتضيني أن أقدم وافر الشكر وجزيل الامتنان لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز ابن عبدالله بن باز، نائب رئيس الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة ، الذي كانت مساعيـه السبب الاول في الاسراع بانجاز الرحلتين المذكورتين .

كما أقدم شكري لفضيلة نائب المفتي لشؤون الافتاء ، الشيخ ابراهيم بن محمد بن ابراهيم ، على ما بذله من جهود صادقة في سبيل اتمام الرحلة الثانية .

أما سماحة مفتي الديار السعودية ورئيس الجامعة الاسلامية الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ ، فهو صاحب الفضل ، بعد الله ، في كل ما تم في هذا الشأن مما اقتضاني اهداء الكتاب لسماحته قياما بواجب الشكر وعرفان الجميل.

ولا يمكن أن أنسى تقديم الشكر لاخواني وزملائي في الجامعة الاسلامية ، سواء منهم من رافقني في السفر ، ومن قام بعملي خلال غيابي عن الجامعة ، وأخص منهم المشايخ : الشيخ عمر محمد فلالي ، والشيخ أبا بكر جابر ابن موسى ، والاستاذ عبدالله بن حمود الباحوث ــ الذين كانوا من خير الرفقة لي في السفر ، والذين آسوني بالاشتراك معي في تحمل المتاعب التي صادفتني خلاله .

والله ــ وحده ــ المسؤول أن ينصر دينه ، ويعلي كلمته ، ويوفق المسلمين قادة وشعوبا الى العمل بما يجمع كلمتهم ، ويلم شعثهم ، على هدى من كتاب الله ، وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) حتى تعود للاسلام نضارته ، وللمسلمين عزتهم وكرامتهم ، انه سميع قريب ، مجيب الدعوات .

المدينة المنورة　　　　المؤلف

محمد بن ناصر العبودي
الامين العام للجامعة الاسلامية

في جمهوريّة السُّودان



يوم الثلاثاء : ١٣٨٤/٣/٢٦ هـ
٤ /٨/١٩٦٤ م

الى بور سودان :

غادرنا جدة بطائرة سودانية من طراز داكوتا ذات المحركين في الساعة الحادية عشرة صباحا بالتوقيت الزوالي وقد قال لنا المضيف وهو شاب سوداني ، لطيف المعشر ، حريص على القيام بواجبه : ان الرحلة ستستغرق خمسين دقيقة .

وقد مضت المدة كلها فوق مياه البحر الاحمر ، ثم رأينا مدينة بور سودان من الجو جميلة نظيفة ، شوارعها الرئيسية مسفلتة ، وان كان الطابع الصحراوي الذي يميز المدن في بلادنا هو الغالب على مظهرها .

وقد هبطنا في المطار ، ولبثنا فيه ثلاثين دقيقة ، قدم لنا خلالها الشراب ـ عصير الليمون بالمجان ـ .

وقد لاحظت ان العمال الذين باشروا الخدمة بالطائرة على الارض والذين يعملون في المطار قلة ومع ذلك قد كانت خدمتهم جيدة ، وجلهم من شمال السودان فيما يظهر من سحنهم عدا اثنين فعليهم طابع الجنوب : جنوب السودان .

اما الجو في بور سودان فقد توقعت ان يكون اشد

حرارة لانني كنت قد قرأت في كتب الرحالين القدماء امثال ابن جبير ، وابن بطوطة ، ان مواني الشاطيء الافريقي للبحر الاحمر اشد البلاد التي زاروها حرا . كما ان بور سودان اشتهرت خاصة بحرارة جوها . ومع ذلك فقد شعرت بأن الجو مشابه لجو مدينة جدة ، ان لم يكن الطف منه . ولعل الجو فيها اليوم غير عادي .

ان مطار بور سودان يعتبر مطارا صغيرا ، ولكن يظهر على جميع العاملين فيه الاخلاص لعملهم ، والحرص على سمعة بلادهم .

اما سحن الناس والوانهم ، فانه على الرغم من قصر المسافة بين جدة وبور سودان ، وعدم اختلاف المناخ بينهما اختلافا كبيرا ، فان المرء يلاحظ ان الاختلاف بالالوان بينهما اكثر من الاختلاف في الجو ، فبينما نرى اللون الاسمر هو الغالب في جدة نرى اللون البني او على الادق اللون السوداني المميز لابناء السودان هو الاغلب هنا .

ولا غرو فنحن الآن في بور سودان قد تجاوزنا عتبة القارة الافريقية ، واوشكنا على الدخول فيها .

الى الخرطوم :

اقلعت بنا الطائرة في يسر بعد ان امضينا ثلاثين دقيقة في مطار بور سودان تماما كما اخبرنا من قبل .

اننا الآن في القارة الافريقية ، ولكننا لم نتوغل فيها ، فما زلنا نرى الارض تحتنا على الرغم من مضي ساعة على قيام الطائرة ، صحراوية ، او شبه صحراوية ، وهي عبارة عن هضاب ومرتفعات جبلية مما يجعل مناظرها تشبه مناظر بعض الجهات في بلادنا ، وخاصة في المنطقة الغربية .

لقد اشتد الحر داخل الطائرة مع ان ارتفاعها يزيد عن ١٢ الف قدم ، ولا غرو فنحن الآن في منتصف النهار والمنطقة صحراوية او شبه صحراوية كما اسلفت . ثم شعرنا بعد ذلك بأننا بدأنا نقترب من منطقة الخرطوم ، وقد تغيرت المناظر تحتنا تماما فالخضرة تكسو اجزاء منها ، والاشجار الكثيفة تملأ الوديان .

لقد اعجبنا ذلك وقال الذين كانوا معنا في الطائرة : لا عجب ، فهذا الوقت في الخرطوم وما حولها ، هو فصل الامطار الموسمية التي تهطل بغزارة كل عام .

ثم دخلت الطائرة وسط السحب الكثيفة ، المطرة التي كانت تطبق على منطقة الخرطوم حتى نزلت على مستوى السحاب .

وهنا رأينا منظرا رائعا ، هو منظر العاصمة السودانية المثلثة أي التي تتكون من ثلاث مدن هي : الخرطوم ، والخرطوم بحري ، وأم درمان ، على ضفاف النيل ، أو على

الاصح النيلين حيث يلتقي النيل الازرق بالنيـــل الابيض ويمتزجان في روعة بالغة .

في مطار الخرطوم :

حطت بنا الطائرة في مطار الخرطوم ، وقد استقبلنا الموظف المسؤول فقــادنا الى مكتب الجوازات والصحة والجمــرك .

الربيـــع :

كان الجو في الخرطوم ربيعا حقا ، فالنسيم العليل ، والجو المغلف بالسحب الكثيفة التي كانت تمطر رذاذا ثم تهتانا قد سحرنا نحن الذين لم يمض على مجيئنا من الجو الصحراوي اللافح في بور سودان اكثر من ساعتين ، وقبلها بساعة من جدة .

ان المرء لا يتصور هنا أنه في افريقية بــلاد الشمس المحرقة ، والحر الذي يذيب كبد الضب ــ كما يقولون .

لقد نسينا مثل هذا الجو منذ ان ولّى الربيع الادبار في بلادنا وحتى في الربيع لا يمكن ان يتوفر جو كهذا الا بعد هطول الامطار وتشبع الارض بالرطوبة .

رأينا مطار الخرطوم مطارا متوسطا تظهر عليه العناية الفائقة والنظافة التامة ، وكانت الاجراءات مقبولة ومعقولة

حيث لا تعقيد ولا تساهل ، فالسؤال عن العملة وتسجيلها في اقرارات رسمية وتفتيش الحقائب كل ذلــك جرى بيسر وسهولــة .

الخرطوم :

مدينة جميلة ، كثيرة الشوارع المتقاطعة ، شوارعها الرئيسية كثيرة التشجير ، حتى تكاد تختفي تحت ظــلال الاشجار ، ومعظم بيوتها تتكون من طابق واحد ، الا ان العمارات المتعددة الطوابق قد بدأت تغزو المدينة ، وخلاصة القول ان الخرطوم بكاملها اشبه بضاحية جميلة منهــــا بعاصمة مكتظة بالسكان مليئة بالحركة ، والواقع انها كذلك اذ ان العاصمة السودانية المثلثة تتكون مــن الخرطوم ، وخرطوم بحري ، وأم درمان ، فــأم درمان تعتبر الحـــي الشعبي ، وخرطوم بحري حي الجيش ، ومدينة الخرطوم حي الدوائر الحكومية ورجال المــال والاعمال الاجانب ، ومساكن ذوي اليسار من السودانيين لا سيما وأن أغلب مساكن مدينة الخرطوم حديثة البنيان وحديثة التخطيط ، لذلك نجد شوارعها مستقيمة ، ومنازلها مقسمة الى قطــع متساوية خالية من الزوايا .

أما الوجوه فأكثر السحن هي اللون السوداني بطبيعة الحال وهو اللون البني ، اما الجنس الزنجي فقليل جــدا يتكون من القادمين من جنوب السودان .

المـرور :

ان اول ما يسترعي انتباه الزائر مثلنا هو نظام السير الذي يخالف المرور عندنا فيتجه الى اليسار حتى ان المرء منا ليخشى ان تصطدم السيارات بعضها ببعض وخاصـة عندمـا تتقابل مسرعة فيأخذ كل منهـا بشماله ، واغلب السيارات ان لم تكن كلها عدا سيارات الدبلوماسيين ورجال السلك السياسي من الاجانب سيارات صغيرة وبعضها من (موديلات) قديمة ، وأكثر السيارات التي تسير في شوارع الخرطوم سيارات اجرة أي سيارات عمومية ، اما السيارات الخصوصيةفهي قليلة نسبيا واذا نظرنا الى مجموعالسيارات التي تسير في شوارع الخرطوم وهي عاصمة دولة يبلغ عدد سكانها أكثر من عشرة ملايين نسمة استطعنا ان نقول : ان السيارات في السودان قليلة بالنسبة الى غيرها من البلدان العربية التي لم يكتشف فيها النفط كسورية مثلا وهذا يدلنا على ان اقتصاد السودان اقتصاد نام وليس اقتصادا مزدهرا ولكننا لمسنا فيما بعد الاخلاص في العمل من الجميع في أن يجعلوا بلادهم في مصاف البلاد العربية المتقدمـة ، ان لم يطمحوا الى أكثر من ذلك .

في الفنـدق :

أشار علينا سائق السيارة التي اوصلتنا من المطار الى البلد ان تنزل في فندق الاكروبول ، ولم نجد غير أن نطيع

رأيه فوافقنا ان ننزله . وهو فندق اوروبي الطراز، واوروبي كامل في الخدمة فيه وطريقة تقديم الطعام ، يديره رجل يوناني مع اولاده ، واغلب نزلائه من الاجانب ويتقاضى يوميا ٢،٧٥ جنيه سوداني أي مقابل المبيت والاكل الذي يعد من أفخر الاكل في فنادق البلاد العربية .

جامع الخرطوم الكبير :

صلينا المغرب فيه فراعنا ان وجدناه غاصا بالناس قبل أذان المغرب بوقت وبعض الحاضرين فيه يصغون الى درس يلقيه شيخ معمم قالوا عنه: انه شيخ المعهد الديني في الخرطوم، وقد كان المصلون كثرة حقا ، وقد لبث بعضهم في المسجد بعد الصلاة لينصتوا الى الشيخ الذي واصل درسه ، بعد صلاة المغرب على شكل حلقة من حلقات الدرس على الارض.

ويلاحظ الزائر فرقا بينهم في الصلاة وبين ما ألفناه في بلادنا ، من ذلك ان الامام يكبر تكبيرة الاحرام فيكبر الجميع خلفه بصوت مرتفع ترتج له جنبات المسجد ، ومنها ان الامام عند التسليم يجهر بالجملة الاولى من التسليمة الاولى (السلام عليكم) ثم لا يظهر غيرها ، يتابعه الناس بصوت مرتفع تضطرب له انحاء المسجد ايضا بالتسليم من الصلاة ، ومنها ان الذي يصلي بجانبك يصافحك بعد انقضاء الصلاة بقوة وحرارة .

أما المسجد فهو واسع ، جميل البنيان بغير اسراف ، تحيط به فسقية مكشوفة عامرة بالاشجار الباسقة .

يوم الاربعاء : ١٣٨٤/٣/٢٧ هـ
٥ /١٩٦٤/٨ م

ذهبنا الى السفارة السعودية على امل اللقاء مع السفير الشيخ محمد بن عبيكان لانه سبق لنا معه لقاء في الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة ، وكلمناه عن مهمة البعثة فعرفنا انه غائب عن السودان لاشتراكــه في مؤتمر الدبلوماسيين السعوديين في البلاد العربية ، ووجدنا على رأس العمــل بالسفارة القائم بالاعمال الاستاذ عبدالله بن عبد الرحمن الطبيشي ، الأمين الاول ، وقد استقبلنا استقبالا طيبا ولما اخبرناه عن مهمتنا ، بادر فأخذ منا جوازاتنا واتصل ببعض سفراء الدول التي لا يوجد لها ممثليات في المملكة العربية وذلك للحصول منها على التأشيرات اللازمة للدخول الى تلك البلاد والحصول منها ايضاعلى التوصيات التي تحتاجها البعثة لاداء مهمتها ومساعدتنا ان احتجنا الى مساعدة .

وقد تناول الحديث الطويل معه الشؤون الاسلامية وخاصة بجنوب السودان واخبار شرق افريقيا ووسطهــا عامة ، فكان مما قال : اني أرى انه ينبغي لمن يذهب لتلك الاقطار الا يذهب باسم الدعوة الى الاسلام ، لان هناك

كثير من الرسميين وغيرهم من المتعصبين ضــد الاسلام ، الذين لا يمكّنوكم من اداء مهمتكم كما تريدون . فقلت : ان هذا ما كنا قد قررناه من قبل ، اما مــا يختص بجنوب السودان فقلت: اننا نــتمنى لو اتيحت لنا فرصة زيارته ولو لم يكن ذلك في برنامجنا ، حتى ندرس ما يمكن ان نقدمه للاسلام هناك في نطاق امكاناتنا . فقال : ان هذا شيء طيب ثم اتصل فورا بمدير مكتب وزير الداخلية وهو أي المدير ضابط كبير في الجيش ومن المهتمين بشؤون الاسلام فقال له : ان هنا بعض الاخوان الذين يودون السفر الى جنوب السودان اذا لم يكن هناك مانع من ذلك ، فأجابه المتكلم : بأنه لا مانع من ذلك ونحن مستعدون لاعطائهم التصاريح بالسفر المطلــق الا ان الوقت الآن هو موسم الفيضانات ومطار جوبا ، عاصمة الجنوب صغير وكثيرا ما يقفل عدة ايام بسبب الفيضانات ، فاذا كان هذا لا يعتبر مانعا في نظرهم فنحن مستعدون ، ثم قلت له : ان وقتنا محدود وامامنــا الآن عشرة اقطار يتعين علينا زيارتها وهي من الاقطار التي تعتبر مقفلة في وجه الاسلام والمسلمين ومن الممكن لنا زيارة جنوب السودان في فرصة اخرى .

ثم قال الاخ الطبيشي : انني اعــرف ان الحكومة السودانية تود لو امكنها نشر الدين الاسلامي في جنــوب السودان ولكنها تلاقي مشاكل كثيرة في هذا الموضوع وفي حين ان المسيحيين من الجنوب يجدون من يسندهم مــــن

المسيحية في الخارج فان المسلمين هناك لا يجدون من يساعدهم من الحكومات الاسلامية، بل ان بعض الحكومات الاسلامية تسيء اليهم بحجة التقرب من المسيحيين الافريقيين. وقال : انه سمع من مسؤول سوداني كبير قوله : لماذا لا يساعدنا المسلمون على حل مشكلة الجنوب بصفتهم مسلمين ؟ فقلت له : ان هذا صحيح وان من الواجب على الحكومات الاسلامية عامة بذل كل ما في وسعها من مساعدة على نشر التعليم الاسلامي في جنوب السودان .

ثم اتصل بمدير مكتب وزير الداخلية ، وقال لنا اني أرى انه يترتب لكم مقابلة مع الوزير فقلت : لا بأس .

هذا وقد انهينا الاجتماع معه بعد ان دعانا الى تناول العشاء عنده مساء الغد .

في أم درمان :

ركبنا السيارة من الخرطوم الى أم درمان ولا يفصلنا عنها الا جسر على النيل الابيض حيث تلتقي اطراف المدينتين، وقد الفيناها مدينة شعبية معظم بيوتها ان لم يكن جميعها ذات طابق واحد وبعضها مبني بالطين على الرغم من الامطار الغزيرة التي تشهدها السودان في موسم الامطار والتي اكثر ما تهدم تلك البيوت وقد لاحظنا ان شوارعها وازقتها ومقاهيها ومطاعمها أقل كثيرا من مستوى مثيلاتها في

الخرطوم ، وان كان قد جرى فيها عمل اصلاحي كبير كما لاحظنا ؛انها مدينة تجارية فهي تغص بمراكز الحركة التجارية التي تظهر عليها انها تتعامل مع اجزاء كبيرة من السودان ، اذ تصدر وتستورد البضائع الكثيرة الا أنه من الملاحظ ان اسماء بعض اللذين يمتلكون المتاجر من اصل اوروبي ، أو من (الخواجات) ــ كما يسميهم السودانيون ــ وهذا أمر ظـــاهر .

في مسجد أم درمان :

وقد صلينا صلاة المغرب والعشاء في مسجد أم درمان، وسرني اذ رأيت الدروس الدينية فيه متصلة الحلقات من بعد العصر حتى صلاة العشاء ، كما لاحظت انــه يحضر حلقات الدرس والوعظ عدد كبير مــن الناس ، والشعب السوداني شعب متدين رقيق الحاشية لطيف المعشر ما ان يرانا في مكان عبادة ويعرف اننا قد جئنا من المدينة المنورة حتى يبادر الى تحيتنا واظهار اكرامنا ، وقد القى زميلنـــا الشيخ أبو بكر جابر موسى ، موعظة في المسجد بعد صلاة العشاء نالت اعجاب الحضور الذين صافحونا جميعا ودعوا لنا بالتوفيق .

يوم الخميس : ١٣٨٤/٣/٢٨ هـ
٦ /١٩٦٤/٨ م

استعرضنا في الصباح قائمة الاسماء التي في مفكرتنا للاشخاص والجمعيات الاسلامية فوجدنا فيها رئيس القضاة ومفتي الجمهورية السودانية ، ورئيس مصلحة الشؤون الدينية. وكان قد زارنا هذا الصباح بعض الطلبة السودانيين في الجامعة الاسلامية فذهبنا الى بناء رئاسة القضاة الشرعيين والافتاء والمحكمة الكبرى .

مع مفتي السودان :

اسمه الشيخ حسين المفتي ، وهو مفتي الجمهورية السودانية : رجل في نحو السبعين من عمره ، قال لنا : انه امضى أكثر من اربعين سنة في العمل الحكومي وقد قدمنا له انفسنا ، وعرفناه بأننا من المنتسبين للجامعة الاسلامية في المدينة المنورة بمناسبة وجودنا في السودان الشقيق ، رأينا لزاما علينا ان نزوركم ، ورحب بنا ، وتحدث معنا طويلا عن الشؤون الدينية في السودان . ويظهر كرم رجال العلم المؤمن في خلقه وتفكيره ، كما يتميز بطيبة القلب ، وسلامة الصدر . ثم توجهنا الى زيارة : رئيس قضاة السودان او ، قاضي القضاة كما يسمونه ، واسمه الشيخ حسين اليمني . وقد قابلنا بشيء من التحفظ وخاصة

عندما تطرق الكلام معه الى موضوع الاسلام في جنوب السودان .

ثم ذهبنا لزيارة الدكتور كامل الباقر مدير مصلحة الشؤون الدينية في السودان ، وذلك للاطلاع منه على الشؤون الدينية عامة وعلى ما يختص بالمشاكل التي تواجهها الدعوة الى الاسلام في جنوب السودان خاصة ، فلم نجده لسبب غيابه عن السودان ، واستقبلنا في المبنى نفسه الشيخ يوسف اسحاق حمد النيل المراقب العام للشؤون الدينية . وهو رجل ازهري التعليم ، وكان قد قضى بضع سنين بمدرسة الفلاح بمكة المكرمة ،وقد ودعناه آسفين لعدم لقاءنا برئيس مصلحة الشؤون الدينية .

في دار القائم باعمال السفير السعودي :

كان الاستاذ عبدالله عبد الرحمن الطبيشي القائم باعمال السفير السعودي بالسودان قد وجه الينا دعوة لتناول العشاء في منزله دعى اليها بعض الدبلوماسيين العرب وخصّ منهم بالذات الذين نحتاج اليهم في طلب تأشيرات الدخول الى الدول التي لا يوجد لها ممثليات في جدة ، ومنهم قنصل الكويت الذي سيكتب لنا خطاب توصية الى القنصل الفخري المكويت في تانجنيقا وكينيا ، والقائم باعمال السفارة الاردنية ، والوزير التونسي المفوض الذي سيجهز لنا تأشيرات الدخول الى الكونغو الفرنسي سابقا

(كونغو برازافيل) وقد لبثنا في بيته مدة تزيد على الساعتين تناولنا خلالها طعام العشاء الذي كان عبارة عن مائدة كبيرة تكفي لاكثر من عددنا ضعفين ، وقد تناول الحديث مختلف الشؤون وخاصة منها ما يتعلق بالسودان وجوه واقتصادياته في ظروفه الحاضرة .

يوم الجمعة : ١٣٨٤/٣/٢٩ هـ
١٩٦٤/٨/٧ م

في خرطوم بحري :

توجهنا صباحا الى خرطوم بحري في جولة سريعة وقد طافت بنا السيارة كل مناطق خرطوم بحري وشاهدنا مبنى جامعة الخرطوم في الطريق ، ثم وصلنا الى مباني الاقسام الداخلية لبعض كليات الجامعة ، كما شاهدنا العمل الذي كان يجري لانشاء جسر ضخم على النيل بعد ان يتحد النيلان الازرق والابيض ، يصل بين خرطوم بحري وبين ام درمان ، وكان الاتصال بينهما يتم عادة اما بالذهاب الى الخرطوم ، ومن هناك الى ام درمان ، واما بالذهاب بواسطة قارب نهري ، وقد شاهدنا ذلك اليوم .

وقد راعتنا عظمة النيل هنا باتساعه ، وضخامته وعظم المقادير الهائلة من المياه التي يتكون منها . ومما

يدعو للاسف انك لا ترى المزروعات على ضفتيه ممتدة الى مسافات بعيدة ، مما يؤكد الشعور الذي ينطبع في ذهن الزائر للسودان الشقيق ، ان هناك امكانيات ضخمة في السودان ولكنها تحتاج الى امكانيات كثيرة للاستفادة منها واستغلالها من الاموال الطائلة ، والخبرات الفنية المتعددة.

ثم تجولنا في منطقة تبعد عن ضفة النهر حوالي ثلاثة كيلو مترات فرأينا بعض الفلات الجميلة ، وسط الاحياء الفقيرة المبنية بالطين ، والتي لا ترتفع عن الارض اكثر من المترين مما جعلنا نذكر بعض منازل هجر البادية عندنا في نجد في السابق .

الخرافات :

مررنا بطريقنا بمقبرة وطنية ، قبورها لاصقة بالارض ، فرأينا فوق بعض القبور رايات صغيرة مثل التي يلعب بها الاطفال فسألنا مرافقنا السوداني عنها ، فقال : ان بعض النسوة يأتين بهذه الاعلام للتقرب الى صاحب القبر الذي يكون من المشايخ المعتقدين عندهن وذلك لكي يشفع لهن عند الله في قضاء حوائجهن ، كما يخيل لهن ومثل هذه البدع والخرافات منتشرة في السودان للاسف ويحتاج من يتصدى لعلاجها الى حكمة ومهارة ، لانها متأصلة في نفوس كثير من العامة ، يصعب انتزاعها من نفوسهم بسهولة ، وهي منتشرة انتشارا كبيرا .

الروح الدينيــة :

والروح الدينيــة في السودان قويـــة ، وللديــن في نفوس العامة من الناس مكانة كبيرة ، ولكن توجد اشيــاء في السودان ظاهرة لا يستطيع المرء الا ان يلاحظها وهـــي انتشار الخمور والحانات في كل مكان من العاصمة كمــا ان شرب الخمــر هنا ظاهر اكثر منه في أي بلد عربي ، حتى من البلاد التي ضعفت الروح الدينية فيها .

واعظم طائفتين دينيتين في السودان هما: طائفة الانصار اتباع السيــد عبد الرحمــن المهدي . وطائفة الختمية ،اتباع السيــد الميرغني ، ولكل مــن هاتين الطائفتين قبة على قبر زعيمها .

وقــد بدأت تنتشر الآن ، ولــكن ببطء ، حركــات الاصلاح الديني التي تدعوا الى تنقيــة الديــن الاسلامي من شوائب الشرك والبدع ، والرجوع الى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه .

وانصار السنــة في السودان لهم جماعة في كل بلــدة تقريبا ، ولكــن لصراحتهم في التحذيــر من الشرك والبدع، يجدون معارضة مــن كثير مــن الناس ، ويرجى ان تتسع دعوتهم في المستقبل ، مع انتشار التعليــم .

في مسجد خرطوم بحري :

بعد ان قمنا بجولة في ما حول خرطوم بحري ، توجهنا الى مسجد خرطوم بحري الكبير ، حيث صلينا الجمعة فيه ، والقى زميلاي في المصلين موعظتين ، كان لهما وقع طيب في نفوسهم وقد احاطونا من كل جانب بالسلام والتحية وغمرونا بعواطفهم الطيبة . وقد كان خطيب الجامع قد القى والحق يقال خطبة بليغة مناسبة قبل الصلاة .

مطاعم الخرطوم :

تناولنا طعام الغداء في احد المطاعم في خرطوم بحري ، وعلى ذكر المطاعم نقول :ان اكثر المطاعم الشعبية في السودان تنقصها النظافة ، ويتولى الخدمة فيها فتيان يكونون في بعض الاحيان من جنوب السودان بملابس غير نظيفة ومعاملتهم للزبائن غير رقيقة ، الا ان المطاعم المذكورة رخيصة جدا ، اذا قورنت بأسعار المطاعم في البلاد العربية الاخرى حتى مصر .

اما المطاعم النظيفة فاغلبها يديرها اجانب من اصل اوروبي ، او من يسمونهم (الخواجات) وهي غالية الاسعار ، اي ان ثمن نظافة المطعم يزيد السعر اكثر من مئة في المئة ، فان النظافة لا تكلف نفقات تساوي هذا المبلغ .

يوم السبت : ١٣٨٤/٣/٣٠ هـ
١٩٦٤/٨/٨ م

في البنك المركزي السوداني :

ذهبنا صباحا الى البنك المركزي السوداني لاستبدال نقد سوداني بالصكات (الشيكات) السياحية التي نحملها ، وكانت الاجراءات شديدة ، والقيود على العملة كثيرة واسترعى انتباهنا في البنك كثرة الفتيات السودانيات ، الموظفات فيه ، وبهذه المناسبة نذكر : ان لا ترى المرأة السودانية في الشوارع والاسواق كما تراها في شوارع البلاد العربية الاخرى ، فخروج النساء قليل ، والمرأة السودانية على وجه العموم متحشمة اذا خرجت للشارع .

في حديقة الحيوان :

ركبنا اليها من الفندق الذي ننزل فيه بالسيارة فوجدناها في شارع النيل ، وهو شارع طويل يمتد على ضفة النيل ويشبه كورنيش النيل في مصر ولا يقل عنه جمالا وروعة ، وهذا الشارع يعتبر في نهاية الجمال حيث تشتبك في سمائه فروع الاشجار الصغيرة التي غرست على جانبيه ، ويشمل الظلال الوارف جميع تلك المنطقة التي تعتبر منطقة الوزارات والمصالح الحكومية الكبيرة .

دخلنا الحديقـــة فألفيناها قد نسقت تنسيقا جميـــلا ، ومحتوياتها كثيرة نسبيـــا ، وان كانت لا تصل الى مستوى حديقة الحيوان في الجيزة ــ في مصر .

وأغلب الاشيـــاء الغريبة فيـــها هي مـــن الحيوانات الاستوائية كأنواع مـــن الوعول لا عهد لنا بمثلها ومجموعة طيبة مـــن الطيور الافريقيـــة ، أما المعروضات الاخرى فهي عاديـــة .

ومما استرعى انتباهنـــا فيها « اللاما » حيوان أمريكة الجنوبيـــة الشهير ، ونوع مـــن أنواع طيور البجع كبير يسمونه « ابو سعن » ، والنيص ويسمونه « أبو الشوك » وهو في قدر العناق التي لها شهران ، ظهره وجنباه مكسوة شوك طويـــل ، كان أهل نجد يستعملونه قديما في الكتابة . كما شاهدنا الكنغر : حيوان استراليا المشهور ، ذا اليديـــن القصيرتين والرجلين الطويلتـــين ، والذي يحمـــل صغاره في كيس في بطنـــه . أما الطيور فكثيرة ، وأجمل ما فيهـــا مجمـــوعة مـــن الطيور الصغيرة الملونة جلبت مـــن خـــط الاستواء ، الى جانب أنواع مـــن الغرانيق والرهو .

وبالحديقة مقصف نظيف ، وهي جميعها مغروســـة بالاشجار الوارفة الظلال .

في الخرطوم جنوب :

انه حي في جنوبي مدينة الخرطوم يسمونها « الخرطوم

جنوب » دعينا فيه للغداء عند بعض الاخوان ، وهو يعتبر امتدادا للخرطوم ، وارضه رملية ذهبية ، حتى لتذكرنا ببعض أراضي القصيم في نجد . وتنشأ الآن فيها البيوت ذوات الطابق الواحد التي تتميز بها ضواحي الخرطوم . وأهم شيء يعنى به السودانيون عند تخطيط ضاحية هو تشجيرها ، لأن المياه الجوفية متوفرة وقريبة من السطح ، ويكفي أن تغرس الاشجار وتتعهد لمدة قليلة ثم تترك لتنمو على الامطار وعلى المياه الجوفية ، لأن مجرى النيل قريب جدا ومنه تتشبع الأرض بالرطوبة وتتوفر المياه الجوفية ، ولأن جو السودان في أيام الجفاف ــ وفي فصل الربيع خاصة ــ تشتد فيه حرارة الشمس حتى تكثر الاصابة بضربة الشمس عند التعرض لها .. فيكون في تشجير المدن ما يوفر الظل فيها .

يوم الاثنين : ١٣٨٤/٤/٢ هـ
١٩٦٤/٨/١٠ م

كنت أصبت منذ أمس بالانفلونزا ، وكانت شديدة الوطأة ، بحيث لم أستطع مغادرة الفراش ، وانزويت في سريري بالغرفة طيلة اليوم . وقد تحاملت على نفسي اليوم ، وذهبت الى المصرف العثماني في الخرطوم ، لاستبدال جنيهات سودانية بصكات سياحية ، والنظام

المالي هنا أن لا يستبدلها الا المصرف ، وقد خسرنا في تلك العملية ما يساوي ٣٥٪ تقريبا ، اذ أن سعر الجنيه السوداني في جدة يساوي دولارين بالضبط ـ حسب شرائنا للمبلغ المسموح بادخاله وقدره عشر جنيهات عندما أردنا السفر الى السودان ـ وقد باعوه لنا بالمصرف بأكثر من ثلاثة دولارات ، أي أنهم أخذوا منا دولارا كاملا في كل جنيه صرفناه لأن هذا هو سعر الجنيه السوداني الرسمي .

ثم ذهبنا الى السفارة السعودية ، وكان الذي أخرنا عن السفر هو عدم حصولنا على تأشيرة الدخول الى أوغندة وكينية، وكانت السفارة السعودية قد كتبت للسفارة البريطانية تطلب منحنا تأشيرة دخول الى تلك البلاد ، نظرا لعدم وجود ممثليات دبلوماسية لها في السودان . وقد ذكرت السفارة البريطانية أنها لا تستطيع ذلك الا بتفويض من الحكومتين وانها أبرقت لهما ويجب علينا انتظار جواب البرقية . وقد أسفنا لهذا الامر لانه سيفرض علينا مزيدا من الاقامة في الخرطوم ، ونحن لا نريد ذلك لأن البقاء طويلا في السودان ليس من هدفنا وانما يبدأ عملنا بعد ذلك . وقلت للقائم بالاعمال الاستاذ عبدالله الطبيشي : ان الافضل أن نسافر ، وعندما تأتي الاجابة الى السفارة البريطانية في الخرطوم تحولها الى السفارة البريطانية في أديس أبابا ، ونستريح من عناء الانتظار وضياع الوقت . فقال : ان

هذا لا بأس به ، ويمكن سؤالهم عنه ، وان كنت أرى أن تنتظروا قليلا لئلا تمروا بنفس الدور في الحبشة عندما تأتون الى السفارة السعودية هناك وتطلبون منها نفس الطلب .

يوم الثلاثاء : ١٣٨٤/٤/٣ هـ
١٩٦٤/٨/١١

زارنا عدة مرات فضيلة الشيخ الزبير عبد المحمود ، وهو عالم ديني سوداني ، وامام جامع عبد المنعم في جنوب الخرطوم ، وصاحب مكتبة دينية في جامع الخرطوم الكبير ، وواعظ في قسم الوعظ والارشاد في ادارة الشؤون الدينية، وهو رقيق الحسّ ثاقب النظرة ، استفدنا منه كثيرا في الاستفسار عن بعض الاشياء التي لا نعرفها في السودان ، وقد قرأت اليوم في الفندق ما حصلت عليه من الصحف السودانية ، وبهذه المناسبة أقول كلمة عن :

الصحافة السودانية :

تصدر في الخرطوم عدة صحف ، وهي : الرأي العام ، الصحافة ، الايام ، الثورة ، وهذه الاخيرة تنطق بلسان الحكومة ، وجميع تلك الصحف ضعيفة في الاخراج والطباعة صغيرة الحجم ، ويصح القول بأن صحافة السودان لا يمكن

أن تقارن بالصحافة السعودية التي تفوقها في كل ما ذكرناه ، والتي يقبل عليها السودانيون ، ولكنهم لا يجدونها الا في السفارة السعودية ويمتدحون اخراجها ومادتها .

يوم الاربعاء : ١٣٨٤/٤/٤ هـ
١٩٦٤/٨/١٢ م

عادت الي الانفلونزا منذ ليلة البارحة بشكل أعنف ، وقد أنهكتني بالحمى والصداع وأنا منذ يومين لم أتناول طعاما .

وقد ذهبت اليوم بالسيارة الى عيادة طبيب سوداني ففحص صدري وبطني ، وقال : هذه انفلونزا ، فينبغي لك أن تصبر هذين اليومين لأن هذا دور لا يمكن تلافيه . ثم كتب لي دواء على الصيدلية ، وقد اشترى أحد الاخوان الدواء وأحضره الي وكنت على أشد حالة من الضيق والألم .

يوم الخميس : ١٣٨٤/٤/٥ هـ
١٩٦٤/٨/١٣ م

على الرغم من الادوية التي ذكرها الطبيب ، وأخذتها بثمن غال ، فلم أزل مريضا وان كانت الحمى قد خفت قليلا

ولم أتناول طعاما ما منذ أيام . وكان الطبيب قد قال لي : يستحسن أن تتناول عصير الفاكهة . وعلى الرغم من أن العاصمة السودانية المثلثة يجري من تحتها نهران عظيمان : هما النيل الازرق والنيل الابيض ، فان السودان يعتبر أفقر البلاد العربية في الفاكهة التي اعتدنا تناولها في الشرق الاوسط ــ كالتفاح والعنب ــ وهو أغلاها سعرا لما يستورد منها . فكيلو العنب مثلا يباع بنصف جنيه ، أي أكثر من ستة ريالات سعودية .. وكيلو الطماطم بأربعين قرشا ، أي خمسة ريالات .. أما البرتقال والتفاح والشمّام ، فلا يوجد .. وانما يوجد من الفواكه «المانجو» وهو رخيص نوعا .. وكذلك يوجد الجوافة ويباع الكيلو بما يساوي ريالا سعوديا ، الى جانب الموز الذي هو من أرخص أنواع الفواكه عندهم . والسبب في عدم زراعة الارض والاستفادة من المياه الكثيرة المتدفقة من النيل وغيره، هو عدم استطاعة السودانيين فلاحة الارض على الوجه المطلوب ، من جهة ، كما قيل لنا ، وعدم ملاءمة المناخ هنا لفواكه الشرق الاوسط أو منطقة حوض البحر الابيض المتوسط من جهة أخرى .

يوم الجمعة : ١٣٨٤/٤/٦ هـ
١٩٦٤/٨/١٤ م

هطلت الأمطار اليوم ليلا بشكل غزير لم يسبق أن

رأينـــاه هنـــا ، وبذلك تحســـن الجو وازدادت برودته ، لان برودة الجو هنا في هذا ألوقت هي بسبب المطر ليس غـــير .

الصيف في الربيع ، والربيع في الصيف :

وعجيب أمر السودان ، فأشد أيامه حرا ، فيمايذكرون، هي أيام الربيع في غيره مـــن الاقطار المعتدلة الشمالية . ففي شهور مارس وابريل ومايو تشتد الحرارة حتى تصل الـــى (٥٠) درجة مئوية ، فيمـــا يذكرون . فتعطـــل المدارس ويذهب القادرون الى خارجالسودان هربا من الحر .ويكون الحر الشديد مصحوبا في الغالب برياح (خمسينية) حـــارة تسفو التراب حتى توصله الى داخل خزانـــات الملابس في المنازل ، فاذا دخل فصل الصيف الحقيقي ــ ويسمونه هنـــا الخريف ــ وذلك في شهـــر يوليو ، بدأ موسم الامطـــار وتحســـن الجـــو وهبطت درجة الحرارة وخمدت الريـــاح السافية ، وأخذ أهل السودان في الخارج يفكرون في زيارة السودان وقضاء الاجازة فيه .

وبعـــد الخريف صيف !:

حتى اذا حل شهر اكتوبر ، وانكسر سلطان الحـــر في البلاد الاخرى ، وبدأ البرد في بعضها ، عاد الحـــر الـــى السودان ، فأخذ يصلي الأبدان لفترة من الزمن ، ثم حـــل

فصل الشتاء وهو لا يختلف عن الفصل الذي يسمونه فصل الخريف ، والذي يقع في الصيف ، الا في كونه لا تنزل الامطار فيه .

اللغة :

السودان بلد عربي — من حيث اللغة — ولا تسمع فيه من يتكلم غير العربية حتى أهل الجنوب الذين يسكنون في الخرطوم ، والذين هم من أصل زنجي يتكلمون العربية بلهجة مكسرة . وتتميز اللهجة السودانية بقربها من لهجة الحجاز . فكلمة « مويه » التي تعني (ماء) لا تنطق كما ينطقها الحجازيون الا في السودان ، وكذلك ترقيق الراء في كثير من الكلمات مما لا يشارك الحجازيين فيه الا السودانيون . واذا كان لكل لهجة عربية ما تتميز به وتشتهر من كلمة كاشتهار الشاميين بكلمة « شو » بمعنى (ماذا ؟) ،والعراقيين بكلمة «ماكو» ، أي (لا يوجد)، والمصريين بكلمة «ازاي» بمعنى (كيف ؟) ، فان السودانيين يتميزون بكلمة «براه» بمعنى (وحده) أو (على حدة) ، وهي كلمة لا أعرف أصلها .

الالوان :

اللون الغالب على السودانيين هو لون البن المصنوع في السودان ، وهو لون أهالي شمال السودان ، ويوجد الى

جانبه اللون الأسود الفاحم وهو لون أهل الجنوب ، كما يوجد بعض ذوي اللون الابيض في العاصمة خاصة ، وهؤلاء معظمهم من اليونانيين والسوريين والمصريين الذين استوطنوا السودان منذ عهد طويل .

ويمتاز السودانيون بأجسامهم الممتلئة وقاماتهم المديدة وأبدانهم التي تظهر عليها القوة .

أبو جنزير :

رأينا قريبا من (فندق فيكتوريا) وفي فضاء على جانب شارع رئيسي عام ، قوما يذبحون بقرة ، فاستغربنا ذلك في هذا المكان من مدينة الخرطوم ، وفي حي يعتبر من الاحياء الراقية فيها ، لانه حي المال والاعمال . ولما سألنا خادم الفندق عن ذلك ، فأجاب ببساطة : انه أبو جنزير !.. فلم نفهم شيئا . فأضاف : هذا أبو جنزير ــ ولي من أولياء الله ــ مات ودفن هنا ، وأخذ الناس يتبركون به ، ويأتون الى قبره ، يذبحون عنده الذبائح ، وما هذه البقرة التي رأيتم الا واحدة منها . فأفهمناه أن ذلك لا يجوز ، وأن الذبح لغير الله شرك ، وأن الميت في قبره لا ينفع ولا يضر ، بل هو محتاج الى من ينفعه بالدعاء والاستغفار له . فقال : أقول لكم الحق ، ان بعض الناس اخذوا يشكون في أبو جنزير هذا لأنه كان عليه جنزير قد أحيط به حماية له من الاذى تبرع به أحد الذين

يعتقـدون صلاحه . ولكـن أحد اللصوص سرق الجنزيـر المذكور ، فلو كان ذلك الميت ينفع أو يضر لدفع عـن نفسه أذى اللص .. ولكـن كثيرا مـن الناس يأتون اليه مـن باب التقليـد وبدون بصيرة .

ثم قال : حتى بلدية الخرطوم تركت الارض التي تحيط بالقبر فضاء ، مع أن ما حولها قد عمه البنيـان لانها قـد أصبحت ملكا لصاحب القبر ، ومجاملة للناس الـذيـن يعتقدون به . وقد أسفنا لذلك ، وسألنا الله سبحانه وتعالى أن يفتح بصائر اخواننا السودانيين وينقذهم من تلـك الخرافات التي هي مـن مخلفات عصور الانحطاط ، وتفشي الخرافات والخزعبلات في العالم الاسلامي ، وهي مناقضـة لروح الدين الاسلامي الصافي النقي الذي لا يجوز للمسلم أن يتعلق قلبه بغير الله سبحانه وتعالى .

* * *

في السّودانْ .. ثانية



يوم االاحـد : ١٣٨٨/٢/٢٣ هـ
١٩٦٨/٦/١٢ ،

من جدة الى الخرطوم :

غادرنا مطار جدة الدولي في تمام الساعة التاسعة والنصف صباحا بالتوقيت الزوالي على متن طائرة سعودية نفاثة من طراز (دوجلاس دي‌سي ٩) وكان جميع الركاب من السودانيين ، وأكثرهم من العائلات . وقد ركبت في الدرجة الأولى في الطائرة ، ولم يكن معي فيها غير رجل دبلوماسي ، أما بقية الركاب فهم في الدرجة الثانية .

أعلن المضيف أن الرحلة من جدة الى الخرطوم ستدوم ساعة ونصفا ، وأن ارتفاع الطائرة سيكون ٢٨ ألف قدم .

لم يمض عشر دقائق على استمرار الطائرة في الطيران حتى لاح لنا الشاطىء الافريقي من البحر الاحمر ، وقد مضت عشر دقائق أخرى قبل أن تتجاوز البحر فعلا الى إفريقية .

وقد قارنت بين هذه الرحلة والرحلة السابقة على طائرة داكوتا ، فبدا الفرق واضحا جدا ، فالمسافة الى الخرطوم استغرقت في المرة الماضية أكثر من ثلاث ساعات طيران ، أما هذه المرة فهي ساعة ونصف فقط ، ولكن الرحلة على

الطائرات الصغيرة ، ذات القدرة المحدودةعلى الارتفاع، فيها من المتعة باستجلاء مناظر الارض تحتك ما يعوض التعب الذي يجده المسافر فيها .

افريقيــة مرة ثالثة :

لم أكن أظن أنني أعود الى إفريقيــة مرة ثالثة بهــذه السرعة ، ولكــن الواجب هو الذي جعلني أستجيب الــى رغبة رئاسة الجامعة الاسلاميــة في السفــر ، وذلك بغيــة القيــام بمهمة في السودان والصومال . المهمة الأولــــى في السودان ، تتعلق ببحث التعاقد مع بعض المدرسين للجامعة وبالاطلاع على نشاط المركز الاسلامي الافريقي الذي أنشيء هناك لخدمة نشر الديــن الاسلامي في افريقية ، وتساهــم فيه المملكة العربيــة السعودية ببعض المدرسين ، والاطلاع على نشاط الهيئات الاسلامية هنا في هذا الميدان . لا سيما أن ادارة المركز المذكور طلبت المزيــد مــن المساعدات ، ولــم يكــن هنــاك معلومات كافيــة متوفرة عنه . أما المهمــــة الثانيــة ، فهي في الصومال ، وتتلخص في الاطلاع عـــلى أوضاع معهد التضامن الاسلامي في مقديشو ، الذي أنشأته الحكومة السعودية ، وتشترك الجامعة الاسلامية ورابطــة العالم الاسلامي في الاشراف عليــه وادارته .

ها أنذا في جو افريقية ، ولكــن ارتفاع الطائــرة لم يمكنني مــن تبيــن الارض تحتي ، الا أن ما ظهر هو الفرق

بين الرحلة الاولى وهذه الرحلة: إننا كنا في السابق في موسم الأمطار ، وفي هذه المرة ، فلم يكن قد حان بعد ، لذلك تبدو الأرض أقل خضرة مما كانت عليه في السابق .

وبعد طيران دام ساعة وثلثا لاحت لنا منطقة الخرطوم ، وكان المنظر الرائع للنيل العظيم حيث يبدو النيلان ــ الازرق والابيض ــ منفصلين ، ثم يجتمعان في مكان المقرن فيكوّنان النيل العظيم ، ومع ذلك فان المرء لا يمكن أن يزايله الشعور بالأسف من أن هذا النيل العظيم لا تمتد الخضرة على شطيه بعيدا ، خلاف ما ينبغي أن يكون . ولا شك أن المشاريع الزراعية الكبيرة تحتاج الى وقت وخبرة ومال ــ أرجو أن يتمكن إخواننا السودانيون من الحصول عليها في المستقبل ــ وتعمير الأراضي التي يمكن أن تصل اليها مياه النيل .

في مطار الخرطوم :

عندما هبطنا في مطار الخرطوم ، وجدنا الاخ عبد الله غلام ، من السفارة السعودية في الخرطوم ، وقد قام بتسهيل الاجراءات في المطار ، وقد انتهيت قبل الركاب الآخرين ، ولم تفتش حقائبي على الرغم من أن التفتيش كان شديدا على الركاب الآخرين ، ثم انتقلنا بسيارة السفارة الى فندق أكروبول في الخرطوم .

أما مطار الخرطوم فلم يجر عليه أي تعديل منذ

أن رأيته قبل أربع سنوات . وهو مطار نظيف ولكنه صغير بالنسبة الى مركز السودان .

أما الجو في الخرطوم فهو شديد الحرارة ، وقد وصلت درجة الحرارة اليـــوم الى (٤٦) درجة مئوية ، وهذا خلاف ما كان عليه الوضع في المرة السابقة ، حيث جئنا في أواخـــر شهـــر يوليو ، وكان موسم الأمطار على أشده ، والجـــو لطيف لهذا السبب ، وقد نزلنا في فندق اكروبول ، الـــذي نزلناه سابقا ، وهو فندق يملكه رجل يوناني ويديره مـــع أولاده ، وهو فندق نظيف ويعتبر مـــن أحســـن فـــنادق الدرجة الثانية ، أو هو في آخر فنادق الدرجة الأولـــى ، واجرة الغرفة الواحدة ذات السرير الواحد فيه هي جنيهـــان وخمسة وسبعون قرشا سودانيا ــ أي ما يعادل ــ٣٢ــ ريال بالصرف الرسمي للعملة السودانية .

جـولـة في الخـرطـوم :

هذه هي المرة الثانية لي في الخرطوم ، ولم أجدهـــا تغيرت عما كانت عليـــه في الماضي .وأول ما يلفت نظر الزائر هو ملابس السودانيين التي تتكون مـــن شكلين رئيسيين : أولهمـــا ، الملابس التقليدية الضافية التي تتكـــون مـــن الجلباب الواسع الفضفاض الذي يشبه الى حد كبيرالجلابية المصريـــة ، وفوقه عمـــامة كبيرة ذات طيات متعددة ــ تبلغ ما بين خمس الى سبع طيات ــ ولهذه العمامة أهمية كبيرة في

السودان ، لانها تقي الرأس أشعة الشمس التي تكـــون عمودية ، وشديدة الوطأة في بعض فصول السنة ، وبالتالي قد تسبب اصابة مـــن يتعرض لها بضربة الشمس . الشكل الثاني ، الملابس الشعبيـــة ، وهي عبارة عن قميص عجيب ، يمكن وصفه بأنه يشبه «مودة» الشوال ، فهو عبــارة عن قميص قصير الاكمام طويـــل الذيل بحيث يصـــل الى حد الركبة ، تحته سروال قصير جدا ، بحيث لا يرى . فقط هذا هو كل اللباس ، وهو كما ترى لباس اقتصادي وعملـــي بالنسبة لجو السودان الحار . على أن اللباس الافرنجي قد أخذ يغزو أوساط المثقفين والمتصلـــين بالاجانـــب مـــن السودانيين . ولكـــن التعقيـــد يأتي في ملابس السيدات ، حيـــث ترتدي المرأة الزي الوطني ، الذي يتكون من أشياء لا أعرف منها الا ظاهرها ، وهو عبارة عـــن رداء فضفاض يسمونه « الثوب » ، تلف به جسمها مـــن أسفل الركبة الى أعلى الرأس ، وهو على وجه العمـــوم لباس محتشم طيب . أما السودانيـــات اللواتي يقلدن الاورويبـــات في الزي فهن اقل من القليل حتى مذيعة التلفزيون تلبس اللباس الوطني .

يوم الاثنين : ١٣٨٨/٢/٢٤ هـ
١٩٦٨/٦/١٣ م

حضر الي الاستاذ عبدالله غلام في الفندق ، وبعد أن

ذهبنا الى الشركة الايطالية لتثبيت الحجز الى مقديشو ، ذهبنا الى مقر السفارة السعودية في الخرطوم رقم (٣) ، وقد قابلت سعادة السفير ، الشيخ محمد العبيكان ، ولبثت عنده طويلا ـ تحدثنا معا عن الوضع الاسلامي في السودان، وما يمكن ان يؤديه للاسلام وللثقافة العربية بصفته جسرا بين العرب والافريقيين ـ .

في المركز الاسلامي الافريقي :

ثم ذهبنا الى المركز الاسلامي الافريقي في أم درمان ، بسيارة السفارة السعودية ، وكان السائق يخبرني عما نمر به ـ وهي أشياء كنت قد مررت عليها من قبل ولكن لا يزال بعضها يلفت نظري ـ وأهمها أن شطآن النيل أو بعضها عارية من الاشجار والخضرة ، وتذكرت قول الشاعر :

ومن العجائب والعجائب جمة
قرب الشفاء وما اليه وصول
كالعيس في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

لم نجد من المسؤولين في المركز الاسلامي سوى شخص واحد، حيث أن المركز في عطلة،والطلاب والمدرسون قد خرجوا . كما زرت مركز جمعية أنصار السنّة المحمدية ،

وبحثت عن الاستاذ محمد هاشم هدية ، رئيس الجمعية ، فلم أجده فيه .

وقد اتصلت ببعض الطلبة الافريقيين الذين يدرسون في المعهد التابع للمركز الاسلامي الافريقي في أم درمان ، وبعضهم من السنغال ، وبعضهم من ارتيرية ، والحقيقة أن فكرة المركز فكرة طيبة ومفيدة ، وهو الآن يشغل بناية مستأجرة وهي صغيرة وغير كافية وتنبغي مساعدته بكل تأكيد ، لانه قائم الآن على تبرعات أصحاب الخير والغيرة على الاسلام من اخواننا السودانيين . ثم انتقلنا منه الى الجامعة الاسلامية بأم درمان ، وقابلنا في الادارة الاستاذ يوسف خليفة ، المسجل العام ، وكذلك قابلنا الدكتور كامل الباقر ، مدير الجامعة ، وبعض المدرسين فيها مثل الدكتور علي عبد الواحد وافي ، وجرى البحث مع الجميع حول رسالة الجامعة الاسلامية في كل من أم درمان والمدينة المنورة ، ونظرا لضيق الوقت ، فقد تركت ادارة الجامعة على أمل العودة اليها غدا ان شاء الله .

يوم الثلاثاء : ١٣٨٨/٢/٢٥ هـ
١٩٦٨/٦/١٤ م

ذهبت اليوم الى الجامعة الاسلامية بأم درمان ، فاصطحبني الاستاذ السيد يوسف خليفة ، المسجل العام ،

في احدى سيارات الجامعة الى مقر الدراسة فيها ، وهو في مكان بعيد عن مقر ادارة الجامعة . وقد دخلنا أولا بناية المكتبة وأعجبت بكثرة محتوياتها والنشاط الهائل في قسم الفهرسة والتصنيف فيها ، ويقول السيد يوسف : انه يوجد في المكتبة مدير مسؤول وفيها كذلك من الموظفين ثلاثة من الخريجين الجامعيين ، أحدهم متخرج من مصر ، والآخران متخرجان من الجامعة في أم درمان ، وهذا خلاف الكتبة والموظفين الذين يبلغ عددهم (١٣) موظفا . وتشغل المكتبة بناء صغيرا من طابقين ، وقد خصص للمكتبة ١٠٪ من مجموع موازنة الجامعة ، وكتب على مدخلها العبارة التالية: «الجامعة : استاذ ، طالب ، كتاب» . ثم تجولنا في مبنى كلية الشريعة والقانون ، ومبنى كلية الآداب وهي مبان صغيرة وغير لائقة . وكان يتخلل جميع اجتماعاتنا مع المسؤولين في الجامعة الحديث عن الغرض الذي ينبغي ان تؤديه كل من الجامعة الاسلامية في أم درمان وفي المدينة المنورة في حقل الدعوة الاسلامية ، وبخاصة في افريقية . والاستاذ يوسف خليفة ممن تخصصوا في تدريس اللغة العربية لغير العرب ـ حيث مارس تعليم اللغة العربية في جنوب السودان للمواطنين هناك بضع سنوات .

على مائدة السفير :

كان سعادة السفير قد دعانا أمس الى حفلة غداء اليوم،

وقد دعا اليها عددا من كبار العلماء والمشايخ في السودان ، وبعض الصحفيين منهم : السيد يحيى عبد القادر ، صاحب جريدة انباء السودان ، بالاضافة الى أعضاء السفارة السعودية جميعا . وكانت فرصة طيبة تبادلنا فيها المعلومات والاحاديث عن أحوال السودان ، ثم ذهبت بعد عصر اليوم الى حديقة الحيوان ، حيث جددت العهد بها ، لانني قد رأيتها منذ أربع سنوات ، ولم أجد أنه قد جد فيها جديد .

حالة الاسلام في جنوب السودان :

لقد مررنا بالسودان في طريقنا الى اريترية واثيوبية ولم يكن السودان مقصودا لنا بالذات لانه قطر اسلامي مفتوح للافكار الاسلامية وحالة المسلمين فيه معروفة للجميع ومع ذلك فقد قمنا باتصالات مع المسئولين عن الشئون الاسلامية فيه ومن بينهم سماحة رئيس القضاة الشرعيين الشيخ (حسين اليمني) وفضيلة مفتي الجمهورية السودانية الشيخ حسين المفتي وبعض المسؤولين في مصلحة الشؤون الدينية وبعض العلماء الآخرين وشيوخ المعاهد الدينية وائمة المساجد الكبيرة اما المعاهد الدينية فلم نستطع الاطلاع على سير الدراسة فيها لانها كانت مغلقة بمناسبة العطلة الصيفية وقد قام زميلاي بالقاء كلمات وعظات دينية في مساجد العاصمة السودانية المثلثة .

الاسلام في جنوب السودان :

لقد تبين لنا من الاتصالات التي قمنا بها والمعلومات التي حصلنا عليها ان مسألة الجنوب السوداني في أساسها مسألة دينية ، وان ما يبدو في ظاهره نزاعا بين شمال السودان وجنوبه انما أصله هو في الحقيقة الاختلاف بين ثقافتين دينيتين ، وقد بدأت مشكلة الجنوب منذ أن اخذ الاستعمار الانكليزي مع مطلع القرن الميلادي العشرين يعمل على فصل الجنوب عن الشمال ويسهل للارساليات التبشيرية العمل والاقامة في جنوب السودان ويضع العراقيل او يسد الطريق كلية امام الدعاة الى الاسلام هناك .

الاقتراحات :

ونرى ان مسألة الوضع في جنوب السودان لا ينبغي ان يقتصر الاهتمام بها على السودانيين وحدهم لان بقاء جنوب السودان داخل الحظيرة الاسلامية يحتاج الى تعضيد من المسلمين خارج السودان مثلما تساعد الهيئات العالمية الاقلية السودانية المسيحية في الجنوب بحيث كانت تمدها بالمال والمبشرين وغير ذلك من الوان المساعدة ، ونرى ان تكون مساعدة السودانيين في هذا الموضوع على شكل فتح مراكز اسلامية صغيرة في قرى وارياف جنوب السودان للدعوة للدين الاسلامي على ان يشتمل كل مركز على كتّاب

صغير يتولى التدريس فيه مدرس واحد ويقرر لكل طالب يدخله مقدار من الخبز او غيره من الطعام يوميا مع كسوة بسيطة تصرف كلما دعت الحاجة وتوكل مهمـة التدريس والتبشير المذكورين الى السودانيين ممن يعرفون بالديـن والصلاح والاستعداد للدعوة والارشاد، على ان تصرف لهم مكافأة شهرية لا تزيد على كفايتهم مدة تفرغهم لذلك العمل عن طريق سفارات الدول الاسلامية في الخرطوم أو بواسطة مندوب خاص من الدولة الاسلامية التي ترغب بالمساعدة يتفاهم مع الرسميين السودانيين المعنيين بالشؤون الاسلامية على خطة العمل الدائم وان تعنى المراكز المذكورة بايـواء الاطفال والاحداث من ابناء غير المسلمين لكي تتولى تنشئتهم تنشئة اسلامية ، ولا شك في أن هذا العمل اذا نفذ بحكمة ووفق خطة مدروسة وبرنامج طويل الامد فانه سوف تكون له نتائج طيبة في المستقبل .

مصلحة الشؤون الدينية في السودان :

لقد انشأت الحكومة السودانية قسما للوعظ والارشاد الديني في مصلحة الشؤون الدينية بلغت موازنته هذا العام ١٣٨٤ هـ ، ١٩٦٤ م ، ٥٥ الـف جنيـه سوداني حسب الاحصاءات الرسميـة ويستهدف هذا القسم ارشاد المسلمين في أمور دينهم ، ويقول رئيس المصلحة الدكتور كامل باقر : ان قسم الوعظ والارشاد في المصلحة لم يؤسس من أجل

التبشير الاسلامي في الجنوب وانما يقوم بالتبشير بالدين الاسلامي في جنوب السودان هيئات وشخصيات اخـــرى مستقلـة .



في اريتريــة



يوم الاحد : ٨ /٤/١٣٨٤ هـ
١٦/٨/١٩٦٤ م

السفر الى اريترية

جاءتنا سيارة الشركة المصرية للطيران في تمام الساعة الخامسة والنصف صباحا أي بعد طلوع الشمس ، وأخذتنا من الفندق الذي نزلنا فيه في الخرطوم الى المطار ، حيث جلسنا هناك قرابة الساعة والنصف. ثم ركبنا الطائرة المصرية النفاثة ، وهي من طراز (كوميت ٤ سي) .

وقد أعلنت مضيفة الطائرة أن رحلتنا ستكون لمدة ساعة واحدة ، وان ارتفاع الطائرة سيكون (٣٤) ألف قدم ، وستسير بسرعة (٨٥٠) كيلومترا في المتوسط.وكانت الارض تبدو من تحتنا ، بعد أن جاوزنا منطقة الخرطوم ،جنة خضراء لا ترى فيها بقعة خالية من الخضرة، وقد تناولنا طعام الافطار في الطائرة ... واستمر المنظر من تحتنا منظرا عجيبا غريبا يشبه منظر جبال لبنان ، من الطائرة ، لولا عدم ظهور منازل حديثة فيه . ولا غرو فهذا الموسم هو موسم الامطار في جميع هضاب افريقية الشرقية .

وكنا نرى الارض أحيانا ، وتختفي أحيانا أخرى، تحت سحاب خفيف يبدو لنا وكأنه قد لاصق الارض لشدة ارتفاع الطائرة .

أمـا ركاب الطائرة ، فهم خليط مـن الايطاليـين والاثيوبيين ، ولكنهم بمجموعهم لم يشغلوا الا ما يساوي خمسة مقاعد في الطائرة أو أقل ، وبقي أكثرها خاليا مـن الركاب .

وبعد أن مضى على قيامنا حوالي الخمسين دقيقـة ، بدأت الطائرة تهبط هبوطا سريعا ، وبدأت معالم الارض تتضح أسفل منا ، فـاذا هي جبال شاهقـة خضراء مجللة بالخضرة تتخللها وديان خضراء تجري في مسايلها المياه ، وبسرعة لامست عجلات الطائرة الارض وقد وجدنا ابنية المطار وجميع ما فيه في غاية من النظافة والتنظيم. وعندما كنا في الطائرة استلمنا من المضيفة استمارات الدخول ، وهي مكتوبة بالانكليزية والحبشية . فسألنا المضيفة : هل يكفي أن نملأها بالعربية ؟ فأجابت : نعم . ولكننا عندما سلمناها للموظف المختص في المطار ، قال : ان العربية لا تكفي ، علما بأننا وجدنا هذا الموظف وجميع زملائه في المطار،من الموظفين والحمالين والمفتشين ، يتكلمون العربية . وقـد قاموا هم بملئها باللغة الانكليزية ، ثم ذهبنا الى الجمرك ، ووجدنا أمتعتنا جاهزة ، فعاملونا معاملة طيبة ، ولم يفتحوا حقائبنا ، وانما سألونا عن الممنوعات عندهم ـ وهي العملة الاجنبية ، وأجهزة الراديو ، وما أشبه ذلك ـ ثم تركنا المطـار الى البلد ، وكانت معاملتهم غاية في اللطف والكرم .

في أسمــرة :

حاولنا أن نكلم سائق سيارة الاجرة التي أقلتنا من المطار الى مدينة أسمرة بالانكليزية فكلمنا بالعربية ، وقد تحدث الينا عن كل ما سألناه بالعربية .

وقد نزلنا في فندق النجمة بجانب الشارع الرئيسي في أسمرة ، وهو شارع هيلاسيلاسي ، وكان يسمى سابقـــا شارع موسوليني ، وطوله ١١٠٠ ، واجرة السرير في الفندق المذكور (٣) دولارات حبشية في الليلة، أي ما يساوي خمسة ريالات سعودية وهو فندق غايــة في النظافة ، ومستوى الخدمة فيه عال جدا ، ولكن أجور العمال هنا رخيصة ، ومستوى المعيشة منخفض .

العربيــــة :

أول ما يعجب له السائح العربي الذي يصل الى أسمرة أن جميع الناس فيها بـــدون استثناء مسلمهم ومسيحيهم يتكلمون العربية أو شيئا منها ، حتى لتشعر عندما تكلمهم أنك في بلد عربي ، على أنهم يتكلمون أيضا لغتهم المحلية ، وهي التجرينية ، ونصف كلماتها ــ تقريبا ــ عربية ، وهي غير الامهرية ، اللغة الرسمية للدولة ، والتي لا يحسن التكلم بها الا أقل القليل من الموظفين ، كما أن هناك اللغة الايطالية التي يعرفها كثير منهم لانها لغة المستعمرين السابقين للبلاد ،

وقد كان جميع الموظفين والخدم في الفنــدق الذي نزلناه يعرفون شيئا من العربية ، والكلمة المستعملة للفندق عندهم هي «لوكاندة» .

السكـــان :

اذا أنعمت النظر في وجوه السكان هنا رأيت معظمهم يشبهون الصوماليين ـ أي انهم من الذين ينتمون في الاصل الى الجنس القوقازي ، وليسوا من الزنوج ، ويوجد بينهم كثير من الايطاليين ، ومن الجنس الهجين الذي توالد من الايطاليين والارتيريين . كما نرى هنا كثيرا من العرب الذين هاجروا الى اسمرة من جنوب الجزيرة العربية ، وخاصــة حضرموت وعدن ، ولا يفترقون عن الاهالي هنا الا بمــا يميزهم من اللون الابيض قليلا بالنسبة الى اهالي البلاد . ويتميز الوطنيون هنا بلونهم الاسمر ، شديد السمرة ، أي الاسود غير الحالك ، وأجسامهم النحيلة وقاماتهم المديدة . وهم جنس متميز ينتمون الى العرق القوقازي الاسيوي ، كما قدمت .

الجـــو :

الجو هنا بارد شديد البرودة ، حتى ليشبه اقسى أيام البرد في الحجاز أي في مكة وجدة وقد أضطررنا ان نشتري ملابس اضافية من شدة البرد ، وكنا نغلق النوافذ وتتدثر

بالاغطية المضاعفة . أما الشمس فلا نشعر بها لانها متحجبة أكثر الوقت بسبب الغيوم ، علما بأننا الآن في أشد الحرارة بالنسبة لبلاد البحر الابيض المتوسط فنحن في شهر اغسطس الذي يقول عنه العراقيون : «آب ، اللهاب» ، لانه يصيب الناس بلهيب الحر . ولا عجب فأسمرة ترتفع عن سطح البحر أكثر من سبعة آلاف قدم اضافة الى أن هذا الوقت يعتبر فصل الشتاء هنا لانه موسم الامطار في شرق افريقية ، كما أسلفت .

يوم الاثنين : ٩ /٤/١٣٨٤ هـ
١٩٦٤/٨/١٧ م

خرجنا في الصباح نتجول في أسمرة ، وهي مدينة جميلة نظيفة الشوارع ، كل ما فيها ينطق بالذوق الجميل ، ومتاجرها الكبرى غاصة بالسلع الفاخرة ، وان كان معظم السلع الموجودة فيها أغلى منها في بلادنا بكثير ، ومن ذلك الادوية حيث توجد هنا صيدليات فخمة ، وقد اشتريت منها دواء لنفسي بأكثر من ضعف قيمته في المدينة المنورة ، ولما سألت صاحب الصيدلية عن ذلك ، قال : ان سببه هو الجمرك .

مسجد الخلفاء الراشدين :

وصلنا في تجوالنا الى مسجد ضخم فخم نظيف ، هو

مسجد الخلفاء الراشدين ، فصلينا فيه الظهـــر ، وقد سررنا كثيرا لاقبال المصلين ، بحيث ازدحم بهم المسجد على سعته. وملحق به اماكن للوضوء جميلة ونظيفة ، كما ألحق به ايضا غرف جانبية كبيرة ، يسمون الواحدة منها خلوة ــ وهي مفروشة ايضا ــ وتستعمل لالقاء الدروس الدينية . وقد علمنا أن مفتي ارتيريا يلقي دروسا هنا في المسجد بعـــد المغـــرب .

شارع هيلاسيلاسي :

وفي المساء ، تجولنا في شارع هيلاسلاسي، كان يسمى شارع موسوليني سابقا ، وهو الشارع الرئيسي في البلدة ، وتحف بجانبيه المتاجر الكبيرة الجميلة التي يملك أكثـــرها الايطاليون . وقد دخلنا في بقالة كبـــيرة يملكها أحـــد الايطاليين ، واشترينا منها أنواعا من الفاكهة ، وهي رخيصة، من ذلك كيلو البرتقال الوطني \۸۰\ سنت ، الرمانـــة \٦۰\ سنت ، الفلفـــل الاخضر \۳۰\ ست ، الخيـــار \٦۰\ سنت ، الطماطم \۸۰\ سنت . واذا قورنت أسعار الخضر والفاكهة سواء أكانت من انتاج محلـــي أم مستوردة بمثيلاتها في السودان ، كان البون شاسعا بين أ سعار السودان الغالية ، وبين أسعار ارتيرية الرخيصة وفواكهها الجيدة . ولكن مما يشوه جمال هـــذا الشارع كثرة المتسولين مـــن العجزة والصبيان وكثرة المتسكعين من الشبان الذين لا هم لهم الا

مراقبة الغادين والرائحين ، ونصب شراك الحيلة للحصول منهم على نقود وقد عرض علينا أحدهم شراء العملة الاجنبية بالسوق السوداء ، ولما مانعنا في ذلك ، قال : انه يوجد لديه ويسكي فاخر، وما كدنا تتخلص منه حتى لاحقنا وقال : انه لديه شيء آخر ، فأسرعنا بالابتعاد عنه .

يوم الثلاثاء : ١٣٨٤/٤/١٠ هـ
١٩٦٤/٨/١٨ م

ذهبنا الى سوق العرب للاجتماع بالسيد علي عبدالله هزاع ، سكرتير الجالية العربية في أسمرة ، وهو سعودي الجنسية ، ويشتغل بالتجارة ، وذلك للاتفاق معه على موعد لزيارة مدرسة الجالية العربية في أسمرة .

أما السوق فقد كانت تقام فيه في السابق معظم تجارة البلاد ، حيث كانت التجارة بأيدي العرب ، ولكن دولة التجار العرب الآن في اضمحلال ، كما كانت معظم الحوانيت فيه يملكها العرب في السابق ، أما الآن فانه يوجد فيه غيرهم من التجار على أنه لا تزال طائفة منهم باقية تشتغل بالتجارة بمقدار .

يوم الاربعاء : ١٣٨٤/٤/١١ هـ
١٩٦٤/٨/١٩ م

في مدرسة الجالية العربية :

زرنا مدرسة الجالية العربية في أسمرة فذهبنا الى حانوت السيد علي عبدالله الهزاع ، سكرتير الجالية العربية ، وهو الذي يشرف على المدرسة مع سالم باحبيش، رئيس الجالية العربية ، وهي تضم جميع العرب القاطنين في ارتيرية ، ومن جميع الدول العربية سواء من السعوديين أو اليمانيين أو المصريين أو غيرهم . وقد ذهبنا بسيارة الاخ علي عبدالله الهزاع وهو سعودي الجنسية ومن بلاد غامد بمقاطعة عسير . وقد وجدنا الدراسة منتظمة بالمدرسة وان كان عدد الطلبة لم يستكمل بعد العطلة الصيفية ، وهي تضم ٢٢ فصلا ومجموع طلابها (٦٧٣) طالبا ، وفيها فصول للبنات ، ويبين على قسمات وجوههم اللون العربي الاسمر الذي زادته الشمس الافريقية سمرة على سمرة ، وجميع الدراسة في هذه المدرسة باللغة العربية ، وهي المدرسة العربية المدنية الوحيدة في ارتيرية . حيث ان دراسة اللغة العربية قد أصبحت مقتصرة الآن على المعاهد الدينية فقط . ويبلغ عدد مدرسيها (٢٨) مدرسا كلهم من المواطنين الذين سبق لهم ان تعلموا في مصر أو السودان . وتشرف على امتحانات المدرسة البعثة التعليمية المصرية في السودان وذلك

حتى تعترف الحكومة المصرية بشهادات المدرسة ، وبالتالي تقبل من يستطيعون اكمال دراستهم في مصر . وقد لبثنا فيها قرابة الساعتين ، وخرجنا منها معجبين بما شاهدناه فيها من الاقبال على التعلم من أبناء الجالية العربية ، ولكن معظم فصولها مزدحمة ، وهي تقع في بناء تملكه الجالية العربية ؛ وقد تم بناؤها على مرحلتين ، كما تملك الجالية العربية عمارة وبعض الحوانيت موقوفة على المدرسة تغل شهريا أكثر من سبعمائة دولارا حبشيا ، أي ما يعادل (١٢٠٠) ريالا سعوديا تنفق مع باقي الاعانات والتبرعات على حاجات المدرسة .

يوم الخميس : ١٣٨٤/٤/١٢ هـ
١٩٦٤/٨/٢٠ م

الى مدينة مصوع :

خرجنا مع طلوع الشمس الى محطة (الترينه) وهي عربة قطار واحدة تسير بقوة الديزل ، وتشبه في مظهرها عربة الترام ، فركبناها الى مصوع في تمام الساعة السابعة والربع صباحا ، واجرة الشخص الواحد (٣) دولارات حبشية ، أي ما يعادل خمسة ريالات سعودية . وقد سارت (الترينه) المذكورة بنا على قضبانها الحديدية في طريق وسط مناظر غاية في الروعة حيث تخترق الانفاق المتعددة التي شقها

الايطاليون في الجبال والتي يبلغ عددها أكثر من خمسة وعشرين نفقا ، وحيث تنتقل من ربوة عالية الى احضان جبل لا يكاد يدرك بصرك قمته فوقك ، ثم الى شفا هاوية لا يدرك بصرك قعرها ، وكلها سواء ،مرتفعاتها أو منخفضاتها مكسوة بالشجر الاخضر والحشائش النضرة ، مما يخلب اللب ويأخذ بمجامع القلوب . زد على ذلك أن سير العربة المذكورة لا يتعدى سرعة (٣٥) كيلو مترا في الساعة ، مما يمكّن الراكب من التمتع أكبر وقت بتلك المناظر الخلابة ، ومما زاد الرحلة بهجة وأدخل اليها عنصرا طريفا أن الركاب في العربة كانوا خليطا من الامم وان كانت غالبيتهم من المواطنين ، فهناك الى جانبنا نحن عائلة دنمركية مكونة من رجل وزوجته وطفلهما ، وسواح ايطاليون ، وحتى المواطنون فهم خليط من مدن متعددة ، وقد استغرقت تلك الرحلة الممتعة أربع ساعات كاملة استرحنا خلالها في قرية تدعى (جندع) في منتصف الطريق ـ يكثر حولها أشجار البرتقال واليوسف أفندي ، وهم يبيعون الكيلو بسبعين سنتا ، أي ما يقارب الريال السعودي ـ وذلك لمدة سبع دقائق فقط .

مصوع :

أول ما رأينا من مصوع بيوتا وطنية ، يقولون ان هذا هو الحي الوطني ، وهو عبارة عن أكواخ وعشش

وأخصاص مـن القش ، ولبعضها واجهات خشبية في بعض الاحيان ، وأزقتها جميعها ضيقة وغير مرصوفة ، وهي تقـع على البر ، ثم وصلنا الى طريق مدفون في الماء الضحل ، ومنه دخلنـا الى جزيرة مصوع التي تقع فيها البلدة الرئيسية ، والتي كانت تسمى في القديم جزيرة باضع أو بازع ، وهـي بلدة يصح أن يقال فيها المثل : « عزيز قوم ذل » . فظواهـر الامـور فيها تشـير الى أنها كانت بلدة تجارية قوية عامرة بالاستيراد والتصدير ، لانها المينـاء الرئيسي لارتيرية كلها ، وان كان ميـناء عصب موجودا في الجنوب ، فانه لم يكـن يؤثر على مكانتها الهامة . ومعظم بيوتها مبنيـة بالحجـارة والاخشاب تشبه بيوت مدينة جدة القديمة ، ما عدا أطراف المدينة حيـث بنيـت البيوت الحقيرة بالخشب الى جـانب الاكواخ الحقيرة ، وهي بلدة مهملة الآن ، شوارعها ترابية ، وحركـة البيـع والشراء فيها خامدة ومعظم حوانيتها مغلقة. أما أهلها فيشبهون في مظهرهم أهالي ساحل تهامة الجنوبية، وهم نحاف القوام يرتدي معظمهم منديلا مـن القماش قد لفه حول عورته أو سروالا قصيرا ليس غير ، ما عدا علية القوم ، وهم قلة ، فيلبسون اللباس الكامل لابنـاء جنوب الجزيرة العربية ــ الذي يتكون مـن جلباب وسترة بيضاء خفيفة وعمامة قد أديرت حول طاقية نظيفة ــ

واللغة السائدة فيها هي العربيـة ، وكثير مـن سكانها لا يعرفون غير العربيـة والبعض يعرفون الى جانبها لغـة

وطنية أخرى ، وان كانوا يعتمدون العربية في كتاباتهم الرسمية . ولافتات الحوانيت مكتوبة بالعربية ، عدا بعض الحوانيت القليلة التي يملكها الايطاليون هنا ، وأكثرها بارات (أي حانات لشرب الخمور) ومقاهي ومطاعم ، فهم يكتبون لافتات محلاتهم باللغة الايطالية ، وقد يكون بجانبها اللغة الانكليزية ، وما عدا الدوائر الرسمية حيث تكتب لافتاتها باللغة الامهرية ، وهي اللغة الرسمية منذ أن ضمت ارتيريا الى الحبشة .

سألنا عن فندق يملكه مسلم ، فدلونا على فندق يسمى فندق الكردي . قالوا انه فندق المسلمين ، فنزلناه ووجدنا بعد ذلك أن خدمه من النساء السوداوات المترهلات من النصرانيات ، وهن ذوات شعر منفوش وقد جمعنه الى خلف رؤوسهن ، ولم يبقين على مقدم الرأس الا شيئا قليلا من أصول الشعر في خطوط صغيرة تشبه أثر المحراث في الارض المزروعة ، ومع ذلك يتبرجن ويتبخترن في مشيتهن كأنما يخيل اليهن أنهن بذلك يفتن السواح أو الزوار ، الواقع أنهن لا يستطعن الا فتنة الرجال البائسين من الوطنيين الذين ذكرت وصفهم آنفا . وبعد أن استقر بنا المقام في الفندق استرحنا قليلا ، ثم ذهبنا الى الصلاة في مسجد الشافعي الذي يقع قريبا من الفندق ، ورغم أن الامام قد انتظر كثيرا بعد الاذان الا أنه لم يحضر للصلاة معه الا ستة أشخاص من أهل البلاد ، صلى بهم في ركن

من المسجد وفي غير المحراب الرئيسي ملتمسا مجرى الهواء من النوافذ لان المحراب الرئيسي ليس فيه نافذة ، هذا رغما عن أن المسجد فيه مراوح كبيرة ــ ولكــن الجو هنــا في مصوع حار رطب شبيه بجو جدة في أيام الرطوبة وشمسها حارة تخترق حرارتها الرؤوس . وبعد أن أنهينا الصـــلاة ، وسلمنــا على الامام الذي لم ينبسط معنا في الحديث عدنا الى الفندق فسألنا عــن كيفيــة الحصول على الغـــداء ، فنادوا لنا صبيا ، قالوا له : أرهم مطعم المسلمين !.. فتقدمنا الصبي وأدخلنا مطعمــا واسعا كبيرا ، قال لنا صاحبــه ــ ويظهر انه عربي الاصل مــن جنوب الجزيرة العربية ــ أنه يسمى « مطعم الجزيرة » ، وقد رحب بنا وقدم لنا طعامــا جيد الطهو رخيص الثمن ، الا أن الذي يؤسف له أنه مثــل كثير مــن مطاعم المسلمين في هذه البلاد تنقصه النظافــة ، لا سيما ما يتعلق مــن ذلك بابدان الخدم والمباشريــن فيه ، اذ أن معظمهم يترك نصفه الأعلى عريانا وهو يذهب ويجيء في هذا الجو الرطب الحار ، والعرق يتصبب مــن جسمــه ومن وجهه فيبدو شكله منفرا صادا عــن الاكل . وبعد أن عرف صاحب المطعم ، الذي كان يجلس عند الباب لاستلام الحساب جنسيتنا ، أكرمنا بأن جعل الشاي الذي تناولنــاه على حسابه الخاص . وتلك عادة متبعة في مطاعم المسلمين في ارتيرية ــ ما ان ندخل مطعمــا منها حتى يبادرنا صاحــبه والخدم فيه بالتحيــة والاحترام لأنهم يعرفون من زيّنا أننا

قادمون من الحجاز ، ثم يختمون اكرامهم بتقديم الشاي بالمجان من صاحب المطعم . وقد كان ثمن الوجبة التي تناولناها ونحن ثلاثة أشخاص ـ وهي وجبة دسمة كاملة ضمت اللحم والسمك والمعكرونة وغير ذلك ـ دولارين وثمانية سنتات ـ أي ما يعادل (٤) ريالات سعودية تقريبا ، لنا ونحن ثلاثة . وبعد أن صلينا العصر تجولنا في أنحاء البلدة ، فصادفنا رجلا يذكر أنه من نسل المصريين الذين يحكمون مصوع في القرن الماضي ، وأن ابنه وأخاه يعملان الآن في جدة . فتعرف علينا وتطوع بأن يطوف بنا أنحاء مدينة مصوع ويشرح لنا معالمها ، فشكرناه على ذلك . وأخذنا نتجول معه في أنحاء البلدة ، وقد تبين لنا أنها غير كبيرة ، وقدرنا سكانها الحاليين بما لا يزيد عن الاربعة آلاف نسمة . وقد مررنا فيما مررنا عليه بمكتب فرع الجالية العربية في مصوع ووجدنا فيه رجلا يمانيا ذكر لنا أن معظم العرب إن لم يكونوا كلهم قد هجروا «مصوع» وقال : انه كان عدد العرب في مصوع سابقا خمسة عشر ألف ، منهم خمسة آلاف من الرعايا السعوديين فقط ، أما الآن وبعد أن كثر الخير والعمل في البلاد السعودية ، وقل ذلك في مصوع ، فقد تركها العرب وأصبح لا يوجد فيها الآن عدد يذكر ، وقال : ان مكتب الجالية قد رحل منذ يومين أكثر من ثلاثين شخصا عادوا الى بلادهم منهم بعض السعوديين ورحلوا على نفقة الحكومة

السعوديــة . وقد أخذنا نتمشى على ساحل البحر ، مـــع صاحبنـــا ، في الجهة الجنوبيـــة مـــن البلد ، وقد انتشرت فيــه بيوت خشبيــة ــ ومساحته قصيرةـ أما مــن الجهة الشرقية حيث يوجد فنار لهداية السفــن وبجانبه السجــن العمومي ومستشفى للأمراض الصدرية ، وهـــو بنـــاء خشبي قديم بال ، ويتولى خدمة المرضى فيه عدد مــــن الراهبات .

رأس مـــدر :

وهو (بضم الميم والدال) ، وهذا المكان الذي يقع فيه الفنار المذكور يسمى رأس مدر ، وهو المكان الذي نــزل فيه المهاجرون الأولون من الصحابة عند هجرتهم من مكــة المكرمة الى الحبشة لما اشتــد أذى الكفار على أصحــاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأبحروا مــن الشعيبــة قرب جدة ونزلوا في هذا المكان ، على أصح الاقـــوال ، والمراد بمــلك الحبشة الذي ورد ذكره هنا هو ملك ارتيرية وأجزاء مما يسمى الآن أثيوبيــا ، وهو النجاشي الــذي لا زال يوجد مدفن يزعم أنه له ، في بلدة تحمل اسمه حتى هذا الوقت ، وتقع على بعد حوالي (١٥٠) كيلو مترا الى الجنوب الشرقي مــن أسمــرة في الطريق الى مينـــاء عصب عـــلى البحــر الاحمر في جنوب ارتيرية . وكانت مصوع تسمى في ذلك الوقت جزيرة باضع أو بازع علــى ما يقــال ، وكانت

مصوع في ذلك الوقت جزيرة حيث لم يكن يوجد الطريق المذكور الذي يوصلها الآن بالبر الرئيسي لارتيرية .

البغاء في مصوع :

مررنا بعدد كبير من النسوة عند أعتاب بعض البيوت وبعض الحوانيت ، وقد رشت الواحدة منهن باب بيتها وجلست عنده ، وبعضهن أخذن يجهزن مباخر المصطكى عندما رأيننا في أول الشارع . فعجبنا من كونهن لا يتسترن ، فقيل لنا : ان عملهن هو البغاء ، وفتح أبواب بيوتهن معناه الدعوة الصريحة الى الدخول ــ وهن يمارسن عرض أنفسهن علنا . وفي الليل تخرج الواحدة منهن سريرها وتبيت خارج بيتها في الشارع ــ رجاء أن تظفر بصيد يقع في شباكها ، وقد استفظعت هذا الأمر وسألت غير واحد عن صحته فأيده . هذا مع أنه ليس فيهن ما يغري ، ولكن :

لكل ساقطة في الحي لاقطة
وكل بائرة يوما لها رجل

الشيخ الحمال ومشايخ آخرون :

مررنا أثناء تجوالنا في مصوع بما يشبه المسجد الصغير تتوسطه قبة صغيرة يعلوها هلال صدىء ويحيط به

فضاء مسور يبلغ عرضه حوالي المترين . فأشار اليه مرافقنا وقال : ان هذا مقام الشيخ الحمال وهو مدفون تحت هذه القبة ، ويأتي اليه الناس للزيارة . ثم يتطلع الينا منتظرا أن نطلب منه أن نزور هذا الشيخ ونستمطر بركاته المزعومة . ولكننا سألناه عن حاله فقال : انه الشيخ الحمال الذي يحمل عن أهل مصوع المصائب ويحمل حاجات الناس . وقال : انه شيخ ذو كرامات ، وأن من كراماته أن أناسا سرقوا له خروفا وأبحروا به معهم ، فلما علم الشيخ بذلك دعا الخروف فجاء ، أي الخروف ، يمشي على الماء حتى وصل اليه . وكان يحكي ذلك بصيغة التسليم واليقين . ثم أشار الى مدفن آخر وقال : ان هذا هو الشيخ سعيد وهو شيخ ذو كرامات ويعظمه الحضارم . ثم مررنا بمقبرة قديمة جدا ، فقال : ان هذه المقبرة مليئة بالأولياء ، وأن الناس يشاهدونهم في الليل ومع كل ولي منهم شمعة موقدة وهو يخرج من قبره ويتجول بها فيما حوله ، ولما حاولنا أن نبين له أن الميت لا يمكن أن ينفع أحدا أو يضره وانما هو محتاج الى من ينفعه بالدعاء له والترحم عليه والتصدق عنه ، سكت غير مقتنع .. وهكذا نجد ، مع الاسف ، أن الخرافات تتعاون مع أعداء الاسلام على ابعاد المسلمين هنا عن روح الدين الاسلامي النقي .

ثم اتجه بنا الى قلب البلد حيث توجد ساحة صغيرة فيها مقاه وطنية قذرة . فطلب لنا الشاي في أحدها وقد قامت

معركة بيننا وبين أسراب من الذباب كانت تحاول أن تجهز على أكواب الشاي وتشربه معنا . ولما رأى حرصي على طرد الذباب رغم الحاح أسرابه ، قال : يا أخي توكل على الله ، فالصحة والعافيـــة منه وهذه بلدة صحية . فقلت له الصحة والعافية ، كما قلت ، من عند الله سبحانه وتعالى ، ولكنه تعالى لم يجعلهما في هذه القذارة ، فسكت غير مقتنع أيضا .

وكنا بقرب جامع الحنفي ، فذهبنا لصلاة المغرب فيه ، فألفيناه مسجدا واسعا نظيفا جميـــلا جــدد بناؤه حديثا . وقد سررنا أن وجدناه قد اكتظ بالمصلين لصلاة المغرب ،وعلى الرغم مـــن كون الامام أذّن للصلاة ثم أقام مباشرة فـــان المسجد قد اكتظ بالحاضريـــن في انتظار الصلاة قبل أذان المغرب ، وبعد الصلاة سلمنا على امامه ويدعى (محمـــد علي عمر عجيل) وذكر نفسه أنه فقيه قارىء للقرآن وغير عالم أو (فقي) كمـــا يقول .

ليلة ليـلاء في مصوع :

عدنا الى الفندق بعد أن تعشيـــنا في مطعم يملكـــه حضرمي ، فحاولنا النوم وكان الجو حارا رطبا خانقا ، وقـــد وقف هواؤه وأخذنا العطش ، فطلبنا من الفندق ماء باردا ، فقـــالوا : لا يوجد الماء هنا . وكانوا يحضرون لنا مـــاء معدنيا هو الماء الصالح للشرب هناك ، فيبيعون الزجاجة منه

بأربعين سنتا . ومع ذلك فقد ذكروا أنه لا يمكنهم الحصول عليه الآن ولا يوجد غيره الا الماء الموجود في خزان الفندق، وهو ماء ساخن مرّ المذاق . فبتنا بشر ليلة هناك ، وحارب النوم جفوننا وذكرنا ليلنا الهادىء الجميل في أسمرة حيث كان المرء لا يحتاج الى استدعاء النوم ، بل يواتيه بمجرد أن يتدثر ويغطي نفسه بالبطانيات الصوفية .

يوم الجمعة : ١٣٨٤/٤/١٣ هـ
١٩٦٤/٨/٢١ م

العودة الى أسمرة :

وفي الصباح الباكر ، وفي تمام الساعة السابعة ، تناولنا الفطور في مطعم ايطالي هناك ، نظيف ولكنه غالي الثمن ، ثم ركبنا (الترينه) عائدين من حيث أتينا الى أسمرة .. وعلى الرغم من أننا كنا قد مررنا بالطريق ذاته أمس ، فان ذلك لم يفقدنا التمتع بالنظر الى جمال الطريق وخضرة الجبال الشاهقة والوديان السحيقة .

بعد هواء مصوع الرطب الثقيل ، وشوارعها المتربة ، ومناظر أهلها « شبه العراة » عدنا الى أسمرة ذات النسيم العليل ، والهواء البليل ، والشوارع النظيفة المعبدة التي يعوزك فيها أن ترى التراب ان أردت أن تراه ، ومنظر اهلها الذين يقفزون من الشارع الى الرصيف قفزا

وينقزون في مشيهم نقزا . وكان لذلك أثــــره في نفوسنا ، لا سيمــا بعد أن دخلنـــا الى فندقنا النظيف الجميل الذي لا يمكـــن أن ترى فيه حتى القذاة ، والذي يكرر الخـــدم الحبشيـــون تنظيفه في اليـــوم أكثر من مرة فكان أن أسرعنا الى أسرتنـــا المريحـــة في غرفتنا فيه ، ولولا وقت الصـــلاة وحرصنـــا على أن نؤديها واليوم الجمعة في جماعة المسلمين لاستسلمنا للنوم استسلام المحروم من النعيم ، وقع فيه .

وقد أدينا صلاة الجمعة في مسجد الخلفاء الراشديـــن بأسمرة ، وقد غص المسجد وامتلأ بالمصلين ، ومما زاد المنظر روعة منظر الشباب ، بل الصبيان الذين حضروا مع آبائهم لصلاة الجمعة ، وقد خطب امام المسجد واسمه (عبــــده أحمـــد) بالناس خطبة قديمة مسجوعة استلها من أحـــــد الكتب المصنفة قديما ، وكان الأحرى به في مثـــل هـــــذا الاجتماع أن يخطب في الناس خطبة تعالج أدواءهم وتمس مشاعرهم ، وتذكرهم بالله وتحببهم بالعمل الصالح لخيرهم ولخير الاسلام والمسلمين . وقد ألقى بعد الصـــلاة شيـــخ يمان موعظة ذكر الحـــاضرين فيها بالموت وخوفهم منـــه وقد ألقاه باللغـــة العربيـــة التي سبق أن قلت انهم جميعا يتكلمونها ويفهمون ما يلقى بها .

يوم السبت : ١٣٨٤/٤/١٤ هـ
١٩٦٤/٨/٢٢ م

في المركز الاسلامي :

ذهبنا اليوم بعد صلاة الفجر لزيارة مكتبة المعهد الديني الاسلامي في أسمرة وهي تقع في الجانب الغربي من مسجد الخلفاء الراشدين المتقدم ذكره ، وقد علمنا فيما بعد أن المسجد والمكتبة والمعهد المذكور والميدان الذي يقع أمام المسجد ، وهو مسور محفوظ ، ويسمى ميدان صلاة العيد لأن صلاة العيد تقام فيه ، وقاعة المحاضرات التابعة للمسجد : كل ذلك يطلق عليه اسم المركز الاسلامي ويشرف عليه مفتي الديار الارتيرية ، الشيخ ابراهيم المختار ، وقد أنشىء في عهد الاستعمار الايطالي وهو من المشاريع التي شجع الايطاليون على انشائها .

منظر مؤلم :

وفي الطريق الى المركز ، رأينا منظرا مؤلما ، فعلى الرغم من نزول المطر رذاذا خفيفا ، وجدنا كومة من الاطفال المتشردين يبلغ عددهم زهاء بضعة عشر ، وقد التف بعضهم على بعض حتى كونوا كتلة لا تعرف منها رأس الطفل من رجل آخر ، وناموا على الرصيف ـ وقد صنعوا صنيعهم هذا ليتقوا به برد الصباح حتى يدفىء كل منهم

الآخريـن . وكان منظرهم وهم على هذه الصفـة وقـد ارتدوا أسمالا باليـة وملابس قذرة مما يدمي الفؤاد . وبالله عليـك كيف تكون أخلاق هؤلاء الذين يعيشون في مثـل الجو وعلى مثل تلك الصفة ..؟

وصلنا الى المكتبة فألفيناها مكتبة طيبة حافلة بأهـم المراجع في جميع العلوم وأكثرها باللغة العربيـة وفيها بعض المؤلفات التاريخية باللغة الايطالية . كما تحتوي على بعض المجمـوعات مـن الصحف الارتيرية التي صدرت في عهود مختلفـة .. وقد نظمت في خزائـن جميـلة ، وقد وعدناهم بارسال بعض الكتب الاسلاميـة التي تنقص المكتبة . وقد ارسلناها اليهم فعلا بعد ذلك .

المطـاعـم :

لقد واجهتنا في ارتيرية مشكلة اعتبرناها غير هينـة بالنسبة لنا بصفتنا مـن المنتسبين الى العلم وهي : ان المطاعم الاسلامية كما يطلقون عليها ويعنون بها ما يملكه ويديـره المسلمون مـن المطاعم كثير منها رخيص الثمن ولكنه غـير نظيف الى درجة أن المرء الذي كان قد تعـود النظافـة لا يستطيع أن يقاوم تقززه منها . وان المطاعم النظيفة سواء من حيـث الاثاث أو من حيـث الطعام المقدم فيها هي المطاعم الافرنجيـة أو المطاعـم الايطاليـة كمـا تسمـى ، لأن الايطاليين يملكونها ويديرونها ، وهي مناسبة الاثمان وان

كانت أغلى مــن المطاعم التي يديرها المسلمون . وقد فرحنا حين وجدنا هذه المطاعم الايطاليــة النظيفة لانها انقذتنــا من الحاجة الى دخول المطاعم غير النظيفة ، ولكننا ما أن نقف حول المطعم منها أو نخرج منها حتى يبادرنا مــن يرانا من المسلمين الارتيريين فينكــر علينا ويقول : هذه مطاعـــم (كريستيان) أي مسيحيين ، لا ينبغي أن تدخلوها ، وانمــا عليــكم أن تدخلوا مطاعم المسلمين ، والذي لا ينكر علينــا منهم بلسانه ينكــر بقلبه وبنظراته ، ونحــن نحرص أشد الحرص على شعور اخواننا المسلمين هنــــا ولا نحب أن يأخذوا عنا فكرة أننا نترك مطاعمهم الى مطاعم المسيحيين ، والا فأي حرج على المسلم في أن يأكل من طعام أهل الكتاب؟ وقد سألنا بعد ذلك بعض العارفين بالامور من رجال العلــم هنا ، فقالوا : ان العامة هنا قد اعتادوا أن يعتبروا الدخول في مطعم طائفة دينيــة غير طائفتهم ضربا مــن المجاملة الدينية بل مــن الميــل والركون الى ديــن الغير ، فاعتبر المسلمون انه لا يجوز أن يدخل المسلم مطاعــم المسيحيين ، واعتبــر المسيحيــون أنه لا يجوز أن يتناول المسيحي طعاما في مطاعم المسلمين .. وعلى ذكر المطاعم ، أقول : اننا وجدنا في مطاعم ارتيريــة خبزا يسمونه « الكسرة » عرفنا أنه يصنع مــن «السمح» وهو نبات ذو حبوب دقيقة جدا تشبه حبـــوب الدخــن ، ولكنها أصغر منها بكثير ، وقد كان معــروفا في نجــد إبان عهود الامارات ، أي قبل الحكم السعـــودي

الشامل ، وتوفـر الخيرات فيـها .

على مائدة سكرتير الجالية العربيـة :

دعانا اليوم الى تناول طعام العشاء في بيته الأخ محمد عبدالله هزاع ، سكرتير الجالية العربية في ارتيرية ، وهو سعودي ــ كما قدمت ــ وقد أعد لنا مائدة عربيـة ذكرتنا بلادنا وقدم لنا القهوة العربية (المبهرة) بالهيل التي افتقدناها ولم نجدها منذ فارقنا البلاد .

الاذاعـات العربيـة :

ان منطقة أسمرة ، بل منطقة ارتيرية كلها تعتبر مجالا للاذاعات العربية لقربها منها ، فهنا كمـا في الخرطـوم لا تسمع على الموجة المتوسطة ليـلا الا الاذاعات العربية التي قد اعتاد العربي على سماعها في البلاد العربيـة في الشرق الأوسط ، الا أن هناك محطتين في السودان وفي ارتيريـة همـا أغلب المحطات استماعا ، وهما محطة صوت العرب ، والاذاعة السعودية التي تصل الى هذيـن القطرين واضحة قوية ، حتى لتكاد تفوق وضوحها في كثير مـن مناطـق المملكة . ونظرا لعدم وجود اذاعة عربية خاصة بارتيريـة تذيع على الموجة المتوسطة فان المستمعين هنا يستمعون الـى جانب الاذاعتين المذكورتيـن الى الاذاعة السودانيـة التي تذيـع الاغاني السودانيـة وهي محببة اليهم وقريبة مـن

ذوقهم .

اما الاذاعة اليومية الواضحة ، فهي اذاعة القاعدة الامريكية في أسمرة ، وهي تذيع طوال اليوم تقريبا على الموجة المتوسطة ولكنها تذيع بالانكليزية ، كما تذيع الموسيقى والتمثيليات بالانكليزية ، ومعظم الاهالي هنا، حتى المثقفون منهم ، لا يعرفون الانكليزية ، وانما اللغة العامة هي اللغة التيجرينية ، وهي اللغة الوطنية ، وهي قريبة من الحبشية ، ولكنها تختلف عنها اختلافا كبيرا ، تليها اللغة العربية كلغة ثانية ، وتليها اللغة الايطالية كلغة ثالثة . وقد بدأت اللغة الانكليزية تحل محل العربية والايطالية في الدوائر الرسمية خاصة ، وبمناسبة الحديث عن اللغة التجرينية ، اقول أنني قد عملت مقارنة للاعداد فيها وفي العربية ، وهي كما يلي :

العربية	التجرينية
واحد	احدى
اثنين	كلتي
ثلاثة	سلستي
أربعة	أربعتي
خمسة	حموشتي

العربية	التجرينية
ستة	شدوشتي
سبعة	شبوعتي
ثمانية	شومنتي
تسعة	تشعاتي
عشرة	عسرتي
عشرين	عشرين
ثلاثين	ثلاثين
أربعين	أربعين
خمسين	خمسين
ستين	ستين
سبعين	سبعين
ثمانين	ثمانين
تسعين	تسعين

ومن ذلك يظهر أن اللغة التجرينية قريبة من اللغة العربية ، ولا عجب في ذلك فهي احدى اللغات السامية ، شقيقات اللغة العربية . الى جانب تأثير الاتصال بالعرب في العصور الحديثة .

يوم الاحد : ١٣٨٤/٤/١٥ هـ
١٩٦٤/٨/٢٣ م

الى مدينة كرن :

ركبنا الحافلة «الاوتوبيس» من المحطة في أسمرة في السابعة صباحا ، وكانت الاجرة من أسمرة الى كرن دولارا وربع دولار ، أي ما يساوي ريالين وربع ريال سعودي ، وتبلغ المسافة واحدا وتسعين كيلو مترا . وقد اكتظت الحافلة بالركاب ، وكلهم من الوطنيين الارتيريين ما بين رجال ونساء ، وكان المطر ينزل رذاذا ، وقد أغلق الركاب نوافذ السيارة وقد كان في ازدحامهم وتكاثرهم في السيارة واغلاق النوافذ ما ضايقنا . وقد سارت السيارة تتهادى بحملها الثقيل ، ووقفت بنا بعد مسيرة ثلاثين كيلو مترا عند عدة أكواخ تكوّن قرية صغيرة، فنزل الركاب لمدة ثلاث دقائق اشترى بعضهم فطورا خفيفا من صبية عرضوه على الركاب ومع ذلك فقد رأينا لافتة على عشة قذرة تحمل حروف (بار) أي حانة خمر . وكان منظر الطريق رائعا : فالارض كلها مكسوة ببساط سندسي أخضر ، والوهاد والنجاد سواء في الخضرة والمطر يهطل أحيانا ويتوقف احيانا أخرى ، والسحب الكثيفة السوداء تجلل الافق ، وقد أخذ الطريق الآن يخترق جبالا شاهقة تتخللها وديان سحيقة ترعى فيها الانعام من الابل والابقار والاغنام ، وتجري فيها بقايا

مياه الامطار . منظـر لا يمكـن للرء أن ينساه ، يفوق في خضرته خضرة جبل لبنان . أما الرعاة الريفيـون هنا ، فهم شديدو السمرة حتى تصل سمرتهم الى السواد ، وقد لبسوا أسمالا متسخة تبدأ مـن فوق الركبة وتنتهي بعمامة ذات طيات متعددة على الرأس . وفي الطريق رأينا مزرعة واسعة نضرة يتوسطها قصر فخم يقف شامخا في هذه المنطقة التـي تنتشر فيـها أكواخ الاهالي وعششهم ، وهو لتاجر ايطالي يمـلك مزارع للفاكهة احداها هذه المزرعة ويصدر معظـم منتجاته الى المملكة . وهو يتعامل مـع السيـد حسـن شربتلي ، فيما قيل لنا .

ولم يبق على وصولنا الآن الى كرن الا كيلو متـرات قليلة ، وهاهم الاهالي يسيرون على جانب الطريق المسفلت ما بين راجل وراكب ، وبعضهم قد أحضر معه حمـلا مـن الحطب اليابس ليبيعه في مدينة كرن ، فاوقر دابته : حمـاره أو بعيره وأخذ بذنبه الى كرن وقد سألنا عـن قيمة حمـل البعير من الحطب ، فقيل لنا : انه يساوي ستين سنتا ، أي ما يعادل على وجه التقريب ريالا سعوديـا .

لا يمكـن لمن يمر بهذا الطريق الجبلي الوعر الا أن يعجب بجهود الذيـن قاموا على بنـائه وسفلتته ، اذ أنـه يصعـد أحيانا الى قمم الجبال ، ثم يتلوى في أحضانهـا الى السفـح في طيـات عجيبة ، وقد يستدعي الأمر في بعض

الاحيان اقامة بنـاء كبير مـن الحجارة المنقوشة مع بنـاء مسايل للميـاه لكي يمكـن للطريق أن يستمر . وقد قام على بنـاء هذا الطريق الايطاليون عندما كانوا يحكمـون ارتيرية ، ولا يسع المرء وهو يراه الا أن يقول بحق : لقـد صنعت ايطاليـا لارتيرية شيئا كثيرا . وبهذه المناسبة فـان الاهالي يذكرون عهد ايطاليا بالمدح والتقدير سواء منهـم المسلمون والمسيحيون ، الا فيما يتعلق بشيء واحد ، وهـو التمييز على نطاق واسع ، فكانوا يجعلون للوطنيين مطاعـم منفصلة ومدارس منفصلة ، حتى السيارات العامة لا يمكـن أن يركب الأهالي في المخصص منها للايطاليين ولكن لم يكن للافريقيين في ذلك الوقت صوت يرتفع ليسمـع العالـم شكواهم . ومع ذلك فما زالت اللغة الايطالية تـدرس في المدارس ، وما يزال معظم الناس يتكلمون الايطالية . وأكبر الجـاليـات الاجنبيـة في أسمرة هي الجالية الايطـاليـة والايطاليون هم أصحاب المتاجر الكبيرة ، والصيدليـات والحانات الفخمة ، بل حتى البقالات الكبيرة ، كما تقدم .

في مـدينة كـرن :

وصلنا مدينة كرن بعد مسيرة (٩٣) كيلو مترا ، كمـا قدمت ، وقد استقبلنا بالحي الوطني الذي يتكون من أكواخ نظيفة وشوارع مستقيمة ، وقد غرست على جوانبها أشجار الظل ولكنها غير مسفلتة . ثم دخلنا الى قلب المدينة ، حيث

يبـدأ مـن هناك الحي الاوربي أو على وجه الدقة الحي الايطالي ، وهو عبارة عـن فيلات جميـلة تحيط بها وتزين واجهاتها حدائق غناء ، وقد أظلت الاشجار الخضراء جميع شوارعها .

أفطرنا بخروف :

لم نكـن قد تناولنا طعام الافطار في أسمـرة بسبب ضيق الوقت ، فكان أن رأينا مقهى بلديا غير بعيـد مـن محطة الاوتوبيـس ، فاتجهنا اليـه ، وجلسنـا على كراس معدة فيه ، ثم طلبنـا مـن صاحبه أن يحضر لنا مائدة وشايا فلم يكـد يحضر المائدة حتى جللتها أسراب من الذباب ، فلم نستطع أن نشرب الشاي ، فسألنا رجلا ايطاليا عن مطعـم نظيف ، فأشار الى مطعم غير بعيد . ذهبنا اليه فوجدناه غاية في النظافة ، وقدم لنا فطورا كاملا مكونا من البيض والجبن والزبدة والمربى مع القهوة والشاي . وطلب منا عند فراغنا (٤) دولارات و (٨) سنتات ، أي ما يساوي حوالي ثمانيـة ريالات سعودية ، وبعد ان تجولنا في سوق كرن رأينا رجلا معه عنز كبيرة الحجم سمينة وبها بقيـة من لبن ، فسألنـاه من باب الاستطلاع عـن ثمنها فقال انه يبيعها لنا بخمسـة دولارات أي ما يعادل ثمانية ريالات سعودية ونصـفا ، فتعجبنا وقلنا اذن فقد أفطرنا بما يساوي قيمة خروف . ثم نادانا صاحب العنز ، وقال: انه مستعد لكي يخفض لنا

الثمن . وقال لنا رجل آخر : ان معه تيس ليس بكبير ، وانه يبيعه بثلاثة دولارات أي خمسة ريالات سعودية .

وقد علمنا بعد ذلك أن المواشي رخيصة في كرن خاصة وفي أرتيرية على وجه العموم وانه يوجد مع الاسف شركتان اسرائيليتان تذبحان الماشية وتحفظان لحمها ثم يرسل معلبا الى اليهود في المنطقة المحتلة من فلسطين . كما ان جزءا من المواشي تصدر من هنا الى المملكة . وليس هذا بغريب لوفرة المراعي من اشجار واعشاب ولكون الاهالي لا يحسنون الا الرعي وزراعة بعض المحاصيل البسيطة كالذرة والفول السوداني .

كيلو الجوافة بقرش :

وفي تجوالنا في سوق كرن رأينا سوقا بسيطا هناك ، شاهدنا فيه نوعا كبيرا من الجوافة اعجبنا ، فسألنا البائع عن قيمته ، فأجابنا : الكيلو بقرش ، والقرش عندهم عشرة سنتات ، اي ما يعادل ثلاثة قروش سعودية ونصف .

كما وجدنا ان الكيلو من اليوسفي ويسمونه المندرين بخمسة وثلاثين سنتا وكيلو البرتقال وهو وطني وغير جيد بستين سنتيما ، وكيلو القرع ذي القشر الابيض كالموجود في نجد تماما يباع بعشرين سنتا وكيلو اللحم البقري بسبعين سنتيما أي ما يعادل ريالا وربعا من

الريالات السعودية والبيضة الواحدة بأربعة سنتيمات أي بقرش وربع سعودي والدجاجة بدولار أي ريالين الا ربعا .

ومع هذا الرخص المتناهي في أسعار المنتجات الزراعية المحلية فان كل شيء مستورد او معلب هو غالي الثمن الى درجة يصل الى ضعف اسعاره في بلادنا ، ومظهر الأهالي مظهر الجائعين ، ذلك لأن أجور العمال ورواتب الموظفين منخفضة ايضا ، فالعامل غير المتمرن يتقاضى فيما قيل لنا سبعين سنتيما أي ريالا وربع ريال سعودي ومرتب شيخ المعهد في اغردات سبعون دولارا حبشيا أي مائة وعشرون ريالا تقريبا في الشهر ومساعده ستون دولارا ، والمدرس اربعون دولارا أي ما يعادل سبعين ريالا في الشهر. والتقينا بطريق الصدفة بموظف حكومي استرشدناه عن بعض الأشياء فأبى الا أن يكرمنا ويصحبنا الى بعض الاماكن ، وله في العمل مدة اربع سنوات وهو يتقاضى تسعين دولارا حبشيا في الشهر ، ويشعر انه قد حصل على خير كثير ، مع انه يحمل شهادة اتمام الدراسة الثانوية .

اذن نحن ارخص اسعارا منهم :

فالعبرة ليست بالقيمة المصرفية للعملة ، وانما بالدخل الحقيقي للعاملين في أي بلد ، فالعامل هنا الذي يشتغل بسبعين سنتيما يوميا لا يحصل الا على اقل من كيلو لحم بقري مقابل مجهوده اليومي على حين ان العامل الذي

يشتغل في بلادنا بتسعة ريالات يحصل على كيلوين من اللحم البقري بعمله ، لأن الكيلو أقل من الاقة وأقة اللحم البقري في بلادنا تساوي في المعدل اربعة ريالات وعلى هذا يمكن قياس جميع الاسعار هنا . اما السلع المستوردة ومن ضمنها الادوية فهي أغلى مما هي عليه في بلادنا كثيرا ، وغني عن القول ان الموظف الذي يتقاضى تسعين دولارا او مائة دولار وهي تعادل بالقيمة المصرفية حوالي مائة وستين ريالا سعوديا ويحتاج الى شراءحاجات مستوردة من بينها الادوية والثياب كما يحتاج الى المنتوجات الوطنية لا يمكن أن تقارن حالته بحالة زميله الموظف في بلادنا والذي يتقاضى في المتوسط سبعمائة ريال سعودي . هذا بالاضافة الى أن الوظائف قليلة وان أكثر الناس لا يجدون حتى ذلك المرتب .

دخلنا الى السوق الوطني في كرن وقد غص بالقرويين وسكان البادية واليوم هو يوم العيد عندهم وهو يوم السوق فيما يذكرون . وهو سوق يذكر المرء بما كانت عليه حالة الاسواق في بعض بلدان المملكة قبل اكثر من ثلاثين سنة والتي لا يعرفها الجيل الجديد في بلادنا الآن . فالبضائع المعروضة بدائية والحوانيت صغيرة ، وقد لفت نظرنا قسم بيع الحبوب في السوق ويعرض فيه العيش كما يسمونه ويعنون به الذرة واذا اطلقوا كلمة العيش فهم يعنون الذرة فقط وهي غذاؤهم الوحيد ولا غذاء لهم غيرها

ولا يعرفون اكل القمــح او الشعير ، وقد وجدنا انواعـــا متعددة مــن الذرة معروضة هنا والبدوي يأتي فيملأ جرابه من العيــش تماما كمــا كان يفعل البــدوي في بــلادنا في الماضي ، وقد لفت نظري ان من بين الموجودين هنا مــن القروبيين وأهل البدو جماعات يشتركون مع الاهالي في أن لونهم اسود ولكن تقاطيعهم تقاطيع عربية واضحة وشعورهم سبطة وقد سألت احدهم بالعربية وكل الاهالي هنا يحسنون التكلم بها عــن القبيلة التي ينتمي اليها فقال انه مــن قبيلة بني عامر وقال :

نحن عرب جئنا من بلاد العرب ، فقلت له : وهل لكم لغة اخرى غير العربية ؟ فقال : نعم لنا رطانة أخذناها من أهل البلاد ولكننا نعرف العربية كلنا .

وقد عرفنا بعد ذلك ان بني عامر فيارتيرية قبائل كثيرة.

وقضينا سبع ساعات في مدينة كرن ، وتجولنــا في أرجاء البلدة واطلعنا مــن مرتفع هنـــاك على فيـــلات الاوروبيين وعلية القوم ويجاورها اكواخ المواطنين وعششهم وهم تكاد تكون ثمانين بالمائة مــن المنازل في كرن . ثـــم صلينا صلاة الظهر في جامع كرن وتعرفنا على امامه ويدعــى (ابو بكر صالح) وهو في الوقت نفسه شيــخ المعهـــد الديني الاسلامي في كرن ، والمعهد ملحق بالمسجــد الجامع وقد زرنا المعهــد واطلعنــا على ما فيه مــن اثاث قليـــل

ضئيل وهو يضم فيما ذكر لنا شيخه ثلاثة فصول وعدد طلابه مائة وخمسون طالبا وهذا المعهد يقوم على تبرعات المحسنين من المسلمين ولا تتدخل الحكومة في شؤونه ويقولون إن في قائمة المتبرعين افراد الجالية العربية في ارتيرية وخاصة السعوديين والحضارم منهم . وقد قدمنا للمعهد مساعدة مالية باسم الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة .

الى مدينة اغردات :

ركبنا الحافلة (الاوتوبيس) في الساعة الرابعة بعد الظهر متجهين الى اغردات ، وتبلغ المسافة ۸۰ كيلو مترا ، وكانت السيارة مزدحمة بالركاب من المواطنين ، وسرنا في طريق يشبه الطريق بين أسمرة وكرن ، الا أن الوديان هنا اخذت تتسع وهي مزروعة بالذرة والفول السوداني .

وقد شاهدنا في الطريق عشرات الاسراب من الطيور المهاجرة التي كنا في بلادنا نمتطي السيارات ونقضي الاوقات الطويلةفي البحث عنها وهيهنا آمنة مطمئنةلا يزعجها احد ولما سألنا عن ذلك قالوا لنا ان المواطنين هنا لا يستطيعون الصيد لأمور اولها :ان حمل السلاح هنا ممنوع والثاني : ان الذي لديه بندقية مرخصة مشغول بتحصيل معيشته ، ولا يمكن أن يتفرغ للصيد ، وقالوا : ان الذين يصيدون هنا هم الامريكانيون وبعض العرب وقالوا : ان الظباء

والارانب والحجل واصناف الطيور المهاجرة موجودة بكثرة ولكن لا صائد ، فقلت : سبحان الله ما أشبه بلادهم في هذا الوقت ببلادنا في الوقت الماضي حيث كان الصيد وفيرا وكان الاهالي لا يستطيعون ملاحقته وصيده بسبب ضيق ذات اليد وانشغالهم بتحصيل الضروري من معايشهم . وقد مررنا بعدة قرى تتألف جميع منازلها من عشش وأكواخ تتكوّن من غرفة واحدة تبنى جدرانها من القش الا ما كان منها لوجهاء القوم فتبنى جدرانها من الطين وتسقف جميعها بالقش على شكل مخروطي .

اغردات :

تعتبر هذه المدينة من المدن المهمة في ارتيرية وذلك لأنها بلدة زراعية وتقع في منطقة زراعية ايضا . وهي كغيرها من مدن ارتيرية عدا العاصمة اسمرة يستقبلك اول ما تدخلها اكواخ المواطنين المبنية من القش ثم تنفذ منها الى قلب المدينة وهي مبنية بالحجارة والقليل منها بالاسمنت المسلح عدا بنايات خاصة ، وتبدو منارة الجامع في اغردات شاهقة الى جانبها قبة مرتفعة وقد قالوا لنا : ان هذا المسجد قديم ولكن الأمبراطور هيلاسيلاسي أمر بتجديد بنائه بعد اتحاد ارتيريا مع الحبشة مجاملة للمسلمين .

وقد نزلنا في الفندق الوحيد الموجود في البلدة والذي لا يوجد غيره ويسمونه هنا « البرقو » وهي لفظة

ايطـالية بمعنى قصر . وهو فندق واطىء المستوى ويديره الايطاليون وقد الحقوا به مطعما ومقصفا وحانة ، ومعظم نزلائه مـن الايطاليين . وكنـا قد اتفقنـا قبل ذلك مـع احد الاخوان لكي يستقبلنـا هناك ويساعدنا بالتعرف على احوال المسلمين ، ووعدناه الفندق المذكور ولكنه لم يحضر وأرسل بعد ذلك شخصا آخر واعتذر بأنه عرف أنه مراقب مـن الشرطة الحبشيـة . وانه لم ير من المصلحة ان يلتقي بنـا . وقد لاحظنـا نحـن ان شخصا نام عنـد بـاب غرفتنا في الفندق وذهب مع الفجر . وكنا نرى الاستعدادات العسكرية هنا ظاهرة وواضحة ، وذلك لأن منطقة اغردات من المناطق التي تعتبر ميدانا لنشاط الثوار الوطنيين الارتيريين الذيـن يجاهدون التخلص مـن النير الحبشي . وقـد قمنا بجولة في سوق البلدة ، ووجدنا كيلو الموز بعشريـن سنتيما أي ما يساوي ثلث ريال سعودي وقد صلينا المغرب في المسجـد الجامع واعجبنـا ان رأينا اعدادا كبيرة مـن المصلين قد دخلوا المسجـد قبل أذان المغرب بنصف ساعة في انتظار الصلاة ، وما ان اذن المغرب حتى كان المسجـد قد اكتظ بمن فيه وقد القى شيخ المسجد درسا دينيا يتضمـن بحثا في الفقه وشرحا للحديث النبوي حتى اذان العشاء وكان المطر يهطل ولكن ارض البلدة كانت رملية فلـم تحـدث مستنقعات من جراء ذلك اما طرقها فلا يوجد فيها شيء مسفلت.

يــوم الاثنين : ١٣٨٤/٤/١٦ هـ .
١٩٦٤/٨/٢٤ م .

خرجنا في جولة الى سائر انحاء مدينة اغردات ، وقد علم بقدومنـــا بعض السعوديين هنا وهم يشتغلون بالتجارة وعلى رأسهم احمـــد القحم وغانم عبد الله فبحثوا عنـــا في السوق ثم طلبوا منا الانتظار لديهم فاعتذرنا وهم جميعـــا مـــن بلاد غامد وزهران . وقد لاحظنـــا ان مدينة اغردات كمدينة كرن وما حولها تعتبر مقاطعات اسلامية خالصة وتكاد تعتبـــر عربية لأن اللغة العربيـــة منتشرة هنـــاك بحيث لا يكاد يشعر السائح العربي بأنه غريب عـــن البلاد العربيـــة هنـــا اللهم الا اذا سمع الاهالي يخاطب بعضهم بعضا باللغة الارتيرية التجرينية ، وكلهم يتكلمون العربية وينطقونهـــا مـــن غير لكنة . ونظرا لكثرة اتصال اهالي تلـــك المنطقة بالسودان فانك تلاحظ الشبه هنا حتـــى في اللهجة بـــين السودانية والارتيرية ، واتصالهم بالسودان يكاد يعـــادل اتصالهم بشرق ارتيرية .

وقد زرنا المعهد الديني الاسلامي في اغردات واطلعنا على ما فيه وهو كالمعهد الديني الاسلامي في كرن فقـــير في اثاثه وكتبه وهو ايضا مثل معهد كرن يقوم على تبرعـــات المحسنين وشيـــخ المعهـــد هو الشيـــخ عبدالله الزوز من خريجي معهد ام درمان الديني في السودان وطلاب المعهـــد

في عطلة ولكــن يوجد بعض الطلبة الذيـــن يدرسون في المدارس الحكومية .

وقد قام المعهد على تعليمهم اللغة العربية والدروس الاسلاميــة حيــث لا يوجدان في المدارس الحكومية . وقد قدمنا للمعهــد مساعدة ماليــة باسم الجامعة الاسلامية جريا على عادتنــا في تقديم المساعـــدات الماليــة للمؤسســات الاسلاميــة هنــاك . ثم اسرعنــا في الخروج مــن اغردات نظرا لضيــق الوقت ولكثرة الذباب فيها .

العــودة الى اسمرة :

عدنا مــن أغردات الى أسمــرة ماريــن بكرن على حافلة (أتوبيس) مزدحمة بالركاب من المواطنين واستغرقت الرحلة خمس ساعات ، حيث وصلنا اسمرة في تمام الساعــة الرابعة . وقبل وصولنا لأسمرة بتسعة كيلومترات اوقفت الشرطة سيارتنا وحضر ضابط وجندي عند كل باب من بابي السيارة وفتشوا الركاب فردا فردا قال لنا الركاب انهــم يبحثون عــن الاسلحة كمــا صعدوا الى السيارة وفتشوها وعندما أرادوا تفتيشنا ذكرنا لهم اننا سعوديون فتركونا .

وقد كان شعورنا ونحــن نعود الى اسمـــرة نفس شعورنا عندما عدنا اليها مــن مصوع وهو أن أسمرة تعتبر بجوها ونظافة شوارعها ومحلاتها العامة جنة للسائح في ذلك

الجـو الافريقي ، وتمنينـا لو كان بامكاننا أن يطيل المكث في أسمرة ولو أياماً قليلة ، ولكن برنامج رحلتنا كان مرسوما يتأثر بالتأخر ونحـن لم نأت هنا سائحين .

يـوم الثلاثاء : ١٣٨٤/٤/١٧ هـ .
١٩٦٤/٨/٢٤ م .

جـولة في ضواحي اسمرة :

أخذنا صديقنا الأخ علي عبدالله هزاع في سيارتـه الخاصة في جولة على انحاء اسمرة وضواحيها وقد زاد ذلك اعجابنا بالاعمال العمرانيةالجليلة التي قام بها الايطاليون هناك وان كانت اطراف البلد ليست كقلبها بطبيعة الحال ، ولكـن الاحيـاء الشعبيـة مرتبة المنازل منسقة البنيـان . وقـد وجدنا ان اكثر تلك المنازل الشعبية تتكون من غرفة واحدة ومنافعها ، يسكنها الرجل بعائلته ولكنها منازل مبنيـة من الآجر والاسمنت المسلح ولا أثر لاكواخ القش هنـاك . وقد زرنا فيما زرنا (حي اكرما) الاسلامي فيأسمرة وهو حي شعبي الا انه انظف من الحي الشعبي المسيحي حيث يسكن فقراء المواطنين من المسيحيين ، كما رأينا مسجد الشيخ عبد القادر الجيلاني والعجيب ان أهل أسمرة يزورون هـذا المسجد كل اربعاء ويزعمـون ان سبب بنائه ان احدهم رأى في المنام ان الشيخ عبد القادر قد جاء الى اسمرة ، وجلس

على صخرة هنـــاك فبنوا مسجدا في هذا المكان وسمـــوا الصخرة مقام الشيخ عبد القادر الجيـلاني الا ان امـــام المسجـد الحالي وهو امام غير خرافي قد اغلق الباب على تلك الصخرة المذكورة فانقطعت زيارة الناس لها والتبرك بها فجزاه الله خيرا . وبهذه المناسبة ، مناسبة الجولة ، فقد سألنا صاحبنـا عـن قيمة صفيحة البنزين هنا فقال ان الممتاز يباع بتسعة دولارات وعشريـن سنتيما أي ما يعادل ستة عشر ريالا سعوديا اما البنزين العادي فيقل عن ذلك بدولار واحد أي تصبح قيمته اربعة عشر ريالا سعوديـا وبضعة قروش . وكذلك تباع صفيحة الديزل بستـــة دولارات أي عشرة ريالات سعودية وذلك بسبب الجمارك المفروضة عليه ، وعلى عكس ذلك السيارات ، فالجمارك عليهـا ليست فاحشة ، والمعتقـد حسب ما فهمنا ان الضريبة على السيارات الصغيرة غير الفخمة كالفولكس واجـن والفيات الصغيرة لا تتجاوز عشرين بالمائة، ولذلك نجد غالب السيارات هنا من السيارات الصغيرة وكثير منها مـن موديلات قديمة تصل الى ما قبل موديل الاربعين ، اما السيارات الامريكية فهي نادرة جدا .

يـوم الاربعاء : ١٣٨٤/٤/١٨ هـ .
١٩٦٤/٨/٢٦ م .

ذهبنـا مبكرين الى مكتب الخطوط الجوية الاثيوبية وحجزنا للسفـر غدا الخميس الى اديس أبابا فضربوا لنـا

موعدا تمام الساعة السادسة من صبـــاح الغد علـــى ان تغادر الطائرة اسمرة في تمام الساعة السابعة الى أديس أبابا عاصمة الحبشة . وقد تركنا أسمرة آسفين على جوها الجميل وفنادقها النظيفة الرخيصة . والحقيقة انها مكان طيب ملائم لقضاء اجازة ممتعة لولا انها اشتهرت بانها مقصد طـــلاب المتعة الرخيصة والحرية المطلقة في اقتراف الملاذ المحرمة . وما أحق أسمرة بقول الشاعر :

في منزل يعجب النساك خلوتـــه
وفيه ستر على الفتاك ان فتكوا

* * *

الإسلام والمسلمون في أريتيرية

لقد دخلنا ارتيرية بجوازات سفر عادية عليها تأشيرات دخول للسيــاحة وكان دخولنا عــن طريق الخرطوم وذلك لئلا تسترعــي انتباه المسؤولين في ارتيرية الذيــن نعلم ان سياستهم معاداة الاسلام ومناهضة اهله والداعين اليه ، وكنا نخشى اذا ما عرفت هويتنا ان لا تتمكن من اخذ المعلومات التي نريد الحصول عليهــا وان يكون ذلك سببا لالحاق الضرر بمــن تتصل بهم من زعماء المسلمين من اهل البلاد .

وقد قصدنا العاصمة « اسمرة » ثم سافرنا بطريــق البر الى شرقي البلاد حيــث زرنا مدينة مصوع ثم عدنــا الى اسمرة ومــن هناك سافرنا الى غرب البلاد وزرنا مدينة « كرن » ، ومدينة « اغردات » ولم نقم بالقاء محاضرات أو كلمات دينية في مساجد ارتيرية حذرا مــن أن نلفت الانظار الينا ولان ذلك ممنوع الا باذن من السلطات المختصة كما قيل لنا . وكنا نتصل بمن نتصل بهم مــن اهل العلم والفضل خفيــة ، وبطرق غير مكشوفة ، وبتلك الطريقة قمنا بدفــع مبالغ مــن المال كمساعدة رمزية باسم الجامعة الاسلامية الى عدد كبير من الكتاتيب والهيئات الاسلامية التي تفقدناهــا هنــاك .

كمــا خصصنا كميــات مــن المصاحف والاجــزاء القرآنية الكريمة والكتب الاسلامية لتلك المؤسسات علــى طريق الهدية مــن الجامعة الاسلامية كمــا شجعنا كلا من مديــر معهد « كرن » ومديــر معهد « اغردات » الدينيين

على انشاء مكتبة اسلامية في معهديهما وتعهدنا بارسال كمية من الكتب والمراجع الدينية نواة للمكتبتين المذكورتين على ان ترسل تلك الكتب بواسطة السفارة السعودية في اديس أبابا ، وقد ارسلت فعلا بعد ذلك .

الملاحظات : نتيجة لاتصالاتنا الواسعة في ارتيرية والتي كانت تتم خفية ، في اكثر الاحيان وبطرق غير واضحة كما تقدم تحققنا مما يلي : —

اولا — ان الحكومة الاثيوبية تشدد الضغط على المسلمين في ارتيرية وتسير في ذلك وفق سياسة دقيقة مستترة يشارك في تنفيذها بعض اليهود الاثيوبيين والمستشارين الاسرائيليين ، واهم مظاهر هذه السياسة ما يلي :

اولا : الضغط على المدارس القليلة الباقية هناك التي تدرس العلوم الاسلامية ، وتعنى باللغة العربية والتي كانت موجودة قبل الحكم الاثيوبي وذلك بعدم التأشير للمدرسين العرب بالدخول الى ارتيريا والتدريس في تلك المدارس ، وفرض رسوم جمركية عالية على الكتب الاسلامية سواء أكانت مدرسية أم غير مدرسية ، وملاحقة المدرسين الوطنيين الذين يبدون حيوية ونشاطا في تعليم الدين الاسلامي ، والدفاع عنه ، وزجهم في السجون بدون محاكمة .

وعدم الاعتراف بشهادات المدارس الاسلامية ، وقد اغلقت فعلا تنيجة لذلك بعض المدارس الاسلامية ومن بينها المعهد الديني في مصوع .

ثانيا : صدور قرار حكومي مشدد بالغاء تعليم اللغة العربية في المدارس الحكومية وغير الحكومية التي لها صلة بالدولة ، والتشديد على عدم استعمال اللغة العربية في المكاتب الحكومية ومكاتب الشركات وغيرها في المناطق والمدن الاسلامية التي كانت تستعمل اللغة العربية ، واستبدال الانجليزية بها اذا لم يمكن استعمال اللغة الامهرية لغة الدولة الرسمية ، وآخر مثال على ذلك صدور قرار حكومي بمنع استعمال اللغة العربية في المحاكم الشرعية للمسلمين واستبدالها بالامهرية حتى الاختام المكتوبة بالعربية صدر الامر الحكومي بتغييرها الى الامهرية وان كان هذا الامر لم يطبق حتى الآن بسبب معارضة رجال القضاء الاسلامي في ذلك ورفعهم التماسا الى الامبراطور بابقاء اللغة العربية وما يزال الامر معلقا حتى رحيلنا من ارتيرية .

ثالثا : بث جاسوسية محكمة حول الشخصيات الاسلامية سواء من المواطنين أو من يفدون الى ارتيرية من الخارج بالاضافة الى التشديد على عدم دخول

الشخصيات الاسلامية قبل وصولها الى البلاد ، وكان من نتائج تلك السياسة اننا لم نستطع مقابلة احدى الشخصيات الاسلامية الكبرى هناك الا بعد جهد كبير ، وبعد ان اتصلت به بواسطة احد العرب المقيمين هناك وقد تم اللقاء خفية .

رابعا : بث المبشرين المسيحيين في البلاد الاسلامية ومنحهم الاراضي والاقطاعات وتسهيل انشاء المدارس النصرانية وملاجىء الايتام التابعة للكنيسة لمحاولة التأثير في ناشئة المسلمين من الفقراء والايتام ، وتغيير دينهم وتنشئتهم تنشئة نصرانية .

خامسا : ابعاد المسلمين عن دوائر الحكومة ، ومراتب الجيش ، وحصرها في ايدي الاحباش واليهود .

سادسا : تسهيل هجرة البغايا الى المناطق والاحياء الاسلامية في المدن ومنح الرخص لهن بمزاولة البغاء ومضاعفة فتح الحانات ومحلات شرب الخمور بقصد اضعاف الروح الاسلامية وانتشار الفساد الخلقي بين المسلمين .

سابعا : عدم السماح للطلبة من المواطنين المسلمين بالسفر الى البلاد الاسلامية لتعلم الدين الاسلامي هناك ، ومن ابرز مظاهر ذلك رفض الحكومة الحبشية المنح التي قدمتها الحكومة السعودية للطلبة المسلمين في

ارتيرية والحبشة للتوجه مـن هناك الى الجامعـة الاسلامية بالمدينة المنورة .

ثامنا : رفض الحكومة الحبشية صراحة السماح للـدول العربية بافتتاح قنصليات في ارتيرية ومن تلك الدول المملكة العربيـة السعودية .

الاسـلام في ارتيرية :

الشعب الارتيري شعب مسلم عريق في الاسلام ، وقد دخل الاسلام الى تلك البلاد في اوقات مبكرة بل انها كانت اول قطر دخله المسلمون خارج الجزيرة العربية اذ كانـت الهجرة الاولى المعروفة بهجرة الحبشة الى ارتيرية وليسـت الى الحبشة المعروفة الآن بأثيوبيا .

ويبلغ مجمـوع عدد سكان ارتيرية مليوناً وسبعمائة الف نسمة منهم ٧٤٪ مـن المسلمين والبقية من المسيحيين واقليـة ضئيلة مـن الوثنيين وهـذا حسب الاحصاءات الرسمية الحكومية زمن الاحتلال الانجليزي ومن المحتمـل اذ تكون نسبة عدد المسلمين اكثر من ذلك بكثير .

وتنقسم ارينرية الى ثمان مديريات، خمس منها خالصة للمسلمين وهي : مديرية مصوع ، ومديرية كرن ، ومديرية الساحل ، ومديرية عصب ، ومديرية اغردات وثلاث منهـا مشتركة بين المسلمين والمسيحيين وهي : مديرية اكس غزاي،

ومديرية سراي ، ومديرية حماسين التي تقع ضمنها اسمرة العاصمـــة .

وينقسم السكان قبليا الى (٣٠١) قبيلة ، منها (٢٢٦) قبيلة مسلمة و (٧٥) قبيلة مسيحيةيوجد فيها اقليات اسلامية.

النشاط الاسلامي والنشاط المعادي للاسلام :

منذ ان اتحدت ارتيرية رسميا مع الحبشة والاسلام في موقف الدفاع ، وقد أخذ المسلمون على غرة ، واصبح همّ الذيــن يستطيعون العمل للاسلام الدفاع عــن مراكزهــم الاسلامية ، ومع ذلك فانه يوجد بعض الدعاة الى الاسلام في القرى والمناطق الريفية النائية ومن بينهم الشيــخ محمــد الحســن في غرب البلاد والسودان ، ولكــن اولئك الدعاة قلة وامكاناتهم ضئيلة ، وهم على جانب من الخوف والحذر مــن ان تكتشف الحكومة نشاطهم فتوقفه ، ولذلك فـــان البعثة لم تر من هو على استعداد للعمل علنـــا في الحقـــل الاسلامي ، وترى ان يكون واسطة المساعدات احـــدى السفارات الاسلاميـــة . او مندوبا خاصا يأتي من الخارج باسم السياحة .

٢ ــ اما النشاط المعادي للاسلام فانه يتمثل في كثرة المدارس المسيحيـــة والملاجىء التي تشرف عليها الكنيسة ، وفي تسهيل التحاق خريجي المدارس المسيحية بالوظائـــف

العامة في الحكومة وفي الشركات ، وان اعظم من ذلك خطرا هو خطر الملاجيء الخيرية النصرانية حيث تتولى تربية بعض اطفال المسلمين وتنشئتهم تنشئة نصرانية معادية للاسلام ، كما يوجد في البلاد نشاط صهيوني هاموخاصة على الصعيد التجاري حيث تتولى شركتـــان اسرائيليتان شراء المواشي وذبحها وتعليب لحومها ثم تصدر الى اسرائيل والخـــارج وتتعمد مضايقة التجار المسلمين العرب وغيرهم .

حالة المسلمين المادية :

اذا استثنينا بعض الشخصيات العربية المقيمة فياريترية والتي تملك شيئا من الثروة فان المسلمين يعتبرون في الدرجة المتوسطة من الناحية المادية بالنسبة الى اهالي المنطقـــة ويشتغل معظم المسلمين بالزراعة وتربية الانعام من الابـــل والبقر والغنم ، وهم في الغالب ارفع في المستوى المادي من المسيحيـــين الاريتيريين الاصليين ، ولكـــن تتخذ تدابـــير لزحزحتهم عن الميـــدان الاقتصادي بالسمـــاح للشركـــات والشخصيات اليهودية بالعمل في التجارة ومضايقة المسلمين بقصد ابعادهم عن الميدان التجاري .

المدارس والمؤسسات الاسلامية :

زارت البعثة المؤسسات والمدارس الآتية :

اولا ـــ المركز الاسلامي في أسمرة وقـــد انشيء في

العهد الايطالي وعليه اوقاف كثيرة اوقفها المسلمون ويشتمل على ما يلي :

أ ــ المسجد الجامع الكبير ويسمى مسجد الخلفاء الراشدين وهو مسجد كبير فخم ساعدت على بنائه الحكومة الايطالية فيعهد الاستعمار وملحق به عدة خلوات لتدريس القرآن الكريم ولكن لا يدرس فيها الآن الا درس ديني بعد العصر للكبار ، والمسجد مفروش فرشا حسنا ولا يحتاج الى شيء .

ب ــ المكتبة الاسلامية : وهي مكتبة عامرة بالمراجع الاسلامية بالعربيـة وبالكتب التاريخية بالايطاليـة وتضم حوالي (٣٠٠٠) مجلد وقد اهدت اليها البعثة كمية من الكتب العربية التي تنقصها . والمكتبة تشغل بناية خاصة ملاصقة لمسجد الجامع المذكور وفيهـا قاعتان صالحتان احداهما لخزائن الكتب والاخرى للمطالعة ، وينقص المكتبة بعض الكتب الاسلامية والعربية الحديثـة التي يتشوق النشء الجديد الى قراءتها بالعربية .

ج ــ المعهد الديني الاسلامي : وقد انشيء في زمن الوصاية وقامت على انشائه الحكومة المصرية في عهد الملك فاروق . ويشغل مبنى ملاصقا للجامع ويتكون ذلك المبنى من (٦) غرف محيطة بفناء صغير .

وقد كان هذا المعهد الاسلامي يعتمد على ما كانت

تقدمه له الحكومة المصرية التي كانت تقوم بارسال المدرسين المصريين فيه ودفع نفقات تنقلاتهم ومرتباتهم الشهرية كما تقوم بتأمين الكتب الدراسية اللازمة له . وقد امتنعت الحكومة الاثيوبية في السنوات الاخيرة عن منح تصاريح الاقامة للمدرسين المصريين فاكتفت الحكومة المصرية بتعيين بعض خريجي الازهر من المواطنين الارتيريين للتدريس فيه وقامت بدفع مرتباتهم الشهرية على نفقتها كما كانت ترسل مندوبا من قبلها للاشراف على الامتحانات السنوية فيه ، ويقول المشرفون عليه ان مساعدات الحكومة المصرية للمعهد قد اخذت تتضاءل في الآونة الاخيرة . ويضم المعهد المذكور (١٢٥) طالبا موزعين على (٤) فصول ويتولى التدريس (٦) مدرسين ومناهجه الدراسية قريبة من مناهج المعاهد الازهرية الثانوية .

د ـ مصلى العيد : وهو قريب من المسجد الجامع ويفصل بينهما شارع عام الى المصلى وهو ساحة جميلة محاطة بسور ومنخفضة عن مستوى الشوارع المجاورة .

هـ ـ قاعة المحاضرات وهي قاعة متوسطة السعة ملحقة بالمسجد الجامع تخصص لالقاء المواعظ وقد تستعمل للاحتفال البدعي بموالد بعض المشائخ والمعتقدين كالشيخ عبد القادر الجيلاني .

ثانيا ـ معهد كرن الاسلامي : ويديره الشيخ ابو بكر

صالح عبدالله وهو متخرج من معهد ام درمان الديني في السودان ومقره ملحق بجامع مدينة كرن الكبير . وعـدد طلبته (١٣٠) طالبا تقريبا والمدرسون (٤) ومرتب المدير (٧٠) دولارا اثيوبيا أي (١٢٠) ريالا سعوديا وراتب مساعده (٦٠) دولارا اثيوبيا أي (١٠٥) ريالات سعودية والمدرس (٤٠) دولارا ، وهو قائم على تبرعات المحسنين وليس له اوقاف ، وهناك لجنة لمساعدة المعهد تجمع التبرعات له وسكرتيرها يسمى محمد ابراهيم نبراي في كرن والمعهد في امس الحاجة الى الكتب الاسلامية حتى المقررات المدرسية غير متكاملة فيـــه .

ثالثا ــ معهد اغردات الاسلامي : ويديره الشيخ عبد الله الزور وهو متخرج مــن معهد أم درمـان الديني في السودان وعدد طلابه حوالي (٥٠) طالبا وفي ايام العطلـة المدرسيـــة يحضر الى المعهــد بعــض الطلبة ، وهنـاك طلبة يحضرون بعد العصر ويوم الاحد فقط لتعلم القرآن الكريم ، والمدرسون ثلاثة وبنايته اهلية قامت على نفقات مجموعة من المسلمين [1] وقد ذكر لنا مديره ان المدرسين لم يستلموا رواتب منذ مدة لعدم وجود نقود في صندوق التبرعات ولكنهم يقومون بالتدريس في هذه الايام تطوعا .

---

١ ــ وقد قابلنا بعض المسلمين فقال مدير المعهد ان هذا الاخ قد تبرع لبناية المعهد بمائة لبنة من الاسمنت .

رابعا ــ معهد مصوع :

وقد وجدته البعثة مع الاسف مغلقا قد انقطعت الدراسة فيه بسبب نضوب موارده المالية التي منها فقدان بعض البيوت الموقوفة عليه .

خامسا ــ زارت البعثةعددا كبيرا من الجوامع والمساجد الصغيرة التي تضم بعض الخلوات لتعليم القرآن الكريم ، وهي ترى ان الجوامع والمساجد الموجودة في ارينيرية كافية بالنسبة الى حاجة المسلمين في الوقت الحاضر . وانه ينبغي ان توجه الجهود الى الناحية التعليمية حفاظا على دين الناشئة من المسلمين ان يضيع وتبصيرا للمسلمين البالغين في امور دينهم .

سادسا ــ مدرسة الجالية العربية في اسمرة ومؤسسها الشيخ احمد عبيد باحُبَيْش رئيس الجالية العربية وهي مدرسة كبيرة تضم (٦٣٠) طالبا ويتولى التدريس فيها (٢٦) مدرسا كلهم من الوطنيين الارينيريين ويبلغ مجموع مرتبات المدرسين وباقي الموظفين (٥٠٠٠) دولار اثيوبي أي ثمانية آلاف ريال سعودي شهريا تقريبا وتشغل مبنى خاصا بها موقوفا عليها ، كما ان لها بعض المباني الموقوفة التي تدر عليها مبلغا شهريا لا يكفي كفاية تامة مصاريفها الكثيرة وقد سبق للحكومة السعودية ان تبرعت للمدرسة المذكورة بمبلغ عشرين الف ريال منذ اربع سنوات كما اخبرنا سكرتير

الجالية العربية بذلك وقال ان التبرع المذكور استغل في شراء دار تؤجر شهريا ويدفع ريعها للمدرسة وتساعد الحكومة المصرية المدرسة المذكورة بالكتب الدراسية كما ترسل اليها عددا من المدرسين ليتولوا اجراء الامتحانات فيها لانها قد خصصت ـ أي الحكومة المصرية ـ ست منح دراسية في الجامعات المصرية للمتفوقين من طلاب المدرسة المذكورة كل عام، وهي تعتبر مدرسة مدنية اي ليست دينية ومنهجها قريب الشبه بمناهج المدارس الثانوية المصرية الا ان الذي يجعل لها أهمية خاصة كونها تدرس اللغة العربية وكون التدريس فيها باللغة العربية كما انها وسيلة لمحافظة الناشئة على اللغة العربية في هذا الوسط المعادي وجميع طلبتها من المسلمين عدا ثلاثة فقط من المسيحيين العرب من اصل لبناني .

الاقتراحــــات :

على ضوء ما سبق نقترح ما يلي :

اولا ـ ان تتبنى احدى الحكومات انشاء ملجأ لاطفال المسلمين مــن الايتام وابناء الفقراء والمعوزين يتسع لمائتي طفل على الاقل في المرحلة الاولى ويزود بعدد من المدرسين والمربين مــن الارتيريين المسلمين وبخاصة مــن خريجي المدارس الاسلامية في المملكة او غيرها ان وجدوا والا فمن أي جنس امكن . وذلك لانقاذهم من الالتحاق بالملاجيء

والمدارس غير الاسلامية ، على ان يتم انشاء هذا الملجأ بالاتصال بالحكومة الاثيوبية فاذا وافقت كان بها وان لم توافق فيمكن ان يوكل امر انشائه الى بعض كبار المسلمين في ارتيرية وتتولى الانفاق عليه الحكومات الاسلامية .

ثانيا ـ معاضدة المعاهد والكتاتيب الاسلاميةالموجودة الآن معاضدة مالية على ان تكون مساعدتها عن طريق استئجار دور لها وشراء اثاث وكتب ودفع رواتب بعض المدرسين الذين لا يستطيع المسؤولون عن المدارس دفع رواتبهم .

ثالثا ـ زيادة المنح الدراسية المخصصة للطلبة الارتيريين في الجامعة الاسلامية وغيرها من المدارس الدينية في المملكة وغيرها من البلاد الاسلامية .

رابعا ـ تخصيص عدد من المنح للدراسة في الجامعات الدينية في البلدان الاسلامية لبعض خريجي المدارس المدنية في ارتيرية من ابناء المسلمين هناك وذلك حتى لا يقتصر نشاط المسلمين على المجال الديني، وان يكون منهم المهندس والطبيب والمحامي الخ .

خامسا ـ بذل المساعدة الممكنة في نطاق الظروف السياسية القائمة الآن للمسلمين الارتيريين الذين يقاتلون الاحباش الآن في غرب وشمال ارتيرية طلبا لاستقلال البلاد

وفصلها عن تلك الامبراطورية المتعصبة ، ولقد لمسنا أثـــر الثورة في البلاد ولكننا لم نستطع الحصول على المعلومات الدقيقة المعتمدة عنها اذ لم يكن هدف البعثة تقدير الظروف السياسية الا بالقدر الذي تتصل فيه بالشئون الدينية .

* * *

في بلاد الحبشة



يوم الخميس : ١٣٨٤/٤/١٩ هـ
١٩٦٤/٨/٢٧ م

الى اديس ابابا :

ذهبنا في الساعة السادسة صباحا أي مع طلوع الشمس الى مكتب الخطوط الجوية الاثيوبية في أسمرة وهو قريب منا وهناك حملت سيارة الشركة امتعتنا وخرجنا الى مطار اسمرة وودعنا ذلك المطار الجميل الذي يعتبر البوابة الجوية للبلد الجميل (اسمرة) وكانت اجراءات الركوب في غاية من اليسر والسهولة حيث لم يطلبوا منا حتى جوازات السفر وعاملونا معاملة كريمة شأنهم معنا في قدومنا الى اسمرة ، ولم يفتشوا امتعتنا لاننا في رحلة داخلية .

وفي تمام الساعة السابعة صباحا ركبنا الطائرة وهي طائرة نفاثة كبيرة من طراز بوينج مطلية من الخارج بألوان صفراء وحمراء طبقا للذوق الحبشي ، ولم يكن يبلغ عدد ركاب الطائرة الا اقل من نصف مقاعدها . وقد اعلنت المضيفة للركاب ان الرحلة ستستغرق (٥٥) دقيقة من اسمرة الى اديس ابابا علما بأن المسافة بينهما بالطريق البري تبلغ ١٠٣٠ كيلومترا تماما كالمسافة بين الرياض وجدة . وقد كان كلامها بالحبشية ثم بالانكليزية . وكانت هيئة الخدم في الطائرة مكونة من ثلاث مضيفات ومضيف واحد وكلهم من الاحباش ، وتمتاز الفتيات بملاحة الشكل ، وهن يتحلين

بأدب جم ، وقد قدموا لنا طعام افطار خفيفا في الطائرة .
وكنا طوال الرحلة نطير على هضاب جبلية خضراء تتخللها الوديان المكتظة بالمياه التي كانت تبدو حمراء لاختلاطها بالطمي من سرعة جريانها وانحدار مجاريها حتى وصلنا اديس أبابا بعد ساعة الا خمس دقائق بالضبط كما اعلنت المضيفة . وقد تبينّا معالم المنطقة من خلال قطع السحاب بعد أن تدنت الطائرة الى الارض ، فاذا باكثرها تجري فيه مياه الامطار وتغطي بعض المساحات المحروثة. ولا غرو فهذا هو موسم الامطار في هضبة الحبشة ، وبسبب هذه الامطار يفيض نهر النيل في مصر ، اذ ان القسم الاكبر من مياهه في هذا الوقت تأتي من النيل الازرق الذي تسبب هذه الامطار فيضانه ، ومن حسن حظنا ان الامطار متوقفة عند وصولنا الى اديس أبابا والا فقد قيل لنا ان الامطار تستمر في الهطول اكثر ساعات الليل والنهار في هذا الفصل من السنة .

اديس أبابا :

نزلنا في المطار فاذا هو دون مطار اسمرة بكثير ، ولم نمر بأية اجراءات لأن الرحلة كانت داخلية كما قدمت ، وقد ركبنا سيارة اجرة من المطار الى المدينة وكان سائقها مسيحيا حبشيا يتكلم العربية بصعوبة كما يتكلم الانكليزية ، كذلك ، وقد كان حديثنا معه مخلوطا بالعربية

اذا عجز عـن التعبير بالعربيـة عبر بالانكليزية وبالعكس ، وقال انه قد تعلم ما تعلمه مـن العربية لانه كان قد اشتغل في أسمرة حيـث العربيـة يعرفها الجميع هناك . ولما مررنا بكنيسة قال : (هذا مسجدنا احنا الكريستان) أي : هـذا معبدنا نحن المسيحيين ، ولما سألناه : هل يوجد لديـكم مسلمون ؟ قال : كثير جدا ، انهم أكثر من نصف السكان ، وقال : ان العرب كثيرون في اديس أبابا ، ففيها مـن اليمانيين وحدهم ستة آلاف ، ثم اخذ يشرح لنا كل ما نمر به مـن الاماكـن والميادين وغيرها ، وكنا قد اخذنا اسم فنـدق رجل عربي مـن جنوب الجزيرة العربية ، اسمه محمد سعيد في اديس ابابا ، ذكر اسمه لنا احد الاخوان في أسمرة، فطلبنا من السائق ان يوصلنا اليه فأبى ، وقال : ذلك الفندق لا يليق بكم فذلك فندق غير نظيف ، ثم اتى بنا بالقرب مـن الفندق المذكور وأرانا اياه وقال : لقد اريتكم اياه لتقتنعـوا فوجدنا كلامه صحيحا وكانت تحف بالفندق المذكور مـا يشبه المخاضة المتخلفة مـن مياه الامطار سـوداء اللـون كالحمأة ، من فرط مكث الاوساخ فيها ، فتركناه وقلنـا : اذاً فاختر لنا فندقا صاحبه عربي فقال : هذا لكم عليّ ، ثم انطلق بنـا الى فندق فخم ضخم وقال هذا صاحبه عربي ، وهذا صحيـح فان الذي يملكه عربي يدعى محمـد نديم يماني الاصل ومديره عربي لبناني ، فألفيناه مـن فنـادق الدرجة الاولى يضارع فندق الحرمين الكبير في جـدة ،

ويقرب مـن فندق الشرق في الرياض ، وأرانا غرفة فخمـة ملحقا بها قاعة للجلوس ، وطلب للسريـر الواحد ١٣ دولارا أي ما يساوي ٢٢ ريالا سعوديا ، ولم نجد غرفة تتسع لنـا نحـن الثلاثة فأرانا ركنا آخر غير المبنى الرئيسي للفندق فاذا هو عدة فيـلات خشبيـة مـن طابقين تحمل كل منها رقمـا حرفيا متسلسلا ، فسكنا في غرفة واحدة بثمانية عشر دولارا يوميـا أي ما يعادل (٣٢) ريالا سعوديا نحن الثلاثة وهي اجرة زهيدة حقا اذا ما قيست بمستوى اثاث الفندق ورياشه والخدمة فيه والمياه الجارية الساخنة في كل غرفـة وهو يقع في حي نظيف ويسمى (بياسا اثيوبيا) فاعتبرنا ذلك توفيقا من الله تعالى وشكرنا لذلك السائق لطفه معنا ونقدناه عشرة دولارات حبشيـة فشكرنا وحنى رأسه تحية لنـا شأن الاحباش .

بعد ان استرحنـا قليـلا خرجنا في جولة حول الفندق وقد وصلنـا الى السوق العربي الذي يتألف معظم اصحاب الحوانيـت فيـه مـن التجار العرب واغلبهم مـن جنوب الجزيرة العربيـة واليمـن وفيهم قليل مـن السعوديين من سكان جبال السروات وانت في هذا المكان لا تجد صعوبة في التكلم بالعربية ، وفي غيره مـن الاماكن مـن اديس أبابا ، لا تعدم في الفنادق والحوانيت التجارية الكبيرة والمكتبات وسيارات الاجرة مـن يكلمك بالعربية مـن الاحبـاش المسيحيـين انفسهم ، الا ان مكانة اللغة العربية في اسمرة لا

يمكن ان تصل اليها مكانتها هنا في اديس أبابا ، وذلك بسبب قلة عدد العرب الساكنين في الحبشة بالنسبة الى اريترية ، وسبب كثرة السكان المسلمين في اريترية ، وكثرة السياح من العرب الذين يفدون الى اسمرة كل عام ،وقد هالنا ان نرى ان مستوى مدينة اديس أبابا لا يمكن بحال ان يقارن بمستوى مدينة اسمرة من حيث نظافة الشوارع وطريقة رصفها ، وكثرة المرصوف منها وخدمات البلدية فيها ، مع ان اديس أبابا هي العاصمة واسمرة عاصمة ارتيرية التي تعتبر الآن رسميا مقاطعة من مقاطعات اثيوبيا .

وقد كانت ارصفة الشوارع الرئيسية في اديس أبابا موحلة بحيث لا يستطيع المرء منا ان يمشي فيها الا وهو رافع طرف ثوبه جانبا لئلا يصيبه الوحل ، لا سيما اننا قد عرفنا ان بعض الناس الاحباش يبولون في الشوارع ، وقد رأيناهم يفعلون ذلك بأن يقف احدهم ووجهه الى الجدار وقفاه للناس يبول واقفا ثم يمضي لشأنه بعد ذلك ، ويزيد من صعوبة السير فيها انها مرصوفة بحجارة غير متناسقة فتتجمع الاوحال والمياه فيها ، اما وسط الشارع فهو معبد بالاسفلت ولكن مستوى السفلتة ضعيف جدا والحفر والاخاديد فيه كثيرة . وان اول ما يسترعي نظر السائح من بلادنا الى هذه البلدة كثرة الاشجار فيها حتى ليخيل اليك في بعض المواطن ان المدينة عبارة عن غابة ، ولا

غرو ، فان هذه المدينة عندما انشئت قبل تسعين عاما كـان جزء منها غابة كبيرة أمر الامبراطور الذي انشأها ويدعى الامبراطور منليك ان تترك وسمى المدينة (اديس أبابا) أي الزهرة الجديدة ، والظاهر ان لكلمة اديس علاقة بكلمة حديث ، بمعنى جديد في العربية . وقد عدنا مع الظهر الى الفندق حيث تناولنا الغداء في قاعة الطعام الفخمة التي لا تقل فخامة عن احسن فنادق الدرجة الاولى في بلادنا .

المطـر المتواصل :

لقد كان من حسن حظنا كما قلت أن السماء لم تمطر منذ وصلنا الى اديس أبابا اليوم ، وكان المطر قد نزل وابلا في الصباح قبل قدومنا كما اخبرنا بعد ذلك ، وقد بدأ المطر يهطل والسحب الكثيفة تجلل السماء ، والبرق يلمع في النهار لظلمة الجو ، وهزيم الرعد المتواصل يصم الآذان . وقد استمر المطر حتى بعد العشاء فلم نستطع عمل شيء سوى البقاء في الغرفة والمطالعة .

يوم الجمعة : ١٣٨٤/٤/٢٠ هـ
١٩٦٤/٨/٢٨ م

اصبحنا اليوم على سماء ملبدة بالغيوم وقد اخذ المطر يهطل منذ الفجر واستمر حتى قرب صلاة

الجمعة ، فاضطررنا الى البقاء هنا محبوسين (حبس حشمة) كما يقول العامة في نجد ، ليس لنا هم غير القراءة وطلب الاكل والشاي والقهوة ، الذي كان خدم الفندق يحضرونه من المطعم تحت المظلات الواقية من المطر ، والواقع ان الخدم الاثيوبيين بل وجميع الاثيوبيين يتمتعون بأدب جم ، ومعاملة طيبة ، ولا يمكن لاحدهم اذا لقيك الا ان يحني رأسه تحية لك واحتراما ، وهم يعرفون من شكلنا والواننا اننا عرب فتجد من يعرف منهم العربية يبادر فيكلمك بما يحفظه من العربية ، الا في الاوساط الافرنجية حيث لا يعرف الموظف اللغة العربية فيشيرون الى معرفتهم لك بأنك عربي ويكلمونك بالانكليزية ولكن لا ينسون ان يدخلوا في الحديث كلمة مشهورة من العربية ككلمة (ما في) أي ما فيه او كلمة (خلاص) او ما أشبه ذلك . ومن هذا النوع خدم الفندق الذي نزلنا فيه وهو فندق (اتيي) بمعنى (اختي) بالحبشية او فندق الملكة وهو فندق من الدرجة الاولى كما قدمت ومعظم نزلائه من الاوروبيين والامريكيين وفيهم صينيون وهم جميعا يتفاهمون بالانكليزية والخدم يعرفون انكليزية ضعيفة مما يتصل بعملهم كطلب الطعام والشراب ، ونحن نتفاهم معهم بالانكليزية ، عدا المدير فهو عربي مسيحي من لبنان يتكلم العربية بطلاقة . ان منظر المطر المنهمر من سماء مظلمة مدة طويلة ، ونحن نرقبه وراء النوافذ الزجاجية لشرفة

غرفتنا لهو منظر غريب علينا نحن الذين عشنا في بيئة صحراوية ، وقد اوقف الحركة ومنعنا وغيرنا من الدخول والخروج الا في سيارة ، لذلك فقد مضى هذا اليوم ثقيلا متباطئا .

الا ان امام (الجامع الأنور)فيأديس أبابا ويدعى الشيخ حامد عون وهو يماني زارنا في الفندق في مساء هذا اليوم وقد افادنا ببعض المعلومات عن التقارب بين اللغة الحبشية والعربية وغير ذلك وقال : ان هطول المطر هذا اليوم حال دون حضور عدد اكبر من الحاضرين لصلاة الجمعة .

يوم السبت : ١٣٨٤/٤/٢١ هـ .
١٩٦٤/٨/٢٩ م .

ذهبنا مبكرين الى السفارة السعودية وقد استقبلنا القائم باعمال السفارة الاستاذ عبد العزيز فتحي من مكة المكرمة استقبالا كبيرا وابى الا ان نتناول طعام الغداء معه في بيته وكان معنا زميله في السفارة وهو الاستاذ محمود السني من جدة ، وقد وجدنا عندهم احد الزعماء المسلمين في الحبشة ودار البحث طول الوقت عن العادات والتقاليد في الحبشة وعن جو البلاد ومعلومات اخرى عن احوال الاسلام والمسلمين في الحبشة .

وبعد أن تناولنا جميعا طعام الغداء في بيته ، اخذنا بسيارته الخاصة الى بعض نواحي مدينة اديس أبابا وكان المطر ينهمر مدرارا كأفواه القرب ، والشوارع تجري فيها المياه كالجداول الصغيرة ، ولكن بعد ان وقف المطر ذهب اكثر المياه من الشوارع ولم يبق الا في المواضع المنخفضة وعلى افاريز الطرق غير المسفلتة ، وقد ساعد على عدم بقاء الماء هنا كون منطقة اديس أبابا تمثل الهضبة الحبشية التي هي عبارة عن مجموعة من المرتفعات الجبلية تتخللها المنخفضات ومسايل المياه .

شلالات سبت :

ثم ذهبنا بالسيارة الى شلالات سبت وهي مساقط للمياه من جبال غربي اديس أبابا وسط حديقة تابعة لاملاك الامبراطور هيلاسيلاسي ، ولم يكن الطريف هو رؤية الشلالات وحدها ولكن الطرافة الى جانب ذلك في منظر ضواحي اديس أبابا . وقد خرجنا من الجبهة الجنوبية الغربية مع طريق مسفلت قالوا انه يصل الى منطقة (جما) ويمتد مسافة ٣٥. كيلو مترا ، وكانت (الفيلات) الجميلة تتناثر على جانبي الطريق وهي فيلات يسكن اكثرها الديبلوماسيون وعلى باب كل فيلا شرطي او اكثر للحراسة ثم خرجنا من المدينة الى ضواحي يحار الطرف في جمالها الطبيعي فالارض كلها خضراء ما عدا مسالك

الاقدام بين الحشائش ، والاشجار الطبيعية والمغروسة تتناثر في مجموعات تكوّن غابات وان كان معظم تلك الاشجار من اشجار الاخشاب التي تستعمل للوقود وبناء المنازل ، وبين فينة واخرى يمر الطريق المسفلت فوق مجرى للمياه وتسرع مياهه الطينية في الجريان الا ان الذي يكدر من صفو السير على هذه الطريق وسط تلك الضواحي البديعة منظر الاهالي وهم يجرون خلف حمرهم على جوانب الطريق المسفلت الضيق ، والحمار هنا هو الوسيلة الشعبية الرئيسية لنقل حوائج الفلاحين وسكان القرى ، وحمرهم صغيرة الحجم غير جيدة النوع تشبه الحمر الهكرية او الهكري التي يستعملها الرعاة من العرب في جنوب العراق ، اما الحمر الحساوية الفارهة الموجودة في المملكة فانها لو وجدت هنا لكانت بين تلك الحمر كالخيل وقد لاحظنا ان اكثرهم يسير خلف حماره ولا يركبه فسألنا عن ذلك فقالوا انهم يرون من غير اللائق ركوب الحمار للرجال وانه يشبه عندهم العيب وانما يستعملونه لحمل الاحمال فقط ، وهذه عادة كانت مأثورة عن بعض العرب في الجاهلية ولكن الاسلام يخالفها فقد ركب النبي (صلى الله عليه وسلم) على حمار واردف معاذ بن جبل خلفه .

وقد مررنا ببعض المنازل على الطريق وكلها عبارة عن اكواخ مكونة من غرفة او غرفتين ، لا تخلو من تنسيق

ورأينا بعض البيوت وهي تبنى وطريقتهم فيها ان يقيموا البيت من اعواد متراصة على شكل حظيرة ثم يطلون خارجه بالطين او بقليل من الاسمنت حسب قدرة صاحبه المالية ثم يبنى فوقه سطحا مسنما من القش .

وقد وجدنا الحديقة المذكورة واسعة ومسوّرة ، تركت الاشجار فيها على طبيعها لترى منظرا طبيعيا وفيها غابة طبيعية جميلة ، وقد تشابكت فيها فروع الاشجار وغطت أرضها الحشائش وتنتشر فيها أشجار القهوة ، وقد وجدنا ثمرها أخضر لم ينضج بعد ، وان كان قد استكمل حجم حبوب القهوة العادية ، وقد أكلنا منه وهو غض لذيذ الطعم ، لا أثر للمرارة فيه ، وثمر القهوة عبارة عن جرس يشبه العنبة الصغيرة لولا أنه بيضاوي الشكل ، وفي داخل كل جرس حبتان من الحبوب . وينبت في أغصان الشجرة بين الأوراق كما ينبت ثمر التوت . وأشجار القهوة التي رأيناها تشبه أشجار اليوسفي والبرتقال الذي لم يكبر بعد، ولا يزيد طولها على قامة الرجل الطويل ، وأوراقها تشبه أوراق شجر الليمون ، وقد قال لنا السائق الحبشي الذي يرافقنا : ان معظم الاشجار هنا لا يزيد طولها على هذا الارتفاع ، ثم عدنا بعد ذلك الى الفندق مع غروب الشمس.

يوم الأحد : ١٣٨٤/٤/٢٢ هـ .
١٩٦٤/٨/٣٠ م .

يوم لا ينسى :

كان الأخ عبد العزيز فتحي ، القائم بأعمال السفارة السعودية في أديس أبابا ، قد وعدنا بأن يحضر الى الفندق في أول الصباح ، على أن نخرج في نزهة خلوية بسيارته ، حيث اليوم يوم العطلة الاسبوعية للسفارات الاجنبية في أديس أبابا ، تمشيا مع عطلة وزارة الخارجية الحبشية فخرجنا في الساعة العاشرة صباحا الى الجهة الجنوبية ، وقد رأينا في هذا الطريق ما رأيناه في الطريق الآخر الذي سلكناه الى غرب أديس أبابا ، وهو طريق مسفلت يسير على جوانبه القرويون راجلين خلف حمرهم ، وهي وسيلتهم الوحيدة ، في وهاد وآكام كلها خضراء سندسية تنتشر فيها الاشجار الكبيرة التي يستغلونها في انتاج الاخشاب ، ونمر بين حين وآخر بقرى تتألف من مجموعة من الاكواخ المصنوعة من الأعواد المطلية بالطين والمسقفة بالقش على شكل مسنم ، وفي بعض الاحيان تتخذ سقوفها بشكل الهرم وتتقدم القرى مما يلي الطريق حوانيت مبنية من القش ايضا لا بد ان يكون من بينها حانة واحدة (بار) أو اكثر حسب كبر القرية وصغرها وتجري تحت الطريق جداول المياه التي تكبر وتصغر واينما قلبت بصرك في اي اتجاه

نظرت فلـــن يقع الا على مناظـــر بديعة خلابة ، ولو تطلبت ان ترى موضعا خاليـــا مـــن الخضرة لما استطعت .

الظبي بثمانيـــة ريـــالات :

عندما قطعنـــا مـــن الطريق ما يقارب اربعين كيلو مترا رأينا شيخا قرويـــا يقف بجانب ولده وقد احتضـــن ولده ظبيا مقيدا ، وهذه هي طريقتهم في عرض بضائعهم ، ان يقفوا على جوانب الطريق ويرفعوا ما بأيديهم لكي يراهم ركاب السيارات الذين يكون معظمهم مـــن الدبلوماسيين ورجال المال والاعمـــال الاجانب الذين يخرجون للنزهة والتفـــرج في مثل هذا اليـــوم يوم العطلة الاسبوعية ، فوقفنا السيارة وسألناه بواسطة السائق الذي هو مـــن اهل البلاد ويعرف الأمهرية وتبين لنا ان هذا القروي لا يعرف الأمهرية اللغـــة الرسمية للحكومة لان حدود اللغة الأمهرية لا تبعد خارج أديس أبابا الا مسافة لا تصل الى اربعين كيلو مترا في هـــذه الجهة مـــن البلاد ، الا في المجالات الرسمية ، فكلمه المترجم وقال انه طلب عشرة دولارات وقد سمعنـــاه يقـــول اسر بالامهرية أي عشر بالعربية ولكـــن قلنا له همسة أي خمسة وقد اشتريناه منه بخمسة دولارات حبشيـــة أي ما يساوي ثمانية ريالات سعودية فأخذنا الظبي وهو مقيـــد فحملناه في السيارة وقررنا ان نذبحه ونشويه هناك ، واشترينا كيسا من الفحم فحملنـــاه معنا واشترينا من قرية اخرى شيئا من الملح

من تاجر يمان كان قد فتح محلا للبقالة في هذه القرية .

ومن الغريب انهم هنا وعلى بعد لا يزيد على خمسين كيلومترا من العاصمة الحبشية لا يعرفون اللغة الامهرية لغة الدولة الرسمية وانما يتخاطبون بلغات اخرى حتى لقد شق على سائقنا وهو حبشي مسلم يعرف الامهرية الى جانب لغته الوطنية ان يتفاهم معهم بالامهرية .

بلاد الغالا :

وقد توغلنا الآن في منطقة قبائل الغالا ولهم لغة خاصة لا يعرفون غيرها ، واكثر السكان هنا من المسيحيين ، وهم اصحاب بادية يعيشون على رعي الانعام التي اكثرها البقر والغنم ، والقليلون منهم يزرعون زراعة بدائية ، وهم متأخرون في اساليب معيشتهم حتى يبلغ تأخرهم أكثر من تأخر اهل البدو لدينا ، وعندما بلغت المسافة حوالي ٧٠ كيلومترا من اديس ابابا ونحن نسير في اراض اخفض من منطقة اديس ابابا تغيرت المناظر من خضراء كثيفة الخضرة الى اراض خضراء ولكنها مكسوة بنباتات المراعي التي ترتع فيها الاغنام والابقار وتنتشر الاشجار التي تشبه الاشجار الصحراوية الكبيرة في الربيع الندي في بلادنا . ونحن نسير الآن في طريق يؤدي بنا الى جهة الصومال الفرنسي (جيبوتي) وقد تفرع منه طريق آخر قالوا انه يؤدي الى حدود كينية فسلكناه ، وبعد مسيرة ما يقارب المائة كيلومتر

قالوا لنا انه من مسافة قريبة منا تبدأ منطقة بلاد القبائل المعروفة بعروس وتمتد حتى حدود كينية وهي قبائل مسلمة، بخلاف قبائل الغالا التي منها مسيحيون ومسلمون ، ولكن المنطقة التي مررنا بها اغلبها للمسيحيين .

أرض البحيرات والمناظر الساحرة :

وقد مررنا في الطريق باثنتين من البحيرات التي يسبح فيها البط البري ، وتتكاثف على جنباتها الاشجار البرية . وهاتان البحيرتان هما اثنتان من سبع بحيرات موجودة في تلك المنطقة ، وبعد ان سرنا مائة وعشرين كيلومترا رأينا بحيرة اواش ، وهي البحيرة الكبرى التي تتجمع فيها امطار المناطق المجاورة وينبع منها نهر اواش الذي يجري حتى الصومال الفرنسي حيث يصب في البحر .

وعند شعبة من شعاب البحيرة تركنا الطريق المسفلت ، ودخلنا في الاراضي المعشبة ، وانتحينا شجرة كبيرة وارفة الظلال ، وهناك نزلنا وذبحنا الظبي وشوينا لحمه فوجدناه لحما طيبا سمينا لذيذا وناهيك بلحم ظبي بري صيد لتوه بوساطة الحبالة ، فلا مجال للصيد بالبندقية هنا .

ولا يمكن ان ينسى المرء صورة ذلك الفرع من البحيرة الكبيرة تحف به الاشجار ، وتمتد على شطيه الاعشاب الكثيفة الخضراء ، ومنظر البط البري الذي يبلغ حجم

بعضه حدا لا يمكن ان يصدق به الا من رآه ، حتى لقد حسبناه غنما اول ما رأيناه ، اما انواع البط الاخرى التي في حجم الدجاج او حول ذلك فهي اسراب كثيرة في المياه على بعد يقل كثيرا عن مرمى البندقية العادية ، واما الطيور البرية الصغيرة التي كنا نخرج لصيدها في بلادنا وتتجهز لذلك بالسيارات والمعدات فهي بالعشرات ، بل بالمئات خارج المياه ، وفي كل المنطقة ، وليس ذلك فحسب ، وانما اقبل الينا بعض الاهالي هنا باكياس مملوءة بالسمك الذي اصطادوه لتوه من البحيرة ، وعرضوا ان يبيعوا علينا تسع سمكات كبارا لا يقل وزن الواحدة منها عن نصف الكيلو ، وقد يبلغ وزن بعضها كيلو غراما واحدا بدولار حبشي ، وقد احضروا اكياسا من الخيش مليئة بالسمك الطازج الذي لم يمض على اصطياده اكثر من ساعة واحدة ، وقد وضعوا الكيس على عصا يحمله شخصان وهذه القيمة التي طلبوها للسمك تقل اكثر من النصف عن قيمته في اديس ابابا ولكن انى لاولئك البدو الوصول الى العاصمة وبينهم وبينها اكثر من مائة وعشرين كيلومترا ولا يملكون أي نوع من انواع المواصلات عدا الحمر التي يملكها بعضهم وهم بعد لا يجيز لهم عرفهم ان يركبوها ، والتي لا يمكن ان توصل هذا السمك الا وقد فسد ، ووسيلتهم المريحة ان يبيعوه للسواح الذين يحضرون هنا ويأخذونه بأنفسهم .

بحيرة حالمة يسبح في شعابها البط الابيض والاسود على مقربة من الشط حيث يجد ما يأكله من صغار السمك واصول الحشائش كأنه الظباء السارحة في بلادنا الصحراوية الواسعة ، وخضرة لا حدود لها ، واشجار وارفة ، وطيور برية مغردة وغير مغردة ، وهواء عليل ، وشمس كشمس الربيع تطل على استحياء من بين قطع من الغمام ثم يغلبها الحياء فتختفي ، ماء وخضرة ووجه ... حضر الينا بعض الرعاة من الاهالي بأشكالهم العجيبة وقد ترك نساؤهم شعورهن (شوشة منفوشة) كما يقال ، يخيل اليك اذا رأيتها من بعد انها قبعة غير متساوية الاشكال ، وقد اغرقت الواحدة منهن شعرها بالسمن الطبيعي الذي تقاطر حتى عم جميع ثيابها ووصل الى قدميها ، فاصبحت بمجموعها كأنها سبحت في بحر من السمن ، وقد تحزمت بحزام خفيف ومشت حافية لا يهمها شجر ولا حجر ، وتمر بك الواحدة منهن فتسبقها الى انفك روائح الدهن المختلط بالعرق . أرأيت اهل البدو في المنتدى (المندى) وقد مضى على آخر عهد لهم بالماء شهر او شهران ؟.. ان منظر ثيابهم اذا تخيلته قد يدنيك من منظر اولئك البدو الافريقيين ايضا . ولكن هؤلاء البدو من الافريقيين قد اعطاهم الله تعالى من الخيرات ما لا يحلم به اهل البدو في بلادنا ، فلا يمكن لاحد منهم ان يضطر الى ترك بلاده بسبب الجدب ، او لعدم المرعى

واذا كانهذا قد افادهممن الناحية المادية فقد ضرهم من الناحية القومية اذ احتفظت كل قبيلة بلغة خاصة لها او بلهجة بعيدة عن لهجات القبائل الاخرى ، وذلك لعدم الحاجة الى الرحلة والاضطرار الى الاختلاط بالآخرين ، قضينا على ضفاف البحيرة ساعات مضت كأنها دقائق حتى قرب وقت العصر ، وبعد العصر قفلنا راجعين الى اديس ابابا .

جلد الافعى بسبعة ريالات :

وفي الطريق توقفنا في قرية صغيرة ووجدنا رجلا معه جلد افعى طوله ستة اذرع وعرضه يتراوح بين خمسة اصابع واكثرمن شبر،وقد اشتريناه منه بعد المماسكة باربعةدولارات حبشية أي سبعة ريالات سعودية ، كما اشترينا دجاجة حبشية مهاجرة تفوق الدجاجة المنزلية بكثير بدولار حبشي واحد وقد اصطادها احد القرويين بشبكته وتساوي الدجاجة البيتية التي في حجمها في بلادنا ثمانية ريالات على الاقل . كما عرض علينا احدهم خشفا صغيرا أي ظبيا رضيعا وطلب دولارين ثمنا له ولكننا رفضنا شراءه لانه يحتاج الى اللبن. وفي الطريق رأينا مع احدهم ارنبا بريا صغيرا اغبر اللون جميل الشكل فطلب منا (٤٥) سنتا أي ما يساوي ريالا الا ربع الريال السعودي فرفضناه اما البيض فهو هنا يساوي قرشا سعوديا واحدا لكل بيضة ، وقد سألنا صاحب الخشف من اين احضره ؟ فقال : انه اصطاده من مكان غير بعيد ،

وعلمنا بعد ذلك انه يكفي للمرء ان يخرج خارج اديس ابابا مسافة ثلاثين او اربعين كيلومترا ليجد الصيد من الظباء والارانب وغيرها وفيرا .

الذئاب والضباع في ضواحي العاصمة :

وبهذه المناسبة فقد علمنا أن الذئاب والضباع وغيرها تذرع شوارع ضواحي العاصمة ليلا ، وحدثني كثير من الناس هنا ان الذئاب تتجول في الشوارع وانه لا يستطيع الخروج بعد الساعة الثالثة في اماكن معينة الا في سيارة خوفا من اذى يلحقه منها ، وهي لا تجد من يقتنصها ويريح الناس منها وذلك لقلة السلاح المرخص به من جهة وعدم الاهتمام بذلك من جهة اخرى ، ولكثرة الغابات المحيطة بالمدينة والتي تختبىء فيها الوحوش . وقد رأيت بنفسي كثرة الصيد وقلة الصائد حيث كنا وغيرنا ندنو من الطيور المائية والبرية فلا تفزع ولا تنفر .

البحيرة العميقة :

وفي طريق العودة الى اديس أبابا وقبل الوصول اليها بخمسة واربعين كيلو مترا ،مررنا ببحيرة تدعى (باشفتو)وهي بحيرة في محل عميق تحيط به الجبال ، ماؤها صاف رقراق ويظهر انه لانخفاضها نابع من الارض وليس متجمعا من مياه الامطار التي تجري على السطح ، وقد اقيم على شاطئها

فندق سياحي وهو فرع لفندق اثيوبيا (اثيوبيان هوتـل) كما الحق به مقصف مطل على البحيرة . وقد نزلنا بالسيارة الى ضفاف البحيرة ذاتها في طريق ينحدر بنا اليها فألفيناها مكانا بديعا لقضاء اجازة يومية حيث تتدرج الخضرة القاتمة من شطآن البحيرة الى سفوح الجبال المحيطة بها الى قمم الجبال نفسها تحف بها من جهتها الشمالية اشجار الغابـات الباسقة ويقـع بالقرب منها قصر مـن قصور الامبراطور هيلاسلاسي .

وقد افترشنا الحشائش على ضفاف البحيرة وادينـا صلاة العصر على مرأى من السياح وبعض الدبلوماسيـين الاجانب الذين كانوا يقضون عطلتهم اليومية (الاحد) هنا ، وكان منظرنا ونحن نصلي متجهين الى البيت الحرام مسترعيا لانتباههم وربما كان يعادل في غرابته بالنسبة لهم منظرهم مع عائلاتهم ونسائهم بالنسبة لنا وقد خلعن ثوب الوقـار ولم يبقين على اجسامهن من اللباس الا تحلة القسم .

يـوم الاثنين : ١٣٨٤/٤/٢٣ هـ .
١٩٦٤/٨/٣١ م .

في مدينـة الفتـح الاسلاميـة :

قصدنا مدرسة تدعى مدرسة الفتح ، وقد دخلناها وتعرفنا على مديرها ،وهي مدرسة اسلامية تقوم على تبرعات

المسلمين ، وقد انشئت في الاصل ليتعلم فيها ابناء الجالية العربية في اديس ابابا ، فألفينا فيها ما يزيد على اربعمائة طالب ما بين صبي وصبية وهم يقرؤون القرآن ويدرسون باللغة العربية ، وقد اعجبتنا تلاوتهم للقرآن في هذا الوسط المسيحي ، وتمنينا لو يأخذ المسلمون بيد هذه المدرسة الاسلامية الهامة . وقد قدمنا بعض التبرعات باسم الجامعة الاسلامية لترميم المدرسة كما خصصنا لها كمية من المصاحف والاجزاء القرآنية الكريمة .

سوق العرب :

ومن هناك وصلنا الى (المركاتو) التي تعني عندهم السوق ولعلها ايطالية لها قرب من كلمة (ماركت) أي السوق بالانكليزية ، وهناك اكثر العرب واغلبهم من اليمانيين والحضارم وقد قيل لنا ان معظم الصفقات التجارية تتم في السوق العربي مع ان منظره ليس مما يوحي بذلك فشوارعه مهملة ، وارصفته قذرة ، والمياه الآسنة قد تجمعت في بعض اركانه ، حتى لا تستطيع ان تمشي الا ومنديلك على انفك .

العرب في اثيوبيا :

وبهذه المناسبة يذكر ان عدد العرب اليمانيين في اديس ابابا وحدها يقدر بسبعة آلاف وعددهم في كل اثيوبيا يقارب سبعين الفا اكثرهم يمانيون ، ويليهم الحضارم وكان زمام

التجارة والزراعة في جميع الحبشة بأيدي العرب الا انه أخذ الآن مع الأسف يتحول من ايديهم الى ايدي الاعداء من اليهود الاسرائيليين يأخذونه منهم بتشجيع من الحكومة الحبشية. اما السعوديون فهم قلة في اديس ابابا ذاتها ولكنهم يوجدون في بعض المواضع من اثيوبية كما يوجد بعض المسيحيين المصريين وعدد من السوريين واللبنانيين التجار .

الجامع الأنور :

ولما حان وقت صلاة الظهر دخلنا الجامع الأنور لاداء الصلاة ،وهو اكبر جامع في اديس ابابا العاصمة ، وهو جامع واسع كبير يحيط به وخاصة من جهة الجنوب ساحة واسعة تملأ اركانها الحدائق الغناء المزدانة بأنواع الزهور . اما داخله فهو عادي تتوسطه قبة عالية ، يذكرك منظرها من الخارج بمنظر القبة الخضراء مع المنارة الجنوبية الشرقية في الحرم النبوي الشريف وان كانت اقل منها ارتفاعا ، وقد فرش المسجد بأنواع من الحصر من نبات ينمو عندهم شبيه بالجوت . وقد لفت نظرنا في هذا المسجد اننا لما اردنا الوضوء ذهب بنا مرافقنا وهو عربي سعودي من غامد يدعى احمد عبد الله الحجازي الى مكان فيه ثمان برك ترتفع مع شاذرواناتها حوالي المتر عن الارض وقد ملأت كلها بالماء يحيط بكل منها مجرى صغير للماء ويتوضأ المصلون هنا بالاغتراف بايديهم من البرك وترك المستعمل من الماء يجري

خارجها مع المجاري الصغيرة المكشوفة علما بأن هذه البرك خاصة بالوضوء فقط ، اما الاستنجاء فله اماكن اخرى. وقد ازدحم المتوضئون على تلك البرك وكان منظرهم في المسجد نفسه اعظم واجل فقد كاد المسجد على سعته يمتلىء بالمصلين. ومن العادات الغريبة لديهم ان يقف المؤذن قبل الاقامة فيدعو رافعا صوته : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وصحبه ، ثم يقيم الصلاة . وبعد ان صلى امام الجامع بنا صلاة الظهر، وفرغ الناس من التسبيح بعد الصلاة قام الامام ووقف على المحراب ، ودعا بالمغفرة والرضوان وأمن المصلون خلفه . ويدعى امام هذا المسجد الحاج عبد الحي وهو من مقاطعة هرر الاسلامية وقد اخبرنا ان هذا المسجد مع اقنيته الواسعة وما حوله يمتلىء بالمصلين يوم الجمعة وان نفقات صيانته وما يحتاج اليه تصرف من الاملاك الموقوفة عليه من قبل اثرياء المسلمين .

يوم الثلاثاء : ١٣٨٤/٤/٢٤ هـ .
١ /١٩٦٤/٩ م .

في السفارة البريطانية :

ذهبنا الى السفارة السعودية في موضوع الحصول على تأشيرات الدخول الى كينية واوغندة وهو الموضوع

الذي كان قد شغلنا وشغل السفارة السعودية في الخرطوم معنا ، وقد اعتذرت السفارة البريطانية في الخرطوم لانها لا تستطيع منح تأشيرة الدخول الى القطرين المذكورين الا بعد ارسال برقية بالاسماء الى ذينك البلدين ، وبعد الموافقة منهما تمنحنا تأشيرة الدخول،وذلك لعدم وجود ممثليات لهما في الخرطوم وقد أرسلت السفارة البريطانية في الخرطوم برقية بذلك ، ولكن الجواب تأخر فسافرنا من الخرطوم ، وقد ذهبنا اليوم الى السفارة البريطانية في اديس ابابا فذكرت لنا ما ذكرته السفارة البريطانية في الخرطوم وقد طلبوا منا قيمة للبرقية مائة ريال وكان سكرتير القنصلية البريطانية رجلا هنديا هندوسي الديانة وكنا نكلمه بالانكليزية ولكن تبين لنا بعد ذلك انه يجيد العربية ، فسألته قبل ان نودعه اين تعلمت العربية ؟ فقال : في جيبوتي ثم في اديس ابابا . والحقيقة اننا دهشنا لكوننا لم نكن نركب سيارة اجرة ولم نأت في محل عام الا ونجد من يتكلم شيئا من العربية وعندما نسألهم اين تعلموا العربية يجيبون بعضهم من العرب الكثيرين الموجودين في اديس ابابا وبعضهم يقول : ان ذلك لانه قد عمل في اسمرة ، ثم عدنا الى الفندق .

وبعد ان تناولنا طعام الغداء في الفندق حاولنا الخروج ولكن المطر انهمر مدرارا فمنعنا من الخروج ولكننا لم نضع الوقت سدى فقد امضينا ذلك الوقت في الاشتغال بكتابة التقارير والمعلومات التي حصلنا عليها عن احوال المسلمين .

وما زال المطر ينهمر حتى سئمنا استمرار نزوله بعد ان كنا نجد المتعة الكاملة في مشاهدته .

يوم الاربعاء : ١٣٨٤/٤/٢٥ هـ
٢ /١٩٦٤/٩ م

ذهبنا في الصباح مع الاستاذ عبد العزيز فتحي الى سفارة جمهورية مالاوي لمقابلة سفيرها وأخذ تأشيرات دخول الى تلك البلاد وقد استقبلنا في مسكنه الملحق بالسفارة ، ووجدنا فيه مدفأة ترتفع منها ألسنة اللهب المنبعثة من الخشب الجزل فيها لان اليوم في اديس ابابا بارد مع العلم بأنه اليوم الثاني من شهر سبتمبر (ايلول) أي في ايام الحر في الشرق الاوسط ، وكانت غرفة الاستقبال منسقة اجمل تنسيق وتدل على ذوق رفيع ، ويتوسط ارضها فراش من جلود القردة الاستوائية ، البرقاء ، اي التي خالط بياضها سواد ، ثم أمر سكرتير السفارة بمنحنا تأشيرات مجاملة للدخول الى مالاوي غدا .

في طريق امبو :

خرجنا اليوم بعد الظهر الى ضواحي اديس ابابا من الجهة الشمالية الغربية للمدينة ، في طريق يسمى (طريق امبو) وهو طريق مسفلت يتجه الى حدود السودان ، وان كان لا

يصل المسفلت منه الى الحدود . وقد شاهدنا فيه ، ما رأيناه في غيره مـن ضواحي اديس أبابا مـن الخضرة الشاملة ، الا ان السهول هنا اقل ، والجبال الخضر اكثر ارتفاعا والوديان اكثر عمقا،وبعد مسيرة ما يقارب عشرين كيلومترا وصلنا الى بحيرة تسمى بحيرة (قافرسا) وهي التي تمـد اديس أبابا بميـاه الشرب حيـث تكرر ثم ترسل الى البلد وكان المطر ينهمـر انهمارا وقد اخذ الضباب والسحاب المنخفض يجلل بعض الجبال والروابي البعيدة بأردية بيضاء اذا رأيتها وهي صاعدة وهابطة خيل اليـك انها الاردية تنبسط وتنطوي ، ثم ملأ الضباب الجو حتى اضطرت السيارات الـى اضـاءة مصابيحها . وفي الطريق يرى المرء كمـا هي العادة اكواخ المواطنين المبنيـة مـن الاعواد المطليـة بالطين وقد أكلت الميـاه طلاءها الطيني فبدت الاعواد كأضلاع رجل اهزلـه المرض . وبهذه المناسبة يجدر بنا ان نذكر ان معظم مساكن اديس ابابا حتى بيوت الطبقة الغنية مبني باعـواد تـرص باحكام ثم تطلى بالطين او الاسمنت ثم تفرش ارضيتـها بالخشب بعد رفعها عـن الارض قليـلا تفاديـا للرطوبة ، وذلك كله بسبب كثرة الغابات ووفرة الاخشاب حتى مبنى القنصليـة البريطانيـة في قلب دار السفارة البريطانيـة كانت تعلوه قبة مـن الاعواد التي رصت باحكام وعلى نسق جميل ثم طليت مـن الخارج بطلاء من الاسمنت .

يوم الخميس : ١٣٨٤/٤/٢٦ هـ
٣ /١٩٦٤/٩ م

زارنا اليوم في الفندق الاستاذ عبد الرحمن بن ابراهيم التركي القائم بأعمـال السفارة السعودية وكان قد قدم امس مـن جدة عـن طريق الخرطوم وكان يقوم بأعمال السفارة بالنيابة عنـه قبل قدومه الاخ الاستاذ عبد العزيز فتحـي كما سبق ، وقد شـكرنا له زيارته ، ثم انصرف لحضـور اجتماع الهيـئة الزراعية الاقليمية لافريقيـة وهو يحضر كمراقب .

في طريق انطوطو :

ذهبنا بعد الغداء في طريق مسفلت يتجه الى الشمـال الغربي من اديس أبابا حتى وصلنا بعد مسافة تقارب عشرة كيلو مترات الى مكان يسمى انطوطو وهو اعلى نقطـة فيما حـول اديس أبابا ، وهناك شربنا الشاي وشاهدنا بالمنظار المكبر اديس أبابا والمنطقة المحيطة بها ، وكان منظرا رائعا لا يمكن أن يمحى مـن الذاكرة حيث تبدو أديس ابابا غارقة في اشجار الغابات الباسقة وتبدو من خلفها الى جهة الجنوب البحيرات الهادئة الواسعة . اما منظر المكان الذي نحن فيـه فهو لا يختلف عن منظر المنطقة بأسرها الا في شدة عمـق الوديان التي تجري فيها المياه ولكن لا تستطيع مشاهدتها لأن الاشجار الكثيفة تغطي مجاريهـا .

الـى مدينة دردوا :

ذهبنـا الى محطة سكة الحديد في أديس أبابا وهي محطة تابعة لسكة حديد جيبوتي التي تصل بين اديس أبابا في هضبة الحبشة المرتفعة وبين جيبوتي عاصمة الصومـال الفرنسي على خليـج عدن ، وتديرها شركة فرنسية ، وذلك لكي نقطع تذاكـر السفـر الى مدينة دردوا حيـث قررنا ان نزورها ونزور مدينة هرر والمناطق القريبة منها ، وتبعـد مدينة دردوا عـن اديس ابابا مسافة (٤٧٠) كيلو مترا ، أي ما يقل قليـلا عن بعد مكة المكرمة عـن المدينة المنورة ، ولكـن الوسيـلة الوحيدة المتيسرة للسفر اليها هي القطار الذي يسافـر في الساعة الثامنة مساء أي بعد غروب الشمس بساعة ويظل سائرا طول الليـل حتى الساعة التاسعة صباحا فكان هذا يفقدنا متعة مشاهدة مناظـر الطريق ولكـن لا توجد وسيلة غيره عدا (الترينو) التي تسافر نهارا ولكنها لا تسافر الا مرتيـن في الاسبوع . وقد سافـرت امس ولا يمكننا انتظارها ثلاثة ايام اخرى حيث لا يسمح برنامجنـا بذلك .

ركبنـا القطار في الدرجـة الثانية حيث ذكر لنا انها نظيفة وقد وجدناها كذلك ولم يكـن عدد الركاب يمـلأ مقاعد العربات فيها وكانت الاجرة (٢١) دولارا حبشيـا أي ما يعادل (٣٧) ريالا سعوديا تقريبا . وقد ودعنا في المحطـة عدد من اخواننا التجار السعوديين الموجودين في أديس أبابا

واغلبهم مـــن مناطق غامد وزهران فجزاهم الله خيرا .

وقد تجمهـــر عـــند عربتنا قبل مسير القطار عدد من الاثيوبيين الامهريين الاصليين حيث يبدو ذلك واضحــا في اناقة النساء ومناظـــر الرجال الذيـــن تركوا لهم لحى ليست طويـــلة مع عارضين خفيفين مما يميز المحافظين من القـــوم وقد عجبت جدا لأدبهم عنـــد الوداع واللقاء ، حـــيث لا يعرفون رفع اليـــد بالتحية او بالوداع او التلويح بالمناديل كما يفعل سائر الناس وانما يتمثل وداعهم بالانحناء الـــى درجة الركوع حتى النساء المترفات اللاتي ينظرن ان يحييهن الرجال كما يفعل الرجال في الغرب تنحني الواحدة منهـــن للرجل عنـــد اللقاء او الوداع ، بل تركع لوداعه . وفي الوقت الذي كنا نلاحظهم ونلاحظ مراسمهم وعاداتهم في التوديـــع كانوا يختلسون النظرات الينـــا ويشير بعضهم الى بعض ان ينظـــر الينا ونحـــن الأغراب الوحيدون هنـــا الذيـــن لم يألفوا ملابسنـــا العربيـــة الناصعة البياض .

قطعنـــا الليـــل كله حتى الصباح في القطار وقـــد توزعنـــا الكراسي والأرض فافترشنـــا فراشا ونمنا اكثـــر الوقت .

وعندما صحونا قبل طلوع الشمس ، صلينا الفجـــر ثم اخذت المناظر تبدو لنا الآن من نوافذ القطار الزجاجية ، وهي مناظـــر لأراض قد جللتها الاعشاب الصحراويـــة ،

وانتشرت فيــها الاشجار الشوكية الضخمة ، وقد بقي الآن على وصول القطار الى مدينة دردوا حوالي سبعين كيلو مترا والحقيقة انني حين رأيت تلك الأراضي التي جللتها المراعي عجبت كيــف يوجد الفقر وفي امكان الاهالي ان يستغلوا الخيرات الموجودة في ارضهم مــن المراعي في تربية الانعام والمواشي على نطاق اوسع . وكنا بين الفينة والفينة نمــر ببعض القرى الصغيرة التي بنيــت بيوتهــا مــن الطــين وسقفت من الزنك بسقف مسنم ، وهي تكون غالبا من غرفة واحدة كما يبدو من مساحتها الصغيرة .

يــوم الجمعة : ١٣٨٤/٤/٢٧ هـ .
٤ /١٩٦٤/٩ م .

دردوا :

وصلناها في الساعة التاسعة والنصف ومعنى اسمــــها بلغة الجالا (ميدان المبارزة) وكانت محطة القطار والمنطقة التي يفضي بك السير فيها الى البلدة هــي جميلــة حقا ، نظيفة الى حد كبير ، مبانيها مــن الحجارة او الاسمنــــت المسلح ، وقد اقلتنا سيارة اجرة مــن محطة القطار الى فندق كنا قد اخذنا اسمه مــن اديس أبابا . واجرة السيارة الــى الفندق دولار واحد . وكان الفندق نظيفا لولا انه قــد الحق به حانة تخدم فيها فتيات حبشيــات كسائر الحانــات

والمقاصف في الحبشة ، ولكنها منفصلة عن الفندق ، وقد استأجرنا غرفة واسعة بها حوض ماء وخزانة كبيرة وسريران بخمسة دولارات لليلة ،أي ما يساوي ثمانية ريالات ونصف للسرير .

جامع دردوا :

استرحنا قليلا ثم ذهبنا لصلاة الجمعة في جامع (النور) بدردوا ، وكان المسجد غاصا بالمصلين الذين يقدر عددهم بسبعمائة شخص وقد احضر اكثرهم اولاده واطفاله لتعليمهم الذهاب الى المسجد من الصغر واسم امام الجامع عمر احمد سيف وابوه يماني الاصل ، اما امه فهي من اهل البلاد وهو مولود في دردوا .

جولة في دردوا :

خرجنا بعد العصر في جولة في مدينة دردوا ، وقد وجدنا ان جميع بيوتها مكونة من طابق واحد وهي مبنية بالحجارة او المسلح حتى بيوت الفقراء لا تكاد تجد فيها عشة .

وقد وصلنا الى سوق الفواكه والخضار ، وكان جميع الباعة فيه من النساء وغالبا ما تكون الواحدة منهن نصفا مترهلة ، ولم يكن في هذا السوق أي بائع

من الرجال . وكان من بين المعروضات بعض البسر وهو شيء غريب بل معدوم في أديس أبابا على الرغم من أن الوقت هو وقت نضج الثمر وقد سألنا عن قيمة البسر فقالوا انهم يعدونه‌عدا ويبيعونه كل خمس منه بساتني واحد نصف قرش سعودي تقريبا .

وكانت معظم الحوانيت صغيرة والسلع المعروضة فيه قليلة . وقد لاحظنا انا هنا موضوع التقاء الانظار حتى لنظن ان جميع من في البلدة يتحدثون عنا في ليلتهم تلك وذلك لان البلدة ليست كبيرة وحضور رجل اجنبي من جنسنا قليل بل هو نادر .

العربية هي السيدة السائدة :

من الغريب الذي دهشنا له ان اللغة العربية في هذه البلدة هي السائدة وهي اللغة الاولى التي يتكلم بها اهلها حتى النساء والاطفال الصغار وهم يتكلمون بها بفصاحة يخيل اليك اذا سمعتها انك في بلد عربي ، واذكر انني قد وقفت على حانوت لبيع المأكولات الشعبية صاحبته امرأة ، وفيه دقيق لم اعرفه ، فسألتها عن اسمه ؟ فقالت : هو (باقلاء فلم افهم لأول مرة فقالت : هو فول فعجبت لمعرفتها حتى بمرادفات اللغة) . ولا غرو فهذه المدينة من المدن الاسلامية الخالصة في الحبشة وجزء كبير من اهلها يتكونون من عصر صومال . وبعضهم من الجالا ، وبعضهم

من الجاتو أي الفلاحين وكل له لغة خاصة غير مكتوبة وذلك الى جانب عدد لا بأس به من المهاجريـــن العرب واغلبهم من اصل يماني وفيهم بعض الحضرمية . ولذلك فوسيلة التفاهم بينهم هي العربية ، زد على ذلك ان اكثرية اهلها من المسلمين المتمسكيـــن بدينهم وحسب الظاهر الذي استقيناه مـــن كثير ممن قابلناهم ان عدد المسلمين فيها ٨٠٪ . ولكـــن المستقبل ليس للعربيـــة اذا لم يحدث ما ليس بالحسبان لأن الحكومة الحبشيـــة قد الغت تعليم اللغـــة العربيـــة مـــن المدارس الحكومية هنا ، كما حرمت استعمالها حتـــى في دوائـــر القضاء الشرعي . ومع ذلك فان الذي يعرف الأمهرية وهي اللغة الرسميـــة في الحبشة قليـــل مـــن اهل هـــذه البـــلاد .

وقد تجولنـــا في أنحاء عديدة مـــن البلدة ومنهـــا الأحيـــاء الشعبيـــة فأعجبتنـــا نظافة المساكن والازقة .

في مقبـــرة المسلمين :

ويسمونها هنا مجنة ولعلها مـــن الجنة تفاؤلا او لانها تجـــن الموتى أي تسترهم عـــن العيون وهي كبيرة وعادتهم أن يدفنوا فيها في قبور عادية ويلحـــدون الميت لحـــدا ، وتوجد في المقبرة قبة او قبتان ذكروا أنهما بنيتا على ولـــي من الاوليـــاء كما يقولون ، وقد سوّرت المقبرة من تبرعات المسلمين .

سوق القات :

مررنا بسوق مسقف بسقف من الاسمنت المسلح وجميع المعروض فيه نبات واحد ، فسألنا عنه فقيل لنا انه القات ، وقد رأينا الاهالي هنا حتى بعض النساء يأكلونه بنهم ، وقد رأينا بعد ذلك ان خدم المطاعم يأكلونه وهم يباشرون احضار طلبات الزبائن ، ولذلك فقد زال عجبنا من تخصيص سوق للقات . وكثير ما كنت أرثي لبعض المساكين الذين تبدو عليهم مظاهر البؤس والشقاء وقد افترشوا ارض الشارع ، وأخذوا يمضغون قشور القات وعيدانه الدقيقة ، وهم ينظرون الى المارة ببلاهة . والعجيب ان الذين يأتون هنا من أي مكان يتزودون بالقات من هذه المدينة ، مدينة دردوا ، لأن الذي يباع في هذه المدينة من القات في زعمهم من أحسن أنواعه ، وهم لا يرون به بأسا حتى أننا عندما فرغنا من تناول الطعام في أحد المطاعم العربية بادرنا الخادم بقليل من أعواد القات لنستعملها كخلال ، فرفضنا ذلك بطبيعة الحال . وكان هذا مثار عجب الخادم الذي لم يقتنع بما أخبرناه به من مضار القات .

رأينا قبل المغرب مقهى نظيفا ينبعث منه صوت المذياع بلغة لم نعرفها ولكنها ليست أمهرية ، فسألنا أحد الموجودين عنه ، فقال : انه مقهى صومالي ، فشربنا فيه الشاي وقد أعجبنا بروح الصوماليين الذين فتحوا المذياع على

اذاعة جمهورية الصومال وباللغة الصومالية ، مع العلم أن الصومال الآن في حالة تشبه حالة الحرب مع الحبشة . وقد صلينا المغرب في جامع النور ، وهو أكبر جامع في مدينة دردوا ، كما قدمت ، وقد غص بالمصلين قبل غروب الشمس ، ثم تقدم المؤذن فأذن لصلاة المغرب ـ ثم لبث مدة ثلاث دقائق ـ ثم وقف أمام مكبر الصوت الموجود في المسجد وقال بصوت مرتفع : اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحابه أجمعين .. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ... ثم أقام الصلاة . ولما كبَّر الامام تكبيرة الاحرام كبَّر الناس من خلفه بصوت مرتفع لم نألفه ، وكذلك رفع الناس أصواتهم بالتأمين رفعا شديدا وبنغمة جماعية واحدة يمدون أصواتهم بالتأمين حتى تتردد أصداؤه فيما حول المسجد ، ويزيد من ذلك أصوات الصبيان من خلف الصفوف . وعندما فرغ الامام من صلاته استمر مستقبلا القبلة ، ولم يلتفت الى المأمومين برهة طويلة ، ثم التفت اليهم وقال بصوت مرتفع : سبحان الله .. فقالوا كلهم بصوت مرتفع أيضا بعده : سبحان الله .. فسكت قليلا يعد التسبيح على أنامل أصابعه ، ثم قال بصوت مرتفع أيضا : الحمد لله . فتابعوه بصوت مرتفع أيضا .. ثم سكت كالأول ، ثم قال : الله أكبر . فتابعوه أيضا ، فلما فرغ من عدّ التسبيح على أنامله ، قال : لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء

قدير .. اللهم اغفر انا ولوالدينا ولجميع المسلمين .. ثم أخذ يدعو وهم في كل ذلك يتابعونه بشكل جماعي وبصوت مرتفع وعلى نغمة واحدة ، وقد رفعوا أيديهم بالدعاء . والحقيقة أنني تأثرت في مسجد دردوا وأنا أرى المسلمين وهم لا سلطان لهم ولا حول ولا طول ، وقد غص بهم المسجد وأحضروا معهم أولادهم للصلاة وغشيني من التأثر بجلال العبادة ما لا عهد لي به منذ مدة .

مطعم الطاووس :

سألنا عن أحسن المطاعم الاسلامية هنا ، فدلونا على مطعم يسمى : « مطعم الطاووس » ، لصاحبه علي عبد الله الهاشمي ،وهو عربي يمان ،وكان الحديث يدور فيه كمعظم المتاجر والمحلات الاسلامية في هذه البلاد باللغة العربية كما قدمت . وكان المطعم نظيفا والطعام جيدا رخيصا ، وقد تكلف عشاء الواحد منا لوجبة مكونة من اللحم والسلاطة والخضروات ثم القهوة (٩٥) سنتا ، أي ما يساوي ريالين سعوديين الا ثلث تقريبا .

يوم السبت : ١٣٨٤/٤/٢٨ هـ .
٥ /١٩٦٤/٩ م .

جولة على المدارس الاسلامية :

قصدنا مدرسة مكارم الاخلاق ، وقد دخلناها فألفيناها

مدرسة اسلامية عربيـــة ، جميع الدروس فيها باللغة العربية حتى التاريخ يكتبونه بالعربي فقط ، وهي تضم بنين وبنات، يبلغ عددهم حوالي المائتين مـــن أبناء المسلمـــين العـــرب وغيرهـــم .

وقد عجبنـــا حين سألنا عـــن المدير ، فدلونا عليـــه فرحب بنا ، وأطلعنا على بعض الفصول ثم قدمنا الى شخص آخر فقال : انه مدير المدرسة . ثم جاء شخص ثالث فقال : انه المديـــر ، ولما سألناه تفسيرا لذلك ، قال : ان عدد مديري المدرسة ثلاثة ، ونحـــن الثلاثة قد اجتمعنا وأسسنا هـــذه المـــدرسة لكي يجد فيها أطفال المسلمين تعليمـــا اسلاميـــا وقصرناه على روضة الاطفال وأربع سنوات ابتدائية يذهب بعدها الطالب فيلتحق بالمدارس الحكومية بعد أن يكون قد تعلم القرآن الكريم واللغة العربية والـــدروس في مبادىء الدين الاسلامي ، ثم أطلعنـــا على كراسات بعض الطلبـــة وأسمعنـــا تلاوتهم للقرآن الكريم ، فوجدنا مستواهم عاليا جدا بالنسبة الى أعمار الطلبة وامكانات المدرسة ، وفي هذه المدرسة ، عدا مديريها الثلاثة ، خمسة مدرسين علما بـــأن المديريـــن جميعهم يقومون بتدريس الطلبة ، وليس لهم غرفة للادارة خاصة، لضيق بناء المدرسة وسوء حالته ،حتى ليخاف أن يسقط على الطلبة . ولكن الامكانات قليلة وأصحـــاب المدرسة أو المديرون ، كما يسمونهم ، يتقاضون مكافـــأة شهرية مـــن الطلبة قدرها دولاران حبشيان عن كل طالب ،

أي ما يعادل ثلاثة ريالات ونصف سعودية . ويعفون الفقير والعاجز عن الدفع ، كما ذكروا ، وعندما وصلنا الى الفصل النهائي في المدرسة استقبلنا طلابه بنشيد الاستقبال ، بلغة عربية فصيحة وبلحن جميل يغبطون عليه وقلّ في طلابنا من يحسن القاءه باللغة العربية كما يحسنونه .

أهلا بكم زوارنا	أوليتمونا فضلكم
السعد حلّ بدارنا	قلدتمونا عطفكم
والبشر ملء قلوبنا	بزيارة النبل الكرام
والله يكلأ جمعكم	ما لاح نجم في ظلام

وفي الوقت الذي غمرنا السرور لوجود أمثال هذه المدرسة الاسلامية التي تدرّس حتى أطفال الروضة باللغة العربية التي عرفوها في بيوتهم ، فقد أسفنا لضعف امكانات هذه المدرسة وقلة مواردها . ثم ذهبنا الى مدرسة الفلاح الاسلامية ، وقد ألفيناها غاصة بالطلبة بحيث يزيد عددهم عن (٣٥٠) ما بين طفل وطفلة ، وكلهم يتعلمون القرآن الكريم والدين الاسلامي ، وكل الاطفال يحسنون اللغة العربية ويتلقون العلم بها . وقد أمر أحد الاساتذة طلبته بتلاوة بعض آيات من الذكر الحكيم ، فتلوا آيات من أواخر سورة البقرة تلاوة مجودة متقنة بأصوات مؤثرة كنت أغالب الدمع من فرط التأثر بها ، وأنا أستمع الى

تلك الاصوات مـــن ناشئة المسلمين في هذه البلاد . وهذه المدرسة أيضا تقوم على تبرعات المحسنين ومجهود أوليـــاء الاطفال المسلمين .

صورة نادرة :

تعشينا اليوم في مطعم الطاووس ، وقد أجفلت عندما رأيت رجلا يشبه الوحش قد ترك جميع شعر رأسه وشاربه ولحيته ينمو في كل اتجاه ، وقد اسودت ملابسه وتمزقـــت حتى صارت خرقا متناثرة ، وأكبر شيء ظاهر فيه هو عيناه الواسعتان ، فظننت أنه فقير معتوه على شيخوخته فطلبت مـــن خادم المطعم أن يخبرني بالمبلغ الذي يستهلكه حـــتى أدفعه ، وعزمت على أن أطلب له لحما ، لأنه كان يأكل الخبز بقليل مـــن المرق ، فاجابني الخادم : انه يأكل بدون مقابـــل وسألته لماذا ؟ فأجاب : لأنه السيد . انه يعيش في المقابر ولا سكـــن له ولا يمـــلك مالا ، وانه يأتي هنا ليأكل الخبـــــز بالعدس على حساب صاحب المطعم الذي لا يأخذ منه شيئا احتسابا للأجر ، فعدت مرة ثانية أكرر النظر في هذه الصورة التي كثيرا ما قرأت رسمها في كتب التراجم والسير عامة ،وفي كتب تراجم المتصوفة خاصة ، عن الرجال الذيـــن ينقطعون عـــن الدنيـــا ويسكنون المقابر مهملين مظاهرهم ومناظرهم، وكنت ظننت أنه لا يمكن لي أن أشاهدها رأي العين .

وعلى ذكر المطعم فقد نسيـــت أن أدون أن كثيرا مـــن

الفقراء والمتسكعين مــن شباب وشيوخ وعاجزين وقادرين يقفــون عند باب المطعم ثم يغافلون خدمه ويسرعون الــى بقايا الموائد التي يتركها أصحابها فيلتهمونه التهاما أو ينهبونه ويأكلونه خارج المطعم ، واذا رآهم صاحبه كان يطردهــم حرصا على راحة زبائنه ، ولا أدري ماذا كان يصنع بفتــات الموائد ؟ فان خدمه يصيحون بهم ويشتمونهم ويطلبون منهم الابتعاد عــن باب المطعم . والغريب أن كثيرا مــن أولئــك البؤساء تراهم قد استندوا الى جدران المنازل في الشوارع هنا كتنابلة السلطان الذيــن لا ينتقلون مــن الشمس الــى الظل الا بعلقة كمــا يقول المصريون ، وقد أخذ اولئــك البؤساء يقضمون علف القات وهم يحملقون في لا شيء ..! وكثيرا ما يسيل اللعاب الاخضر مــن أحدهم على لحــيته أو بعض ملابسه عند أكل القات ، فيكون له منظر يــدمي القلب ويثير التقزز . فلا حول ولا قوة الا بالله ...

يــوم الاحد : ١٣٨٤/٤/٢٩ هـ .
٦ /١٩٦٤/٩ م .

الــى مدينــة هــرر :

حدثونا عن مدينة هرر قبل أن نصلها بأنها كــانــت عاصمة اسلامية ، وأنجميع أهلها مسلمــون وان كانــوا يتكلمون الهررية ، ويتكلمون معها عربية ضعيفة ، وان ملوك

هرر كانوا يحكمون معظم الحبشة حتى حدود منطقة أديس أبابا ، فشاقنا ذلك ، وحفزنا على العزم على زيارتها ، فذهنا الى محطة الاتوبيس ، وركبنا في مقدمة السيارة التي كانـت قد امتلأت قبل وصولنا ، ولكن امرأة كانت راكبة من قبـل تنازلت لنا عـن كرسيها في السيارة ،وطلبت منا تعويضا عن ذلك، وقد عرفنا بعد ذلك أنها ربما كانت قريبة للسائق وانها كانت تقوم بهذه العملية التي تشبه حجز المقاعد لتكتسب منها ، وقد نقدناها (٢٥) سنتا . وكانت الاجرة للراكـب الواحد دولارا أثيوبيـا واحدا أي ما يساوي ريالين الا ربع ريال سعودي . وقد سارت بنا السيارة ميممة شطر الجنوب الغربي على طريـق ممهد ولكنه غير مسفلت . ومنـاظـر الطريـق عبارة عـن مراع تجلل أكثر الارض ، وجبـال تكسوها الاشجار الصحراوية التي تشبه منطقة جنـوب الطائف بعد الامطار الغزيرة ، وكانت السيارة تصعد أرضـا جبليـة لأن هرر أعلى مـن دردوا وعلى الرغم من أن المسافة بينهمـا (٥١) كيلو مترا ، فان سيارتنا كانت تتوقف بيـن الفينة والاخرى وتمشي رويدا لخلل في محركها مما حمل بعض الركاب على مغادرتها والركـوب في بعض السيارات الاخرى التي كانت موجودة في المحطة ،ثم امتلأت بعـدنا وسبقتنـا . أما نحـن فقد حظينا من ذلك بمنظر رائـع كنا نفقـده لو سارت السيارة مسرعة غير متمهلة لاننا نحب أن نرى كل شيء في الطريق . وقد مررنا بعد أن مضى مـا

يقرب مـن ٣٥ كيلو مترا مـن الطريق ببحيرتين صغيرتـين صافيتين ، وقد رأيت فيهما أسرابا من الطيور المائيـة مـن الغرانيـق والبط البري والانواع الاخرى . وقد تجمـع أكثرها في اسراب تبلغ لا العشرات بل المئـات .. ومنها أن سربا متجـمعا مـن البط البري الاسـود على شاطـىء البحيرة يقـدر عـدده بـ (٥٠٠) قد تجمـع في مكـان لا يزيد على (٥٠) مترا مربعا بحيث لو أطلق الصياد عليـه بندقيته لما وقع رصاصها في فراغ . وكان بعض الاهالي من الرعاة وغيرهم قد أوردوا ماشيتهم الماء وجلسوا حول البحيرة وأخذوا يسبحون في مائها والطيور الثمينة عنهم رمية عصا . ولا شك أنه لو رماها أحد بعصا لاصطاد عددا منها . وقـد عرفت بعد ذلك أن الناس هنا لم يتعودوا أكل هذه الطيور ، وبالتالي لا يحاولون صيدها حتى لو وقعت في أيديهـم ، فعجبت مـن ذلك ، وقلت : ماذا لو حضر أحد الصياديـن من بلادنا وترك مطلق التصرف يصيد ما يشاء كما يشاء من هذه الطيور ؟! وبعد مسيرة حوالي سبعة كيلو مترات مـن آخر البحيرتين مـن ناحية هرر وصلنا الى قرية صغيرة رأيت أحد الفلاحين وهو يذود طيورا كبيرة لم أتبينها لبعد المسافة وأغلب الظن أنها لا تؤكل ، يذودها عن زرعه بحذفها بالحصا لئلا تأكل منـه ..وقد مررنا قبل الوصول الى هرر بمسافة ٧ كيلو مترات بقرية تدعى (هرمايا) وهي تتكون مـن عدد مـن البيـوت الطينية المسقفة بالزنك ، وبعض العشـش

المسقفة بالزنك أيضا ، وقد شاهدنا بعض النسوة من سكانها خارج بيوتهن الصغيرة يغسلن ملابسهن أو يسعين في حوائجهن على قارعة الطريق ، وهي تقع في مكان جميل تظلل الطريق العام فيه أشجار باسقة بعضها من اشجار الكافور السامقة .

مدينة هرر :

دخلنا هرر ـ ومعناها باللغة الهررية ـ أرض الخير ، وكان مدخلها جميلا اذ يخترق الطريق فيه بيوت ذوي اليسار وبعض الدوائر الحكومية ، فبدت من خلاله لأول وهلة جميلة اذ أن هذه البنايات الجميلة تقع في أراض خضراء تظللها أشجار عالية . وما أن توقفت بنا السيارة في الميدان الرئيسي في البلدة ، وهو ميدان صغير يقع في الجهة الجنوبية من كنيسة ضخمة محاطة بحديقة ، وكانت تلك الكنيسة قبل ذلك مسجدا من أعظم مساجد المسلمين حولت الى كنيسة كما قيل لنا . وقد ابتدرنا عدد من الحمالين والمتسكعين المتفرغين فأحاطوا بنا احاطة السوار بالمعصم ، وتكلم أحدهم فقال بلغة عربية واضحة : (خلوني احمل متاعكم وأذهب بكم لبيت مقبل محمد) ، وكنا لم نوفق من قبل الى معرفة أي فندق أو مكان نسكن فيه في هرر كما كنا نفعل في المدينة الأخرى ، لذلك فرحنا حينما قال : انه يعرف فندقا للعرب ، فحمل حقائبنا ،

وأوصلنا الى مطعم قذر ترتفع عليه لافتة مكتوب عليها بالعربية بخط رديء على لوح حديدي صدىء (هتيل مقبل محمد) وقد جلس أمام مكتب المدخل شيخ باهت اللون ، قد تغضن وجهه ، وانتفخ ما تحت عينيه ، وبجانبه شخص آخر يبدو شاخص البصر وهما يأكلان القات بنهم فأمر الشيخ الحمال أن يترك الحقيبة وأعطاه خمسة وعشرين سنتيما أي ما يساوي (٨) قروش سعودية لأن الحمل على حسابنا فانحنى الحمال ورفع لنا يده بالتحية شاكرا لنا ذلك المبلغ الضخم في نظره ثم سألنا صاحب (الهتيل) كما كتب عليه : من أين انتم ؟ فقلنا :من السعوديه. فقال انا عندي الخبر بما يصلح لكم . يا فلان وديهم ، فحمل لنا الحقيبة حامل آخر وتقدمنا الرجل وقال : انتم تريدون مكانا تستريحون فيه يكون نظيفا ومناسبا لكم ولو كان غاليا .

البيت الذي ولد فيه الامبراطور :

ثم دخل بنا بناء كبيرا قد تهدم جانب منه وقال : هذا البيت هو البيت الذي ولد فيه الامبراطور هيلاسيلاسي ، لأن أباه كان واليا على هرر من قبل الامبراطور منليك في ذلك الوقت . ثم طلب من صاحب الفندق وهو حبشي مسيحي أن ينزلنا منزلا نظيفا ، فتقدمنا هذا الى الطابق العلوي حيث صعدنا سلما خشبيا واقفا افضى بنا الى

غرفتين صغيرتين نظيفتين ، وجميع أرضيهما والشرفة التي حولهما من الخشب ، وقد سألناه عن الاجرة فقال : دولار ونصف لكل سرير أي ما يساوي ثلاثة ريالات وربع . فقلنا لا بأس ، ولكن اين الحمام ؟ فقال : انه اسفل وتستطيعون في النهار أن تنزلوا ، اما في الليل فنأتي لكم بقصريات !!.. لم نكن نريد أن نقضي في هرر الا ليلة واحدة ولا نعرف نزلا غير هذا وهو قريب من قلب البلد فلننزل فيه و (ليلة يا مكاري) كما يقول المثل .

نظرنا من الشرفة الخشبية التي تحيط بمنزلنا الى مدينة هرر وما حولها بالمنظار المكبر فوجدناها تقع فيما يشبه الوادي بين جبلين وقد غطت جميع ما حولها الخضرة . وقد رأينا الاشجار الباسقة تكسو الجبال ، ومن طريف ما حدث لنا ونحن نستجلي معالم مدينة هرر وما حولها أن سمعنا احدى نساء الجيران وهي تكيل لنا الشتائم ظنا منها اننا انما تتطلع لننظر الى النساء ، وقد سرّنا ان تبلغ المحافظة بالنساء المسلمات الى هذا الحد ، وأسرعنا نعود الى داخل الغرفة . وكان الهواء باردا بحيث اضطررنا أن نغلق النوافذ ونحن في الظهر . فاسترحنا قليلا ، ثم خرجنا نتجول في الجزء القديم من مدينة هرر وهي بكثرة مساجدها ومظاهر اهلها تشعرك انك في بلد اسلامي قديم . ويكفي أن تعرف أن اسماء أبوابها الخمسة الرئيسية هي : باب الفتوح ، باب السلام ، باب الرحمة ، باب الحاكم ، باب

النصر ، وهي تشعر بحالة الجهاد التي كان عليها سلطان وسكان هرر في السابق .

مناظر مؤلمة :

اليوم هو الاحد العطلة الاسبوعية في الحبشة ، ولذلك فان معظم الحوانيت الكبيرة مغلقة . ومع ذلك فقد دخلنا اسواق هرر القديمة ، وقد آلمنا جدا كثرة من شاهدناه من المعتوهين الذين فقدوا قواهم العقلية أو فقدوا بعضها ، ومن الزَّمنَى والمجذومين الذي اتلف الجذام جزءا او اجزاء من ايديهم او ارجلهم . وقد تبعنا بعضهم، واخذ بعضهم عند رؤيتنا يصيح ويهتز ليستجدي القليل لانه لا يستطيع أن يتابعنا ، وقد افترش معظمهم الارض، وبعضهم اخضرت شفتاه من اكل القات ، اما مناظر الفقر وانحطاط المستوى الصحي وخاصة بين الاطفال فشيء لم أشاهد مثله في أي مكان في الحبشة او غيرها . وقد بدت البلدة القديمة بالمناظر المذكورة ، وبالاهمال الواضح على كل شيء فيها تذكر المرء بمنظر مدينة مغلوبة في ايام خوال لم تطرق فيها المدنية الحديثة ابواب الشرق المتخلف في الشؤون المادية .

وقد مررنا في تجوالنا بالمستشفى الحكومي وعلى بعد حوالي ١٠ أمتار من بابه كان يجلس ستة من الزمنى يتوسطهم مجذوم شوّه الجذام يديه ورجليه ، يحيط به

الآخرون الذيــن يدل مظهرهم على عدم الاتزان العقلي ،ولم نستطع ان نكثر من الصدقة هنا لكثرة الــذين يطلبو نهـــا والذين كانوا يتابعوننا فلا يتركون لنا حرية التجوال .

في مسجد الخضر :

وقد حان وقت المغرب فدخلنا مسجدا صغيرا سألنــا عــن اسمه فأجاب شيخ كان قد حضر للصلاة قبل غــروب الشمس بأن المسجد يسمى مسجد الخضر لأنه لا يعرف بانيه على وجه التحقيق فظــن أن الذي بناه هو الخضر عليـــه السلام كذا قال . وقد عجبنا حــين وجدنا المصاحف وأجزاء القرآن الكريــم فيه جميعها مكتوبة بخط اليــد جميــل ، وكأن هذا المسجد لم يعرف باختراع الطباعة ، اذ لا يوجد فيه مصاحف مطبوعة . وقد سألنا ذلك الرجل عــن اسم امام المسجــد فقال ان الذي سيصلي بنا الآن هو احد عضوي محكمة الاستئناف الشرعيــة في اديس أبابا ، وقد حضر الى هرر في اجازة لأنه من أهلها . ولما دخل الشيــخ قدّمنا اليه صاحبنا فسلمنــا عليــه ، فمــد الينا اطراف يده على حذر وتخوف ، ولم يسألنا عن حالنا ، ولا مــن أي بلد قدمنــا ، ثم صلّى بالناس صلاة خفيفة خالية مــن الاذكار والادعية الجمــاعية قبل الصلاة وبعدها التي اعتاد مسلمو الحبشة فعلهــا في اكثر المساجد .

خرجنــا مــن المسجد وتجولنــا في الشارع النظيف

من البلدة ، وفي مخيَّلتنا صور مفزعة من تلك المناظر التي رأيناها في الجزء القديم من المدينة للزمنى والمجذومين والفقراء المتربين ، ولم تستطع حوانيت الشارع النظيفة في هذا الجزء من المدينة الذي يسمونه الجزء الافرنجي منها ، لم تستطع أن تمحو تلك الصور ، حتى لقد رأى احد صاحبيّ في منامه غولاً كما أصاب الآخر كابوس مفزع في تلك الليلة من أثر المناظر السيئة التي رأيناها في تلك البلدة التي كنا نؤمل أن نراها على خير حال ، لانها كانت عاصمة اسلامية في السابق ويقول بعض اهلها : ان هناك سياسة مرسومة لاهمالها واذلالها . ولولا لطف عاملي الفندق ومعاملتهما الطيبة لنا لكانت حالتنا النفسية أسوأ.
وكنت قد مررت وقت العصر بالمطعم الوحيد النظيف كما يزعمون وهو الذي يملكه الرجل العربي مقبل محمد فرأيت في داخله الطباخين والمناولين بملابسهم القذرة ، وأدواتهم التي علاها الصدأ ، والماء الذي يجلب الى الفندق بالصفيحة ويسكب في برميل من الحديد صدىء يغمس فيه الخدم والآكلون في المطعم أيديهم الى المرافق ، فتقززت نفسي ، وعزفت عن الطعام ، وعزمت على أن اعيش على البسكويت في هرر ما بقيت فيها . وقد قيل لنا ان هناك مطعماً نظيفاً للايطاليين ولكنه يشتمل على بار فلم أشأ دخوله لأن المسلمين في الحبشة لا يجيزون عرفا للمسلمين دخول مطاعم المسيحيين . وزادت بي الحالة النفسية سوءاً

عندما طلبت من الخادم أن يشتري شيئا من البسكويت فأحضر اليّ بسكويتا ما أن رأيته حتى رأيت مكتوبا عليه عبارة (صنع في اسرائيل) وتلك أول مرة ارى فيها شيئا من منتجات اليهود . فعافت نفسي حتى ذلك البسكويت .

يوم الاثنين : ١٣٨٤/٥/١ هـ .
٧/٩/١٩٦٤ م .

هل نحن مغامرون حقا ... ؟

تقع منطقة هرر ضمن منطقة الثورة التي اشعلها اخواننا الصوماليون للتخلص من نير الحكم الحبشي هنا ، تماما كما تقع مدينة اغردات في ارتيرية ضمن منطقة الثورة التي يقوم بها الارتيريون هناك ، الا أن في هذه المنطقة ، أي منطقة هرر ، يوجد عامل له أهمية عظمى في الموضوع ، وهو كون منطقة هرر تقع على الحدود مع جمهورية الصومال التي تمد الثوار بما يحتاجون اليه من مساعدات ، وذلك لأن منطقة هرر ذاتها تعتبر أراض صومالية لانها يقطنها مسلمون أغلبهم من الجنس الصومالي . وكانت عاصمة سلطنة اسلامية عظيمة كانت على طول القرون تكافح الاحباش وتنتصر عليهم في اكثر المواقع . الا ان النوم الطويل الذي ران على بلاد المسلمين ، والخرافات التي دخلت في دينهم وغزت افكارهم ،قد مهدا لضعفهم وبالتالي لاستيلاء اعدائهم

عليهم ، وعندما أردنا السفر الى هرر سألنا كما هي عادتنا عن الشخصيات الاسلامية التي يمكن أن يركن اليها في المساعدة على التعرف على المدارس والجهات الاسلامية هناك ، فأخذنا بعضها ، ولكننا حذرنا من الاتصال بهم علانية لئلا يفضي ذلك الى ايذائهم من قبل الحكومة الحبشية .

وهكذا أرسلنا زميلنا الشيخ عمر محمد منفردا متنكرا الى حانوت احد المسلمين المذكورين ، وكان قد اخبر بنا قبل قدومنا فأرسل يقول لصاحبنا أنه لا يستطيع التحدث اليه الا بعد المغرب وان موعده المسجد ثم ذهب وتركه .

وفي وقت صلاة العشاء الليلة البارحة التي التقى به وقال له : انكم حقا مغامرون كيف تأتون الى هرر وأنتم تعرفون أنها منطقة ثورة او قل مسرح حرب ، ولا شك انكم رأيتم التحركات العسكرية وافراد الجنود والسيارات والمصفحات الحبشية ، فقال له زميلنا : لقد رأينا ذلك ولكن الرغبة في الاطلاع على أحوال المسلمين والاتصال بزعمائهم ومساعدة الهيئات الاسلامية هي التي حملتنا على ذلك .

ثم قال له زميلنا : اننا على استعداد لكي ندفع بعض المساعدات المادية من الجامعة الاسلامية للمدارس الاسلامية هنا في هرر فقال : اننا لا نستطيع أخذ شيء من ذلك ولن تستطيع ان تجد من يقدر على ذلك مع الحاجة الماسة

اليه ، لأن أية شبهة في مثل هذه الظروف معناها الكارثة على الجميـع .

وهكذالم نستطع بذل أية مساعدة مادية في هرر .

منظـر مؤلم :

رأينـا اليوم طابورا مـن الرجال الذين يظهر عليهم علامات البؤس والشقاء ، يصحبهم جنود مدججون بالسلاح، وهم أي الرجال يرسفون في القيود ، ولما استوضحنا الامـر عرفنـا ان هؤلاء مـن السجناء الذيـن معظمهم من المتهمين بالاشتراك في الثورة ضد الحكومة الحبشية . وذكر لنا انهم يخرجون من السجن في اليوم مرتين صباحا ومساء الى خارج مدينة هرر ليقضوا حاجاتهم ، لأنـه لا يوجد في المكـان الذي يقيمون فيه دورات ميـاه أو محلات لقضاء الحاجة . أمر فظيـع لم نكـن نتصور أنه يوجد في هذا العصر .

العودة الي دردوا :

عدنا بالحافلة « الاوتوبيس » ادراجنا الى مدينة دردوا ونحـن في أشد حالات الحزن والأسى لما شاهدناه في مدينة هرر ، ارض الخير ، وعاصمة الامبراطورية الاسلامية السابقة والتي كان يضمها بعض مؤرخي العرب الى بلاد الزيلع التي اخرجت عددا عديدا مـن علماء المسلمين وفقهائهم .

يوم الثلاثاء : ١٣٨٤٥/٥/٢ هـ.
١٩٦٤/٩/٨م.

المساجد في دردوا :

مدينة دردوا تعتبر مدينة اسلامية كما قدمت ، ولذلك فالمساجد فيها كثيرة كثرتها في أي بلد اسلامي في الشرق الاوسط ، واكبر مساجدها جامع انور وامامه عمر احمد ويتسع لحوالي ٤٥٠٠ مصل . ثم مسجد العيد وامامه يسمى الحاج صالح احمد الحراجي يتسع لحوالي الف مصل . وقد ساعدت الحكومة الايطالية على بنائه ابان حكمها للبلاد . وهناك مسجد الاوسط ومسجد الشيخ عيسى ومسجد الشيخ عبد القادر ومسجد الزيلعي ومسجد السرور الخ ... وقد زرنا تلك المساجد وتفقدناها وقدمنا بعض التبرعات بعضها لصرفها على مصالحها .

يوم الاربعاء : ٦ /٥/١٣٨٤ هـ .
٩ /٩/١٩٦٤ م .

العودة الى اديس ابابا :

رجعنا الى اديس ابابا بطائرة داكوتا تابعة لشركة الخطوط الجوية الاثيوبية ، وقد شعرنا الآن اننا بدأنا

نسترعي انتباه الشرطة الحبشية ، فقد استجوبنا شرطي المطار مع اننا كنا قادمين من رحلة داخلية .

وقد عدنا الى سكنى الفندق السابق أي فندق اتيبي .

وعندما خرجنا قبل المغرب من الفندق لم نشعر الا بشخص قد اوقفنا في الشارع وبادر بالترحيب بنا كأنه يعرفنا وقال : لا شك انني قد التقيت بكم سابقا ، فقلنا : في أي مكان ؟ قال : لا أدري ، ولكنني متأكد من ملاقاتكم ، ثم أخذ يوجه لنا بطريقة الخبير المدرب اسئلة دقيقة عن هويتنا، ومجيئنا الى هذه البلاد ومتى نسافر ، ولما لم نجبه على جميع اسئلته عرض علينا ان يضع سيارته تحت تصرفنا ثم تركنا .

وعندما عدنا الى الفندق تدارسنا الامر فاستنتجنا ان المذكور من رجال المباحث وانه لذلك لا يمكن لنا ان تتصل بأحد من زعماء المسلمين الا وخشينا عليه الاذى فيحصل له ضد المقصود من زيارتنا وهو النفع لا الضرر .

يقتحم الغرفة :

وبعد العشاء وكنا نتحدث في الفندق لم نشعر الا بباب الغرفةقد فتح واذا برجل المباحث الذي كان قد اوقفنا في الشارع يدخل بدون استئذان وهو يتكلم العربية بطلاقة ثم يبدأ تحقيقه معنا بطريقة العارف المتمرس بهذه الامور. ولا ندري كيف عرف اننا نسكن في هذا الفندق اذا لم يكن من

المباحث ، وبعد حوالي الساعة تركنا ونحن نكاد تتيقن الآن انه مباحثي ، وهكذا عزمنا على سرعة مغـادرة الحبشة . وأخذنا اوراقنا التي فيهـا مذكراتنا وملاحظاتنا الى مكان آخـر .

يوم الخميس : ٧ /٥/١٣٨٤ هـ .
١٠/٩/١٩٦٤ .

حصلنا من السفـارة البريطانية في أديس ابابا عـلى تأشيرات دخول الى كينية وتنجانيقة واوغندة حيث وجدنا ان الموافقة من حكومات تلك الدول قد وردت الى السفارة البريطانية وهكذا حلت مشكلة كانت من قبل قائمة، فأزمعنا الاسراع في مغادرة الحبشة. وذهبنا فورا الى شركة الخطوط الجوية الاثيوبية وحجزنا اماكننا للسفر الى نيروبي غـدا الجمعة ، ونحن لم نستكمل كل ما نريده في الحبشة ، خاصة وان يوم غد الجمعة هو عيد رأس السنة الحبشية وهي سنة قمرية ، ويقولون ان الاحباش في هذا العيد يكثرون مـن شرب الخمور الى حد السكر الشديد علنا ، وان اهم مـا يتميز به عيدهم الى جانب ذلك ذبح الذبائح ابتداء من عدة بقرات عن الشخص الواحد الى بقرة واحدة فما دون حتى دجاجة واحدة لمن لا يستطيع ذبح اكثر من ذلك . وقد قيل لنا : ان من التقاليد الشائعة عندهم في هذا العيد بالذات

أنهم يأكلون اللحم نيئا أي غير مطبوخ او مشوي .

اللغـــة الامهرية :

لا يستطيع من يزور الحبشة الا انيلاحظ الشبه الكثير بينها وبين اللغة العربية لولا ان الاحباش يخرجون الكلمات بطريقة غير واضحة فلا تبدو قرابتها او مماثلتها للغة العربية سافرة للرجل العادي تماما كاللغة التركية التي تزخر بمئات بل آلاف الكلمات العربية . ولكن المستمع العادي لا يتبينها واضحة في كلام الاتراك العاديين بسبب طريقة نطقهم بهــا خلاف ما عليــه النطق بالنسبة للغة الفارسيــة والأردية او السواحليــة حيث تبدو الكلمات العربيــة او ذات الاصل العربي واضحة للمستمع .

هذا وقد انتهزت فرصة وجودي في الحبشة فسجلت طائفة كبيرة من الكلمات في اللغة الامهرية وهي موجودة في العربية ولكنها ضاعت مني مع الاسف ولم يبــق لدي الا مقارنة الاعداد بين العربية والامهرية .

علما بأن اللغة الامهرية وهي اللغة الرسمية في البلاد لا يفهمها فضلا عن أن يتكلم بها الا أقلية مــن المواطنين وفي مقاطعات محدودة مثل مقاطعة شوع التي تقــع ضمنهـــا العاصمة «اديس ابابا» ومقاطعة «ديسي»وفي بعض المقاطعات تكون مجهولة للناس تماما .

ويمكن القول بحق أن عدد الذين يفهمون اللغة العربية فيما يسمى الآن بامبراطورية اثيوبيا اكثر من عدد الذين يفهمون اللغة الامهرية فيها .

وهناك اللغة الامهرية القديمة وهي لغة الكنيسة والطقوس الدينية وهذه اقرب بكثير جدا الى العربية، فمثلا الامبراطور الحالي هيلاسلاسي يسمى بهذا الاسم بعد أن انتصر في موقعة من المواقع على المسلمين في منطقة هرر ويعني اسمه (القوة الثلاثية) وتحليله : ان كلمة (هيل) معناها قوة : وهي كذلك بالعربية الفصحى . ففيها ذكر علماء اللغة انه يقال (لا حول ولا قوة الا بالله ، ولا حيل ولا قوة الا بالله) سواء في المعنى . حتى في اللغة العامية النجدية لا يعرفون لمعنى قوة شديدة الا كلمة «حيل» . ومنه قولهم : «بالحيل» أي بالقوة الكبيرة . وسلاسي ثلاثين او ثلاثة أخذوا معنى اسمه من دياتنهم التي تقول بالتثليث أي الاب والابن وروح القدس وكلمة اديس ابابا معناها الزهرة الجديدة وحديث بمعنى جديد .

ولا غرو فاللغة الامهرية احدى اللغات السامية شقيقات اللغة العربية .

وهذه مقارنة الاعداد بالعربية والامهرية ومنه يظهر القرب الشديد بين اللغتين :

العربيـة	الامهريـة
واحـد	انـد
اثنين	هولت
ثلاثة	سوست
اربعة	ارات
خمسة	آمست
ستة	سدست
سبعة	سبات
ثمانية	سمنت
تسعة	وطي
عشرة	أسر
ثلاثين	ثلاثة
اربعين	اربا
خمسين	همسا
ستين	سدسا
سبعين	سبآ
ثمانين	شمانيا
تسعين	زاتانا
مائة	سوتو
الف	شي



حالة المسلمين في الحبشة

وصلنا الى اديس ابابا العاصمة قادمين اليها من ارتيرية ولذلك اعتبرت رحلتنا داخليـــة فلم تعرف هويتها ، ولــم يلاحظ غرضها عند قدومنا فيما يبدو ، وتمكنا بذلك من ان تتصل ببعض كبار المسلمين في العاصمة وكانوا يقابلوننـــا بحذر شديد وعلى وجل عظيم وقد تم لقاؤنا ببعضهم بوساطة الاستاذ عبـــد العزيز فتحي اما بعضهم فبعـــد ان وعـــدوا بالاجتماع بنا فيمكان ما عادوا فعدلوا عن وعدهم واعتذروا بعدم تمكنهم من ذلك .

كما قمنـــا بالاتصـــال ببعض المسلمـــين والمؤسسات الاسلامية وبخاصة العلماء في منطقتي (دردوا) و(هرر) وكان اللقاء يتم خلسة ايضا وفي محل يظهر المقابلة كأنها عاديـــة وبمحض الصدفة ولم يجرؤ أحد منهـــم عـــلى ان يزورنا في الفندق ،وفي (هرر) خاصة حيثالثورة تعم الحدود الصومالية القريبة من تلك المنطقة كان الارهاب على المسلمين شديدا ، وكان محذر على المسلمين الاتصال بأي شخص اجنبي .وقد زارتالبعثة الىجانبمنطقة العاصمةومنطقتي (دردوا)و(هرر) الاجزاء القريبة من منطقة (عروس) الاسلامية وكانت تنوي زيارة باقي المناطق ، الا انها شعرت ان المخابرات الاثيوبية قد فطنت لها فخشيت ان ينكشف امرها فيلحق الضرر بمن تتصل بهم من الشخصيات الاسلامية فاكتفت بما رأته معتقدة انها استطاعت الحصول على صورة لا بأس بها عن حالـــة المسلمين هناك .

ولم تقم البعثة بالقاء اية محاضرات او خطب للسبب السابــق .

عدد المسلمين في الحبشة :

ليس هناك احصاء رسمي موثوق به يوضح عـــدد المسلمين في الحبشة لان من دأب الحكومة الحبشية التقليل من عدد المسلمين والمعتقد ان نسبة المسلمين في جميع الحبشة تتراوح بين ٦٠ و٦٥٪ علما بأن العــدد التقريبي لسكان الحبشة يبلغ اربعة عشر مليونا ويكثر المسلمون في منــاطق هرر ودردوا وجما وعروس ودسي ودوى .

الاقتــراحـــات :

تقترح البعثة بالنسبة الى الحبشة مثل ما سبق اقتراحه بالنسبة الى اريترية وتزيد على ذلك اقتراحها بأن يعين ملحق في السفارات الاسلامية بأديس ابابا يوكل اليه كل ما يتعلق بالشؤون الاسلامية ومساعدة المسلمين ثقافيا واجتماعيا ومن الضروري ان يكون متصفا باللباقة والحصافة وحسن التقدير للامور وذلك حتى يمكنه ان يقدم المساعدة الفعالة المستمرة بدون ان ينغمس في الشؤون السياسية .

هذا ولم تقم البعثة بالاتصال بأية جمعية او هيئـــة اسلامية حين ذكر لها انه لا توجد جمعية او هيئة اسلامية علنية في الحبشة الا من كان ذا علاقــة بالحكومة الحبشة

وتخشى البعثة من التحدث معه والاتصال به ، كما انها لم تجد شخصيات اسلامية بارزة تقوم بالدعوة الى الله علنا ويمكن مساعدتها في الاماكن التي زارتها ولا توجد الا في القرى والارياف المنعزلة التي لم تستطع البعثة زيارتها ولذلك فقد قصرت مساعدتها على بعض المدارس والكتاتيب الاسلامية القليلة التي زارتها واطلعت على نشاطها وتقترح مواصلة تقديم المساعدة في المستقبل لها ومنها :

مدرسة الفتح الاسلامية في العاصمة اديس ابابا ويديرها الشيخ احمد حامد عون وهو يماني الجنسية وتضم (٣٧٠) طالبا وطالبة كان معظمهم من ابناء العرب المقيمين في أديس ابابا حيث كانت الجالية العربية هي التي تقوم على المدرسة المذكورة ، اما الآن فان نصف طلبتها من العرب المقيمين في أديس ابابا والنصف الآخر من مسلمي البلاد ويتولى التدريس فيها أربعة مدرسين فقط . وقد قدمت لها البعثة مساعدةمالية رمزيةباسم الجامعةالاسلاميةوقدرها مائة جنيه استرليني اودعتها احد الشخصيات الاسلامية الموثوق بها لتدفعها للمدرسة على شكل اقساط شهرية تساعد على دفع رواتب المدرسين ، كما قامت البعثة بالتبرع لتبييض بناء المدرسة حيث انه يحتاج الى تبييض ووكلت الى السفارة الاشراف على ذلك . كما خصصت لها عددا من المصاحف والاجزاء القرآنية الكريمة واتفقت مع مديرها الذي هو في الوقت نفسه امام جامع النور الذي كان يسمى جامع (صفر

بنين) سابقا على انشاء مكتبة اسلامية في الجامع يكون نواتها ما تخصصه البعثة من الكتب الدينية التي وصلت الى المسجد فيما بعد .

المساجد في الحبشة :

تنتشر الجوامع والمساجد في الحبشة وخاصة في المناطق الاسلامية بشكل واسع ويؤدي المسلمون العبادة فيها بحرية كما يمكن للخطيب ان يخطب يوم الجمعة خطبا دينية محضة لا تتصل بالسياسة الا في القرى والارياف حيث يمكن لامام المسجد انيعظ ويرشد بحرية اكثر كما يوجد بعض المدرسين في المساجد والكتاتيب لتعليم القرآن للصبيان في المناطق البعيدة ، ويتحاشى الجميع ان يتلفظوا بشيء قد يثير في نفوس المسلمين الحماس لدينهم او ينبههم على ما ينبغي ان يفعلوه لرفع مستواهم وذلك لئلا يساء تفسيره من قبل الحكومة الحبشية[1] . وفي المناطق غير الاسلامية مثل منطقة اديس ابابا العاصمة التي تعتبر داخلة ضمن منطقة شوع التي هي منطقة مسيحية فان المساجد قليلة لا تفي بحاجة

---

١ ـ كما حدث لاحد مشائخ المسلمين الذي كان يفسر القرآن في درسه فلما وصل الى قوله تعالى : ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى ، الآية . وفسرها المسؤولون في الحبشة ان عمله هذا من باب سب الاديان واثارة النعرات الدينية فاستجوب وحبس ثم نفي عن تلك المقاطعة .

المسلمين الاثيوبيين الذين قدموا مـن المناطق الاسلاميـة واقاموا في العاصمة ، والمسلمين من الجالية العربية وغيرهـا حيث لا يوجد في العاصمة اكثر من مسجدين كبيرين هما الجامع الانور وجامع النور والاول مسجد كبير فخم ولكنه يحتاج الى فراش ، اما الثاني فهو متوسط السعة ويحتاج ايضا الى فرش واثاث علما بأن لمظهر المسجد اهمية في هـذا الوسط الذي قد يغتر بعض الناس فيه بالمظاهر،وقد سر البعثة ان علمت ان الرابطة الاسلامية في مكة المكرمة قد رصدت مبلغا لفرش المسجدين الا ان المبلغ المذكور لم يستلم حتى الآن بسبب خشية امامي المسجدين من ظهورهما بمظهـر الذي يأخذ الاعانات من دولة اسلامية اجنبية فيجر عليهما ضررا لا يستطيعان تحمله ، وحبذا لو بني في العاصمة اديس ابابا مسجد كبير على طراز حديث وذو مظهر جميل والمعتقد ان الحكومة الحبشية لا تمانع في ذلك لانه يظهرها بمظهر الحكومة التي تحترم اديان الآخرين وليس لبنـاء المسجد مفعول من الناحية السياسية وقد قدمت بعثتنا مبلغا من المال لغرض شراء فراش لبعض المساجـد ، كما اعـدت قائمة بمجموعة من الكتب الدينية واتفقت مع بعض أئمة المساجد على ان تكون نواة لمكتبة اسلامية عربية فيـها .

النشاط المعـادي للاسلام :

الى جانب ركود النشاط الاسلامي في الحبشة كمـا

سبق فانه يوجد نشاط عظيم للتبشير المسيحي ، ولا غرو فان الحبشة تعتبر كما يقول الامبراطور هيلاسيلاسي (جزيرة مسيحية في محيط اسلامي) ويوجه هذا النشاط المسيحي الهائل الى داخل الحبشة والى المناطق الافريقية الاخرى القريبة منها وخاصة لتنصير الوثنيين من الافريقيين . اما بالنسبة للمسلمين فلم يحرز النشاط التبشيري في ردهم عن دينهم الا نجاحا جزئيا حيث استطاع تغيير دين بعض اطفال المسلمين الذين رباهم فيملاجئه حتى اصبح يوجد مع الاسف بعض العائلات التي بعض افرادها مسلمون وبعضهم مسيحيون .

ونظرة سريعة الى الارقام التالية تبين حجم هذا النشاط المسيحي وامكانياته العظيمة .

يبلغ عدد المدارس التبشيرية اكثر من مائة مدرسة تابعة لكل من الولايات المتحدة وايطالية واسبانية والبرتغال والسويد والنرويج وفرنسة وبريطانية والمانية . ويبلغ عدد مدارس الكنيسة الحبشية (٩٦) مدرسة كما يزيد عدد المدرسين في المدارس المسيحية كلها في الحبشة على ثلاثة آلاف مدرس معظمهم من القساوسة والرهبان . وتتدفق المساعدات المالية على المدارس المسيحية من خارج الحبشة كما تملك الكنيسة الحبشية اقطاعيات كبيرة واملاكا واسعة في داخل الحبشة . هذا الى ان المدارس الحكومية تعتبر في

واقعها مدارس تبشيرية اذ تدرس الديانة المسيحية فيها بشكل واسع .

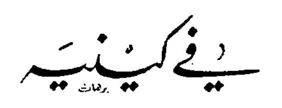
والى جانب النشاط التبشيري المذكور يوجد نشاط صهيوني معاد للاسلام بطبيعته وخاصة في الميدان الثقافي والاقتصادي حيث يوجد عدد كبير من الطلبة الاحباش يتلقون علومهم في فلسطين المحتلة التي تخصص لهم المنح الدراسية المتزايدة كما تستقبل كثيرا من الاحباش الذين يكملون تدريبهم هناك من الموظفين والعمال والعسكريين .

حالة المسلمين المادية :

يشتغل معظم المسلمين في الحبشة بالتجارة والزراعة واذا قورنت حالتهم بحالة العامة من المسيحيين الاحباش الذين لا صلة لهم بالوظائف الحكومية او العائلات الكبيرة أو السلك العسكري فانها تبدو عادية ، الا ان الوظائف العسكرية ومناصب الوزارة والمناصب الكبرى والاقطاعيات الواسعة من نصيب الاحباش كما ان نسبة المتعلمين تعليما عصريا من ابناء المسلمين قليلة جدا بالمقارنة بالمسيحيين وذلك لان بعض المسلمين يفضلون الجهل لابنائهم على الالتحاق بالمدارس غير الاسلامية لما يعرفونه من التبشير الواسع في تلك البلاد . ولكن يوجد عنصر مسلم كانت له اليد الطولى في التجارة والزراعة الا وهو العنصر العربي الذي يتمثل في العرب المهاجرين الى الحبشة من اليمن وحضرموت ، الا ان

نفوذه آخذ في الانحسار مع الاسف بسبب تعقيد التجارة الحديثة التي لم يكن العرب يعرفون منهــا شيئا وبسبب زيادة الوعي القومي الاثيوبي مع زيادة التعليم هناك .

* * *





يوم الجمعة : ٥ /٥/١٣٨٤ هـ
١١/٩/١٩٦٤ م

السفر الى نيروبي :

الساعة الآن السابعة صباحا ونحن نهيىء امتعتنا للتوجه الى مطار أديس ابابا والسفر اليوم الى نيروبي عاصمة كينية ونحن نسمع اصوات المدافع تطلق في أديس ابابا ابتهاجا برأس السنة القمرية الحبشية . وقد زارنا في الصباح الباكر الاستاذ عبد الرحمن ابراهيم التركي السفير السعودي في أديس ابابا في فندق (أتيي) الذي كنا ننزل فيه في أديس ابابا. وقد رافقنا مشكورا الى المطار حيث خرجنا في الساعة الثامنة صباحا. وكان المطار غاصا بالمسافرين فقد انفض امس مؤتمر وزراء الخارجية الافريقيين وهو المؤتمر الذي حضره كثير من السياسيين والصحفيين الافريقيين وغيرهم .

وقد كانت الاجراءات في المطار غاية في اليسر والسهولة، وحسن المعاملة، فقد سألونا عن امتعتنا فأخبرناهم فاكتفى الموظف المسؤول بأن طلب فتح احدى حقائبنا واطلع على ما فيها ، ثم تركها وانصرف . اما المطار فيعتبر متوسطا في جماله وضخامته كما قدمت .

ثم جلسنا بقاعة المطار ، التي يجلس فيها المسافرون فقط ولا يسمح لغيرهم الا للدبلوماسيين وذوي الاقدار . وكانت القاعة غاصة بمختلف الاجناس البشرية ، ففيها

الاوربيون الذين قدموا الى المؤتمر المذكور بصفتهم مراقبين او صحفيين ، الى جانب الشخصيات السياسية الافريقية الكبيرة ، الى جانب الركاب الاوربيين العابرين الذين قدموا لتوهم من أوربة أو من شمال القارة الافريقية ، وينتظرون معنا السفر الى نيروبي ، او غيرها من العواصم الافريقية جنوبا ، وقد شاهدنا من بينهم وزير خارجية اثيوبيا الذي خرج لوداع وزيري خارجية الصومال وتنجنيكا ،وكان الوزير الأثيوبي يرتدي الملابس الحبشية الرسمية لان اليوم هو أول ايام عيد رأس السنة الحبشية . أي يوم العيد عندهم ، وتتكون تلك الملابس من سروال ضيق الرجلين يشبه السروال الذي تلبسه عجائز الهند، وفوقه قميص ضيق ايضا، وكلاهما من قماش ابيض ناصع البياض ، وفوقهما ما يشبه الرداء من القماش الابيض ايضا ويذكرون ان ابرز ما يفعلونه في عيدهم الوطني هذا ان ينحروا الذبائح ويتناولوا اللحوم بكثرة وقد زادت اسعار اللحوم والذبائح في هذه المناسبة كما يتميز هذا العيد عندهم بكثرة شرب الخمر الى حد انك تشاهد السكارى في الميادين كما قيل لنا . ولولا ان برنامج رحلتنا لا يحتمل التأخير لكنا انتظرنا اليوم لنشاهد عيد الاحباش .

المنظر الآن في المطار عجيب وغريب :

عصبة من الامم مختلفة الاجناس اجتمعت في هذا المطار ، والعجيب انك لا تكاد تشاهد الاوربيين يضحكون

او يمزحون مع الافريقيين ، بل ان هؤلاء يتحدثون فيما بينهم وأولئك يتحدثون فيما بينهم ايضا، وربما كان السبب هو عدم التعارف السابق بين الجميع ، وقد اختلط منظر النساء والاطفال القادمين من اوربا والنساء والاطفال الافريقيين فكان المنظر غير منسجم اذ ان الافريقيات يحاولون تقليد الافرنجيات فيبدو التقليد غير متقن وغير قريب من الحقيقة ، وقد دخل في حلبة المنافسة منظر النساء الهنديات وهن في المطار وقد احتفظن بزيهن الخاص الذي يتميز بالحشمة وبالطابع الشرقي المستقل فيكون بذلك مع اللون الأسمر حاجزا للنظر بين النساء البيضاوات والسوداوات .

وبينما كان هذا الجمع الحاشد ينتظر الاعلان عن قرب قيام الطائرة اذا بالمذيع يعلن ان موعد قيام الطائرة قد تأخر لمدة نصف ساعة ، وأن المطار مستعد لتقديم القهوة والشاي والمرطبات للركاب بالمجان خلال تلك الفترة ، وقد انقضت الفترة بسرعة نظرا لتنوع المناظر وغرائب المشاهدات هنا . وكانت اللغة الانكليزية السائدة هنا وهي التي يشترك في معرفتها والتفاهم بها البيض والسمر والسود. وقد تناوب الجلوس على نفس المائدة التي نجلس عليها رجل اعمال انكليزي قال لنا انه سبق ان زار المملكة وشاب هندي الاصل يعيش في كينية وقد قدم الينا زوجته وقال ان اسمها فريدة ، وانها تشتغل مدرسة للفيزياء في مدرسة ثانوية حكومية في نيروبي وهو قادم معها من القاهرة حيث قاما

بزيارة سياحية للبلدان العربية زارا فيها مصر والسودان ، وسورية ولبنان والاردن والعراق وذكر انه اعجب بتقدم البلاد العربية التي زارها الا أن حر العراق الشديد ازعجهما . وقد استفدنا من حديثنا مع الزوجين المذكورين في اخذ عناوين بعض الفنادق في نيروبي وكان الحديث معهما بالانكليزية ، ولم يظهر انهما استفادا من رحلتهما شيئا من العربية .

وقبيل انقضاء الأجل الذي ضربوه لسفر الطائرة خرج الركاب الى الطائرة وهم جماعة كثيرة اولهم عند سلم الطائرة وآخرهم عند باب الخروج من المطار ، وهي طائرة من طراز (بوينغ النفاثة الضخمة) ومع ذلك فقد امتلأت جميع مقاعدها بالركاب حتى لم يبق فيها مقعد خال ، ولكن مع هذا الامتلاء انتظرنا قرابةنصف ساعة اخرى في الطائرة قبل اقلاعها وجاء بعد ذلك رجل افريقي على سيارة وقفت به عند سلم الطائرة ، ومن ثم تحركت الطائرة بحملها الضخم ، ولم تكد تستوي في الجو حتى وزعوا علينا استمارات الركاب الصادرة من حكومة كينية لملئها وكان اهم ما يميزها ان فيها حقلا يطلب فيه من الراكب ان يبين عنصره فيذكر ما اذا كان أصله اوربيا ابيض ، او افريقيا ، او هنديا اسيويا ، وقد كتبنا فيه اننا من العنصر العربي .

ثم اخذوا في توزيع طعام الافطار وكانت الخدمة

كالعادة ممتازة غير ان كثرة الركاب جعلها اقل من العادة . وقد اعلنـــت المضيفة بالامهرية ثم الانكليزية ان المسافـــة ستكون سبعا وتسعين دقيقة الى نيروبي ثم تكلمت بالفرنسية فالايطاليـــة ونحـــن لم نفهم بالطبع الا كلامها بالانكليزية . وقد حاولت وأنا بجانب نافذة الطائرة ان اتبين شيئا من معالم هذه الارض الافريقيـــة فلم استطع لأن الطائرة كانت على ارتفاع شاهق ، وقد حال سحاب كان كثيفا حينا وكان خفيفا حينا آخر بيننا وبين ان نرى الأرض .

وهكذا سرنا معظم الـــوقت ونحـــن بين السمـــاء والسحاب لا نرى غيرهما او كما يقول العامة (سما وما) .

مطار نيروبـــي :

وكان منظـــر المطار وما حوله منظر الارض الجافة لأن موسم الأمطار هنا لم يحل بعد ، وكان المطار يبدو متوسط الفخامة الا أنه اكبر وأفخم مـــن مطار اديس أبابا بكثير . وقد حضر الى سلم الطائرة وفد رسمي حكومي ليكون في استقبال وزيري خارجيـــة الصومال وتانجنيقة وغيرهما من الرسميين الذيـــن جاؤوا معنا في الطائرة ، كما حضر بعض المصوريـــن والصحفيين .

وقد اوقفوا جميـــع الركاب في ردهة المطار . ثم جاءت مضيفـــة ارضيـــة وهي فتاة اوروبية ــ وأخذت تتلو اسماء

الركاب من الأوراق التي كنا قد ملأناها في الطائرة ومن نودي عليه أخذ ورقته وسمح له بالدخول الى بهو المطار الرئيسي حيث تنهى الاجراءات الرسمية على جواز سفره . وقد لاحظت انه لم يكن بين الركاب من يحملون اسماء اسلامية سوانا وبعض الصوماليين . ثم دخلنا بعد ذلك الى مكتب المطار فأنجزنا جوازاتنا ثم ذهبنا الى مفتش الجمرك حيث كانت حقائبنا في انتظارنا . وكان المفتش هنديا من طائفة السيخ قد ترك له لحية طويلة شاملة لوجهه ومتصلة من شاربه الى عارضيه ثم رأسه ، ولما رآنا قال وكأنما ارهقه كثرة العمل :

(رخصة موجود شيخ) وهي كلمات عربية مستعملة في الاردية ، وربما قد ظن أننا نعرف اللغة الأردية . ثم رسم علامة التفتيش على حقائبنا من قلم الطباشير الذي يحمله ولم يفتشها . ثم انتقلنا الى سيارة شركة الخطوط الجوية الاثيوبية التي جئنا معها من اديس أبابا ، وقد انتظرنا طويلا في السيارة لأن بقية الركاب لم ينتهوا من الجمارك بسرعة . ثم سرنا من المطار الى نيروبي .

نيروبي :

ومعناها بلغة الماساي المورد العذب أو الماء العذب البارد المناسب لشرب الماشية كما ترجمها بعض العرب لنا . وكان الطريق بينهما مكسوا بالحشائش الصفراء الذابلة

والتي احرق بعضها تمهيدا لاعادة زرع الارض قبل موسم نزول الامطار . وكان الجو دافئا بالنسبة الى جو أديس ابابا البارد ، وقد ذهبت بنا السيارة رأسا الى الحـي الأوروبي حيث توجد فيها الفنادق الفاخرة التي نزل فيها بعض ركاب سيارتنا مـن الاميركيين والافرنسيين وغيرهم ، وقد هالنـا ان نرى ذلك الحي مـن نيروبي في غاية من النظافة والفخامة والروعة حتى ليتخيل المرء أنه في اوربا لا في قلب افـريقية تحت خط الاستواء . أرأيت احسـن الاحيـاء في دمشـق والقاهرة وبـيروت ..؟ انها تشبه هذا الحي الاوربي مـن نيروبي . كما هالنا ما رأينا مـن كثرة السيارات الفاخـرة التي لم نكـن نرى امثالها بعد خروجنا من بلادنا ، هـذا الى جانب كثرة السيارات الصغيرة والشعبية ايضا . امـا سيارات الاجرة فكانت قليلة العدد نسبيـا مما يوحي بأن اكثر القادريـن مـن سكان نيروبي يملكون سيارات خاصة وبالتالي فان الحاجة الى سيارات الاجرة تقل على خلاف ما عليـه الحال في الحبشة مثلا التي توجـد فيها سـيارات الاجرة بل عربات ودراجات الاجرة بكثرة .

وقد نزلنا في (فندق كاردن) في الحي الاوربي المذكور ويملكه رجل اسمـاعيلي كان قد ذكر لنا من قبل انه مسلم هندي واجرة السرير الواحد فيه لليلة الواحدة ١٥ شلنا أي ما يساوي ٩ ريالات سعودية تقريبا .

جولة في الحي الاوربي :

استرحنا قليلا وادينا الصلاة ، ثم تغدينا في الفندق وكان طعامه هنديا لم نكد نستسيغ شيئا منه لولا شدة الحاجة بنا اليه ، فكان كثير الفلفل والافاويه ، مصبوغا بالكركم الأصفر ، دسما الى حد الافراط ويحوي فيما يحوى اللحم الضأن والخبز الهندي الرقيق الذي يسمونه « روتي » الى جانب الخبز الافرنجي والسلطة وقد طلب من كل واحد منا ٧ شلنات أي أربعة ريالات سعودية تقريبا .

ثم ذهبنا نتجول في الحي الاوربي متمشين ، وقد راعنا مغالاة القوم في عرض السلع الكمالية المتنوعة مما جعلنا نجزم بان هذه البلاد بلاد خصب ورخاء بالنسبة الى القطرين اللذين زرناهما من قبل في افريقية وهما السودان والحبشة . ولكننا عجبنا من أن معظم المارة في هذا الحي ومعظم اصحاب الحوانيت فيه هم من الاوربيين ، أو من اغنياء الهنود ، اما المواطنون الافريقيون فلم نر منهم هنا الا قلة لا تكاد تذكر كانت تمشي على الارصفة وتمر مسرعة لا يكلف الواحد منهم نفسه حتى النظر الى واجهات المحلات التجارية ـ ولعل السبب في ذلك انهم ليس لديهم امكان الشراء من تلك المحلات الاوروبية .

وقد استرعى انتباهنا هنا منظر طائفة السيخ من

الهنود ، وقد تركوا لهم لحى تغطي معظم وجوههم ويجعل الواحد منهم لحيته ضفيرتين صغيرتين يقرنهما بشعر رأسه مارا بهما على عارضيه كما ان لهم طريقة خاصة في لف عمائمهم لا يشاركهم فيها احد ، ومن الشعر الكثيف المعفى من رقابهم تحت عمائمهم كأنه لحى اخرى لهم لأن تعاليم دينهم لا تجيز لهم ان يمس الرجل شيئا من شعر بدنه . وفيما عدا هاتين العلامتين الفارقتين لهم تجد ملابسهم من احدث الملابس الاوربية حتى لا تكاد تجد من يترك منهم رباط العنق امعانا في التأنق ، وهم فيما يظهر صحيحو الاجسام سريعو الحركة وذلك بسبب مناخ بلادهم المعتدل الذي أتوا منه في الأصل وهو البنجاب في الشمال الغربي من القارة الهندية .

في المسجد الجامع :

وقد وصلنا عفوا الى مسجد ضخم البناء غاية في الجمال والذوق الرفيع قبابه مبنية على الطراز المغولي الجميل يحيط به افنية واسعة نظيفة لا تكاد تجد فيها قذاة من قذى العين لو بحثت عنها ، وفيه اماكن للوضوء غاية في النظافة كما أن فيه قسما للنساء منفصلا هو عبارة عن شرفة فوق القسم الخلفي من المسقوف من المسجد ، وقد كتب على مدخل فناء المسجد باللغة الانكليزية « الدخول بالاحذية غير مسموح به في أفنية المسجد »

وللاحذيـة مكان خاص عنـد مدخل المسجد وقد كتب على بوابته بخط جميل: «ان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا» كـما الحق بالمسجـد مكان للمسافريـن من فقراء المسلمين يقيمون فيه فترة مـن الوقت حتى يجدوا مكانا غيره وفوقه مكتبة عامة فيـها كتب قليلة باللغة العربية وأكثر منها باللغة الاردية . وقد صلينـا فيـه صلاة المغرب وتعرفنا على امامه وهو باكستاني الأصل ، ولا يجيـد العربيـة وان كـان يعرف طرفا قصيرا منها ، وقد تولى الترجمة بيننا وبينه مؤذن المسجد وهو افريقي يعرف العربية وقد ذكر أنه تعلمها في زنجبار ويلبس ملابس السواحليين . وكان المصلـون لا يزيدون في تقديري على ثلاثين شخصا وهم خليط من الهنود والافريقيين ، وقد سألنا عـن الذي اسس هـذا المسجـد فدلونا على لوحة تأسيسه فقرأنا فيها ان اسمه عبدالله شاه ، وقد فرغ مـن بنائه في عام ١٩٣٧ ميـلادية وهذا المسجـد يعرف بالمسجـد الجامع لأنه تقام فيه صلاة الجمعة في هـذا الحي الاوربي من مدينة نيروبي . والواقع ان بناء المسجـد من الداخل والخارج يبـدو من خـير المباني الجميلـة في هـذا الحي

وقد سألنا امام المسجد : هل هذا المسجد لطائفة معينـة ام لجميـع المسلمين ؟ لأننا كنا قد سمعنا ان هناك مساجد مختلفـة في جميـع مدن شرقي افريقيـة لأهل السنـة ومساجـد للشيعـة ومساجد للاسمـاعيليين وغير ذلـك

من الطوائف . فاجاب : انه مسجد المسلمين كلهم ، لأنه مسجد أهل السنة والجماعة وهناك مساجد اخرى للطوائف الاخرى . وعندما اردنا الانصراف طلب منا الامام والمصلون الدعاء وقالوا : انكم من اهل المدينة المنورة الذين يطلب منهم الدعاء والذين هم أهل لأن يستجاب دعاؤهم ، وقد دعونا لهم وهم يؤمنون سائلين الله تعالى ألا يخيب ظن هؤلاء الاخوة من المسلمين الذين احسنوا بنا الظن وما نحن لذلك بأهل .

وقد تعرفنا في المسجد على أخ عربي من حضرموت ما ان رآنا حتى اقبل الينا ورحب بنا ، ويدعى (محمد احمد باجابر) ويسكن في قرية تبعد حوالي ثمانين ميلا من نيروبي العاصمة وقد تطوع جزاه الله خيرا بارشادنا الى ما نريد وأخبرنا بأن بعض الزعماء العرب هنا ومنهم السيد محفوظ مكاوي ممثل الطائفة العربية هنا في المجلس التشريعي لكينية قبل الاستقلال وقد زارنا الليلة في الفندق وبحثنا معه مواضيع كثيرة تتعلق بحالة المسلمين والعرب في كينية وفي شرقي افريقيا على وجه العموم ، وكان حديثه مفيدا لنا لأننا اطلعنا منه وهو رجل يشتغل بالسياسة والتجارة على كثير مما اردنا الاطلاع عليه من ذلك . كما اجتمعنا برجل من رجالات العرب في كينية وهو السيد (محمد عزيز العمودي) نائب وزير التجارة والصناعة في كينية ووكيل وزارة المالية فيها سابقا .

يوم السبت : ١٣٨٤/٥/٦ هـ.
١٩٦٤/٩/١٢ م .

اكثر من ثلاثمائة جمعية اسلامية :

ان أول ما نهتم به اذا حللنا بلدا ان نطلع على شؤون الاسلام والمسلمين فيه وقد تبين لنا من سؤالنا عن الجمعيات والهيئات الاسلامية في كينية انه يوجد اكثر من ثلاثمائة جمعية او هيئة اسلامية بعضها موجود بالاسم فقط وبعضها مكونة من ثلاثة رجال أو نحو ذلك ، وكنا سمعنا عن كثرة الجمعيات الاسلامية هنا وقلة جدوى اكثرها وقد قيل لنا : ان هناك اكثر من اربعين جمعية منها بمنطقة نيروبي والباقي في منطقة ممباسا وغيرها . وقد عزمنا على الحصول على صورة واضحة لهذا الأمر .

ومما يؤسف له اننا استخلصنا مما وصلنا اليه من نتائج حتى الآن أن القوم هنا يؤسسون الجمعيات الاسلامية على اساس عنصري قومي ، فهناك الجمعيات الاسلامية الهندية ، والجمعيات الاسلامية العربية ، والجمعيات الاسلامية الافريقية ، ولو كان كل قوم يكوّنون جمعية واحدة ، أو جمعيات متعاضدة متساندة لهان الأمر ، ولكن لكل جماعة منهم ولو قليلة جمعية أو أكثر قد تتبادل التهم مع الجمعيات الاخرى . وحتى الافريقيون قد كونوا جمعياتهم على اساس قبلي فلمسلمي كل قبيلة جمعية

خاصة مع ان الاسلام جاء بالمؤاخاة بين المسلمين ، وحارب تمييزهم على اساس قبلي او عنصري . ولكـن الظاهـر ان السبب في ذلك كان ان المجتمع كله عند تأسيس الجمعيات في عهـد الاستعمـار الانكليـزي قائم على التفرقـة العصريـة ، وان لم يكن ذلك مفروضا بحكم القانون فانه كان مفروضا بحكم العرف والعادة المتبعة .

في ماجنقـو :

توجهنا اليـوم الى حي ماجنقو الافريقي في نيروبي ومعنى كلمة (ماجنقو) في السواحليـة : الحافة أو الهامش ولا يزال بعض العرب في شرق افريقيـة يسمونها الحافـة وليس ماجنقو ، أي يستعملون اللفظ العربي لمعناها ، وهـو حي وطني لا يسكنه غير الوطنيين الأفارقة الا عدد قليل من العرب الذيـن اختلطوا بهم وتزاوجوا معهم ، حتى اصبح اولادهم لا يعرفون العربية .ويتألف الحي المذكورمن اكواخ مبنية مـن لبن الاسمنت او الطين ، ومسقفة بأسقف مسنمة مـن الصاج أو الصفيح وقد تكون اسقفها على شـكل مخروط . وشوارعـه نظيفـة مشجـرة ، والرئيسية منهـا مسفلتة ، وغير الرئيسيـة طينية حمراء ، يتطايـر منها الغبار عند مرور السيارات . ولا ترى في هذا الحي الوطني ما تراه مـن مظاهـر البؤس في الأحياء الشعبيـة في الحبشة .

ثم زرنا مبنى مدرسة الرياضة الاسلاميـة هناك وهي

تتألف من أربع غرف ويجري طلاء غرفها ولما تنته بعد ولذلك لا يوجد فيها احد من الطلبة في الوقت الحاضر وهي مخصصة للطلبة الافريقيين وملاصقة لمسجد الرياضة وهو مسجد جميل مفروش ومجهز بمكبر الصوت ، وهو هندي الطراز قام على بنائه جماعة من المسلمين من جميع الاجناس ، وقد وجدنا فيه شيخا افريقيا من اوغندة ، قد عقد حلقة لتعليم القرآن الكريم في ارض المسجد ، وجميع الطلبة من الافريقيين وحلقته غير كبيرة عند حضورنا لا يزيد عدد من فيها على عشرين طالبا ولعل السبب في قلتهم ان الوقت الآن وقت عمل لأن زيارتنا كانت قبيل الظهر .

ثم زرنا مدرسة السعادة وهي كتاب يدعى صاحبه الشيخ زكريا وهو افريقي تخرج من المعهد الاسلامي في زنجبار وكتابه يتكون من فصل واحد يشغل غرفة كبيرة من بيته الطيني المتواضع ، ويبلغ عدد الطلبة فيه حوالي ٣٥ طالبا ثلثاهم من الذكور ، وثلثهم من البنات الصغيرات ومعهم اجزاء «عم» وهم يتلون القرآن الكريم بصعوبة .

في الحي التجاري الهندي :

تختلط متاجر الاثرياء من الهنود بالمتاجر الاوروبية ، ثم تتدرج حتى تنفصل حيث تتكون اسواق جميع من فيها من الهنود على اختلاف طوائفهم في احياء تتألف من عمارات ومنازل كبيرة مستقلة وقد قيل لنا : ان من

اراد ان يرى جزءا من مدينة بومباي ، في افريقيـــة فعليـــه ان ينظـــر في هذه الاحياء الهندية من نيروبي لانها لا تختلف عنها كثيرا كمـــا كان الاوروبيون يسمون الحي الاوروبي مـــن مدينة نيروبي « هاف لندن » أي نصف لندن .

وقد قيل لنا انه على الرغم من ان الهنود هنا ومعظمهم مـــن غير المسلمين أي مـــن الهندوك والسيـــخ كانـــوا يمسكون بزمام التجارة فان بعضهم اخذوا يعودون الـــى الهند خوفا من ان ينالهم سوء مـــن الاهالي في المستقبـــل وذلك نتيجة لاحتكارهم للتجارة المتوسطة والصغيرة وبعض تجارة الجمـــلة .

اللغة والجنس :

الافريقيون هنا هم افريقيون بحـــق ممـــن يسمـــون « الباتتو » ، او قلهم مـــن الجنس الزنجي .

وهذا اول ما يلفت نظرك بعد ان تفارق اديس أبابا وفي ذهنك صورة الجنس الحبشي الـــذي لا يكاد يختلف عـــن الجنس العربي الا في سواد اللون ، أو سمرته القاتمـــة ، اما الملامح والتقاطيع والشعر فتكاد تكون واحدة ، فاذا بك هنا في كينية تجد الوطنيين مـــن الافريقيين زنوجا ذوي بشرة سوداء وانوف فطس ، وشفاه مقلوبـــة ، وشعر مفلفـــل ، وآذان صغيرة ، الا ان الوجاهة تبدو على جماهـــيرهم في

لباسهم وهندامهم اكثر مما تبدو على جماهير الاحباش فأكثرهم يرتدي ثيابا نظيفة بل بعضهم يرتدي الملابس الافرنجية الكاملة حتى اربطة العنق . وعلائم الصحة والعافية بادية عليهم ، كما يتحلون بكثير من اللباقة والادب .

على أننا اذ نصف مناظر الناس ومظاهرهم الخارجية فاننا نرجو ألا يفهم من ذلك اننا نؤيد ـ فضلا عن ان نقول ـ بتفاضل الناس بسبب عناصرهم او الوانهم او اجناسهم ، معاذ الله ان نقول بذلك ، أو ان نقره ، فنحن مسلمون تعاليم ديننا تنص على ان الناس من نسل رجل واحد وأنهم لا يتفاضلون الا بالتقوى والعمل الصالح ، ونحن في بلادنا نطبق هذه السياسة المبنية على التعاليم الاسلامية والتي لا تلقي بالا للون او الأصل أو الجنس كما قال الله تعالى : « يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

ولكننا حينما نذكر ذلك فانما نذكره للعلم والايضاح ، ووصف ملامح الناس وصفا مجردا عما قد يشعر به الوصف من مدح او ذم أو حسن أو قبح .

اما اللغة فهي ذات مقاطع ممدودة ونطقها غريب على مسمع الغريب مثلنا ، واللغة السائدة هنا هي السواحلية ، وحوالي خمسين بالمئة من كلماتها عربية او ذات اصل

عربي ، ويكثر فيها تردد حرف الكاف ، ولعلي اعود الى ذكر شيء عن اللغة السواحلية بعد اقامتي مدة اطول في هذه البلاد . وعدا اللغة السواحلية فهناك لغات محلية تبلغ اكثر من سبعين لغة فلكل قبيلة لغة خاصة . اما الانكليزية فهي المستعملة في الدواوين الحكومية والشركات وهي لغة الطبقات المتعلمة ، وهي بطبيعة الحال منتشرة بين المثقفين ولكن من العجب انك تجد طوائف كبيرة من الشعب لا تحسن التكلم بها على الرغم من ان البلاد كانت محكومة من الانكليز سابقا ، ولكن اولئك في الغالب يكونون من الاميين الذين جاؤوا من الغابات او الاماكن النائية ، ولم يتوفر لهم الاحتكاك بالأوربيين . اما اللغة السواحلية فان الافريقيين يعرفونها ويستعملونها كلغة عامة ويستعملها معهم العرب كما يستعملها الهنود في تعاملهم مع الافريقيين .

يوم الاحد : ١٣٨٤/٥/٧ هـ .
١٩٦٤/٩/١٣ م .

انتقلنا اليوم من فندق جاردن الى فندق يملكه رجل عربي ويدعى « شان هوتيل » وصاحبه يسمى (محمد سعيد) من حضرموت وذلك لأننا سمعنا من بعض العرب ان هذا الفندق ليس مكانا ملائما لأمثالنا لانه تقدم فيه الخمور واشياء اخرى لم نعرف عنها من قبل . ويقع

الفندق الجديد في الحي الهندي مـن نيروبي ويكتظ الحي المذكور بالفنادق والمطاعم العربية فهناك قريب منـه فندق « عدن الجديد » و « مطعم لبنان » و « فندق حضرموت » و « يمني هوتيل » أي فنـدق اليمـن ، وكلها فنـادق ومطاعم يملكها ويديرها جميعـا عرب مـن جنوب الجزيرة العربيـة .

وبهذه المناسبة فقد قيل لنا بأن العرب يبلغ عددهم في نيروبي وحدها الف نسمة وهم قلة بالنسبة الى ما كانوا عليه في الماضي ، كما ان عددهم آخذ في التناقص لأنهم اخذوا يعودون الى بلادهم لسبب كثرة وجود المتأهلين والمتعلمين مـن الوطنيين مـن الافريقيين مـن جهة ، وكون العـرب هنا اكثرهم مـن غير المتعلمين او المثقفين من جهة اخرى . كما عرفنا ان وضع العرب هنا لا يرتفع الا قليـلا عن وضع الافريقيـين فقد كان المجتمع في كينية بعد ان تركها الانكليز قبل سنتيـن مقسمـا كمـا يأتي :

الاوربيون في القمة ، يليهم الآسيويـون من الهنـود والباكستانيين ، وفي المرتبة الثالثة يأتي العرب وبعـدهم الوطنيون الافريقيون . وأغلب العرب هنا فقراء وفي مكانة غير مرموقة كمـا أنهم قلة في جميع انحاء كينية ، الا فـي منطقة الساحل في مدن : ممباسة ، ومالندي ، ولامو ، ومـا بينهمـا ، وقد اجتمعنا اليـوم بشاب مـن العرب الحضارم

يدعى (عمر قديم) ويعمل في الاذاعة الانكليزية في كينية . وهو شاب نشيـط يجيـد عدة لغات مـن بينها الانكليزية والعربية والسواحليـة .

وقد تجولنا مرة ثانية في البلد مساء هذا اليوم وخاصة في الاحياء الغنية فوجدنا مظـاهر الثراء والترف في هـذه الانحاء بالغة اشدها ، وقد خرج القوم اليوم وهو يوم عطلة في سياراتهم مع عائلاتهم للنزهـة ، او توجهوا للكنائس ، فكنت ترى العجب من ترف هذه الطبقة التي تتكون مـن الاوربيين والهنود ، وتكاد تلمح من خلال حجب المستقبل انه اذا استمرت حالهم على ما هي عليه فلا بد ان تحدث لهم نكبة من الوطنيين الافريقيين الذين يرون ترف الاجـانب وبذخهم من خيرات بلادهم وهم محرومون منها ، وقد كادت تقع لهم كارثة فعلية فور استقلال كينيـة وبعـد حوادث زنجبار . لولا حكمة الزعيم «جومو كينياتا» ، رئيس كينية، وحثه مواطنيه على احترام القانون ، والمحافظة على الامن في البلاد وتذكيره اياهم بأن اولئك الاجانب يعتبرون مواطنين كينيين ما داموا يعملون لصالح البلاد ، ولا يخالفون قوانينها ولان البلاد لا تزال بحاجة مـاسة الى خبراتهم الفنيـة ، ومهاراتهم المتعددة .

يوم الاثنين : ١٣٨٤/٥/٨ هـ .
١٩٦٤/٩/١٤ م .

الــى كيسومــو :

حزمنا امتعتنا مبكرين اليوم واودعنا ما تبقى مما لا نحتاجه صاحب الفندق ، وركبنا الحافلة (الاتوبيس) العام الى مدينة (كيسومو) عاصمة مقاطعة نيانزا التي تقع حول بحيرة فيكتوريا نيانزا التي ينبع منها قسم كبير مــن مياه النيل الابيض .

وتبعد تلك المدينة عن نيروبي بمسافة (٣٨٠) كيلومترا تقريبــا .

تحركت بنا السيارة في تمام الساعة السابعة صباحا من نيروبي وكانت الاجرة اثني عشر شلنا أي ما يعادل سبعــة ريالات سعودية . وقد برحنا نيروبي مخترقــين ضواحيها الجميلة ذات الفيلات الانيقة الغارقة في الجنان ، والتي تحيط بها الشوارع المسفلتة في كل اتجاه ، وقد وضع على رأس كل شارع تقريبا ، سهم او اكثر من سهم ، كتب عليه اتجاه الطريق واسم المنطقة او المحلة ، وبعد قليل رأينا اللافتات تشير الى اننا في منطقة قبيلــة (الكيكويو) اكبر القبائـــل الافريقية في كينية والتي ينتسب اليها الزعيم جومو كينياتا ومنها كان رجال الماو ماو ، الذين ازعجوا الحكم البريطاني

وازعجهم في السابق .

ثم ساد الطريق الضباب الشامل وذلك لاننا كنا نرتفع اكثر عن منطقة نيروبي التي ترتفع هي عن سطح البحر اكثر من ستة آلاف قدم ، ومنذ ان فارقنا ضواحي نيروبي ونحن نشاهد المزارع الفخمة التي كان قد انشأها واسسها المعمرون الاوربيون والتي يمتد بعضها عدة كيلو مترات وهي عبارة عن اجزاء من الارض تحيط بها الاسلاك الشائكة الى ارتفاع متر تقريبا ، ويتوسطها طريق يتفرع من الشارع الرئيسي حتى المنزل الذي يكون غالبا عبارةعن «فيلة» واحدة او اكثر وسط المزرعة ، وقد كنا نرى قطعان الابقار الاوربية الاصيلة ترتع بالعشرات والمئات في تلك المزارع ، ولم نكن نرى غيرها من انواع الانعام الا مرة واحدة رأينا قطيعا من الخنازير ترتع داخل مزرعة .

وبعد حوالي (٥٠) كيلومترا دخلنا في مناطق الغابات الكثيفة التي تركها الاوربيون ، ولم يقطعوها ويحولوها الى مزارع ، بسبب وعورة ارضها ، لان الحكومة الانكليزية قد ابقت عليها للوطنيين ليرعوا فيها مواشيهم، والطريق ينتقل بنا من جبال عالية الى وديان متسعة ، وقد شاهدنا في احدها قطيعا من الزراف الوحشي يتكون من خمس زرافات غير بعيد من طريق السيارات المعبد ، وقد قلل السائق من سرعته ليمكننا من رؤيتها .

ولم نلاحظ ان مرور السيارة قد ازعجها ، ثم أخذ الطريق يتغير الى مزارع يظهر من طبيعة الارض حولها أنها كانت غابات قطعها الاوروبيون وانشأوا في مكانها مزارع هائلة ووجدنا بعضها مزروعا بالقمح الذي اصفر وحان حصاده ، لا يدرك البصر مداه ، وبعضه تسير السيارة لاهثة في محاذاته برهة من الوقت على الطريق المسفلت ، ويتمثل هنا وخاصة في زراعة القمح مدى الاختلاف بين الفصول في بلادنا التي تقع شمال خط الاستواء وبين هذه الارض التي تقع جنوبه ، اذ ان الفصل هنا هو فصل الربيع وقد مضى الشتاء ببرده الخفيف في شهري يوليو واغسطس وعند دخول الشتاء المذكور بذروا القمح وقد حل الربيع بحلول سبتمبر وها هو موسم الحصاد قد قرب حلوله خلاف ما عندنا تماما حيث تبدأ زراعة القمح في شهري اكتوبر ونوفمبر قبل حلول الشتاء ويحصدون في شهر مايو عند حلول الربيع . هذا وقد بدأ الطريق بالانخفاض المستمر الواضح ولم يزل كذلك حتى وصلنا شواطىء بحيرة فيكتوريا ، ولا غرو فاننا الآن ندخل منطقة الانكسار الارضي العظيم وهو منخفض ارضي يبدأ من الغور في فلسطين وينتهي في روديسية مارا بالبحر الاحمر وغيره .

افريقية الخضراء :

منذ ان غادرنا نيروبي حتى وصلنا الى مدينة كيسومو

المذكورة ولمسافة (٣٨.) كيلومترا ونحن في خضرة قاتمة ، وحقول عظيمة ، ترعى فيها الابقار ، ولا تعدم ان ترى قرية من قرى الافريقيين بمنازلها المسنمة الشكل ، او المخروطة القمة . ونصل بعد مدة الى قرية جميلة مهجورة بيوتها مبنية بالاسمنت المسلح والحجارة كـــان يسكنهـا الاوربيون شوارعها نظيفة وبيوتها تتسم بالذوق الجميل ، وتحيط بها الحدائق والبساتين وقد حل محلهم الوطنيون الافريقيون الآن في أكثر المساكن ، وفي منتصف الطريق تقريبا وقفت السيارة في مدينة (نيكورو) وهي مدينة جميلة حقا ، جميع شوارعها مسفلتة ، وحوانيتها انيقة ، وقد دخلت ســوق الخضراوات والفواكه فيها ، لانه بجانب محطة الاوتوبيس التي وقفت فيها السيارة وهو سوق مسقوف بالصاج، جميل غاص بالفواكه والخضراوات وجميع الباعة فيه من النساء الافريقيات ولا يوجد فيه رجال الا نادرا ، والغريب انني حاولت شراء بعض الفاكهة ، وهي هنا الموز ، فوجدت انه لا يكاد يوجد فيه ميزان ، فأكثر المعروضات فيه تباع بالعدد «بالدزينة» (١٢) حبة او بالمائة عدا .

كما مررنا ببحيرتين صغيرتين في الطريق ، لمحناهما من بعد ، وفي آخر محطة وقف فيها الاوتوبيس قبل وصولنا الى مدينة (كيسومو) نزلت لاتناول كأسا من الشاي المـمـزوج بالحليب وقد اعتاد الافريقيون والهنود هنا ان لا يشربوا الشاي الا ممزوجا بالحليب ومغليا معه فسارع سائق السيارة

ودفع قيمته عني ضيافة لي منه ، وقد عرفت بعد ذلك انه مسلم كيني وان اسمه عبدالله كما ان الجابي (الكمساري) مسلم ايضا واسمه (سليماني) أي سليمان . وقد اظهرا لنا غاية الود لمعرفتهما اننا مسلمون ، اما غالبية الركاب والسكان هنا فهم من غير المسلمين واغلبهم مسيحيون وبعضهم وثنيون، وقد لاحظنا فيهم ظاهرة غريبة وهي انه بمجرد وقوف السيارة في الطريق لحمل بعض الركاب أو انزالهم ، يسارع بعضهم فيقف بجانب السيارة ، فيبول والناس ينظرون اليه ، ثم يستدير بدون ان يمسح ذكره حتى بمنديله . اما السائق والجابي فقد ابعدا عنا وبالا في ستر شجرة لانهما مسلمان ، وبهذه المناسبة اذكر انني لم اشعر الا بامرأة افريقية كبيرة السن تتقدم من وسط السيارة نحونا وترفع صوتها قائلة «السلام عليكم» وذلك لانها مسلمة عرفت اننا مسلمون ، ولا تعرف من اللغة العربية الا هذه الكلمة ، وهكذا فان رابطة الاسلام تثبت وجودها عند المسلمين في كل مكان ولا يستطيع المرء منا في بلادنا ان يتصور وقع تلك التحية في نفوسنا ، ونحن في بلاد عريبة وبين قوم لا يشاركوننا العاطفة الدينية .

مدينة كيسومو :

وقد وصلناها في الساعة الثالثة والنصف من بعد الظهر وكان الجو ماطرا فقصدنا (رحماني هوتيل) أي «فندق

الرحماني» وهو فندق يملكه رجلان احدهما باكستاني والآخر عربي من اليمن وهو احسن الفنادق الموجودة في البلدة ، عدا فندقا يسكنه الافرنج واجرة السرير الواحد فيه (٤) شلنات أي ريالان ونصف ، وقد اسرعنا بعد الصلاة الى تناول الغداء وهو غداء رخيص جدا ارخص سعرا من نيروبي فقد تكلف غداء الشخص الواحد (شلنين) أي ريالا وثلثا على الرغم من انه يتكون من اللحم والسمك والخضار والسلطة وقد رحب بنا جميع المستخدمين في الفندق من العرب من حضرموت واليمنيين وقد ذكروا لنا انه لم يزرهم سعودي منذ وصلوا الى هذه المدينة ، وبعضهم له فيها عشر سنوات وأكثر .

على ضفاف بحيرة فيكتوريا :

يطل فندقنا الذي ننزله على ضفاف بحيرة فيكتوريا اذ اننا ونحن في شرفته كنا نشاهد المراكب الكبيرة التي تمخر عباب البحيرة ذاهبة وآيبة وكنا نرى اسراب الطيور الافريقية الجميلة في فروع الشجر النامية على شعاب ضفافها . وكان قد رحب بنا بصفة خاصة من مستخدمي الفندق عربي حضرمي يدعى سالم سعيد وهو ذكي له مدة طويلة في كينية حيث كان يعيش في ممباسا على الساحل ثم انتقل الى هنا . وقد صاحبنا بعد العصر في سيارة اجرة سارت بنا على ضفاف بحيرة فيكتوريا نيانزا ، ثم دخلنا الى ميناء كبيرة على

البحيرة بموجب اذن خاص من ادارة الجمرك هناك ، وقد شاهدنا البواخر وهي تفرغ حمولتها وينزل منها المسافرون وبعضهم من السياح الاوربيين الذين قدموا من اوغندة بهذه البواخر التي تمخر عباب البحيرة الكبيرة والبواخر كبيرة بحيث تلفت النظر ويتعجب المرء كيف يستطيع ماء البحيرة ان يتحمل ثقلها ، فهي لا تقل حجما عن بواخر الخطوط البحرية السعودية التي تسافر من ميناء جدة الى الموانيء الاخرى . وتمتد هذه البحيرة مسافة طويلة يسير المرء فيها بالباخرة المذكورة مساحة ١٥٠ كيلومترا داخل كينية ثم تصل الى حدود اوغندة والميناء المذكور على البحيرة غاص بالسفن وبعضها ينزل البضائع وبعضها ينتظر دوره في انزال البضائع التي يحملها . وقد حدثونا ان السائحين الاوربيين يختارون هذا الطريق للسفر بين كينية واوغندة لما يوفره من المتعة والراحة وقد يقترب طريق السفن من الشاطيء والادغال فيشاهدون الوحوش ، والحيوانات على طبيعتها . وقد تجمع على الاشجار التي تحف بالبحيرة عدد كبير من الطيور المائية المهاجرة كالبط والرهو والغرانيق ولا من صائد في هذا المكان ، لأنه حرم للجمرك ولأن بعض الاماكن البعيدة موحلة لا يستطاع الاقتراب منها . اما في الاماكن الاخرى، فان بعض الموسرين من الاوروبيين والهنود قد اعتادوا صيد الطير هنا . اما الاسماك فهي متوفرة في البحيرة ورخيصة وقد وجدنا ذلك في المطعم ولكنهم هنا كما

في الحبشة لا يبيعون السمك بالوزن ولكن بالعد ككثير من الفواكه والخضروات ولا يبيعون وزنـا الا اللحم الذي يساوي البقري منه (ريالا وربعا سعوديا) للكيلو الواحد ولحم الضأن ريالين للكيلو وذلك بسبب توفر المراعي ، لان الارض جميعها خضراء فلا يمكن ان تقع عينك على مكان يابس او خال من العشب .

ثم عدنا الى بلدة كيسومو وقصدنا توا مسجدها الجامع فصلينا فيه صلاة المغرب ، وقد تعرفنا على امامـه ويدعى (زكريا بن احمد) وتجمع حولنا المصلون واغلبهم مـن الباكستانيين واخذوا ينظرون الينا ويعيدون النظر ويسألوننا الدعاء وهم لا يكادون يصدقون ان اناسا من جيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زاروا بلدتهم اليـوم ، ولولا بعض الحجاج منهم وهم قلة قليلة لا يزيدون على اثنين فيما ذكروا لما كانوا قد رأوا فعلا احدا مـن المدينة المنورة ، واحتفوا بنا غاية الاحتفاء وطلبوا منا ان نؤمهم في الصلاة الاوقات القادمة .

مسجدهم يسمى مسجد الجمعة ، وهو الوحيد الذي تقام فيه الصلاة في بلدة كيسومو ، وهو مسجد جميل البناء، مفروش فرشا كاملا ، وفيه مكبر للصوت ، ويحيط به فناء مكشوف تحيط به من داخله بعض الاشجار التي عرفنا منها اشجار نوع من المانكو غريب وكذلك بعض اشجار النارجيل، وفي ركن من اركانه عدة غرف قالوا ان هذه مدرسة لتعليم

القرآن للافريقيين ، وفي ناحية بعيدة ايضا غرف ايضا هي مسكن للامام ، وبجانبها غرفتـان قالوا انهمـا مدرستان احداهما لتعليم القرآن لاطفال العرب والاخرى للباكستانيين، وفيها يقوم الامام بتدريس الاطفال وفي الثانية يقوم معلم آخر . وقد قام على بناء المسجد جماعة من المسلمين واكبر العبء في ذلك على الباكستانيين الذين عجبنا لكثرتهم في المسجد على حين انه لم يصل من العرب معنا الا شخصان فقط ، وبعد صلاة المغرب تجمع صبية من الباكستانيين حول رجل منهم اخذ يعلمهم القرآن من جزء «عم» وهم من طلبة المدارس الانكليزية التي يدرسون فيها في النهار ، وفي الليل يتعلمون القرآن الكريم وامور الدين ، وهذا شيء حسن جـــدا .

وقد استرعى انتباهنا عبارة كتبت في اسفل الجدار يمين المحراب بالعربية : «في سبيل الله» وانطلق منها سهم يشير الى ما يشبه علبة وضعت على الارض ففهمنا ان تلك العلبة يجمع فيها التبرعات لصالح المسجد ولكننا وجدنا ان العلبة المذكورة انما هي غطاء صغير لصندوق في الارض فوضعنا فيها من تيسر من النقود ، ثم سألنا الامام بعد ذلك عنها فقال :

انها ليست لمنافع المسجد لان الذين قاموا على بنائه من المسلمين اوقفوا عليه عمارتين تدران عليه ما يحتاج اليه ، ولكن هذا الثقب يتصل بصندوق يوجد مفتاحه عند هيئة

موثوق بها ولا يفتح الا ايام العيد حيث يؤخذ ما تجمع فيه ويفرق على فقراء المسلمين في العيد ! . انها فكرة رائعة جميلة وكم رأينا من عجب عند مسلمي هذه البلاد الافريقية البعيدة تحت خط الاستواء .

مع فضيلة القاضي

زارنا بعد صلاة العشاء في الفندق فضيلة قاضي المسلمين في مقاطعة نيانزا واسمه (الشيخ احمد عمر الاهدل) وهو من العرب الموجودين في كينية وجنسيته كينية ، وهو يتولى القضاء في هذه المقاطعة وما حولها . وقد بحثنا معه شؤونا كثيرة وخاصة ما يتعلق بالعرب والمسلمين في هذه البلاد . وقد اثنى فضيلته كما اثنى غيره من قبل على موقف الحكومة الكينية بصفة عامة وعلى موقف الزعيم جومو كينياتا رئيس الوزراء بصفة خاصة من العرب في هذه البلاد، ويقول الجميع : ان العرب والمسلمين هنا لا يلاقون مصاعب ولكنهم انفسهم لا يبذلون جهودا كافية في تحسين اوضاعهم فهم مختلفون على انفسهم ولا يقومون بالواجب المفروض عليهم في الدعوة الى الله بصفتهم من العرب الذين انتشر الاسلام على ايديهم في العالم . وقد لمسنا من اقامتنا هنا ان هذه المقاطعة من مقاطعات كينية من احسن المقاطعات في هذا الموضوع وان المسلمين هنا شبه متحدين وانه لا يوجد للافريقيين الا جمعية اسلامية رسمية واحدة اسمها « جمعية

المسلمين الافريقيين» في مقاطعة نيانزا وقد ذكر القاضي ومعه اثنان من اعضاء الجمعية الاسلامية هنا ان المسلمين يحتاجون الى المساعدة وبذل المعونـــة في حقل التعليم الدينـــي لان الحكومة لا تعارض في التعليم الديني ، ولكن لا يمكنها ان تساعد على أي تعليم ديني لان ذلك قد يحمل ارباب الاديان الاخرى على الاحتجـــاج وطلب المساواة ، ولـــكن ارباب الديانات الاخرى من غير المسلمين يجدون من مراجعهـــم وارباب دينهم من يساعدهم ويساندهم في بنـــاء المدارس الخاصة بهم . وتعليم اللغات التي يرغبونها وتساعد عـــلى نشر دياناتهم ، وبمساعدة الفقراء منهم . اما المسلمون فلا مساعد . قالوا : واوضح مثال على ذلك انه كانت توجـــد مدرسة عربية اسلامية خاصة كانت تقوم على التبرعات ثم عجزت عن الاستمرار بسبب قلة التبرعات فطلبت المساعدة من وزارة التعليم الكينية وقبلت ذلك بشرط ان تشرف عليها من ناحية المناهج وعلى ان يحضر المسلمون من يدرّس مادة اللغة العربية والدين الاسلامي لهم في هذه المنطقة ويكون مرتبه على الحكومة الكينية ولكنهم حتى الآن لم يستطيعوا الحصول على المدرس المذكور والحقت المدرسة بالحكومة .

والحقيقة المرة ان هذه الحالة حالة عامة شاملة للمسلمين في اقطار شرق افريقية ووسطها ، حيث يخشى من ان يفتن بعض المسلمين عن دينهم ، اما بالاغراء بالوظائف والمناصب ، او بالجهل بحيث ينشأ الجيل الجديد في جو ثقافي بعيد كل

البعد عن التعاليم الاسلامية وان كان بعض المسلمين من اهل البلاد يبذلون جهودا كبيرة في سبيل الابقاء على اسلامهم وتعليم اللغة العربية لغة القرآن الكريم لابنائهم ، ويضحون في سبيل ذلك بالمناصب والشهادات الدراسية التي تؤهل ابناءهم لكسب معيشتهم ، ولكن يخشى ان يكون ذلك الى حين او ان يكون النشء الجديد له نظرة غير نظرة الجيل القديم الى الاسلام اذا لم يؤخذ بايديهم وتبذل جهود مشتركة من البلاد الاسلامية في هذا المجال ، بالاتفاق مع الحكومات المحلية ومن تلك الجهود فتح الملاجىء ودور التربية لاطفال المسلمين من الفقراء والايتام الذين قد يضطرون الى دخول المدارس التربوية التبشيرية فينسلخون عن دينهم وتقطع الرابطة التي تربطهم بالعرب والمسلمين ، ومن ذلك فتح المدارس الاسلامية الخاصة وتقريبها من المناهج الحكومية في تلك البلاد حتى تؤهل الطالب بعد ذلك لمتابعة تعليمه المدني العالي في بلاده او خارجها بعد ان يكون قد تعلم اللغة العربية وامور الدين الاسلامي في المدارس المذكورة بدون ان ينعزل انعزالا كاملا عن الوسط الثقافي في بلاده . ومن ذلك توفير المنح الدراسية لابناء المسلمين في كافة الجامعات والمدارس في الاقطار الاسلامية، والتغاضي عن بعض الشروط اللازمة لغيرهم مثل شروط السن والمصاريف وتوفر الشهادات المعتادة ونحو ذلك .

والحاصل ان جلوسنا مع القاضي وعضوي الجمعية

الاسلامية الافريقية كان ممتعا حقا وقد حصلنا منهم على معلومات طيبة عن المسلمين في هذا المكان من افريقية .

يوم الثلاثاء : ٩ /٥/١٣٨٤ هـ
١٥/٩/١٩٦٤ م

جولة في مدينة كيسومو :

اخذنا سيارة اجرة وتجولنا في هذه البلدة التي يقدر عدد سكانها مع ضواحيها بثلاثين الف نسمة وقد اعجبنا بالجهود الكبيرة التي بذلها المستعمرون الانكليز في تجميل هذه البلدة مع انها بعيدة نائية فهي كالمدينة الاخرى التي مررنا عليها في طريقنا امس مدينة «فيكورو» معبدة الشوارع حتى الشوارع الفرعية مشجرة ، وليس ذلك فحسب ، بل غرست الزهور في كل شارع وفي كل مفترق طرق ، وفي كل ناحية مهمة منها حديقة نمت فيها الاشجار الباسقة ، وهذبت اجمل تهذيب ، والميادين جميعها مسفلتة ، ومحاطة بأشجار الزينة وأشجار الظل ، نظيفة غاية النظافة ، والواقع الذي لا يستطيع منصف ان ينكره اننا حين تجولنا في كينية عرفنا ان الانكليز عملوا لكينية ما لا يستطيع اهلها ان يعملوه بعشرات السنين وانهم لم يضنوا عليها بجهد او مال يتجلى ذلك واضحا في كل شيء ولا نستطيع تجاهله رغم كراهيتنا للمستعمرين الانكليز على ما فعلوه في بلاد المسلمين ، وما

اقترفت ايديهم من آثام وخاصة بحق الشعب العربي في فلسطين . ولكن هل فعلوا ما فعلوه حبا في الخير لاهل البلاد ام لانهم كانوا يظنون انهم باقون فيها ، فهم على هذا الاعتبار انما صنعوا ذلك لانفسهم ؟

وقد لاحظنا اننا لم نر في المدينة رجلا واحدا من البيض ، وانما غالبية السكان من الافريقيين واكثرهم من قبيلة (جلوا) وبشرتهم اكثر سوادا من (الكيكويو) ولباسهم الزي الافرنجي غير الكامل ، ويوجد بينهم جالية هندية اذا رأيتهم بسمرتهم المعهودة في بلادنا خيل اليك انهم اكثر الناس بياضا وذلك بمقارنتهم في اللون بأهل البلاد ، واغلبهم ان لم يكن جميعهم يشتغلون في اعمال التجارة .

وقد لفت نظرنا هنا معابد الهنود على مختلف دياناتهم فهناك معبد السيخ تظلله قبة ضخمة ذات طيات عديدة تشبه القمع (المحقن) المقلوب ، ثم هناك معبد الهندوكيين ، ومعبد للاسماعيليين اتباع آغا خان ويسمونه مسجدا وهناك مدرسة عظيمة كبيرة لآغا خان يديرها الاسماعيليون ويلتحق بها غيرهم من المسلمين وتسير وفق برامج الحكومة الرسمية .

وقد زرنا ايضا المحكمة الشرعية ولم نر غير كاتب القاضي حيث ان الاخير كان قد ذهب لأمر يتعلق بعمله ، ومباني البلدة من الاسمنت المسلح وضواحيها البعيدة من اكواخ من القش . والجو هنا دافىء بالنسبة الى نيروبي .

قريـة باندانـي الاسلاميـة :

قلت : ان المسلمين هنا أقلية ولذلك فان من بين من زارنا هنا شخص يدعى (عبد الكريم) وهو مسلم كان قد عاش في ممباسا على الساحل . وقد عزم علينا ان نزور قريته التي تبعد حوالي ثلاثة اميال عن مدينة كيسومو لأنها قرية اسلامية . فأخذنا سيارة اجرة بعد العصر ووصلنا القرية وقد رحب بنا أهلها وكان كل من يرانا منهم حتى النساء يسلم علينا أو يومي لنا بالسلام من بعد مما اعاد الى آذاننا التحية الاسلامية التي افتقدناها منذ فارقنا السودان، لأن التحية في الحبشة هز الرأس والانحناء، وفي كينية لا يسلمون الا على من يعرفونهم كعادة الانكليز . كما نعمنا بسماع الاسماء الاسلامية الخالصة مثل محمد وحسن وعمر « وابو بكر وصالح » .

وقد دخلنا بعض بيوت القرية بدعوات من اهلها وهي جميعها تتألف من بيوت بنيت من الطين وظللت بسقوف من الصفيح مسنمة حتى تنزلق عنها الامطار الكثيرة وبلطت ارضها بالاسمنت ، وداخل البيوت نظيف جدا الى حد لا تبلغه نظافة اكثر البيوت القروية في بلاد الشرق الاوسط وفيه مقاعد وثيرة ، وقد اعتادوا ان يعلقوا على الحيطان بعض المناظر الجميلة ، وصور الاقارب والاصدقاء . وبعض البيوت هنا يتألف من غرفتين وبعضها من ثلاث الا أن مساحة الغرف صغيرة ، وقد اعتادوا

ان يبنوا خارج كل بيت مكانا منفردا حجرة صغيرة بالصفيح يخصصونها لقضاء الحاجة حيث لا يوجد في بيوتهم مراحيض لصغرها . وكان الجو في هذه القرية الاسلامية الصغيرة تحت خط الاستواء وبجوار البحيرة العظيمة المشهورة « فكتوريا نيانزا » رائعا حقا فالنسيم العليل والسحب الكثيفة السوداء التي كانت تجلل الافق الغربي من السماء والقطارات التي مرت بالقرية عابرة الى اوغندة او غيرها من انحاء كينية ومنظر الاهالي المسلمين وهم يستبشرون برؤية وجوه قادمة من جوار المصطفى صلى الله عليه وسلم منظر لا يمكن ان يمحى من الخاطر وصورة تظل في اغلب الظن خالدة في الشعور .

وقد ادينا صلاة المغرب معهم في المسجد والواقع انني كنت اغالب الدمع من فرط التأثر وانا أرى وأسمع وألمس مدى فرحهم واغتباطهم برؤية اخوان لهم في الاسلام على بعد الشقة وطول المزار .

ويقول اهل القرية : ان قريتهم تعد اكثر من ألف نسمة ومسجدها الذي بناه الاهالي بجهدهم وعرقهم وصرفوا عليه مبلغ ١٣ الف شلن وهو مسجد صغير يتسع لحوالي ثمانين مصليا الا انه تحيط به مساحة كبيرة من الارض اشتروها معه لكي يسوّروها ويلحقوها بالمسجد ويبنوا فيها كتّابا للاطفال ودورة مياه للمسجد ان استطاعوا لذلك

سبيلا ، وقد لفت نظري قبر في جانب الفناء المكشوف فسألناهم عنه ، فقالوا : ان هذا قبر (المولم بلال) أي المعلم بلال وأنه كان امام المسجد السابق وممن حمل العبء الاكبر من السعي على بنائه وانه لما توفي لم يدفنوه في مقابرهم وانما دفنوه فيما قالوا « قريبا من المسجد » الذي كان يصلي فيه وفاء لما قام به من عمل للمسجد ، وليستأنس من قبره بأصوات قرّاه القرآن فيه .

وقد احتجنا للوضوء قبل الصلاة فاحضروا لنا من البيوت ماء بالاباريق ، واعتذروا الينا لأنهم لم يستطيعوا مد مواسير المياه الى المسجد لعدم وجود النقود وقالوا : انهم يتمنون لو امكنهم مد مواسير المياه للمسجد حتى ينتفع من ذلك المصلون في المسجد وكل اهالي القرية وان انابيب المياه لا تبعد عنهم الا حوالي (٥٠٠) متر من قريتهم ولكن الحكومة لا يمكن ان توصلها اليهم الا اذا دفعوا المصاريف اللازمة ، وقالوا : انهم يشربون الآن مياها غير صالحة تتجمع من مياه الامطار في بعض الآبار التي حفرت لهذا الغرض . وقد بحثنا معهم بعد الصلاة في هذا الموضوع فعلمنا أنهم قد جمعوا لذلك مبلغ (٥٠٠) شلن اي (٣٠٠) ريال ، وان ذلك لا يكفي فتبرعنا لهم بمبلغ من المال وطلبنا منهم ان يحضروا غدا الى القاضي حتى نسلمه لزعيمهم ويكون ذلك على يد القاضي وبحضور كبراء اهل القرية وهو مبلغ يكفي لمد المسجد وبالتالي القرية بأنابيب

المياه كما يكفي لبناء دورة مياه في المسجد . وكنا نسير على ارضهم المعشبة حتى يكاد يصل العشب الى ركبة الماشي، فسألناهم : ما دام العشب موجودا في كل بلادكم بهذه الوفرة لماذا لا تقتنون بقرا او شاءا وتربونها ؟ فاجابوا : « والكلام جميعه بالانكليزية لانه لا يوجد فيهم من يحسن العربية حتى امامهم » اجابوا : بان العشب موجود وتربية المواشي ممكنة ولكن النقود غير موجودة !

وقد شيعنا الاهالي ونحن نعود بعد المغرب الى مدينة كيسومو بالتبجيل والاحترام .

يوم الاربعاء : ١٣٨٤/٥/١٠ هـ.
١٩٦٤/٩/١٦ م.

حضر الينا القاضي صباح اليوم في الفندق مع ثلاثة زعماء من قرية بانداني التي سبق ذكرها ورئيسها يدعى (عمر موسى) وبعض المودعين من الاخوان العرب الموجودين في كيسومو . وقد سلمنا المبلغ من النقود التي قدمناها لهم باسم الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة لمشروع ايصال الماء الى المسجد وكذلك سلمنا الجمعية الافريقية الاسلامية في مقاطعة نيانزا بعض التبرعات .

العودة الى نيروبي :

ودعنا الجميع وحملنا القاضي بسيارته الى محطة الحافلات (الاوتوبيس) ولكننا وجدنا السيارة قد غادرت كيسومو الى نيروبي لأن الذي كنا قد ارسلناه ليحجز لنا اماكن في الصباح الباكر فهم موعد قيام السيارة هو التاسعة والنصف صباحا ، وقد حضرنا في التاسعة والربع ، وعلمنا أن موعد قيام السيارة هو التاسعة لا التاسعة والنصف فأسرع المسؤولون في (شركة اوتوبيس شرق افريقية) فحملونا في سيارة صغيرة تابعة للشركة اخذت تنهب الارض نهبا حتى ادركنا سيارة الاوتوبيس بعد مسيرة ٢٥ كيلو مترا .

وقد ركبنا في مؤخرة السيارة لأن جميع مقاعدها كانت قد امتلأت بالراكبين وكلهم من الوطنيين الافريقيين وليس بينهم غريب واحد سوانا . وهم مؤدبون مهذبون ، والحقيقة انه لم يكن ينقضي عجبنا من وصول هؤلاء الافريقيين الذين كنا نظن بهم التخلف الى تلك المرتبة الاجتماعية الرفيعة ، فهم يكرموننا بصفتنا غرباء وجميع معاملتهم لنا طيبة ، وهندامهم نظيف واجسادهم انظف ، الا أن امرين كدرا علينا رحلتنا الطويلة بالاتوبيس التي قطعنا فيها (٣٨٠)كيلو مترا في مدة ثمان ساعات ونصف تقف السيارة في كل محطة ولمن يعترضها بين المحطات .

اول الأمرين : رائحة الصنان الشديدة التي سدت على خياشيمنا نوافذ الهواء ، ولم نستطع ان نضع مناديلنا عليها لئلا نمس مشاعرهم بسوء حتى تأذت من ذلك عيوننا .

ثانيهما منظر بعض النسوة اللاتي مثلن بآذانهن فخرقنها للزينة حتى ان بعضهن تتدلى آذانهن حتى تصل الى الكتف ، وتصور أذنا آدمية تصل الى الكتف !!!

ان هذا هو الواقع فهم يخرقونها ثم يعملون على اثقالها بشتى المثقلات حتى تتدلى وتكون كذلك وقد علقن فيها الخرزات الغريبة ، وبعض الآذان مخرقة حتى لم يبق منها الا ما يشبه الحلقة ، وحتى بعض الرجال مثلوا بآذانهم بالتخريق او بقطع بعضها حتى (تكرمش) الباقي منها ولكنهم لم يعلقوا فيها شيئا ولعل ذلك من فعل الاعداء في الحروب، ومنظره مما تتقزز منه نفس المرء وتستبشع رؤيته.

لم نتكلم مع اي واحد منهم الا أن احدهم سألنا بالانكليزية : « هل انتم من أرب ، كايرو ؟ أي من عرب القاهرة » فاجبناه : نحن عرب ولكن لسنا من القاهرة، فقال : لقد عشت في صغري سنتين في قناة السويس في عهد الملك فاروق . فقلت له : ما عملك ؟ فقال : لا شيء ، والظاهر انه كان خادما عند احدى الأسر البريطانية التي كانت تحكم كينية وتتحكم في اهلها في ذلك الوقت ، وتقيم بعض الوقت في مصر ، وقد مررنا في طريقنا بمزارع الشاي

الواسعة التي تمتد مدى البصر ، والعجيب في أمر هذه الشجيرات الصغيرة التي لا يزيد ارتفاع الواحدة منها عن المتر أنها كلها في مستوى واحد ليس فيها نشاز من مرتفع أو منخفض ، وشكلها العام يشبه الى حد كبير شكل شجرة الحناء . وقد علمنا فيما بعد ان جميع الشاي والسكر والقهوة التي نشربها في كينية هي من انتاج البلاد ، وهي لا تستورد شيئا من ذلك من الخارج وانما تصدر ما يزيد عن حاجتها .

وكان عجبنا نفس العجب من كثرة الأشجار والمزارع في هذه البلاد ، ومن هذا الجو البديع الذي هو ربيع لا شتاء ولا صيف ، ولا حر ولا قر ، ولا رياح تحمل الاتربة . كما عجبنا ايضا لمظاهر الصحة والعافية البادية على وجوه السكان وأجسامهم ، وقلة العاهات والامراض على عكس ما شاهدناه في الحبشة ، حتى اننا لم نر - لعمر الحق - متسولا واحدا في طول ما رأيناه من البلاد وعرضه ، وخاصة في القرى ومحطات الاوتوبيس ، حيث يكثر المتسولون عادة في تلك الاماكن من البلاد الاخرى ، وعندما وصلنا الى مدينة (نيكورو) التي ذكرتها سابقا كان أول ما قابلنا منها من هذه الزاوية منظر المسجد الجميل بمئذنته التي تنتصب شامخة تكاد تكون أعلى بناء في البلدة ، وقد علمنا فيما بعد أنه قام على بنائه المسلمون من الآسيويين الذين هجر بعضهم تلك البلاد .

وصلنا (نيروبي) بعد العصر عائدين من رحلتنا التي استغرقت يومين كاملين ، وأمضينا ما بقي لنا بعد العشاء والاستراحة في التجول على الحوانيت القريبة منا في الحي الهندي ، وهو من الاحياء التي يسكنها الهنود كما قدّمت .

يوم الخميس : ١٣٨٤/٥/١١ هـ .
١٩٦٤/٩/١٧ م .

ذهبنا اليوم لحجز أماكن في الطائرة للسفر يوم السبت القادم الى مقديشو ، وقد قامت في وجوهنا عقبتان ، اولاهما ان مدةالاقامة التي منحت لنا من مطار نيروبي كانت لاسبوع واحد تنتهي يوم الجمعة غدا ، والثانية أنه لا يوجد مقاعد شاغرة في شركتي الطيران اللتين تسير الطائرة من نيروبي الى مقديشو وهما شركة الخطوط الجوية العدنية ، وشركة الخطوط الجوية الايطالية « اليطاليا » . وقد ذللت العقبة الاولى بعد قليل اذ ذهبنا الى ادارة الهجرة في وزارة الداخلية الكينية وشرحنا الوضع للمسؤولين هناك فطالبونا بابراز تذاكر العودة فأحضرناها فمنحونا فورا وبدون مقابل تمديد اقامة لمدة اسبوع آخر ، وقد علمنا بعد ذلك انهم لا يمنحون للسائح اقامة الا اذا كانت لديه تذكرة عودة الى بلاده تمكنه الخروج من كينية . كما

ان الموظفة في الخطوط العدنيـــة وهي فتاة سويسريــة قد قالت لنا : انه يمكـــن لنا مراجعتها غدا ضحى ، فعسى أن يتأخر أحد من الركاب وتستطيع ايجاد مقاعد لنا في الطائرة المسافرة الى مقديشو ، وقد سألتنا حين فرغت من عملها : هل نحن ايطاليون ؟.. ولما أجبناها بأننا من العرب السعوديين عجبت وقالت أنها لم تزر من البلاد العربيــة غير الخرطوم ، ثم أخذت ــ من باب المجاملة ــ تمتدح العرب وتذكــر انها تتمنى أن تعرف اللغة العربيــة .

في متحف نـيروبي :

زرناه الساعة الرابعة والنصف بعد الظهــر وبقينا فيه حتى الساعة السادسة حيــث تغلق نوبة بعد الظهــر فيه وهو متحف هائل في ترتيبه ونظامه يحوي جناحا لتاريخ ما قبــل التاريخ يتضمــن مخلفات الآدميين والحيوانات في تلــك الحقبة الكبيرة ، ومن أثمن ما فيه منظــر الجماهير البشريــة منــذ ١٠ آلاف سنة و ١٥ الف سنة ثم التدرج بعد ذلك حتى التاريخ المبكر للانسان ، وكذلك يتضمن بقايا حيوانات غريبة وكبيرة ليست موجودة في الوقت الحاضــر . كمــا يتضمن الادوات القديمة التي كــان يستعملها الانسان في تلك العصور . ثم انتقلنا من هناك الى قسم عادات الشعوب الافريقيــة في وسط وشرقي افريقيــا ، وهو يتضمــن رماحا وسهاما وثيابا للزينة وأدوات سحرية وطبية وغيرها

كان يستعملها الافريقيون في مختلف العصور ، وقد كتب على الجميع شرح واضح بالانجليزية ، ثم انتقلنا بعد ذلك الى قسم الحيوانات المحنطة ، وجميع ما فيه من الطيور والاسماك والوحوش والحيوانات الأليفة والحشرات موجود بلحمه وجلده وشعره او ريشه هنا ، فهو محنط لا ينقصه الا أن تنفخ فيه الروح فيتحرك ، رأينا فيه من انواع الاسماك المحنطة ما لا يخطر على بال امثالنا ممن عاشوا بعيدا عن عالم البحار ، ومن ذلك بقايا حيوان (الديناصور) وهو حيوان انقرض الآن . وقد ذرعت مع زميلي بقايا الهيكل العظمي للحيوان المذكور فبلغ احد عشر مترا تنقص حوالي ١٠ سنتيمترات ، اما حجمه وشكل فكيه واضراسه وجؤجؤه ، فلا يمكن أن يتخيله الا من رآه ، كما زاد في روعة المتحف الحقيقية عمل غريب لم أره في شيء من متاحف الشرق الاوسط، وهو انهم يجعلون مناظر للحيوانات والأسماك لاصقة بجدران المتحف ، ومحاطة بالبيئة الطبيعية التي كانت تعيش فيها ، وقد سلط عليها نور كهربائي خاص بدت من خلالها وكأنها حية في الوسط الذي كانت فيه قبل احضارها للمتحف . فالأسماك الضخمة تبدو بواسطة ذلك النور وكأنها تسبح في الماء وهي معلقة بين السماء والارض ، ومربوطة برباط لا يكاد يدركه المرء ، وكذلك الحيوانات المفترسة التي منها العظيمة الكبيرة كالأسود والفهود والنمور وبقر الوحش وحمره والجاموس البري

والخنزير البري وضع لها بيئة أصطناعية ساعد على اكتمالها نور كهربائي خاص ، وبعضها عرض وهو يأكل فريسته ، وقد خالجنا الشك بكون بعضها حقيقيـا وقلنا ربما تكون صورا مكبرة ، فطلبنـا مـن الموظف المختص هنا أن يوضح لنا ذلك ففتح باب أحد الخزانات التي توجد فيها الحيوانات ، وسمح لنا بلمسها ، فاذا هي حقيقية صحيحة محنطة بأحجامها الطبيعية وبلحمها وشعرها ، ثم أطفأ النور فأصبحنا لا نراها فزادنا ذلك اعجابا به . ثم شاهدنا قسم الطيور وفيه مـن انواع الطيور الافريقية الغريبة ما يأخـذ باللب ويفـوق الوصف . اما قسم الحشرات والحاصلات الزراعية فشيء لا يقل عن ذلك روعة وعجبا . واما قسم الفراشات فانه شيء جميل مطرب تصور اكثر من الف نوع من انواع الفراشات ذات الالوان الزاهية المتعددة معروضة امامك عرضا حقيقيا. انها غاية في الجمال ، ولم استطـع مغادرتـه حتى جذبني صاحباي جذبا . فلو قلت ان فيه من الطيور المحنطة ما يزيد على الف انموذج لما حنثت ، وقد حنط مـع اغلبها بيضها ووضع في عش يشبه عشها الطبيعي ان لم يكن هو . وقد انتهى الوقت قبل أن نتم تجوالنا في المتحف، فغادرناه آسفين عازمين على اتمام الجولة في الغد .

يوم الجمعة : ١٣٨٤/٥/١٢ هـ
١٩٦٤/٩/١٨ م

ذهبنا الى مكتب شركة الطيران العدنية صباحا،وحالمادخلنا المكتب قابلتنا الموظفة السويسرية بالبشرى قائلة : انه امكن ايجاد اماكن لنا في الطائرة المسافرة غدا السبت الى مقديشو. ثم اعدت تذاكرنا للسفر ، وضربت لنا موعدا هو الساعة الخامسة والنصف صباحا أي مع طلوع الفجر ، على ان تغادر الطائرة المطار في الساعة السادسة والنصف ، أي مع طلوع الشمس أو بعد ذلك بدقائق .

في مسجد عبدالله شاه :

ادينا صلاة الجمعة اليوم في المسجد الجامع الكبير الذي وصفته من قبل ، وقد امتلأ المسجد على رحبه بالمصلين ، حتى صلى بعضهم في الشمس ، واغلبهم من الباكستانيين ومسلمي الهند ، وفيهم من الافريقيين والعرب ، وقد القى صاحبنا الشيخ ابو بكر جابر موعظة بعد الصلاة بالعربية ترجمها احد الحاضرين من الافريقيين الذين تعلموا العربية في زنجبار الى اللغة السواحلية التي يعرفها الجميع ، وكان لكلمته أثر طيب في نفوس سامعيه فجزاه الله خيرا .

حديقة البلدية :

ذهبنا بعد الظهر الى حديقة البلدية وتدعى (بارك

سيتي) وهي تشبه متحفا لانواع النبات الحي النامي ، ففيها من الانواع الغريبة ما أثار عجبنا ودهشتنا . اما انواع الزهور والوانها فشيء لم نسمع ببعضه فضلا عن رؤيته ، وقد ساعد جو نيروبي المعتدل على نمو نباتات البلاد الحارة والباردة معا ، والدخول اليها مجاني ، وقد كتب على بابها بالانجليزية اعلانا عنوانه (باسم القانون) ادرجت تحته عدة أوامر منها عدم لمس النباتات ، والسير في المواضع المخصصة للمشي فقط وعدم وطء الاعشاب ... الخ .

عودة الى متحف نيروبي :

ثم عدنا الى متحف نيروبي لنكمل رؤيته ، فزرنا قسم الحيات والثعابين وفيه من كافة انواع الافاعي والثعابين المحنطة والمحفوظة. ثم قسم المعادن ويحوي انواعا من المعادن الموجودة على ضفتها الطبيعية ، فالذهب مع التربة ، والماس ، وغير ذلك . ثم الى جانب ذلك انواع الاحجار والصخور المختلفة . ثم الى قسم النباتات والازهار وهي مرسومة رسما فقط.ثم الى قسم الاحياء المائية كالمحارات والاصداف وغيرها . ثم الى قسم النقود وهو أقل الاقسام شأنا ولا يليق بهذا المتحف ، واقل المتاحف العربية فيه اكثر من هذا المتحف من انواع النقود القديمة . اذ أن مدنية هذه البلاد حديثة ، وقد عرضت فيه النقود التي استعملها البريطانيون منذ اول دخولهم الى هذه البلاد حتى الآن .

وقد خرجنا من المتحف معجبين واتجهنا الى مقهى قرب مبنى البلدية في وسط الحي الاوربي من نيروبي ، وهنـــاك جلسنا نشرب الشاي . وقد صادف جلوسنا هناك انفضاض الجلسة الاولى للاجتماع الفرعي الذي عقدته منظمة الوحدة الافريقية لبحث مسألة الكونغو . وقد ترأس الاجتمـــاع الزعيم جومو كينياتا رئيس الوزراء . وقد شاهدناه خارجا من الاجتماع على سيارة مرسيدس صغيرة طراز(٢٢٠)وكانت «منشة» من تلك التي تستعمل في طرد الذباب ونحوه في يده. وقد تجمهر امام باب المبنى لتحيته من الناحية الاخرى من الشارع عدد من الافريقيين الكينيين اقدرهم بمئة شخص ، فحيوه برفع أيديهم بدون تصفيق ، فحياهم برفع يده اليمنى وفيها المنشة . ثم أخذ اعضاء الوفود يغادرون المبنى تتقدم كل وفد سيارة رفع عليها علم البلاد التي يمثلها . وتستطيع أن تعرف الوفود العربية من الوفود الافريقية الاخرى على البعد بسبب اللون ، وكانت الاعلام الافريقية ترفرف على جوانب المبنى مما يلي رصيف الشارع وبينها بعض الاعلام العربية . اما المقهى فكان جميلا يرتاده الاوروبيون الاثرياء من المستعمرين السابقين وكنا نراقب سلوكهم وطريقتهم في كل شيء ، واذا كنت داخل هذا المقهى فكأنك في اوروبا لا بسبب كون رواده من الاوروبيين فحسب ، وانما بسبب البنايات العظيمة والمكاتب الاوروبية التي تحيط به والتي ترى فيها الاوروبيون اكثر مما ترى الافريقيين عدا الخدم

ورجال الشرطة[1] .

يوم الثلاثاء: ١٣٨٤/٥/٢٢ هـ
١٩٦٤/٩/٢٩ م

في مصرف باركليز :

ذهبنا اليوم الى مصرف (بنك باركليز) لنغير الصكوك السياحية التي نحملها الى عملة كينية ، وقد اجفلنا حين رأينا سيارة عسكرية ينزل منها ضابط انكليزي يحمل مدفعا رشاشا مصوبا ، ومعه عدة جنود شاهرين اسلحتهم ، ثم دخلنا الى البنك فرأينا عدة جنود آخرين مسلحين يقفون داخله . وقد سألنا فتاة اوروبية موظفة في البنك كانت تقوم بعملية ابدال النقود لنا عن ذلك ؟ فقالت : ان هذا الضابط وجنوده يحملون نقودا للموظفين بمناسبة انتهاء الشهر وان هذه الحراسة المشددة كلها خوفا من ان يعتدي اللصوص عليهم فينهبون بعضها ... شيء غريب وعجيب لم نألفه في بلادنا ، ونحن نرى حتى غلمان الصيارف عندنا يحملون عشرات الالوف ومئات الالوف من النقود ويسيرون بها وحدهم في الشوارع لا يخشون الا الله ، فالحمد لله على نعمة الامن والامانة .

---

١ ــ بقية اليوميات المتسلسلة تأتي في اليوميات الخاصة بالصومال .

في حديقة الحيوان :

وبعد العصر ذهبنا الى حديقة الحيوانات وتقع غرب مدينة نيروبي وتبعد مسافة (١٢) كيلو مترا وقد دخلنا الحديقة وتجولنا فيها بسرعة وهي صغيرة فقيرة بالحيوانات واكثر ما فيها الحيوانات المتوحشة ما عدا بعيرا واحدا كان موضع اعجاب المتفرجين الاوروبيين الذين شاهدناهم عنده . وقد أخذت امرأة اوروبية صورة تذكارية لزوجها وولديها وهم واقفون امام البعير ، واغرب ما في الحديقة قرد من نوع الشمبانزي عجيب حقا لا يكاد المرء وهو ينظر اليه يصدق انه ينظر الى حيوان بل يخيل اليه أنه أمام انسان ، فجميع اطرافه ، وصدره وظهره واذناه ، وحتى مؤخرته تشبه الانسان تماما وهو يضحك بل ويقهقه ، ويركب دراجة موضوعة في قفصه ، اذا غضب من شخص اخرج له من فمه صوتا يشبه الضراط ، كما انه يمشي على اطراف اصابع يديه ، ولا يوجد له ذيل . ثم خرجنا من تلك الحديقة التي لا تليق بمدينة نيروبي الجميلة ذات المتحف الرائع والواقعة على خط الاستواء وفيها الغابات الهائلة التي يمكن ان تمد اية حديقة للحيوانات . وتجاور هذه الحديقة حديقة اخرى لا يسمح للمرء ان يدخل فيها الا بسيارته . وقيل لنا : انها عبارة عن مساحة واسعة من الارض فيها غابات عذراء ، تعيش فيها بعض الحيوانات طليقة ، ويدخلها المرء بسيارته ليرى تلك الحيوانات ، وكان الوقت ضيقا فلم ندخلها .

يوم الاربعاء ١٣٨٤/٥/٢٤ هـ
١٩٦٤/٩/٣٠ م

الى ممبـــاسة :

وكان من الفصيح أن نكتبها كما كان العرب يلفظونها في القديم ، وكمـــا وردت في رحلة ابن بطوطـــة ، (منبسة) ولكننا رسمناها هنا بهذا الشكل لان اسمها ورسمها أصبح الآن لا ينطق ولا يكتب الا بهذه الصورة (ممباسة) .

هيـــأنا انفسنا في الصباح الباكر وبرحنـــا نيروبي في الساعة السابعة والنصف تماما قاصدين مدينة ممباسة على ساحل المحيط الهندي . وقد ركبنا حافلة تابعة لشركة شرق افريقية للحافلات . وكانت الاجرة بالدرجة الاولى فيها (٢٧) شلنا أي ما يعادل (٢٠) ريالا سعوديا تقريبا . وكان الركوب في الدرجة الاولى لنا ضروريا اذ جربنا ذلك في المرات السابقة وذلك تفاديا للزحام الكثير ، ونحن نستطيع مراقبة سلوك الركاب وعاداتهم ولو لم نكن معهم في الدرجـــة الثانية . وكانت الدرجة الاولى في مقدمة الحافلة (الاتوبيس) وتتسع لعشرة اشخاص ، ومع ذلك لم يركب فيها احد معنا . امـــا باقـــي الركاب وكلهم من الافريقيين فكانوا يتزاحمون علـــى الدرجة الثانية التي تبلغ اجرتها (١٨) شلنا . ومن المؤلم انه في وقت من الاوقات كانت تمتليء مقاعد الدرجة الثانية فلا يجد بعض الركاب مقاعدخالية فيقفون وهم يشاهدون مقاعد

الدرجة الاولى خالية ، كما انه ممـا يؤلم ايضا ان بعض الافريقيين الساذجين يقصدون رأسا مقاعد الدرجة الاولى حين يرونها خالية ثم يأتي الجابي (الكمساري) بعد ذلك فيبعدهم عنها .

لقد استمرت الرحلة احدى عشرة ساعة لم تتوقف السيارة فيها لراحة الركاب الا مرتين او ثلاثا ، استمرت كل وقفة مدة (٣) دقائق فقط وكانوا يأكلون خـلالها شيئا لا نعرفه يشبه الشطيرة (السندويتش) . فلم نأكله وظللنا على جوعنا طول الوقت وكنا نسأل السائق هل سيصل الى محطة يقف عندها لمدة اطول ؟ فكان يجيب : نعم ، ولكنه لم يقف الا قبـل غروب الشمس بحوالي ساعة عند قرية صغيرة ، فسارعنا وصلينا الظهر والعصر جمعا ، ثم حاولنا تناول بعض الطعام في مطعم هناك ، ولكننا عندما بدأنا نتناوله أخذ السائق يلح علينا بنفير سيارته فتركناه واسرعنا بالعودة الى السيارة . أما الوقفات الكثيرة فهي على الطريق ، اذ ان السيارة كانت طول الطريق تقف لتحمل ركابا او لتنزل ركاباً آخرين وكلهم بدون استثناء من الافريقيين كما قدمت . وقد مررنا بعدة قرى لم استطع حفظ اسمائها الا قرية واحدة حفظت اسمها العربي (السلطان حمود) ولم يكن للعرب في هذا الطريق أي أثر ظاهر حتى المتاجر معظمها للهنود . ومعظم الطرق التي نمر عليها نظيفة وجميلة . الا أن بيوت الافريقيين تتكون من عشش هرمية الشكل او مسنمة السقف ، ولكـن السكان

على العموم يغلب عليهم النظافة ، وتظهر علامات الصحة والعافية على وجوههم . ولم يكن معنا في السيارة أحد يعرف العربية ، بل ليس فيها غير الافريقيين الا نحن. وعندما أكثرت على الجابي من التساؤلات ـ بالانجليزية طبعا ـ سألني عن بلادنا فأخبرته ، فازداد بنا حفاوة واوصانا بأن نحافظ على نقودنا عندما نصل ممباسة . ثم لازمنا بعد نزولنا من السيارة في مدينة ممباسة حتى سلمنا لسائق سيارة اجرة يعرفه ليوصلنا الى الفندق حذرا من ان نقع ـ كما يقول ـ بحبائل من يحتال علينا ويبتز ما معنا من نقود .

كان معظم الطريق بين نيروبي وممباسة غير مسفلت وكانت السيارة التي تقابلنا او تسبقنا تثير سحابا من الغبار يحجب عنا رؤية الطريق حتىلقد كنا نمسح وجوهنا بمناديلنا فيبدو مكان مسحها أحمر لان التربة في هذا الجزء من أفريقية طينية حمراء .

وقد عجبنا كل العجب من الخصب وكثرة الاشجار الكثيفة التي تغطي الارض كلها ، وقد عرفنا ان الخصب الذي يدعو العرب ربهم أن يمن به عليهم يعد مشكلة في تلك الارض من كينية ، فالاشجار والاعشاب تنمو كثيفة متشابكة حتى لا يستطيع المرء العبور منها فضلا عن زراعتها، ولذلك يلجأ الاهالي هنا الى حرق الارض ، فأنت أينما ذهبت وجدت الرماد يجلل الاراضي ، او شممت رائحة

الدخان ، ورأيت الدخان يتصاعد في سحب كثيفة ... أمر عجيب من العجب ... كيف يتلفون مئات الالوف من اطنان الاخشاب والاعشاب ؟.. والجواب : انهم يفعلون ذلك ليزرعوا الارض حتى تغل عليهم ما هو انفع لهم ولبلادهم منها . ومع حرق الارض فقد كانت بعض الاشجار الكبيرة لا تتأثر بالحرق فتجدها قائمة ضخمة وسط الرماد ... كأنها مردة الجن . وكل ما فعلته النار فيها أن سودت جذوعها الضخمة . الا أنه يحدث في بعض الاحيان أن تأكل النار حتى هذه الاشجار ، وما هو ببعيد عن الذهن خبر ذلك الحريق الذي نشب في غابات كينية منذ حوالي سنة ، فقد تناقلت اخباره الاذاعات والصحف ، واستمر عدة اسابيع ، ولم يستطع احد مكافحته فضلا عن القضاء عليه ، حتى سكنت الرياح التي كانت تذكي ناره ، وتلهب اواره .

وكنا قد سمعنا من قبل ان المرء يمكنه ان يرى من السيارة عددا من الوحوش على طبيعتها في تلك البلاد ، ولكننا لم نر الا عدة زرافات وحشية وقطيعا من بقر الوحش كانت اذا سمعت صوت السيارة أجفلت وشردت الزرافة رافعة ذنبها كما يفعل البعير الشارد .

عراة من الماساي :

وبعد مسيرة ما يقرب من (٢٠٠) كيلومترا . وفي احدى المحطات التي وقف فيها السائق فوجئت بأن صعد الى

السيارة رجل وامرأتان وطفل عمره (١٠) سنوات . اما الطفل فكان عريانا تماما ولكن عري الاطفال في القرى الافريقية ليس غريبا ، وانما الغريب أن الرجل والمرأتين كانوا عراة ليس عليهم الا قطعة من القماش الخفيف الذي يشبه الرداء وقد وضعه كل منهم على ظهره وعقد طرفه تحت حنكـــه .

وعندما صعدوا السيارة انفرج امامه فبدت عورة كل منهم ظاهرة بارزة ، وقد سارعت لارى أثر ذلك في وجوههم خجلا او استحياء ولكنني لم المس ذلك منهم . ومن حسن حظنا انهم قصدوا مقاعد الدرجة الاولى وجلسوا معنـــا ، فجعلت اتأملهم ، والحقيقة انك لا تستطيع تمييز الرجل من المرأة الا بما خلق الله لهما ، فالمرأة والرجل كلاهما ليس في وجهه شعر وكلاهما قد خرق اذنيه ، واثقلهما بعدد مـــن الاقراط (والدناديش) ، بل وجعل في اعلاهما حلقا بيضاء لعلها من الفضة او الصفيح تكون قائمة في أعلى الاذن زيادة على الاقراط والاشياء الاخرى التي تتدلى منها ، وعلى كل منهما عصابة سوداء من الجلد .

وبعد مدة لاحظت ان الرجل يضع اساور في عضده وفوق ركبته بخلاف المرأة كما انه يحمل عصا غليظة وهي لا تحملها .

وعندما جلسوا في السيارة كانت جميع عوراتهم بادية مما يجعل المرء تتقزز نفسه ويشمئز من منظرهم ، ثم حضر الجابي وابعدهم من الدرجة الاولى .

وقد علمت بعد ذلك أنهم من قبائل الماساي التي تقطن كينية وتنجانيقة كما رأيتهم بعد ذلك وهم لا يرون بالعري بأسا وقد شاهدت الواحد منهم اذا أراد ان يحك ظهره او دبره رفع الخرقة الوحيدة الموجودة على ظهره وأخذ يحتك بعصاه وعورته بادية للناس ، وقيل لنا عنهم انهم من اغنى القبائل الافريقية لانهم رعاة مهرة يمتلكون قطعانا كثيرة من الابقار كما انهم محاربون اشداء ، ويقال ان اصلهم من الحاميين أي الصوماليين والجالا الذين قدموا في فترة بعيدة الى تلك البلاد وتغلبوا على السكان الاصليين الذين كانوا موجودين فيها قبل قدومهم .

وهم يعتمدون في غذائهم على اللبن واللحم ، وافضل الاشربة عندهم هو الدم الممزوج باللبن ، وقد رأينا في المتحف الادوات التي كانوا يفصدون بها البقر ويستخرجون الدم من شرايينها وهي حية ، ثم يمزجونه باللبن الذي يحلبونه منها ثم يشربونه ، وهم جفاة ونسبة التعليم فيهم قليلة ، ولم يدخل الى الدين المسيحي ولا في الدين الاسلامي منهم الا القليل ، اما اغلبيتهم فوثنية حتى الآن .

وقبل الوصول الى ممباسة بحوالي (٨٠) كلم ، لاحظنا ان زي السكان قد بدأ يتغير ، فأصبحت ترى النساء لا يسترن النصف الاعلى من اجسامهن فيبدو الصدر مع اعلى النهدين عاريا وكذلك ما يقابله من الظهر . اما قبل ذلك فقد كان زي الافريقيين هو الزي الافرنجي . وقبل الوصول الى

ممباسة بحوالي (٣٥) كيلومترا بدأت البساتين والاشجار المغروسة تجلل الارض ومنها اشجار النارجيل (أي جوز الهند) التي يشبه منظرها على البعد منظر النخيل فتذكرنا ببلادنا. ثم أخذت هذه الاشجار تزداد كثافتها حتى وصلنا ممباسة. وكان سائق سيارة الاجرة التي أقلتنا من موقف الحافلة التي قدمنا بها، عربيا عماني الاصل قال لنا: ان اسمه الشيخ عبدالله كذا اثبت كلمة الشيخ لنفسه امام اسمه، وهو يتحدث العربية بصعوبة، ويلبس اللباس العماني التقليدي، ولكن ليس له لحية طويلة. وذهب بنا الى فندق يسمى (الياس هوتيل) أي فندق الياس قال انه فندق اسلامي وصاحبه هندي مسلم وهو رخيص الاجرة اذ ان الليلة الواحدة فيه (٥) شلنات أي ثلاثة ريالات سعودية. وقد تناولنا العشاء بعد ذلك في المطعم التابع للفندق وهو نظيف الا ان طعامه مطهو على الطريقة الهندية التي لا نستسيغها اطلاقا ومع ذلك فكان الطعام غاليا حيث اخذ منا لقاء وجبة تمتاز بالشح والتقتير مكونة من حبات من الارز وقطعة من اللحم لا تزيد عن حجم البيضة ٣،٥ شلنات أي ريالين وربع، وقد اخترنا هذا الفندق لما ذكره لنا السائق ولانه يقع في قلب الحي الاسلامي من مدينة ممباسة، وقريب من المساجد فيها كما ذكر لنا، ووجدنا ما ذكره صحيحا.

يوم الخميس : ٥/٢٥ /١٣٨٤ هـ
١ /١٠/١٩٦٤ م

هل نحن في نجد ...؟

استرعى انتباهنا فجر اليوم كثرة المؤذنين وارتفاع اصواتهم خلال الليل الساكن وهذه البلدة كثيرة الحركة ، وقد ابتهجنا لذلك ونزلنا لصلاة الفجر في اقرب مسجد لدينا، وقد استرعى انتباهنا اكثر وجود المنبهين لصلاة الفجر الذين كانوا يطوفون الشوارع وينادون بأصوات عالية كأنهم (المسحراتية) في شهر رمضان : الصلاة ... الصلاة ... يا عباد الله الصلاة ، فأخذنا نتساءل هل نحن في نجد ؟.. وقد كان المسجد عامرا بالمصلين في هذا الوقت الذي لا يلبي فيه نداء المؤذنين في كثير من البلاد الاسلامية الا القليل . ولا غرو فنحن في ممباسة التي اذا نظرنا الى نسبة السكان المسلمين فيها تعتبر مدينة اسلامية .

مع فضيلة رئيس القضاة :

وفي الصباح تناولنا طعام الفطور في مطعم الخيام ويتولى طهي الطعام فيه عربي يظهر انه من اليمن اما صاحبه فهو هندي ، ثم توجهنا الى بناية المحكمة في ممباسة حيث سألنا عن رئيس قضاة المسلمين في كينية وهو فضيلة الشيخ محمد قاسم المزروعي ، وكنا قد سمعنا عنه من قبل فدخلنا

عليه مكتبه وهو غرفة واسعةعليها مكتبان احدهما له والثاني كان فارغا ولعله لكاتبه الخاص . وفضيلته قد نزح اجداده قبل مئتي سنة من عمان الى شرقي افريقية فبدا مظهره بين العرب والسواحليين ، ويلبس قميصا طويلا وجبة ، وعلى رأسه عمامة خفيفة ادارها حول طاقية سواحلية ، ويتكلم العربية بطلاقة وفصاحة . ويمتاز حديثه بالعمق والاصالة ، وقد اعجبتنا آراؤه الصائبة وافكاره النيرة . وقد رحب بنا اكثر عندما عرفناه بأنفسنا وقلنا اننا مــن المدينة المنورة وقلنا لفضيلته : اننا جئنا الى هذه البلاد فرأينا اداءا للواجب لكم على المسلمين ، ان نزوركم ، ونستفيد منكــم بعض المعلومات عن المسلمين واحوالهم في هذه البلاد ، لا سيما وأنتم بحكم منصبكم وشخصيتكم اولى من يتكلم عن ذلك.

وقد استمر الحديث معه عن هذا الموضوع مدة تزيــد على الساعتين ، ووعدنا بناء على طلبنا بأن يزودنا بمعلومات اكثر مــن ذلك كمــا علمنــا ان حالة المسلمين هنا تدعــو للرثاء . وانهم منقسمون على انفسهم ، فمسلمو الهند يعزلون انفسهم عن مسلمي العرب . ومسلمو العرب يعزلون انفسهم عن مسلمي الافريقيين . ومسلمو الافريقيين يعزلون انفسهم عــن الجميــع . بل وقديظهرون العداء للعرب . وقد نشرت الجرائد قبل مدة ان جماعة من مسلمي الافريقيين قد طلبوا مقابلة الزعيم جومــو كينياتا رئيس وزراء كينية ليطلبوا منه أن يعيــد لهم قضاة مــن غير العرب الذيــن كان العــرف

المتبع ان يتولوا القضاء الشرعي للمسلمين في كينية عربهم وافارقتهم . وبعد الاستقلال امرت الحكومة ان تشمل صلاحية قاضي المسلمين مسلمي الهنود أيضا . وقال : ان المسلمين على الرغم من كونهم اغلبية في مدينة ممباسة فان المناصب الحكومية واغلب الحركة التجارية فيها ليست فيأيديهم ، وقال ان مستوى حياة اكثرهم ليس عاليا ، بل انه دون المتوسط ، ثم شكرناه مودعين . ولا شك ان ما ذكره فضيلته عن مظهر بغض الافريقيين للعرب كانت له اسباب عميقة الجذور ساعد على نموها فورة القومية الافريقية التي تنجت عنها مأساة زنجبار ، وارجو ان اتحدث عن ذلك في المستقبل عندما احصل على المعلومات الكافية المقنعة عنه .

جولة في ممباسة :

قمنا اليوم بجولتين في مدينة ممباسة احداهما في الصباح على الاقدام والأخرى بعد العصر في سيارة لأحد الاخوان الذين تعرفنا بهم وقد زرنا سائر انحاء مدينة ممباسة كما زرنا ميناءها ومحطة سكة الحديد ، ومخازن شركات توزيع البترول وشاهدنا تصدير غلات كينية من القهوة والشاي وغيرهما ، ومدينة ممباسة مدينة جميلة عصرية عادية فيها احياء يقطنها الاوروبيون وأغنياء الهنود . وقد هجر معظم الاوروبيين بيوتهم وتركوها للافريقيين

حيث غادروا كينية نهائيا ، كما ان فيها الحي الافريقي (ماجنقو) ومعنى (ماجنقو) الحافة او الهامش كما سبق ويتكون من عشش بنيت جدرانها بالطين وسقفت بالقش والصفيح . فكأن اولئك الافريقيين يعيشون في بلادهم على هامش الحياة بسبب فقرهم وتخلفهم .. واكثر احياء ممباسة التي تستحق الزيارة منا ، الحي القديم الذي يقال ان عمره يبلغ مئات السنين ، ويقع على ساحل البحر ويدعى : (لوكالي) وسكانه خليط من العرب الذين استوطن اباؤهم ممباسة ومن الافريقيين ، واكثر بيوته مبنية بالطين والحجارة ، وسككه ضيقة، وطراز ابوابه ونوافذه يشبه الى حد كبير نوافذ وابواب البيوت العربية القديمة في شرق الجزيرة العربية .

السواحليون :

والافريقيون هنا معظمهم من السواحليين نسبة الى السواحل (جمع ساحل) والمراد به ساحل شرق افريقية ، او ساحل بلاد الزنج كما كان العرب يسمونه في القديم ، وبينهم وبين بقية سكان كينية من (البانتو) والزنوج فرق كبير ، اذ أن سواد السواحليين غير حالك ، كما ان تقاطيعهم اميل ان تشبه التقاطيع العربية ، وهم في مرتبة عقلية اعلى من غيرهم من سكان كينية الاصليين ، وذلك بسبب اختلاطهم بالعرب ، واعتناقهم الدين الاسلامي

منذ قرون عديدة وهم يشبهون الى حد كبير (الفلاّتي) او الفلاتية من اهالي شمال نيجيرية لولا أن هؤلاء أي (الفلاّتي) اطول قامات وأضخم أجساما ، ولا شك ان السواحليين خليط من أبناء العرب الذين كانوا باستمرار يفدون الى تلك البلاد منذ قرون طويلة حتى قال بعضهم ان هجرة العرب وصلتهم بسواحل شرق افريقية كانت قائمة قبل الاسلام . وقد ازدادت بعد الاسلام قوة واتساعا حتى الآن ، أي ان اولئك السواحليين خليط من الآسيويين والافريقيين الاصليين وبذلك اكتسبوا ملامح ميزتهم عن غيرهم من سكان داخل كينية .

ونساؤهم يتحجبن لأنهم جميعا من المسلمين كما قدمت . ولباسهن يتكون من عباءة سوداء ، وغطاء للوجه يشبه اللثام ، ولكنه اعلى منه . ويتركن قطعة من خمار الرأس تتدلى على الجبهة ، وتكاد تلتقي مع أعلى اللثام، ولكن يبقى بينهما ما يكفي العينين للنظر بدون أن يصف الوجه .

اما الرجال فلباسهم لباس المسلمين في شرقي افريقية ، وهو جلباب طويل واسع يضرب الى الكعبين، فوقه صدريّ: (جاكيت) . وعلى الرأس طاقية بيضاء واذا كان الشخص منهم عالما او وجيها لبس عمامة صغيرة فوق الطاقية ، ويضعون في ملابسهم نقوشا من الخيوط حول الجيوب . ويظهر من جميع احوالهم أنهم يعيشون بقايا مدنية

خاصة بهم كانت قائمة هنا قبل مجيء الاوروبيين تشبه الى حد كبير ما عليه العرب في شرق الجزيرة العربية قبل الاستعمار ، علما بأن البلاد كلها كانت محكومة بالعرب من العمانيين قبل مجيء الاستعمار البريطاني ، وساحل كينية بالذات يعتبر تابعا لسلطان زنجبار . وقد تولت الحكومة الانكليزية ادارتها بالنيابة عنه بموجب معاهدة حماية عقدت بين الطرفين . وقبل الاستقلال اتفقت الحكومة الانكليزية وحكومة كينية الحاضرة على ان ينص في الدستور : « ان للساحل الكيني ثقافته الاسلامية المميزة عن غيره من انحاء كينية » .

وأغلب التجارة والاقتصاد في مدينة ممباسة بأيدي الهنود ، اما الشركات والوظائف الكبرى فكانت بأيدي الانكليز ، وقد تخلوا عن بعضها الآن ولا يزال بعضها الآخر في ايديهم . وان كانوا يتركونها ويهجرون البلاد باستمرار خشية على انفسهم من أن يقع عليهم ضيم من اولئك الافريقيين الذين كانوا في السابق يحتقرونهم. وحتى العرب هنا فبعضهم متخوفون من المستقبل ويقولون انهم يخشون أن يأتي يوم يثور فيه الافريقيون على وجود العرب في كينية كما فعلوا في زنجبار . ويقولون انهم لولا حكمة الزعيم جومو كينياتا وحنكته لكان من المحتمل ان يحصل للعرب من النكبة هنا ما حصل لهم في زنجبار ، ولكن الزعيم كينياتا ناشد الزعيم الافريقي

آنذاك ان يحترم القانون ، ويرعى جوار العرب . ويقولون انه (أي الزعيم كينياتا) ذكّر الافريقيين بفضل العرب واياديهم السابقة في تمدين ساحل شرق افريقية ، وقال انهم منكم وليسوا اجانب ، انهم يخالطونكم في المسكن ويشابهونكم في العادات ، وبينكم وبينهم اصهار ورحم .

والحقيقة أن الزعيم جومو كينياتا يعتبر هنا الشخص المحبوب المحترم من الجميع ، وقد اثبت بمواقفه العديدة في ضبط النفس وكبح جوامح العاطفة الوطنية الافريقية ، ما لا يستطيع الكثير من الرجال تحمله ، وكان دائما يناشد الافريقيين احترام اولئك الناس الذين يعملون في كينية ما داموا يحترمون القانون ويقول الكثير من المطلعين هنا أنه لولا ذلك لحدثت للاوروبيين وللآسيويين عامة في كينية مآس ونكبات ، تكون عاقبتها مآسي ونكبات للأفريقيين انفسهم ، ولكان ذلك يعني بالضرورة خراب كينية ، وعدم اعادة تعميرها فترة طويلة ، وذلك لأن الاوروبيين والآسيويين هم الذين يملكون الخبرة الواسعة في التجارة والصناعة والاقتصاد ، ولا يوجد من الافريقيين في الوقت الحاضر عدد كاف يحل محلهم ، ومع ذلك فسياسته هي احلال الافريقيين محل الاوروبيين والآسيويين بالتدريج .

ويصح القول بأن الافريقيين ليس لهم من المحلات التجارية شيء حتى لقد حاولنا ان نجد في المتاجر الرئيسية

الكبيرة ولو عاملا افريقيا واحدا فلم نستطع العثور عليه وانما يشتغلون في التجارات والمهن الصغيرة ، وذلك على الرغم من أن ممباسة بلدة مترفة في واقع الحال، والمتاجر الكبيرة غاصة بالكماليات ، والسلع على اختلاف انواعها متوفرة في كل محل ، وحركة البيع والشراء والأخذ والعطاء على اشدها والمصارف كثيرة متعددة ، ولا غرو فعهد الحرية الشخصية والاقتصاد الحر لا يزال قائما . وانت في ممباسة وخاصة في الأحياء الافريقية والوطنية اينما سرت لا تعدم العربية فاما ان يكلمك رجل عربي بالعربية او هندي او سواحلي يعرف شيئا منها، ما عدا المكاتب الحكومية والشركات والبيوتات التجارية الكبيرة فلا بد من الانجليزية .

ويبلغ عدد سكان ممباسة (١٩٦) الف نسمة اكثرهم من المسلمين الذين تكون الاغلبية منهم من السواحليين والعرب ويليهم الهنود . والمتاجر هنا مليئة بانواع الخضار والفواكه ، وهي رخيصة الثمن الا ما كان مستوردا من الخارج كالعنب الذي يستورد من اسبانيا والتفاح الذي يستورد من لبنان .

ومعظم المطاعم هنا بأيدي الهنود ، ولا نستسيغ طعامهم لأنهم يكثرون من البهارات وخاصة الفلفل ، ويوجد بعض المطاعم العربية التي تقدم الطعام على الطريقة

العربيــة ، وهي ارخص مــن المطاعم الهندية ، الا أنها اقل نظــافــة .

يوم الجمعة : ١٣٨٤/٥/٢٦ هـ .
٢ /١٩٦٤/١٠ م .

في مكتب الوالي السابـق :

ذهبنا الى مبنى المحكمة الكبرى في ممباسة حيث قابلنا السيــد (الامين بــن سعيــد المنذري) والــي ممباســة والساحل سابقا من قبل سلطان زنجبار الذي كان يعــين واليــا على الساحل المذكور بموجب اتفاقيــة معقودة بينه وبين الانكليز . وقد الغي هذا المنصب بعد استقلال كينيــة قبل عامين ، واصبح الوالي يشغل وظيفة نائب الحاكم العام في ممباسة والساحة ، واما منصب الحاكم فيشغله افريقــي مسلم ، وله الآن نائبان احدهمــا انكليزي والآخر عربــي وهــو الامين بــن سعيد المذكور ، وهو عربي الاصل قدم اهله منــذ اكثر مــن مائتي سنة الى شرق افريقية ، ويتكلم العربية بصعوبة ، وان كان يفهمها بسهولة ، وقد سلمنا عليه واخبرناه اننا مــن المدينة المنورة ، وطلبنا منه ان يتكرم علينا بارسال احصاءات رسميــة عــن عدد المسلمين والعرب اذا كان يوجــد في مكتب الحاكم العام احصاءات وسجــلات لهم ، فوعدنا بذلك . ثم ودعناه شاكريــن . وبعد خروجنا

منــه قابلنا احد ضباط الجيــش الكيني الكبار وهو عربي الأصل مــن عمــان ايضا .

وقد اتيحت لنا فرصة الاجتماع ببعض العرب الذيــن عاش اجدادهم في الساحل الشرقي من افريقيــة مدة تبلــغ عــدة قــرون ، وكلهــم مــن عمــان ، شاهدنا تأثــير البيئة الافريقيــة مدى هذه الفترة واضحة عليهم ، فقــد ازدادت الوانهم سمرة ، وبدت على انوفهم علامــات الانف الافريقي في الظهــور ، أي انهم قد بدأوا يفقدون شيــئا مــن خصائصهم الجسدية وتقاطيعهم العربيــة ، والحقيقــة انهم لم يفقدوا هذا فحسب ، بل فقدوا ايضا لغتهم العربية ، الا المثقفين منهم ، اذ قد تحدثنا مع كثير منهم عن الوضــع الحاضر للعرب في شرق افريقيــة ، وعن الأسباب الحقيقيــة لكارثة زنجبار ، وعــن علاقتهم بالافريقيــين مــن اهــل الساحل في المستقبل وآمل ان اتوصل الى بعض الانطباعات الحقيقيــة عــن ذلك في المستقبل بعد الوصول الى تنجانيقه وزنجبــار .

هذا وقد ادينا صلاة الجمعة في مسجد كبير يقع بــين الحي القديم في ممباسة ، وبين حي ماجنقو الافريقي فــي منطقة اكثر سكانها مــن العرب . وكان المصلون خليطا من العرب والافريقيين ، والقى فضيلة الشيــخ عمــر محمــد فلاّني ، والشيــخ ابو بكر جــابــر في المصلين موعظتين بعد الصلاة .

نزهة على ساحل المحيط :

علم بقدومنا بعض اخواننا العرب من المقيمين هناك من الحضرميين واليمانيين فأبوا الا أن يكرمونا ويبالغوا في اكرامنا . وقد اخذنا اليوم بعد العصر احدهم بسيارته وهو الشيخ عامر بن نهيد من حضرموت ، في نزهة في ضواحي مدينة ممباسة ، حتى استقر بنا المطاف في منتزه على شاطىء المحيط الهندي مما يلي شرقي ممباسة . وهو منتزه جميل والمنطقة غاية في الجمال ، حيث يتمتع المرء بهواء بليل ، ونسيم عليل ، وينقل بصره بين زرقة مياه المحيط ، وخضرة الأرض على الشاطىء وهي منطقة تعتبر من ضواحي مدينة ممباسة عمَّرها الأوروبيون بفيلات جميلة محاطة بحدائق ومتنزهات ، وساحات لعب خضراء واسعة .

وفي هذا الجو الذي كان يتبادر الى ذهن القارىء العادي بل المثقف في بلادنا الذي قرأ ما كتبه الجغرافيون العرب الأقدمون عن الطقس تحت خط الاستواء وأنه حار شديد الحرارة تحققنا من عدم صحة ذلك لأننا وجدنا الطقس جميلا ، معتدلا غاية الاعتدال ، وأخبرنا المقيمون في هذه البلاد من العرب انه لا صيف فيها ولا شتاء الا ما لا يكاد يذكر ، والوقت الذي يأتيهم البرد النسبي هو في شهري يونيو ويوليو اشد ايام الحر في بلادنا ، أي في النصف الشمالي من الكرة الأرضية . وسبب البرد

النسبي فيهما هو كثرة الامطار ومن ثمة يبرد الهواء تبعا لذلك . وهم لا يعرفون شيئا من السموم ، أو الريح الحارة ، كما لا يعرفون الصقيع او الجليد بطبيعة الحال . ومعظم الزراعة عندهم تعتمد على المطر الذي يأتيهم في اكثر فصول السنة وان كان يختلف كثرة وقلة في فصل دون فصل ، ويقولون انه لا يخلفهم ابدا .

يوم السبت : ١٣٨٤/٥/٢٧ هـ .
٣ /١٩٦٤/٩ م .

قمنا بزيارة عدد من المدارس والكتاتيب الاسلامية وأهمها مدرسة الفلاح ، ويديرها أخ عربي حضرمي يدعى مبارك بن حريز ، كما قمنا بزيارة مسجد سكينه ، وهو بناء عظيم ، قامت بالعبء الرئيسي من انشائه سيدة مسلمة هندية ، تدعى « سكينه » ، وشارك فيه عدد من المسلمين منهم هنود وعرب ، وهو يتألف من عدة مبان يضمها فناء واسع مسور بسور خارجي يدخل اليه من بابين رئيسيين ، وتظلله الأشجار الكثيفة ، وبداخله المسجد الجامع ، ومساكن للمسلمين الفقراء ، وقاعة اجتماعات كبيرة ،ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ، ولهذا البناء الاسلامي الكبير اوقاف تدر عليه آلاف الريالات شهريا ، تكفي لصيانته وترميمه وهو في الواقع مفخرة من مفاخر المؤسسين . وقد

وجدنا ان من خير ما يفعله المسلمون في هذه البلاد ان يقفوا الأوقاف على المساجد والمدارس والمؤسسات لكي تستطيع مواصلة اعمالها . وقد ذهبنا فور انتهائنا من زيارة المدارس المذكورة الى فضيلة رئيس القضاة الشيخ محمد قاسم المزروعي وسلمنا للمدارس وللجمعيات الاسلامية التي تحققنا من انها ذات نشاط نافع ، مساعدات مالية رمزية باسم الجامعة الاسلامية بالمدينة ، وذلك بحضور فضيلته .

وبعد العصر قمنا بزيارة ثانية في السيارة للضواحي القريبة من مدينة ممباسة وتمتعنا بالمناظر الجميلة على المحيط الهندي الذي كانت نسماته تحيل هذا الجو الاستوائي الى ربيع جميل .

وبعد صلاة العشاء واصلنا اجتماعنا الى الاخوان العرب والمسلمين الذين جاؤوا الينا للسلام والتعارف وعرضوا ما يحتاجون اليه لابلاغه للمسؤولين في الجامعة الاسلامية ، مما يدخل في نطاق اختصاصها ، وقد استمرت تلك الاجتماعات الى ما بعد منتصف الليل .

يوم الاحد : ١٣٨٤/٥/٢٨ هـ .
٤ /١٠/١٩٦٤ م .

العودة الى نيروبي :

قمنا مع الفجر لنذهب الى مطار ممباسة ، وقد حضر الينا

بعض الاخوة العرب وأبوا الا ان يرافقونا بسياراتهم الى المطار ، رغم المشقة التي يتكبدونها في هذا الوقت المبكر . وقد شكرنا لهم هذه الروح الكريمة ، وأدينا معهم صلاة الفجر جماعة في مطار ممباسة . وركبنا الطائرة قبل طلوع الشمس بقليل ، والطائرة تابعة لشركة الخطوط الجوية لشرق افريقية ، وهي صغيرة من طراز داكوتا ، وكان معظم الركاب في هذه الطائرة كغيرها من الطائرات التي ركبناها في افريقية من غير الافريقيين اذ كانوا من الاوروبيين والهنود ، ومضيف الطائرة شاب افريقي ليس في قدرة المضيفين الأحباش ولا المضيفات الأوروبيات على الخدمة . وفي هذه الطائرة رأينا تقليدا بريطانيا طبيا هو ان يصدر المسؤول في الطائرة نشرة تتضمن معلومات كاملة عن الرحلة ، وارتفاع الطائرة بالنسبة الى سطح الأرض ، وبالنسبة الى سطح البحر ، ومقدار سرعتها ، وأسماء ملاحيها ومتى تصل الى المطار التي تقصده ، وتوزع هذه النشرة على الركاب ، أما ملاحو الطائرة فهم جميعا من البريطانيين ، وقد حددوا وصول الطائرة الى مطار نيروبي في الساعة السابعة والدقيقة السادسة عشرة ، وقالوا ان هذا موعد تقريبي ، ومع ذلك فقد وصلنا في نفس الدقيقة المحددة لم تزد على ذلك ولم تنقص حتى ولا نصف دقيقة حيث لامست عجلات الطائرة الارض في تمام الدقيقة السادسة عشرة بعد السابعة ، وقد

بلغت الرحلة كلها حوالي ساعة ونصف .

ونظرا لأن الرحلة كانت داخلية فلم تتخذ اية اجراءات في المطار ، وقد راجعنا مكتب الشركة في مطار نيروبي وطلبنا ان تحجز لنا مقاعد للسفر غدا بالطائرة الى «كمبالا» عاصمة اوغندة ، فوجدنا ان الطائرة التي تسافر رأسا من نيروبي الى كمبالا قد حجزت جميعها وقالوا ان هناك طائرة اخرى تسافر فجرا الى كمبالا ولكنها تمر بمدينة كيسومو في كينية ومدينة (جنجا) في اوغندة وهي طائرة صغيرة ايضا. وقد فضلنا السفر بها ولو كانت متعبة ، على الانتظار الى ما بعد غد لكي نوفر يوما واحدا ، حيث انه قد بقي علينا كثير من البلدان ، والايام المحددة لمهمتنا لا تكفي .

سباق السيارات القديمة في نيروبي :

رأينا في اكبر الشوارع الرئيسية في نيروبي جمهورا من الأوروبيين وجماعة من الشرطة يمنعون السيارات من عبور الشارع ، ولم نعرف السبب في ذلك حتى وصلنا فرأينا منظرا جميلا جدا . انه مسابقة للسيارات يقيمه نادي سيارات « اسو » وتدفع الجوائز ومصاريف السباق شركة « اسو للمحروقات » .

وقد كانت مسافة السباق قصيرة نسبيا وقد وضع وسط الشارع على الأرض عدد من اطارات السيارات يفصل بين كل واحد منها حوالي عشرة امتار ، وعلى صاحب

السيارة التي تشترك في السباق ان يمر بسيارته بسرعة معينة، بين تلك الاطارات ولا تمسها عجلاتها ، وطبيعي ان ذلك يقتضي ان تكون اجهزة التوجيه في السيارة على جانب من الصلاحية للانعطاف بسرعة . وبعد ذلك يأتي حاجز يجب عليه ان يقف عنده فجأة وبحد معين للسرعة . وهناك على الطريق اوعية تشبه السطل .. (الجردل) على يمين الطريق ويساره يجب عليه ان يضع فيها وهو مسرع ايضا ،كرات تعطى له ، وطبيعي ان ذلك يقتضي تمهلا ، ولكن التمهل قد يجعل السائق يخسر السباق ، اذ لسرعة تأدية العمل اهمية كبرى في تقدير صلاحية السيارة او عدمها . ثم يأتي اطرف مرحلة في السباق وهي ان يحمل السائق معه شخصا آخر في السيارة يختاره بنفسه ويعطي لذلك الشخص ملعقة كبيرة بها قطعة من البطاطس تقارب حجم البيضة وقبل ان يصل الى خط معين على الأرض وعنده جمهور الناس عليه ان يقف دونه تماما وبسرعة معينة فاذا لم تسقط قطعة البطاطس من الملعقة التي يحملها زميله اعتبر ناجحا ، والا اعتبر راسبا ، في هذه المرحلة من السباق .

ان ذلك شيء طريف ، ولكن لا يمكن ان تتصور طرافة هذا السباق كما رأيناه الا اذا علمت أن السيارات المشتركة في السباق كلها قديمة من « موديلات » ربما لم تكن سمعت بها من قبل لأن السيارات في ذلك الوقت لم تنتشر في بلادك .

وهذا نمــوذج منها حسب القائمة التي وزعت عليــنا نحــن المشاهديــن مــن ادارة السباق مثلا :

١ ــ سيارة فورد « موديل » ١٩١٢ أي ان عمرها اثنــان وخمسون سنة ، تملكها شركة هجز ويسوقها المستر (بوب روس) .

٢ ــ سيارة رولز رويس « موديل » ١٩١٣ بعــد السيارة المذكورة قبلها بسنــة ، يملكها المستر (س.كيرتس) ويقودها بنفســه .

٣ ــ سارة تالبوث « موديــل » ١٩١٣ أي ان عمــرهــا كالاولى يملكها المستر (ل.بالفانوف) ويقودها المستر (د.ل.مرخام) .

هكذا تتدرج السيارات المذكورة في حداثة الصنــع وعددها جميعا (٢٤) سيارة حتى نصل الى احدثها جميعها وهي سيارة م.ج «موديل» ١٩٣٣ يملكهــا المستــر (ج. كورنيش) ، ويقودها بنفسه ، أي ان احــدث سيــارة في المجموعة يبلغ عمرها احدى وثلاثين سنة !!

انه منظــر ممتع جدا . اشكال وأنواع مــن السيارات القديمة ، أخذنا نشاهدها لا مرسومة على الــورق ، أو معروضة جامدة في متحف ، ولكــن حية متحركة تذهــب وتجيء ، وتسرع وتقف بسرعة وتلف وتدور .

وانك لتعجب كيف حافظ اصحابها عليها صالحة للسير طيلة هذه السنوات . انه حب الأوروبيين لكل شيء طريف ، وان للتشجيـع على ذلك اكبر الأثر . فصاحب أصلح سيارة مـن السيارات القديمة اضافة الى ما يحصل عليه من الشهرة وتسليـط الأضواء على عمـله ، فانه يكسب جائزة مادية طيبة تجعله يزيـد حرصه عـلى بقـاء سيارتـه ، ويحافظ عليـها .

لقد اجري السباق في الشارع العام ، ولذلك رأينـاه بدون علم سابق ، ومشاهدته مباحة للجميع بالمجان ، أي ان مـن يشاهده لا يحتاج الى دفع أي رسم . ومع ذلك فقد شاهدنا ظاهرة تستوجب النظر . لقد لاحظنا ان جميـع المشاهديـن يكادون يكونون مـن الأوروبيين فقد جـاء الاوروبيون لمشاهدته مع عائلاتهم واطفالهم ، وكان الرجال يحملون اطفالهم على اكتافهم ، ليمكنهم متابعة السباق ، نظرا لكثرة الزحام مـن الاوروبيين وكانت النساء الأوروبيات يتبرعـن بتوزيع الأوراق التي تتضمن البيانات عن السباق ، والارقام التي تسجلها كل سيارة وكـن يوزعن الابتسامات مع كل ورقة على جميـع الحاضرين .

اما الافريقيون فكأن ذلك لا يطربهم ولا يهز مشاعرهم، فقد لاحظنـا ان مـن يمـر بنا يلقي نظرة عابرة ثم يمضي في سبيله .

وقد استرعى ذلك انتباهنـا وجعلـت انا وصاحباي نبحث عـن الافريقيين بين المشاهديـن فلم نجد الا شخصين اثنين وربما كـان لوجودهما عـلاقة عمـل كأن يكونـا مستخدمين في السباق ، أو ينتظران احدا من الحضور .

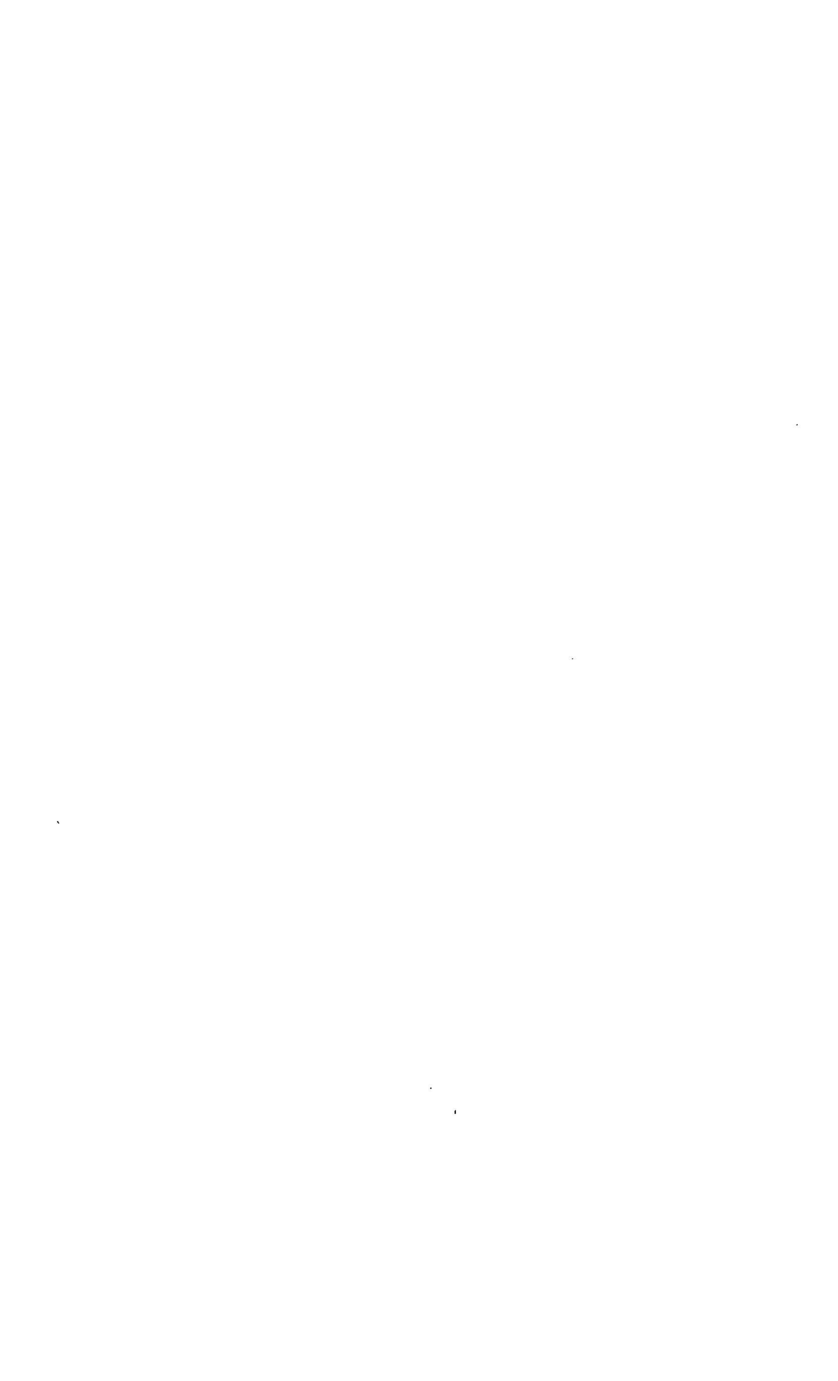
كما أن عـدد الآسيويين قليـل ، ويوجـد الـى جانبنـا نحـن الثلاثة بضعة عشر هنديا ، اما اصحـاب السيارات ومرافقوهم فكلهم من الاوروبيين .

ولم نستطع مغادرة المكان الا بعد ان اعلنت النتيجة النهائيـة وانتهى ذلك السباق الطريف .

* * *



إلى كينية .. مرة أخرى



يوم الجمعة : ١٣٨٦/٥/٢٤ هـ .
٩ /١٩٦٦/٩ م .

من مقديشو الى نيروبي :

ركبنا طائرة ذات اربعة محركات من طراز د.س(٦) تابعة لشركة خطوط عدن الجوية من مدينة مقديشو قاصدين مدينة نيروبي .

وفي مطار نيروبي فتشوا امتعتنا تفتيشا شديدا على خلاف عادتهم وذلك لان الطائرة كانت قادمة من عدن قبل نزولها في مقديشو ، واكثر ركابها قدموا من عدن . وعدن منطقة تجارية حرة ليس فيها مكوس لذلك فانهم يشددون التفتيش بالجمرك حذرا من وجود بضائع مخفاة مع الركاب .

وقد نزلنا في فندق « شان » عند صديقنا الاخ محمد سعيد الحضرمي .

عملنا في كينية :

يتضمن عملنا في كينية البحث مع الجمعيات الاسلامية بشأن ارسال مدرسين ومرشدين اليهم ، واختيار طلبة للجامعة الاسلامية ، وتوزيع بعض المساعدات المالية على الهيئات والمدارس الاسلامية . وقد باشرنا القيام

بهذه الاعمـــال ببطء حذرا من ان نصادف عقبات لم نحسب لها حسابا .

يوم الاثنين : ١٣٨٦/٥/٢٧ هـ .
١٩٦٦/٩/١٢ م .

الدكتور محمـد العيسى :

قـــال لنا صاحب الفندق الذي نسكن فيه في نـيروبي ان هناك طبيبا سعوديـا يسأل عنكم ويقول انه سيأتـــي لرؤيتكم ، وقد استبعدنا صحة قوله، اذ ما للاطباء السعوديين ولهذه البلاد ، وهم قد جندوا انفسهم للخـــدمة في بلادنـا السعودية التـــي تتعاقد مع عشرات بل مئات الاطباء مـــن البلاد المختلفة ؟ ولا يعقل ان يترك احد منهم عمــله ويأتــي الى هذه البلاد ليعمل فيها .

وبعد صلاة المغرب حضر الينا الدكتور محمـــد بـــن احمـــد العيسى وهو سعودي مـــن مواليد مكة المكرمة ، وقد سررنا للقائه ، ولا نعرف انه يوجد في كينية احد من السعوديين غيرنا نحـــن الثلاثة . وقال لنا الدكتور العيسى انه قد ترك الرياض منذ اكثر من ستة اشهر في جولة دراسية على حساب الصحة العالمية تتضمن حلقات دراسية في موضوع تخصص الدكتور العيسى ، وهو الامراض الصدرية ، وقد شملت الدراسة بريطانيـــة والدانمـرك ، وآخرها مـــدة

شهريـــن في نيروبي للاطلاع على احوال الامراض في الصدر في بلدان شرق افريقيـــة ، وعلى المؤسسات التي تعالجـــها هنـــا فيها ، وقال انه قدم قبـل حوالي عشريـــن يوما ، وقد انسنا به كثيرا ، وانتقل من الفندق الذي كان يسكن فيه الى فندقنـــا .

يوم الاربعاء : ١٣٨٦/٥/٢٩ هـ .
١٩٦٦/٩/١٤ م .

حديقـة الحيـات :

ذهبنـــا بعد ظهر اليوم الى حديقة الحيات في نيروبي ، وكان رسم الدخول شلنين للشخص الواحد .

اما الانواع المنوعة مـــن الحيات والافاعي والثعابين الموجودة في الحديقة فمنظرها رائع بل مفزع فهناك مجموعة بل مجمـــوعات كبيرة منـــها وقد وضع بعضها في الحوائط تحجزها عـــن الخروج نوافذ زجاجيـــة يمكـــن للمتفـــرج مراقبتها مـــن داخلها ، وكتب على واجهاتها بيانـــات عـــن تلك الحيات ، ومواطنها الاصلية ، وبعضها قـــد احيط بمـــا يشبه البيئة الطبيعية التي كان يوجد فيها الأصل فنشـــرت حوله اوراق الشجر ، او جعل معه اعواد الحطب ، او فرش مكانه بالرمل او الحصى ، وكان اخطرها ما لا تستطيع ان

نميزه عما يحيط به الا بعد جهد ، وهذا هو الخطر لان المرء لا يراه ، وبعض الافاعي قد ترك في قفصه غذاءه من الجرذان وصغار الضفادع .

ومـن اعجب ما فيها أفعى كبيرة سوداء اللون منقطة ببيـاض قد افردت لها حجرة ارضيتها خاصة ويطل المـرء عليـها مـن نافذة زجاجيـة فوقها فتراها هنا وقد انطوت عدة طيـات فيخيـل اليك انهـا مجمـوعة مـن اطارات السيارات الصغيرة الداخليـة السوداء قد نفخت واعـدت للاستعمـال .

شيء عجيـب ، لا يمكـن للمرء الا ان يذهل لـه ويدهش ، واعتقـد انها لو وزنت لبلغ وزنها وزن خروف .

ومـن الحيات القصير الضخم الذي لا يزيد طـوله على ذراع ولكنه اعـرض مـن ذراع الرجـل ، ورأسـه مفلطح لا يميزه غير ذلك عن بقية جسده ، وهناك مكـان مسوّر غرست فيه مجمـوعة اشجار وحشائش ووضع فيه مستنقع صناعي للميـاه وتركت فيه الحيات تعيش علـى طبيعتها فتتسلق الاشجار ،وتتلوى على الاغصان ، أو تختبىء بين الحشائش ، أو تدخل تحت الاحجار ، أو تقرب مـن المستنقعات ، وجداره يبلغ ارتفاعه قامة الرجل ولكنه مطلي بمادة ملساء لا تسمح للحيات بان تتسلقها ويشرف عليهـا المتفرج مـن فوق .

وفي ركـن آخـر من المتحف موضـع للسـلاحف بانواعها . وآخر للورل وثالث للتماسيح الضخمة التي رأينا عيونها كأنمـا تغرق بالدموع فذكـرنا المثل « دمـوع التماسيـح » .

وقد خرجنـا مـن الحديقة المذكورة قبل الغروب وفي ذهـن كل واحد منا صورة لذلك العالم المفزع الذي كنا قد عشنا فيه من قبل : عالم الحيات ..

يوم السبت : ٢ /١٣٨٦/٦ هـ .
١٩٦٦/٩/١٧ م .

في فـورت هـول :

قمنـا مبكريـن بزيارة لمنطقة « فورت هول » وهي منطقة يكثر فيها المسلمون وبخاصة مـن قبيلة (الكيكويو) اكبر قبائل كينية وفيها قرية خاصة للمسلمين هناك تدعـى «مسلم فيلج فورت هول» يبلغ عدد سكانها حوالي ثلاثة آلاف نسمة حسب ما ذكره لنا الاستاذ احمد محمد مبارك رئيس القرية الذي قابلناه هناك . وفيها مسجد بني عـام ١٣٢١ هـ وفيها مدرسة (كتاب) لتعليم مبادىء اللغة العربية والدين الاسلامي تضم حوالي (٦٠) طالبا ما بين طفل وطفلة ولها مدرس واحد ضعيف يدعى عبدالله بن سالم بن عبيد ،

وقد تخرج من المدرسة الكبيرة في «ممبروى» في ماليندي على ساحل كينية ، ويستلم مرتبا قدره (١٢٠) شلنا أي حوالي ٦٨ ريالا سعوديا في الشهر ، ويدفع راتبه جماعة من المحسنين من اهل القرية . كما زرنا مدينة «امبو» التي تبعد حوالي ٣٧ ميلا من الاولى ، وقابلنا فيها الشيخ صالح محمد مبارك دومان وهو عربي الاصل مولود هنا وأبوه من حضرموت وامه من قبيلة الكيكويو ، وله جهود سابقة في نشر التعليم الاسلامي ، وهو يشغل الآن وظيفة عمدة قرية «امبو» الى كونه مساعد قاضي المسلمين في منطقة «فورت هول» . وقد تحدثنا معه في الشؤون الاسلامية العامة وفيما يختص المسلمين في منطقته خاصة وتبين لنا من حديثه انه يطمح الى ان يولى شؤون المسلمين لا في منطقته فحسب بل في كينية عامة بحيث تكون المساعدات التي تقدم للمسلمين على يده ، وهذا احد اسباب ضعف المسلمين هنا ، كل منهم يرغب ان يكون الرئيس على الجميع . ومن هناك توجهنا الى مدينة «نيري» القريبة من جبل كينية المشهور ، وتبلغ نسبة المسلمين فيها حوالي ١٢٪ وكان فيها مدرسة اسلامية اغلقت ابوابها منذ مدة بسبب عدم وجود مدرس للعلوم الاسلامية. ونيري تبعد عن نيروبي ٢٠٢ ميلا . وقد استغرقت رحلتنا يوما كاملا واكثر من نصف ليلة فقد سافرنا بسيارة احد الاخوان العرب وهو يؤجر السيارة المذكورة ، وكنا ثلاثة الدكتور محمد العيسى والاخ عبد الله الباحوث وانا ، وقد تركنا نيروبي مع

طلوع الشمس ولم نسترح اطلاقا الا في مدينة نيري حيث تناولنا طعام الغداء عصرا ، ثم تركناها بعد ان اكملنا عملنا قبل المغرب بقليل ولكننا بعد ان قطعنا حوالي ٤٧ كيلومترا وكانت الشمس قد غربت انفجرت احدى عجلات السيارة ووجد السائق ان العجلة الاحتياطية غير صالحة ، فجلسنا في الظلام الدامس مدة طويلة ، وكان اخشى ما نخشاه الهوام والحيات ، ولكن بعد مدة مرت سيارة وكان السائق يعرف صاحبها ، فأسعفه بما مكنها من السير ، وعدنا الى الفندق في تمام الساعة الواحدة والنصف صباحا ولم تتناول طعام العشاء .

يوم الاحد : ٣ /٦/١٣٨٦ هـ
١٩٦٦/٩/١٨ م

الوحوش الطليقة :

هناك في كينية توجد حديقة اسموها (نشنال بارك) توجد فيها الوحوش الطليقة ولا يسمح للمرء ان يتجول فيها الا راكبا في سيارة . وعندما اردنا زيارتها قيل لنا بأن افضل وسيلة لذلك ان نذهب مع احدى الشركات السياحية التي تهيىء سيارات لهذا الغرض يقودها سائقون مهرة يترددون عليها كل يوم ، ويعرفون المواطن التي تستحق الزيارة اكثر من غيرها ، وهكذا كان .

ففي هذا اليوم ذهبنا الى شركة افريقيـة الشرقيـة للسياحة وحجزنا ثلاثة مقاعد في احدى السيارات قيمة كل مقعد جنيهان ، وذلك خلاف الرسم المقرر على كل شخص لادارة الحديقة المذكورة وقدره خمسة شلنات على ان تكون مدة التجوال اربع ساعات من الساعة الواحدة ظهرا حتى الساعة الخامسة .

وقد قامت بنا السيارة قبل الموعد المحدد بربع ساعة، وعليها نحن الثلاثة الدكتور محمد العيسى والاستاذ عبدالله الباحوث وأنا ، ورجل اميركي ثري ومعه زوجته قال لنا فيما بعد : انه يعيش في (ديترويت) عاصمة صناعة السيارات في الولايات المتحدة الاميركية ، وان زوجته سويدية الاصل وانهما ذهبا لزيارة اهلها في السويد ، وقررا بعد ذلك ان يأتيا الى كينية لرؤية هذه الحديقة ، اما السادس فهو رجل اعمال هولندي قال انه يدير شركة للمصنوعات النحاسية وانه سبق له ان زار الرياض والظهران وجدة ، ومعظم البلاد العربية .

وقد دخلناها من بوابة كبيرة عادية . وهي عبارة عن مثلث رأسه تلك البوابة التي دخلنا منها ، وأحد ضلعيـه حائط من الاسلاك القوية طوله (٤٥) ميلا ! تصور ، حوالي سبعين كيلومترا حائط واحد ، وضلعه الثاني حائط ايضا ، يقرب طوله من طول الحائط الاول ، اما الضلع الثالث المقابل للباب فهو فضاء أي لا جدار فيه اصلا .

وقـد عمل الانكليز ذلـك لكي يوفـروا للوحوش

والحيوانات البرية بيئـــة طبيعية لا يلاحقها فيها ملاحــق ، فحرموا الصيد تحريما قاطعا في تلك المنطقة ، كما حرموا ان يمس شجرها او اعشابها بسوء ، وفي داخل المنطقة توجد انهار صغيرة وبحيرات ومستنقعات الى جــانب الاشجار الكبــيرة .

وعندما دخلنــا الحديقة رأينا لوحة عليها تنبيهــات وتحذيرات كثيرة ، من بينها : احذر الاقتراب من الجاموس البري، ومن الكركدن، أي وحيد القرن أو الخرتيت، وذلك لان كلا منهما شرس الى حد انه يستطيع اذا اثير ان ينطح السيارة بقرنيه حتى يقلبها ويلحق الضرر بمن فيها كمــــا حذرونا من النزول من السيارات .

واول ما رأيناه في الحديقة قطيع من النعام اقدر عدده بأكثر من خمسين نعامة ، وهي تتهادى في مشيتها وتتبختر . وقطيع آخر من نوع من الظباء كبير لا يوجد في بلادنا .

ثم رأينا الاسد مع اللبؤة رابضين ، ولم يكــن بيننا وبينهما لا اقل مــن خمسة امتار ثم رأينا بعد ذلك أسودا كثيرة . وقد قال لنا السائق وهو خبير بهذا الامر ان الاسد لا يعد خطرا هنا على الركاب اللذين يظلون في السيارة . ثم رأينا قطيعا ضخما من الحمر الوحشية المخططة (حمر الزرد) ثم قطيعا آخر من بقر الوحش . ثم قطعانا كثيرة من الوعول او الوضيحي كما يسمى عندنا ثم قطعانا من الاروى ثــم

زرافات كثيرة (جمع زرافة) ثم فيلة ، ثم أنواعا من القرود غريبة كان السائق يداعب بعضها باعطائها من وراء زجاج السيارة اصابع من الموز فيقفز القرد ليأخذ الموز الذي يحبه ولكنه يصطدم بزجاج السيارة فيغضب ويولول ، ثم يقفز مرة اخرى الى السيارة وبعد لأي يعطيه السائق اصبع الموز.

اما الطيور فهي كثيرة متعددة واكثرها البط البري في البحيرات ، والغرانيق ، والرهو وانواع من الاوز والدجاج الحبشي .

وكذلك رأينا قطعانا من الجواميس البرية المتوحشة لم نحاول الاقتراب منها وكذلك اعدادا من الكركدن ، وانواعا من الثعالب غريبة .

وبعد ان قطعنا مسافة تقدر بحوالي (٤٠) اربعين كيلا من الباب الخارجي وصلنا الى نهر صغير كتب عليه (احذر من التماسيح) ويقف حوله الناس ليشاهدوا التماسيح في النهر وقد رأينا احدها من منطقة بعيدة نسبيا .

وأعظم ما رأيناه عند ذلك النهر ليس التماسيح بل اسرابا تقدر بالمئات ان لم يكن بالالوف من طيور الصيد على فروع الاشجار الضخمة العالية ، وهي ليست على مرمى البندقية فقط بل اقرب من ذلك .

وبعد ان لبثنا فترة من الوقت على ضفاف ذلك النهر الجميل ، استأنفنا السير في مناطق بعيدة نوعا عن الطرق

الرئيسية التي كثير منها معبد بدون اسفلت ، وتخيلت كيف كانت الوحوش ، والحيوانات تنظر الى الانسان الاعزل من السلاح في العصور السحيقة . انها بلا شك لا تنفر منه كما تفعل اليوم بدليل انها هنا لا تنفر منا الا من مسافة قريبة جدا ، وذلك بسبب الاوامر المشددة بعدم حمل السلاح او ازعاج الحيوانات ، فضلا عن اصطيادها .

ثم قصدنا رابية خضراء تشرف على سهول طبيعية سلمت من عبث الآدميين منذ سنوات ، وقال لنا السائق اننا هنا نستطيع ان ننزل قليلا ونستلقي على الاعشاب لنأخذ قسطا من الراحة ونستطيع ان نرى أي حيوان خطر قد يأتي الينا ، مع انه ذكر ان معظم الوحوش لا تهاجم الانسان اذا لم يستفزها . وقد كان ينقص تلك الاستراحة بالنسبة لنا انه لم يكن معنا ادوات القهوة والشاي (معاميل) لنصنع القهوة والشاي على طريقتنا كما كنا نصنع في صحراء بلادنا.

ولقد تكونت بين ركاب السيارة على تباعد بلدانهم صداقة كانت نتيجة صحبة ساعات معدودة،ولكن نظرا لغرابة المناظر وتنوعها ، فقد كان كل شيء داعيا لتبادل الحديث والاستفسارات وقد قلنا في احدى المناسبات ان كثيرا من هذه الوحوش اخذ الاوروبيون اسماءها من لغتنا العربية . وعلى سبيل المثال هناك في اللغة الانكليزية : الغزال ، والزرافة ، والفيل ، كلها اخذتها اللغة الانكليزية من العربية، وبعد ان قضينا الوقت المحدد عدنا الى نيروبي ونحن لم

نشف الغليل من زيارة تلك البلاد الواسعة التـــي يسمونهـــا حديقـــــة .

وعندما وصلنا الى نيروبي اقترح علينا الهولندي ان نجمع مبلغ(١٠)شلنات ونعطيها للسائق جزاء ما قام به نحونا، وقد وافقناه على ذلك . ويذكر ان المسافة بين نيروبي وباب الحديقة هي عشرة كيلات فقط .

يوم الثلاثاء : ١٩/٦ /١٣٨٦ هـ
٤ /١٩٦٦/١٠ م

السفر الى ممبــاسة :

ذهبنا في تمام الساعة الثانية عشر ظهــرا الى نيروبي لنسافر على شركة خطوط شرقي افريقية الجوية ، وهـــي الشركة الوحيدة التي تملــك حق النقل الداخلــي هناك ، والموظف الذي كان في الشباك الذي وقفنا امامه شابا افريقيا قطع تذاكر الرحلة لنا من نيروبــي الى ممباسة ، واعطانـــا ايصالات الحقائب ، واوراق الدخول الى الساحة الداخلية ، وساحة الخروج الى المطار .

ولكن ما ان جلسنا حتى سمعت مكبر الصوت ينادي علي ، وعندما عدت الى الموظف الافريقي قال لي انكم لن تسافروا ، فقلت لماذا ؟ فلم يفهم مني ولم يفهمني ، وهكذا

وقفنا محرجين ، وأخذوا منا ايصالات الحقائب فخرجنا الى ردهة المطار الخارجية واعادوا التذاكر الى مكانها وبعد برهة جاء الينا موظف هندي وطلب ان نصحبه الى مكتب آخر ، ثم اتصل بالهاتف بمكتب الشركة في نيروبي وذكر اسماءنا وغيرها ثم قال : ان ركاب الطائرة كثيرون وانتم لم يأتنا من مركز الشركة في نيروبي حجز لكم ، ثم أشار الى شخصين آخرين والى شخص ثالث وكلهم اوروبيون وقال انهم مثلكم . فاطمأنت خواطرنا حيث خفت ان يكون في الامر التباس وان يكون لدى المطار امر بعدم اركابنا ثم قال لنا : ان عليكم ان تنتظروا في المطار مدة خمس ساعات وهكذا بقينا المدة المذكورة وقد قدمت لنا الشركة الغداء في مطعم المطار على حسابها وسافرنا في تمام الساعة السادسة والنصف مساء أي مع غروب الشمس .

وكانت الطائرة من طراز (فرند شب) ذات المحركين التوربينيين . والملاحون من الانكليز ، اما المضيفان فهما فتى وفتاة افريقيان . واما الركاب فأكثرهم من الاوروبيين وهم خليط من الاوروبيين بحيث كنت اسمع الحديث بلغات غير الانكليزية ، ولم اشاهد في الطائرة التي امتلأت جميع مقاعدها بالركاب الا شخصا واحدا افريقيا .

في ممباسة :

نزلنا في فندق (تاج محل) ويملكه مسلم هندي ،

واجرة الغرفة فيه (٢٠) شلنا في الليلة . وهو نظيف وجميل ، وبه مطعم جيد نظيف ويقع في حي اسلامي خالص ، وقريب من الحي القـديم في ممباسة الذي يسمى (اونجي كالي) ويفصل بينهما شارع عام مسفلت .

واكثر ما يسترعي انتباه الزائر لمدينة ممباسة كثرة الذين يرتدون الزي العربي ، وخاصة الجلباب والطاقية ، او الفوطة التي يستعملها اهالي جنوب الجزيرة العربية ومعها الطاقية غطاء للرأس .

وقـد تجولنا في شارع (سالم رود) اكـبر شوارع ممباسة ، وهو منسوب للشيخ سالم بن خلفان احد رجالات العرب من العمانيين الذين كان لهم جهود بارزة في ميـدان الحكم والاصلاح في منطقة ممباسة .

ويذكرون انه عند استقلال البلاد عرض بعض الوطنيين الافريقيين على الرئيس جومو كينياتا ان يغير اسم الشارع فيسمى باسمه ، فامتنع من ذلك ، وقال : لقد عمل سالم ابن خلفان لممباسة اكثر مما عملت ، ولذلك لا ينبغي محو اسمه من الشارع فأطلق اسم جومو كينياتا على شارع آخر في ممباسة وبقي الشارع الاعظم فيها (سالم رود) او شارع سالم على ما هو عليه .

يوم الاربعا : ٢٠/ ١٣٨٦/٦ هـ
٥ /١٩٦٦/١٠ م

اجتمعنا برئيس القضاة المسلمين في كينية فضيلة الشيخ محمد قاسم المزروعي في مكتبه ، وكان هذا اللقاء الثاني حيث كنت قد اجتمعت به في الرحلة السابقة .

وقد بحثنا معه موضوع احوال المسلمين مرة ثانية فكان مما قال : ان رئيس الجمهورية عاقل ، ولا يكره المسلمين ، وقال : ان نسبة الوظائف المعطاة للمسلمين اقل من النسبة العددية لهم بين سكان ممباسة ، وان الحكومة ليست متعصبة ضد المسلمين في موضوع الوظائف . وقال : ان هناك اربعة من العرب حكام مقاطعات في كينية على رأسهم الامين بن سعيد المنذري حاكم ممباسة سابقا ، وقال: ان الحكام العرب المذكورين كلهم من العمانيين ، ثم بحثنا معه موضوع مهمتنا ، وبخاصة مسألة ارسال المدرسين ، واتفقنا معه على ان يجمع في مكتبه كبار المسؤولين عن الدعوة الاسلامية من الافريقيين غدا لنتباحث معهم في هذا الامر بحضور فضيلته .

وبعد العصر زارنا فضيلته في الفندق ومعه الاستاذ محمد بن سليمان المزروعي كاتبه الخاص .

يوم الخميس : ٢١/ ٦/١٣٨٦ هـ .
٦ /١٠/١٩٦٦ م .

مع زعماء المسلمين في ممباسة :

تم الاجتماع بهم في مكتب فضيلة رئيس القضاة في ممباسة وكان بين الحضور الشيخ احمد بن علي بن عمر رئيس الجمعية الاسلامية الافريقية التي تعنى بالتعليم الاسلامي خاصة ، والشيخ محمد بن شيخ ابن محمد قاضي ممباسة الشرعي ، والشيخ سعيد بن احمد القمري ، الداعية الاسلامي المشهور ، والشيخ محمد داود وهو مبشر مسيحي سابق اهتدى الى الاسلام فاهتدى على يده عدد من المبشرين المسيحيين من الافريقيين . وقد جرى البحث في موضوع المدرسين والقيت كلمة في الموجودين قام بترجمتها الى السواحلية فضيلة الشيخ المزروعي وكان اهم ما جاء فيها الحث على الاجتماع ، وتوحيد جهود المسلمين في ميدان الدعوة الاسلامية سواء كانوا من العرب والافريقيين او الهنود ، لأن الاسلام يحارب العنصرية ، والنزعات الطائفية . ويأمر بالاجتماع على الخير كما قال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) فأكد معنى الاجتماع والتضامن ثلاث مرات في هذه الآية الكريمة ، بقوله تعالى (واعتصموا بحبل الله) ثم في قوله (جميعا) ثم قوله تعالى (ولا تفرقوا) .

ثم دار الحديث حول تعدد الجمعيات الاسلامية في ممباسة وكونها تزيد على اربعمائة ، وان اكثرها لا يعمل ، وليس من وجودها فائدة ، بل ان وجودها يسبب الشقاق والاختلاف .

وقد اتفقنا على ان نقدم للجمعية الاسلامية المسماة (الجمعية الاسلامية الافريقية للتعليم الاسلامي) والتي يرأسها السيد احمد بن علي بن عمر كتابا يتضمن اسماء المدرسين الذين ستقوم دار الافتاء في المملكة العربية السعودية بارسالهم الى افريقية ليقوموا بتدريس الدين الاسلامي واللغة العربية في المدارس الاسلامية ، حتى تتقدم الجمعية باسمها للحصول ، على تأشيرات الدخول ، وسمات الاقامة في كينية للمذكورين .

وهكذا كان ، الا انهم ذكروا انهم يتوقعون لانتهائهم من اعداد رخص الاقامة والعمل للمدرسين اشهرا وقد طلبنا منهم الاسراع في انهائها ، وخاصة ان جميع مرتبات المدرسين ونفقات اقامتهم وسكنهم ستدفعها الحكومة السعودية .

هذا وبعد مغرب هذا اليوم حضر الينا في الفندق زعماء الجمعية المذكورة واعضاء مجلس ادارتها الذي يتكون من عشرة اشخاص كلهم من الافريقيين وقد استكملنا بحث الموضوع معهم من جميع نواحيه .

يوم السبت : ٦/٢٣ /١٣٨٦ هـ .
٨ /١٩٦٦/١٠ م .

قمنا مبكرين بجولات على عدد كبير من المدارس والكتاتيب الاسلامية في منطقة ممباسة اي مدينة ممباسة وضواحيها ، وتلك المدارس والكتاتيب كثيرة ومتفرقة ، ولا عجب في ذلك فالمنطقة اسلامية منذ قرون كثيرة .

يوم الاحد : ١٣٨٦/٦/٢٤ هـ .
٩ /١٩٦٦/١٠ م .

الى مدينة ماليندي :

وتوجهنا مبكرين صباح اليوم الى مدينة مالندي التي تقع الى الشمال الشرقي من مدينة ممباسة . وتبلغ المسافة بينهما (٧٥) ميلا . وقد سافرنا بسيارة اجرة تابعة لاحدى شركات نقل الركاب هناك ، ثم تبين لنا ان سائقها وهو اسود اللون ، عربي الاصل ابوه من حضرموت وبالضبط من مدينة (المكلا) وامه افريقية ، وكان يتكلم العربية بطلاقة قال ان اباه بعث به وهو صغير الى حضرموت لكي يدرس اللغة العربية هناك .

المناظر هنا جميلة ، بل فاتنة ، فالارض رملية ، والاشجار الضخمة متشابكة الا في الاراضي المزروعة. ونحن

نسير غير بعيد من ساحل المحيط الهندي ، وكثيرا ما نرى المزارع ، الواسعة التي يملكها او يديرها اوروبيون او آسيويون . والاشجار الكثيرة المغروسة فيها هي (اشجار النارجيل) وهي هنا من مستلزمات المشاريع الزراعية تماما كالنخل في بلادنا . والموز ايضا شيء لازم وضروري لا تكاد تخلو منه مزرعة . اما الاهالي فهم من السواحليين أي الافريقيين المسلمين الذين اختلط بهم الآسيويون من العرب والفرس في القديم ، ويبدون للمرء متميزين عن جمهرة السكان من الزنوج والبانتو الذين يسكنون في داخل كينية تحت خط الاستواء . ونساؤهم متحجبات بحجاب سابغ يشبه الحجاب الموجود في جنوب الجزيرة العربية وبخاصة في حضرموت ، مع ثياب سوداء طويلة تصل الى القدمين .

في بلاد القرياما :

بعد مسيرة (٣٥) ميلا من ممباسة تغيرت المناظر فجأة قرب منطقة يقال لها (كليفي) فأصبحنا نرى النساء الصغيرات والكبيرات قد تجردن من اللباس عدا قطعة من القماش لا يصح ان تسمى ثوبا لأنه ليس فيها أي نوع من انواع التفصيل او الخياطة ، فهي عبارة عن قطعة من القماش تلفها المرأة منهن حول عورتها فتستر ما تحت السرة الى ما فوق الركبة . اما اثداؤهن فليس عليها من الستر شيء ..!

والمرء لا يحتاج الى ان يتعب نفسه في التعرف على الكبيرات منهن ، فالكبيرة ترى ثدييها قد ارتخيا ، وخاصة ان كانت طاعنة في السن اذا مشت سريعا تطوح بهما يمينا وشمالا كأنهما الكيسان الفارغان ، وليس على صدورهن او ظهورهن لباس ، حتى الاحذية لا يلبسن شيئا منها ، والواقع انهن اقرب الى العرى من اللباس .

انه منظر الى جانب كونه منكرا حراما في الاسلام فانه مما يثير التقزز في النفس . وقد عرفنا ان هؤلاء النسوة من قبائل (القرياما) التي يغلب الطابع الوثني عليها ، فنسبة المسلمين فيها قليلة ، ونسبة المسيحيين اقل ، واكثر أفراد تلك القبائل وثنيون لا يدينون بدين ويقوم بعض المسلمين من ابناء القبائل المذكورة بجهود طيبة في الدعوة الى الاسلام، ولكن النتيجة حتى الآن ليست على ما يرضي . ومن اسلم منهم تستر ، ولبس لباس المسلمين .

وقد استمر سيرنا في مناطق القبائل المذكورة حتى وصلنا الى (ماليندي) فوجدناهم في ضواحي المدنية نفسها ، ولما كانت المنطقة كلها من ممباسة الى ماليندي تعتبر في السابق ولا تزال ، مناطق اسلامية ، فقد سألت عن السبب في وجود تلك القبائل الوثنية في بلاد دخلها الاسلام منذ قرون عديدة ، فقال لي العارفون بالامور : انها لم تكن تأتي الى تلك المناطق الاسلامية قبل العصر

الحديث ومجيء المستعمرين الانكليز ، بل كانت تعيش في داخل الغابات بعيدا عن الساحل ، أي ان وجودها هنا قريبا من ساحل المحيط الهندي وفي تلك المناطق الاسلامية كان حديث العهد .

وعندما وصلنا الى كليفي اعترض الطريق خليج صغير يمتد من المحيط الهندي داخلا في الارض فاوقفنا السيارة وانتظرنا دورنا في ركوب احدى عبارتين كبيرتين ، تنقلان الركاب بسياراتهم او وهم راجلون ، من الضفة الجنوبية الى الضفة الشمالية عبر ذلك الخليج الصغير الذي قدرت عرضه بحوالي (٩٠٠) متر .

والغريب في هذه المنطقة خاصة والمناطق الاخرى هنا عامة انك ترى الاشجار الخضراء تحف بشاطىء البحر وكأنه شاطىء نهري ، والظاهر ان السبب في ذلك ان الشطئان مرتفعة ، والامطار تنزل بغزارة فتغسلها من املاح البحر . وبعد مسيرة ٤٠ ميلا من كليفي وصلنا مدينة ماليندي .

مدينة ماليندي :

انها مدينة صغيرة على ساحل المحيط الهندي وموقعها الى الشمال الشرقي من ممباسة بيوتها مبنية بالاسمنت المسلح ، او الحجارة ، واسقف البيوت مسطحة ، اما ضواحيها ففيها الاكواخ والعشاش المختلفة الانواع .

وجل اهلها مسلمون .

ولا يسع العربي او المسلم اذا دخلها الا أن يتذكر بحزن تلك القصة المؤلمة التي جرت على أرضها وكانت بداية النهاية لمجد عربي قديم ، وكانت اولى المراحل في نفوذ الاوروبيين الى الهند ، والسواحل التي كانت تعتبر منطقة نفوذ عربي اسلامي ليس غير . فعلى ارضها عقدت صفقة بين البحار العربي العبقري احمد بن ماجد النجدي ، وبين البحار البرتغالي فاسكو دوجاما على ان يذهب الاول مع الثاني ليرشده الى الطرق الآمنة للملاحة في المحيط الهندي التي توصل الى الهند .

وهكذا ابتدأ النفوذ البحري للبرتغاليين يمتد الى سواحل الهند بعد ان كان يسيطر عليه الملاحون العرب وخاصة من رجال جنوب الجزيرة العربية وعمان .

انها لذكرى مؤلمة يستعيدها المرء فلا يستطيع دفع الالم الا بأن يتناساها .

البلدة ليست كبيرة ، ومعظم اهلها يعرفون العربية لأن فيها جالية عربية كبيرة من جنوب الجزيرة العربية ولأن المسلمين من اهلها يتعلمون اللغة العربية في مدارس او كتاتيب خاصة . وقد نزلنا في فندق يملكه احد العرب من الحضارم الذين ولدوا هنا ، واجرة السرير الواحد فيه تبلغ سبع شلنات ، وفيه مطعم ، ولكن مطبخ المطعم في

الطريق مـن المدخل الى الفندق الذي يقع في الطابق الثاني فرأيت مـن قذارة الطباخين والأواني ما جعلني اعاف الأكل فيـه .

مدينة قيـدي الاثرية العربيـة :

في المساء اخذت سيارة اجرة وذهبت لمشاهدة آثـار مدينة هنـاك تبعد احد عشر ميـلا أي حوالي ، ثمانية عشر كيلو مترا ، الى الجنوب الغربي من مدينة ماليندي ، وتبعد عن ساحل المحيـط اربعة اميال ، ويسوق السيارة سائـق عربي الأصل ، يقول : ان اصله مـن عدن ، ويتحـدث العربية،والمدينة تسمى «قيدي» ولا اعرف اصل تسميتها وهي مدينة عربيـة معظم آثارها مـن القرن الثامن الهجري أي منذ حوالي ٦٠٠ سنة . وقد اكتشفها الانكليز ومن ثمة حولوا المنطقـة التي تحيط بها الى منطقة محرمة لا يجوز دخولها الا للزائرين والدارسين لقاء رسم خاص قدره شلن واحد ، وقاموا على صيانة آثارها ، وعندما جعلوا ما حولها منطقـة محرمة كان لذلك فائدتان رئيسيتان الاولى صيانة آثـار المدينـة نفسها ، الثانية : جعل المنطقة التي تقع فيها وهـي منطقـة غابات كثيفة تنمو فيها النباتات على فطرتها ، حتى اذا ما رآها المرء يكون كأنه قد رأى المنطقة قبل ان يكتشفها الانسان ، وهكذا كان شعوري عندما رأيتها فقد تدرجت في فضائها الاشجار والاعشاب مـن الحشائش الى الاشجار

الصغيرة التي اكبر منها حتى الاشجار الكبيرة العالية .

اما المدينة نفسها فقد كتب الانكليز على آثارها ايضاحات باللغة الانكليزية ، كما طبعوا كتيبا خاصا بها باللغة الانكليزية ثمنه شلن واحد ، وقد تجولت فيها بصحبة السائق العربي المذكور ، وفيها مقبرة عليها بعض الكتابات منها كتابة عربية واضحة على قبر رجل توفي عام ٨٠٢ هجرية وهي لا تختلف عن الخطوط المألوفة في البلاد العربية كمصر والشام في ذلك الوقت . اما مبانيها فهي من الحجارة التي الصقت بمادة تشبه الجبس ، واجمل ما فيها ما بقي من محراب المسجد الجامع واحدى بواباته الرئيسية ، وبقايا مسجد صغير آخر والخزانة في قصر السلطان، وعدة آبار مطوية بالحجارة مستديرة، تذكرك بالآبار الموجودة في نجد والحجاز ، لولا انها هنا احكم صنعة واتقن عملا . وفيها بقايا اوان خزفية كثيرة وزجاج من ذلك العهد . وكل ما وجد فيها يدل على مظاهر حضارة عربية زاهرة كانت موجودة هنا . ويقال ان البرتغاليين هم الذين خربوها عندما تغلبوا على اهلها من العرب في القرن العاشر الهجري .

وقد لبثنا فيها الى قرب غروب الشمس ، ثم ذهبنا الى قرية هناك على الطريق فصلينا المغرب بمسجدها ، والقيت نظرة على السوق القريب من المسجد فاذا

بمحتوياته انواع مـن الاسمـاك متعفنة ، وبعض لحوم لا ادري ما هي ...

وعندما عدت الى مدينة ماليندي بعد المغرب وجدت بعض الاخوان الافريقيـين ينتظرون مع صاحبي الاستـاذ عبدالله الباحوث ، وكانوا قد علموا بقدومنا مـن ممباسة ، فبحثنـا معهم الاوضاع الاسلاميـة في تلك المنطقة .

وقد عفنـا الطعـام في مطعم الفندق الذي نسكـن فيه وخرجنا بعد العشاء نبحث عـن مطعم نظيف في ضواحي مدينة ماليندي المظلمة ، وقد دلنا بعضهم على مطعم هنـاك ، قالوا لنا ان صاحبه هندي مسلم فوجدناه اسماعيليا مـن طائفة آغا خان ، وقد رحب بنا وتحدث معنا طويـلا عـن البلاد العربيـة ، وقال ان اصل الاسماعيليين الموجودين في شرق افريقيـة من بلادكم ، بلاد العرب وعلى وجه التحديد مـن مدينة (سلمية) في سوريـة . ثم اضاف قوله : لعلكم تلاحظون الشبه بين الاسماعيليين وبين العرب وانهم بذلـك يختلفون عـن الطوائف الهنديـة الاخرى ، فوافقناه على ان مظهر الاسمـاعيليين وسحناتهم اقرب الى العرب مـن غيرهم مـن الطوائف الهندية . وكان الطعام نظيفا ورخيصا وخاصة السمك لأن مدينة ماليندي تقع على المحيط الهندي ومنطقتها مـن مناطق صيد الاسماك الخصبة .

يوم الاثنين : ١٣٨٦/٦/٢٥ هـ .
١٩٦٦/١٠/١٠ م .

جـولة في مدارس ماليندي :

قمنا بزيارة القاضي الشرعي لمدينة ماليندي وهو مـن طائفة يسمون انفسهم الامويين ويقولون انهم اصلا من بني أمية وانهم هاجروا الى شرق افريقيـة منـذ قرون طويـلة وسكنوا اول الامر في مدينة (لامو) الى الشمال من ماليندي، ثم انتقلوا منها الى ماليندي وممباسة وغيرهمـا من مناطق شرقي افريقيـة ، والملاحظ انهم يتميزون مـن غيرهم مـن السكان العرب القدماء هنا بشيء مـن بيـاض البشرة ، او قل : سمرتهم اخـف من سمرة غيرهم . ومن عند القاضي ذهبنـا في جولة على المدارس والكتاتيب الاسلاميـة يرافقنا مندوب مـن قبل فضيـلته ، وقد زرنا عدة كتاتيب .

وقد اعجبنـا كثيرا باقبال الاهالي على دراسة العلوم الاسلامية وان كان ذلك بطريقة بدائية وهي طريقة التلقين ، ولكنها على اية حال تشـد الناشئة هنا الى اصلهم الاسلامي وتحبب اليـهم اللغة العربيـة . ولولا هـذه المـدارس والكتاتيـب لعدمت الصلة بينهم وبين الثقافة الاسلامية .

اللبـاس :

لباس الاغلبيـة المسلمـة في هذه المنطقة لا يختلف عن

لباس المسلمين في كافة مناطق شرق افريقية ، وهو عبـارة عـن قميـص طويـل يضرب الى الكعبين (جلباب) وفوقه سترة (جاكيت) اما غطاء الرأس فهو طاقية فقط ، قد تكون بيضاء وهو الاغلب ، وقد تكون ملونة ، وهم يتغالون في ثمنها لانها تنسج باليـد .

وكثيرا ما يكون جيـب القميص مفتوحا ، والثيـاب التقليدية تكون ازرارها عبارة عـن كرة صغيرة من خيوط القطـن ، أي ليست مـن الصدف او العاج . والجو هنـا جميـل ونحـن ننام في الغرفـة ليـلا وقد نحتاج الى غطاء مع اننا جنوب خط الاستواء قليلا .

وفي المساء اجتمعنـا بوفد من المدرسـة الاسلاميـة الكبرى في « ممبروى » جاؤوا يدعوننا لزيارة مدرستهـم فوعدناهم بذلك غدا .

ثم خرجنـا قبل المغرب نتمشى على ساحـل المحيط الهندي في منطقـة ماليندي . انه شاطىء رملـي جميـل ، والهواء لطيـف ، ولم أر فيه الا بعض الأوروبيين واغلبـهم مـن السيـاح ، او ممن يشتغلون في المشاريع الاقتصادية وهم يسبحون في ميـاه الساحل وبعضهم يصيد السمك .

يوم الثلاثاء : ١٣٨٦/٢/٢٦ هـ .
١٩٦٦/١٠/١١ م .

في ممبـــروي :

ركبنا السيارة قاصديـــن منطقة (ممبروي) على مسافة ١٤ كيلا شمالي مدينة مالندي ، وذلك لزيـــارة المدرســة الاسلاميــة الكبيرة الموجودة هناك . وكان بصحبتنا رئيس جمعيــة الاشراف على المدرسة وهو الشيــخ عمر بن سالم باطهيف وهو مــن حضرموت .

والمدرسة تسمى مدرسة النور الاسلامية يديرها الشيخ محمــد سعيــد عبد الله البيــض . وبنايتها جميــلة جدا مبنيــة بالاسمنــت المسلح على عكس اكثــر المــدارس الاسلامية الموجودة في هذه المنطقة وقد قيل لنا ان السبب في ذلك أن المدرسة حصلت على تبرعات من خارج كينية من الكويــت والمملكة العربيــة السعودية .

والمدرسة تؤهل المتخرجين منها ليكونوا مدرسين للغة العربيــة والمبادىء الاسلاميــة في المــدارس والكتاتيــب الاسلامية المنتشرة في انحاء كينية ، وتعتني عناية خاصة بمن يدخلون في الاسلام حديثا مــن ابناء القبائل غير المسلمة ، وذلك حتى يصبحوا دعاة للاسلام بين قبائلهم . ومستواها ابتدائي واعدادي ، ويتكلم جميــع الطلاب في القســـم الاعدادي والسنوات العليــا مــن الابتدائي اللغة العربيــة

بطلاقة ، وهي لغة التعليم بطبيعة الحال ، بل ان المدرسة تدرس مبادىء النحو والصرف . وهي المدرسة الوحيدة في ساحل ممباسة التي رأينا فيها آلات ناسخة (استانسل) وتقوم بترجمة الكتب الاسلامية المبسطة الى اللغة السواحلية وتعلم الطلبة المبتدئين بها ما يشق عليهم فهمه باللغة العربية .

وقد قدمنا للمدرسة تبرعا باسم دار الافتاء قدره ١٨٠ جنيها استرلينيا . ثم عدنا الى ماليندي ، ووزعنا بقية المساعدات المالية على المدارس والهيئات الاسلامية فيها بحضور فضيلة قاضي ماليندي الشرعي وكبار المسؤولين من المسلمين .. وفي المساء عدنا الى ممباسة .

يوم الخميس : ١٣٨٦/٦/٢٨ هـ .
١٩٦٦/١٠/١٣ م .

قضينا امس الاربعاء وهذا اليوم في تفقد بقية المدارس الاسلامية في منطقة ممباسة وفي المساء جمعنا ارباب المدارس والجمعيات الاسلامية لدى فضيلة رئيس القضاة وبحضور اعيان المسلمين من الافريقيين والعرب ووزعنا عليهم بعض الاعانات المالية .

ثم سافرنا بعد غروب الشمس عائدين الى نيروبي .

يـوم الاحد : ٥ /٧ /١٣٨٦ هـ .
١٩/١٠/١٩٦٦ م .

في شـورى مويـو :

ومعناها : شاور قلبك ، فشور في السواحليـة هـي شور العربية من المشاورة ومويو : قلبك ، وهي ضاحية من ضواحي نيروبي تبعد حوالي (٤) اميال من قلب العاصمة وقد ذهبنـا لمشاهدة مشروع للمسلمين هناك يتكون مـن بناء مسجد ومدرسة اسلاميـة ومساكن للمدرسين وقد تكونت لجنة افريقيـة لهذا الغرض يرأسها الاستاذ مولد جاشو وهو احـد السيـاسيـين الافريقيين البارزين في كينية .

واصل المشروع انه كان يوجد في (بنكاني) في ضواحي نيروبي منطقـة سكنيـة احتاجت الحكومة الى ازالة الابنية التي كانت قائمة عليـها ، وجميعها مـن الاكـواخ ومـن بينهـا ثلاثة مساجد صغيرة فدفعت الحكومة للمسلمين ارض المشروع المذكور وبعض المـال تعويضا لهم عـن المساجد المذكورة . وقد رأينا البناء قائما الى قرب السقف وهو بناء حجري متقن ولكنه الآن واقف بسبب قلة المال اذ نفـذ المبلغ المرصود ولا تزال الجمعيـة تجمع المبلـغ المطلوب لاكمـاله ويقولون انهم يحتاجون الـى ١٢٠ الف شلـن لاتمامه . وقد اسهمنا ببعض المال للجمعية المذكورة وطلبنـا حضور كامل اعضاء ادارتها ليسلم بحضورها وقد جاء الينا

في الفندق اليـوم رئيس الجمعيـة الاستاذ مولد جاشـو ونائب الرئيس الشيـخ عيد عثمان ، وسكرتير الجمعيـة علي سالم وكاتب السكرتير سعيـد بـن عثمان وخـازن الجمعيـة أو امين الصندوق رجب عبد الله ، وبعض الاعضاء فيـها وقد سلمنا المبلغ لرئيس الجمعية بحضور المذكورين .

يوم السبت : ٢٩/ ٧/ ١٣٨٦ هـ .
١٢/١١/١٩٦٦ م .

مقهى ستانلـي :

في مدينة نيروبي فندق اسمه (فندق ستانلي الجديد) الحق به مقهى جميل ، اوروبي الطراز ، نظيـف الرياش ، فاخر الطعام ، يرتاده الاوروبيون ، واغنيـاء الهنود ، وهو يقع في وسط البلد ويمكـن للمـرء ان يقضي فيه وقتا من اوقات فراغه يلاحظ الاوروبيين في اكلهم وشربهم ومخاطباتهم ومداعباتهم وعاداتهم في اللقاء والوداع . اضافة الى أنـه يستطيع ان يرى المارة مـن الوطنيين الافريقيين وهـم يكتفون بالقاء نظرة عابرة ، او قل : نظـرة اللامبالاة علـى هذا الفندق الذي يغص بالاثرياء والقادريـن على الانفاق مـن الاوروبيين لأنهم ــ اي الافريقيين ــ لا يطيقون اثمان معروضاته الغالية .

وهو الى ذلك مجتمع رجال السيـاسة الاوروبيـين

وملتقى السياح الذين يجيئون من اقاصي الأرض لمشاهدة الغابات والحيوانات الافريقية الجميلة . وكنت اذهب اليه بين الفينة والفينة ، كلما وجدت الفرصة للافلات من العمل لقضاء وقت قصير من الراحة ولشرب الشاي الذي لا اجده في غيره ، والذي يصنعونه ويقدمونه على الطريقة الأوروبية التي هي طريقة صنع الشاي في بلادنا ، وكذلك القهوة الخفيفة الممتازة . ويتحلى رواده بالادب الجم في المعاملة ، ومراعاة شعور الآخرين ، خلاف ما عليه الحال في المقاهي الاخرى ، فعلى سبيل المثال اذا كان المرء جالسا وحده على مائدة فلا يمكن ان يشاركه الجلوس عليها الا من يدعوه للجلوس . اما في المحلات الاخرى فقد ترغب ان تكون وحدك ، وقد تكون تتحدث مع غيرك على مائدتكما ، فاذا بأحد الواغلين يجلس الى مائدتك بدون استئذان وقد يسعل مع ذلك او يتنحنح او يتمخط والاصعب من ذلك انه لا يرى فيما يصنعه بأسا .

كنت اذهب الى المقهى المذكور «مقهى ستانلي الجديد» في نيروبي وادعو صديقنا الدكتور محمد بن احمد العيسى الى مشاركتي الذهاب فيأتي على تمنع،واحيانا يمتنع ويقول:

انني قدمت من أوروبة بعد ان مللت اجواءها المظلمة ، وشبعت من تزمت الاوروبيين ومن طعامهم الذي لا طعم له ، ويقول : اما أنتم فلا شك انه يهمكم أن تروا ما لم تروه من احوالهم .

وعندما عدت الى نيروبي من بورنـدي بعـد التعب والارهاق الذي عانيته وخاصة لفقد حقيبتي وبعض اوراقي ولعدم توفـر الامن في بورندي ولم اكـن اجد هناك مكانا جميلا آمنا لتناول القهوة والشاي ، ذهبت مسرعـا الـى المقهى المفضل « ستانلي الجديد » وتذكرت صديقنا الدكتور العيسى الذي عرفت انه قد سافر من نيروبي عائدا الـى المملكة ، وتلطف وترك لنا اوراقا كثيرة كان مـن بينـها مذكراته اليوميـة التي سجلها بعد ان سافرنا وتركناه وحيدا في نيروبي كما يقـول ، وتتضمـن مشاعـره واحاسيسه ، وشوقه العظيم للعودة الى المملكة . ولـم ينس ان يسجـل قصيدة وجهها الينـا يذكـر فيها كيف كـان وجودنا في نيروبي عونا له على قضاء المدة التي تحتم ان يقضيها في هذه البلاد النائية . وقد حاولت ان ابني بعض الابيات التي ارد فيـها على قصيدته ، ولم اكن ـ للاسف ـ من الشعراء ، ولكـن واجب اداء الديـن لأخيـنا الدكتـور العيسى اقتضاني ان احاول ذلك ولو كانت كما يجيء لا كما يجب ، على حد تعبير بعض الكتاب القدامى فكانت هذه الابيات التي كتبتها للدكتور العيسى (أبي احمد) وارسلتها اليـه الى المملكة ومنها ما يخص مقهى ستانلي : ـ

مـا اقصر الدهـر باستـالـي

. . . .

يلومني الــدكتــور في قصـــده

مــا اهــون اللــوم على السالــي

دع عنــك لومي يــا ابــا احمــد

فانـــي أرفض عــــذالــي

ومنها في استعادة بعض الذكريات مع الدكتور :

اتذكر الايــام في « شانتا » [1] ؟

اتذكــر الوقــت بنشنــال ؟[2]

اتذكــر الاســد نــراها هنــا

وهنــا ، في وســط ادغــال

طليقة تحكـي شيــاه الــرّعــا

سائمــة في المرتــع ، الخــالي ؟

اتذكــر المكتــب فــي ربــوة

قــد جادها المُزن بتهطــال ؟ [3]

أتذكــر المســكين ذاك الــذي

اعطيــته مــن جيبــي الغــالــي

استنــزل الرحمــة مــن ربنــا

بمنحـــه النــزر مــن المــال

---

١ ـ أي (فندق شان) الذي كنا ننزل فيه معا في نيروبي .

٢ ـ أي (نشنال بارك) حديقة الوحوش الطليقة التي سبق الحديث عنــها .

٣ ـ هو مكتب منظمة الصحة العالمية في شرقي افريقية الذي كان يعمل فيه الدكتور وهو في ربوة جميلة من غـــرب مدينة نيروبي .

ثـم اذا بالوغـد بعـد الـذي
صنعـته ، قـائـد سفـّال

جاء يكافي فعلتـي بـالـذي
مـن ذكـره تصطك اوصـالي

أعوذ بـاللـه ، فـذا عيشه
مـن صغره ، في وسط اوحال [1]

أتذكـر (الموجا) [2] وما بعـده ؟
أتذكر «الشومبي» [3] واميالي [4] ؟

---

١ ــ للمسكين المشار اليه قصة محزنة ، ملخصها : اننا عند وصولنا الى كينية رايت في احد المطاعم العربية شيخا عربيا هرما هزيلا ، تبين عليه المسكنة والحاجة ، مع ضعف البنية والعجز عن التكسب ، فسألته عن عمله فأجاب : انه لا عمل له ، ثم سألته هل لك اولاد ؟ ، فأجاب بالنفي ، وقال : انه لا يملك حتى مسكنا يؤويه ، فرق له قلبي ونفحته مساعدة مالية لا بأس بها من جيبي الخاص ، ابتغاء وجه الله . وبينما كنا الدكتور العيسى ، والاستاذ عبد الله الباحوث وانا بعد ذلك بيومين جالسين في الفندق اذا به اي العجوز يأتي ومعه صبي هندي ، وهو يقدم لنا الصبي ويقول انه لا عمل له ويطلب عملا ، وبعد ذلك عرفنا من صاحب الفندق ان صنعة العجوز المذكور هي ... وتحققنا بعد ذلك انه ساقط ، فكان الدكتور العيسى يقول لي على سبيل التندر : ارجو ان تكون صدقتك على هذا ... مقبولة !
٢ ــ الموجا : هو واحد اول الاعداد باللغة السواحلية وما بعده : اي ما بعده من الاعداد وكنا قد حفظناها ونستعملها .
٣ ــ الشومبي : الملح بالسواحلية ومنه اسم الشومبي رئيس وزراء الكونغو السابق .
٤ ــ اميالي : بعيد ، بالسواحلية .

انا خلفناك ، فكل الذي
نسيته ، فهو على بالي
في فندق خادمه خده
تكحل منه ربة الخال (١)

يوم الاثنين : ١ /٨ /١٣٨٦ هـ .
١٩٦٦/١١/١٤ م .

الى قرية كراي :

توجهنا صباح اليوم مع الاستاذ محفوظ احمد باوزير مدير القسم الاسلامي في اذاعة صوت كينية الى قرية (كراي) وتبعد (١١) ميلا الى الشمال الغربي من مدينة نيروبي وكان ذهابنا بناء على اتفاق سابق مع زعماء تلك القرية من المسلمين وهم من قبيلة (الكيكويو) اكبر القبائل الافريقية في كينية . وكانت مناظر الطريق كأكثر مناطق كينية المحيطة بمدينة نيروبي مناظر خلابة : عبارة عن رواب خضر ، ووديان خصبة تتخلل بعض الروابي قطع من غابات الاخشاب التي غرست حديثا للاستثمار .

كان اول ما رأينا من القرية مسجدها وهو احسن بناء فيها مبني بالاسمنت المسلح ومفروش بالحصر التي

---

١ ــ هو خادم الفندق الذي نسكن فيه في نيروبي .

صنعها المسلمون بأيديهم . اما بيوت القرية نفسها فجميعها من الاكواخ المبنية بالاعواد، المطلية بالطين والمسقفة بالزنك او القش .

وقد التقينا بامام المسجد واسمه « سالـم كذياكا » ورئيس جمعية المسجد الذي هو زعيم القرية واسمه «جمعة امبقوا » . وقد شاهدنا مدرسة ابتدائية تقام هناك يقوم على انشائها اهالي القرية من المسلمين ويجمعون التبرعات من غيرهم من المحسنين .

ويقولون انهم طلبوا من الحكومة الكينية ان تفتح لهم مدرسة ابتدائية فاشترطت لذلك ان يبنوا على حسابهم الخاص بناية للمدرسة ثم تنظر الحكومة فيارسال المدرسين اللازمين ، وقد قدّمنا لهم تبرعات مناسبة باسم دار الافتـاء في المملكة العربية السعودية للمدرسة المذكورة ، كما قدمنا تبرعا آخر لاقامة سور ودورة مياه للمسجد الذي يفتقر الى ذلك .

وقد ألقيتُ كلمة في الذين اجتمعوا من اهالي القرية ثم عدنا الى نيروبي في نفس اليوم .

يوم الثلاثاء : ٢ / ٨ / ١٣٨٦ هـ .
١٥/١١/١٩٦٦ م .

الحقيبة المفقودة :

تلقيت أمس برقيةسارة من (بوزمبورا) عاصمة بوروندي

تفيد بأنه قد عثر على حقيبتي التي سرقت من جمرك المطار في بوزمبورا والتي تحدثت عنها عند الكلام على بوروندي ومرسل البرقيـــة هو السيد شعبان مرشو الامين العـــام للجمعية الاسلامية هناك ويقول فيها : ان الحقيبة قد عثر عليها وان اللص قد سلم الى الشرطة .

لن اذكر هنا مبلغ سروري بهذا النبأ وهذا ظاهـــر ويتصل بسبب بهذه اليومات، لان بعض الاوراق منها وخاصة تلك التي كتبت في اوغندة كانت في الحقيبة المفقودة ولكن الطريف الذي ينبغي تسجيله هنا هو كيف عثر عليها .

وصل مساء اليوم الى نيروبي بعض الطلبة البورنديين الذين كنا قد اخترناهم ليلتحقوا بالجامعة الاسلامية وقطعنا لهم تذاكر سفر من بلادهم الى المدينة المنورة ، وعددهم خمسة وهم في طريقهم الى المدينة ، مارّين بنيروبي ، وقـــد اخبرني رئيسهم الاخ يوسف اليمنغوا ان قصة العثور على الحقيبة كانت كما يلي :

عندما سرقها اللص وهو موظف في جمرك مطـــار بوزمبورا اخفاها قريبا من بيته وقد تمتع ـ مصادفة ـ باجازة له في الوقت الذي كنا نبحث فيه عن الحقيبة وقضى اجازته في قرية نائية . وعندما انتهت اجازته وعرف اننا قد تركنا بورندي وسافرنا الى نيروبي اخرج الحقيبة وكان فيها مئة وخمسة وسبعون ريالا سعوديا هي كل ما فيها

من النقود لانني كنت اضع النقود والاوراق الثمينة في
جيبي او في حقيبة اليد التي احملها ، فأخذ اللص النقـود
السعودية وذهب بها الى السوق لبيعها ولكن التاجر الذي
يشتري منه السرقات عادة لم يعرفها ، لكونها غريبة عليه
فذهب اللص الى فندق (باقداس) الذي يسكن فيه الاجانب
وعرضها على احد اخواننا السنغاليين الذين كانوا قـد
عرفوا قصة حقيبتي وجميع محتوياتها ، وكان ذلك الاخ
السنغالي قد حج منـذ سنوات ويعرف النقود السعودية
اضافة الى معرفته اللغة العربية التي كان قد تعلم طرفا منها
في مدرسة اسلامية في بلاده ، فما كان منه إلا أن قال للص :
نعم انني اشتريها ولكن ليس معي نقود فانتظرني حتى
اكلم صاحبي بالهاتف ، ثم ذهب وكلم السيد جمعة مهيهي
رئيس الجمعية الاسلامية البوروندية وقال له : اننا عثرنا
على اللص الذي سرق حقيبة اخينا محمد العبودي ، فما
كان من السيد جمعة الا ان اسرع باحضار شرطي قبض على
اللص وذهب معه حتى دله على مكان الحقيبة واستخرجها
واستلمها منه عند الشرطة بعدما اتم جرد محتوياتها بحضور
الجميع وبحضور الشيخ علي بن محمـد الطوقي كبـير
العرب العمانيين في بوزمبورا وصديقنا هناك ، ومن ثمة
ختمها ثانية ، واعطوها شركة شرق افريقية للطيران لانها
هي المسؤولة عن فقدانها في مطار بوزمبورا ، ولاننا قدمنا
على طائرتها ، وذلك لايصالها الي" في نيروبي ، ولما سئل

اخونا السنغالي كيف عرف ان ذلك الرجل هو اللص ..؟
قال : لوجود النقود السعودية معه .

يوم الاحد : ١٤/٨/ ١٣٨٦ هـ .
٢٧/١١/١٩٦٦ م .

في مشاكس :

ذهبنا بالسيارة عند الساعة التاسعة والنصف صباحا الى مشاكس على بعد (٣٨) ميلا الى الجنوب الشرقي من نيروبي ، وذلك بصحبة السيد محمد علي جمعـة رئيس بلدية مشاكس وزعيم المسلمين الافريقيين هناك ، وقد قطعنا المسافة المذكورة بدون ان نشعر بتعب ، بسبب لطف حديث السيد محمد علي المذكور ، وتفهمه لمشاكل المسلمين واجتهاده في حلها وغيرته على الديـن .

وكانت المناظر فيما بـين نيروبي ومشاكس ليست خضراء خضرة شاملة لان الفصل هنا فصل الجفاف وقد مضى شهر دون ان تنزل قطرة مطر لذلك جف العشب حتى يتراءى للعين ان الارض عبارة عن صحراء مع انها مغطاة بالحشائش الجافة ، وليس هناك اشجار كبيرة لان هـذه الارض من المساحات التي تعتبر مراعي للبقر . وقد كان لبعض الاوروبيين مزارع فيها، غير انها الآن سلمت للافريقيين

حيث اشترتها الحكومة الكينية وخصصتها مراتع لمواشي الافريقيين . وتقع جميع المنطقة المذكورة في المساحة المخصصة لقبيلة (موكامبا) ثاني قبيلة في كينية من حيث العدد بعد قبيلة (الكيكويو) وعندما يصل بك الطريق الى مسافة عشرين ميلا من نيروبي تكون حدود قبيلة (الماساي) عن يمينك وانت ذاهب الى مشاكس ، غير بعيدة منك ، والعجيب في امر القبيلتين المتجاورتين هنا ، (ماساي) و(موكامبا) ان الاولى يصعب تعليم افرادها وتثقيفهم ، على حين ان الاخيرة اسرع القبائل الكينية الى التعليم كما ذكرنا ، قالوا وكثيرا ما يقع بين القبيلتين قريب مما يقع بين القبائل العربية المتجاورة من حروب على المراعي ومن سلب للابقار والمواشي .

وصلنا مدينة (مشاكس) وهي صغيرة لا اعتقد ان عدد سكانها يزيد على عشرة آلاف نسمة وقد وجدنا المسلمين مجتمعين في جامع مشاكس وقد اعدوا فرقة من اولادهم استقبلتنا عند باب المسجد بنشيد قصير باللغة العربية الفصحى مع اننا لم نكن نظن قبل ذلك انه يوجد عمل اسلامي في هذه المنطقة التي تقع وسط اراضي قبيلة (موكامبا) ، ولما انتهى النشيد تكلم السيد محمد علي فذكر حاجة المسلمين الى التعليم الاسلامي وغيره من المساعدات ، وقال :

انتا كما تلاحظون من حرصنا على التمسك بديننا

فان افضل بناء في مدينتنا هو المسجد الجامع على الرغم من اننا قد جمعنا المبالغ اللازمة لبنائــه بالشلن ونصف الشلن وربعــه .

ثم رددت على كلمته بكلمة مناسبة وبينت له حرص الحكومة السعودية على بذل كل ما يستطاع في سبيــل مساعدة المسلمين مع الاخــذ بالاعتبار حــاجــة المسلمــين في جميع انحاء العالم الى المساعدة والمعاضدة وبعــد ان تكلمت على الروابط الاسلامية القوية التي تربط بـــين المسلمين قال السيد محمد علي انني اقدم لك رجاء خاصا هو ان تذهبوا معي الى مكان الاخوات المسلمات خلف المسجد فتلقوا فيهن كلمة وقد تكلم هو قبل ذلك فقال موجها كلامه الينــا : ان لاخواتنا المسلمات هؤلاء يعود فضل كبير في سبيل انشاء هذا المسجد الذي ترونه فقد تبرعن بما يستطعن تقديمه من المساعدات ومن لم تستطع منهن الحصول على مال نقدي تبرعت بحليها او شيء من ثيابها .

ان ذلك شيء مؤثر جدا ، ولم نكن نتصور ان يبلغ حرص اخواننا المسلمين في هذه المنطقة وسخائهم في سبيل اقامة مسجد جامع ومدرسة اسلامية لهم هذا المبلغ .

فالحمد لله على ذلك ، وقد قدمت لهم مبالغ من المال باسم دار الافتاء في المملكة العربية السعودية، بعضها يصرف

بمصارف حاجات المسجد الجامع، والبعض الآخر للمساعدة على اكمال بناية المدرسة الاسلامية الملحقة بالمسجد كما عيّنا لهم مدرسا ، يبعث من دار الافتاء هو الاستاذ محمد ابراهيم وطلبنا منهم ان يرشحوا طالبين او ثلاثة لنختار منهم من يصلح للدراسة في الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة. لكي يعود بعد اكمال دراسته لارشادهم وتعليمهم. وكان مترجم الاحتفال كله الاستاذ محفوظ بن احمد باوزير مدير القسم الاسلامي في اذاعة صوت كينية . وهو عربي الاصل من حضرموت ، ومولود في كينية ، يتكلم اللغة العربية بطلاقة ، بل بفصاحة .

* * *

حالة المسلمين في كينية

برهان



قصدنا نيروبي عاصمة البلاد ثم تجولنا في المناطق المتعددة من كينية .

وقد اتصلنا في هذه البلاد بعدد من زعماء المسلمين وعلمائهم ومن بينهم رئيس قضاة المسلمين في كينية الشيخ محمد قاسم المزروعي الذي يقيم في ممباسة والامين بن سعيد المنذري نائب والي ممباسة السابق واعضاء الجمعية البرلمانية المسلمين وعددهم ٢١ من ١٤٢ عضوا وغيرهم من زعماء المسلمين من العرب والافريقيين والهنود . وقد قام اعضاء البعثة بالقاء كلمات في عدة مساجد وكان الحديث يترجم الى السواحلية الا حيث يكثر العرب في بعض مساجد ممباسة فلا يحتاج الى ترجمة ، بل تكفي العربية التي يفهمونها جميعا .

دخل الاسلام ساحل كينية منذ اكثر من عشرة قرون حيث نزل العرب في السواحل ، اما داخل البلاد فلم يدخلها الاسلام الا قبل ما يقل عن مائة سنة ويبلغ نسبة عدد المسلمين في كينيا الى مجموع السكان ٢٠٪ يقطن معظمهم في منطقة ممباسة على ساحل المحيط الهندي حيث يقدر نسبة المسلمين في ممباسة بالنسبة الى بقية السكان ٦٢٪ من العرب والافريقيين ثم في باقي المناطق الساحلية مثل ماليندي ولامو ووجيري التي معظم سكانها من المسلمين الصوماليين اما بقية المسلمين فيوجدون متفرقين

في كل مكان تقريبا حيث يقدر عددهم في العاصمة نيروبي ٣٦ الفا من مجموع سكانها البالغ ٢٤٥ الفا كما ذكر لنا قاضي كيسوموا ان عدد المسلمين في مقاطعة نيانزا يبلغ ٤٠٠٠ كما يبلغ في مقاطعة وسترن ٦٠٠٠ وفي مقاطعة رفي فالي ٣٥٠٠ كما توجد قرية سكانها من المسلمين من اصل سوداني كل اهلها البالغ عددهم ٣٥٠٠ من المسلمين وتسمى (كبرا) وتبعد ٥ كيلومترات الى الغرب من نيروبي .

الجمعيات الاسلامية :

يكثر عدد الجمعيات الاسلامية في كينية بشكل ليس له نظير في البلاد التي زرناها وقد قيل لنا ان عدد تلك الجمعيات قد بلغ ٤٢٠ جمعية وقال لنا فضيلة رئيس قضاة المسلمين في كينية الشيخ محمد قاسم المزروعي : ان عدد الجمعيات في كينية يزيد على عدد ايام السنة ، ومع ذلك فقد اتفق كل من قابلناه من زعماء المسلمين وعلمائهم وعامتهم بدون استثناء على ان الجمعيات الاسلامية المحلية لم تقم بالواجب المطلوب منها ، ولم تحقق شيئا من الآمال المعلقة عليها بل ان بعضها كان لاختلاف اعضائها فيما بينهم وتخاصمهم خصاما يؤدي الى تدخل الشرطة كانت موضع شماتة الاعداء ، وحتى اصبح مجرد ذكر الجمعية يدل في اذهان المسلمين هناك على الفشل والضياع كما سمعت كثيرا بأن مقصد بعض المؤسسين لتلك الجمعيات كان لطلب

الجاه أو النفع الشخصي ، وعلى العموم فان تلك الجمعيات ليست موضع ثقة من الجميع ،وقصرت مساعدتنا على عدد قليل منها وهي التي تعمل مثل الجمعية الاسلامية الافريقية للتعليم الاسلامي ، وجمعية معلمي القرآن الكريم ،وجمعية الاسعاف العربية التي تبذل جهودها في اسعاف المحتاجين من المسلمين ويرأسها الشيخ مبارك بن دهري ، وهو حضرمي الاصل ، وجمعية تجهيز اموات فقراء المسلمين الموجودة في المحكمة الشرعية في ممباسة .

النشاط الاسلامي :

يصح القول بكل أسف ان الدعوة الاسلامية في ساحل كينية يشملها ركود في الوقت الحاضر على الرغم من الحرية المطلقة للداعي للاسلام وعلى الرغم من ان حكومة كينية لا تقف موقفا معاديا للمسلمين ، الا اننا قد تعرفنا على بعض الشخصيات الافريقية ممن نذروا انفسهم للدعوة الى الله وعرفوا بذلك بين الناس كما انه يوجد عدد من الوعاظ والمدرسين في بعض المساجد وكثيرا ما يكونون ائمة المساجد انفسهم . ويكاد ينحصر النشاط السار في الحقل الاسلامي في كثرة المدارس والكتاتيب الاسلامية وقد اطلعت البعثة على عدد من تلك المدارس والكتاتيب وتفقدت فصولها وقدمت لها مساعدات مالية كما خصصت لها ولبعض الشخصيات الاسلامية اعدادا من المصاحف والاجزاء القرآنية

والكتب الدينية . وهذه المدارس تقع في منطقة نيروبي العاصمة ، وفي غيرها من المناطق في جميع انحاء البلاد .

مركز المسلمين المادي والاجتماعي :

اذا استثنينا افرادا قليلين من العرب في منطقة الساحل وقلة من مسلمي الهنود في ممباسة ونيروبي العاصمة فان حالة باقي المسلمين المادية ضعيفة ويأتون في المرتبة الثالثة من هذه الناحية حيث الاوروبيون في المرتبة الاولى والهنود وغالبهم من الهندوكيين والسيخ في المرتبة الثانية ثم العرب وبعدهم الافريقيون في المرتبة الرابعة والاخيرة . ولكن معظم المساجد والمدارس هي من اعمال اثرياء المسلمين من الهنود والعرب ، وقد بدأ بعض الافريقيين اخيرا في نشاط اسلامي طيب الا ان ضعفهم المادي يحد من نشاطهم . اما المركز الاجتماعي فان المسلمين العرب كانت لهم الصدارة في منطقة ممباسة والساحل قبل استقلال البلاد ونكبة العرب في زنجبار، اما الآن فقد كشف بعض الافريقيين حتى عن تحامل على العرب واقرب مثال على ذلك ان جماعة من زعماء المسلمين الافريقيين في ممباسة ذهبوا لمقابلة الزعيم جومو كينياتا وطلبوا منه ان يولي عليهم قضاة غير العرب الذين يتولون القضاء منذ دخول الاسلام الى تلك البلاد ، وقد نشر ذلك في جريدة محلية تصدر في ممباسة واطلعنا على صورهم المنشورة في تلك الجريدة والمعتقد ان سبب ذلك

هو ان العرب كانوا هم السادة في تلك المنطقة وكان الافريقيون بسبب ضعفهم المادي وانحطاط مستوى معيشتهم في مستوى اقل منهم وكان بعض العرب قديما لا يلتزمون بحسن المعاملة والرعاية التي يأمر الاسلام بأن يعامل بها الارقاء والمحكومين بسبب ضعف الروح الدينية الاسلامية الصحيحة عند بعض اولئك العرب في وقت من الاوقات والمعتقد ان ذلك سيزول مع الزمن لانه نتيجة جماح القومية الافريقية المتأججة في صدور الافريقيين جميعا في تلك البلاد في هذه الاوقات وبخاصة بعد ان حصلوا على الاستقلال ، على ان بعض المسلمين الافريقيين يشغلون مراكز لا بأس بها في الدولة فمنهم اربعة وكلاء للوزارات الحكومية .

النشاط المعادي للاسلام :

لقد دخل التبشير المسيحي الى كينية مع الاستعمار الانكليزي الذي سبق غيره الى داخل القارة وقد نجح التبشير في تنصير عدد كبير من السكان الوثنيين ولا يزال يواصل جهوده حيث لا يزال قسم كبير من اهل البلاد في الداخل على وثنيتهم . كما يوجد نشاط صهيوني كبير يستخدم سلاح الدعاية والاغراء بالمنح الدراسية والدورات التدريبية في تحسين سمعة اسرائيل وتشويه سمعة العرب واقرب مثال على ذلك فيلم سينمائي ذكرانه عرض منذ وقت قريب وهو يصور كفاح الافريقيين للتخلص من العرب الذين

كانوا يستعبدونهم ويذيقونهم صنوف العذاب على حد ما جاء في الفيلم المذكور . كما يوجد نشاط من الجماعات غير الاسلامية التي تتستر بالاسلام كالقاديانية والاسماعيلية ولكنها لم تحقق نجاحا ذا بال مما جعل جهودها تتناقض وتصفي اعمالها في كثير من البلاد .

الاقتراحات :

أ ـ تقترح البعثة انشاء معهد اسلامي على غرار المعاهد الدينية الموجودة في المملكة يكون مقره في ممباسة ويقبل فيه طلبة من كينية واوغندة وتنجانيقة بنسبة مقررة لكل بلد حسب حاجته الى التعليم الاسلامي ، يقوم المعهد المذكور بتخريج مدرسي الدين الاسلامي واللغة العربية ، كما يعد الطلبة الذين يودون مواصلة دراستهم في الجامعة الاسلامية ويحصلون على منح دراسية للالتحاق بها .

ب ـ عدم دفع المبالغ المالية النقدية لشخصيات تدعي خدمة الاسلام ، اذ ان بعض من تسلموا مبالغ مالية من قبل قد ثبت للبعثة انهم استأثروا بها لانفسهم وعندما نازعهم الآخرون في ذلك رفع الامر الى الحكومة واصبحت حالتهم في النزاع والخصام موضع شماتة الاعداء. بل تدفع الاعانات للمؤسسات على شكل مشاريع او كتب او نحوها .

ج ـ تعيين ملحق ديني في السفارات الاسلامية تربط به رعاية الشؤون المتعلقة بالمسلمين وبالدعوة الاسلامية في

شرق افريقية .

د ــ الاكثار من ارسال المدرسين والمرشدين المسلمين باللغة الانكليزية ، والعارفين باللغة السواحلية الى كينية لتدريس العلوم الدينية واللغة العربية في المدارس الحكومية لابناء المسلمين ولارشاد المسلمين في المساجد والمجتمعات على ان تنفتح لهم دورات خاصة لتعليمهم اللغة السواحلية التي تعتبر لغة سهلة على من يعرف العربية ويمكن ان يعرف المرء الضروري منها في اربعة او ستة اشهر على ان يكمل معلوماته ويتمرن على التخاطب بها بعد ذلك في كينية نفسها ويمكن اختيار المدرسين المذكورين من خريجي الجامعة الاسلامية وكليات الشريعة الاخرى في المملكة . رصد مبلغ من المال لمساعدة المدارس والكتاتيب الاسلامية الموجودة هناك على ان يصرف المبلغ المذكور على شكل استئجار دور للمدارس ومساعدة على دفع رواتب المدرسين وتوزيع المقررات المدرسية ولا تدفع المبالغ نقدا لئلا تصرف في غير ما اريدت له .

هـ ــ توزيع عدد كاف من الكتب الاسلامية باللغتين الانجليزية والسواحلية وطبع ترجمة صحيحة لمعاني القرآن الكريم باللغة السواحلية ، اذ ان الترجمة الموجودة قام بها القاديانيون .

و ــ الاكثار من المنح الدراسية للطلبة الكينيين في

المعاهد والمدارس الاسلامية في البلاد الاسلامية .

ز ـ تأكيدا لتشجيع المدارس والكتاتيب الاسلامية الموجودة هناك على الاستمرار في مهمتها الاسلامية نذكر هنا بيانا باسماء الموجود منها في كينية التي زرناها ودفعنا لها مساعدات مالية رمزية علما بان برنامج زيارتنا لم يسمح لنا بزيارة جميع ما في كينية من المدارس والكتاتيب نظرا لانتشارها في طول البلاد وعرضها ، وتباعد ما بينها .

واثناء ذكرها هنا فانما نقصد من ذلك بيان كثرتها ، كما نقصد عرض اسمائها العربية الاسلامية، واسماء القائمين عليها ، ونحن اذ نفعل ذلك لا نقول انها مستكملة لكل ما تستحق ان تسمى معه مدارس اسلامية ، ولكن لانها هي الوسيلة الوحيدة الموجودة هناك للابقاء على تعليم مبادىء اللغة العربية والدين الاسلامي ويمكن استمرارها بل وتطويرها الى احسن في المستقبل مع قليل من الجهد والمال .

١ ـ مدرسة الصالحين في كبكو في (ممباسة) عدد الطلاب ١٦٠ بين بنين وبنات مديرها الشيخ أنور علي ونائبه معلم حميد سالم والمدرسة وقف على الطلبة من احد البلوشيين .

٢ ـ مدرسة الفلاح في بنديني (ممباسة) مديرها الشيخ مبارك بن حريز وعدد الطلبة (٢١٠) بين بنين وبنات

تشتمل على اربع غرف ، وعدد المدرسين اثنان والمبنى ملك لجمعية المدرسة وموقوف عليها .

٣ ـ مدرسة الهدى الاسلاميـة في كنقراني ماجنقو (ممباسة) مديرها السيد عبد القادر بـن حسين اسماعيل يساعده اثنان من المدرسين وعـدد الطلبة ٢٢٥ وبنايتهـا مستأجرة .

٤ ـ مدرسة الهدى الاسلامية ماجنقو (ممباسة)مديرها الشيخ محمد بن سالم ناجي عدد الطلبة ٤٢ أسست عـام ١٣٨٢ هـ .

٥ ـ مدرسة الاصلاح الاسلامية في ماجنقو (ممباسة) عدد الطلبة ٨٠ مديرها الشيخ سعد بن احمد باكثير .

٦ ـ مدرسة المعاونة فيماجنقو (ممباسة) مسجد سكينة عدد الطلبة ٢٥٠ تتكون من اربعة فصول مديرها شافي بن راشد افريقي يساعده اسماعيل خميس وعلي عمر أسست عام ١٣٥٥ هـ .

٧ ـ مدرسة المحاسن الاسلامية في كلولين (ممباسة) مديرها الشيخ جمعة بن محمد القرياس افريقي عدد الطلبة ٢٢٥ من بنين وبنات وعدد الفصول اربعة اسست عـام ١٣٥٨ هـ ويساعده على التدريس اربعة رجال وثلاث نساء بناية المدرسة ملك للمدير واوقفها على الطلبة .

٨ ــ مدرسة التهذيب الاسلامية قراية (ممباسة)مديرها السيد علوي قاسم علوي عدد المدرسين ستة والتلاميذ ٢٥. اسست عام ١٩٥٩ م عدد الفصول خمسة والتعليم فيها صباحا ومساء .

٩ ــ المدرسة الدينية الاسلامية صاحبها الشيخ صالح عبد المطلب العبيد قراية (ممباسة) عدد الطلبة٩٧ طالبا اسست عام ١٣٦٥ هـ . وله مساعد واحد .

١٠ ــ مدرسة الارشاد الاسلاميةفيماجوكالي (ممباسة) صاحبها المعلم سعيد بن احمد القمري يساعده اثنان عدد الطلبة سبعون طالبا من بنين وبنات أسست عام ١٣٦٥ هـ .

١١ ــ فرع مدرسة الصالحينعدد الفصول اربعة وعدد الطلبة مائة وعشرون طالبا ومديرها الشيخ طالب صالح عليان يساعده اثنان ، أسست عام ١٩٥٩ م. وتقع في كيكوني (ممباسة) .

١٢ ــ المدرسة المحمدية الاسلامية في كيكوني المدرس المعلم حسين بن طيب والمساعد محمد بن احمد بن حسين عدد الطلبة ٩٦ أسست عام ١٣٧١ هـ .

١٣ ــ مدرسة المسجد الازهر ملحقة لمسجد يسمى الازهر في ممباسة مديرها علي بن منيكاني عدد الطلبة ٣٥. المدرسة في جانب المسجد .

١٤ ــ المدرسة الخيرية الاسلامية مديرها الاستاذ عيظة عبد الله عبيد في ماراقوي (ممباسة) عدد الطلبة ١٥٠ طالبا ، المساعدون على التدريس اربعة وهي ستة فصول اسست عام ١٣٦٦ هـ .

١٥ ــ مدرسة الرياضة الاسلامية التضامنية ماجنقو (نيروبي) رئيسها الشيخ حسين سليمان مجنبا والسكرتير سعيد عثمان حبوقي عدد المدرسين اثنان وعدد الطلبة ٢٥٠ أسست عام ١٩٦٣ م. المبنى وقف على المسلمين وهي ملحقة بمسجد الرياضة الاسلامية في ماجنقو ، تدفع من التبرعات ويؤخذ من الطلبة شلنان أي ما يساوي ريالا وربع ريال سعودي شهريا فقط من القادرين .

١٦ ــ مدرسة النجاح الاسلامية ومديرها موسى عبدالله بوقو عدد الطلبة (٧٥) اسست عام ١٣٦٦ هـ .

١٧ ــ مدرسة افريكان مسلم ومديرها الشيخ جمعة احمد ، وعدد الطلبة ٥٣ (كتاب) سكينة (ممباسة) .

١٨ ــ مدرسة فرع الرياضة عدد الطلبة ٣٥ صاحبها السيد ابو بكر عدنان أسست عام ١٣٦٥ هـ. ماجنقو (ممباسة).

١٩ ــ مدرسة عائشة الاسلامية للبنات عدد الطالبات ١٣ صاحبتها عائشة بنت خير أسست عام ١٣٨١ هـ. وهي في ماجنقو (ممباسة) .

٢٠ ــ مدرسة البنات الاسلامية في سباكي (ممباسة) عدد الطالبات ١٦٠. صاحبتها عائشة بنت عبدالله كي أسست عام ١٣٨٢ هـ.

٢١ ــ مدرسة مسجد كنزي صاحبها الشيخ السيد محمد صالح السقاف أسست عام ١٣٨٤ هـ. عدد الطلبة ٥٠ طالبـا .

٢٢ ــ مدرسة الهدى الاسلامية في كنزي ساحل ممباسة صاحبها عمر كينو عدد المساعدين على التدريس اثنان عدد الطلبة ٢٥٠ اسست عام ١٣٨٣ هـ .

٢٣ ــ المدرسة الخيرية في مالندي صاحبها عبدالله بن عبيد عدد الطلبة ٣٥ طالبا اسست عام ١٣٨٤ هـ .

٢٤ ــ المدرسة الابتدائية الاسلامية في مالندي صاحبها يسلم بن زمزم عدد الطلبة ٤٤ اسست عام ١٣٨٢ هـ .

٢٥ ــ المدرسة الاسلامية في شيلةمالندي ناظر المدرسة الشيخ سليمان البلوشي عدد الطلبة ٦٢ وعدد الفصول اربعة اسست عام ١٣٨١ هـ .

٢٦ ــ المدرسة الاسلامية في شيلة (ماليندي) صاحبها صديق بن معاذ بن عثمان الاموي عدد الطلبة ٥٠ اسست عام ١٩٥٣ م.

٢٧ ــ مدرسة مسجد بافلونا مالندي شيلة صاحبها

سالم بن علي بن سالم عدد الطلبة .٤ اسست عام ١٣٨٣ هـ.

٢٨ ــ المدرسة الحيدرية في شيلة مالندي صاحبهـــا جيلان بن محمد عبد الله البلوشي عدد الطلبة .٦ اسست عام ١٣٧٦ هـ .

٢٩ ــ مدرسة النور في بوماني مالندي صاحبها عبده محمد شكور عدد الطلبة ٤٥ اسست عام ١٣٨٤ هـ .

٣٠ ــ مدرسة عبد الله علوي في بوماني (مالندي) عدد الطلبة ٣٥ اسست عام ١٣٨٥ هـ .

٣١ ــ مدرسة حسنة الاسلامية في بوماني (مالندي) صاحبها حسن عوض اسست عام ١٣٨٣ هـ. عدد الطلبة .٥ .

٣٢ ــ المدرسة الاهلية في براني (مالندي) صاحبها علي ابن سعيد المنتصر عدد الطلبة .٦ اسست عام ١٩٦٣ م.

٣٣ ــ مدرسة الجمال الاسلامية في براني (مالينـدي) عدد الطلبة ٤٥ اسست عام ١٣٧٩ هـ .

٣٤ ــ مدرسة المعلم راشد بن محمد في براني (مالندي) عدد الطلبة ٤٥ اسست عام ١٣٨٤ هـ .

٣٥ ــ مدرسة عمر احمد مبارك في بوماني (مالندي) عدد الطلبة ٤٥ اسست عام ١٣٨٤ هـ.

٣٦ ــ مدرسة البنات الاسلامية في جبوة (مالندي)

صاحبتها مريم بنت حميد عدد الطالبات ٤٥ اسست عـام ١٣٨٥ هـ .

٣٧ ــ مدرسة النجاح الاسلامية في لامو عدد الطلبة ٢٢٠. موزعين على سبع غرف وعدد المعلمــين خمسة اسست عام ١٩٤٩ م. مديرها السيد علوي احمد البدوي .

٣٨ ــ مدرسةالنور الاسلاميةفي ممبروي تبعد ١٤ كيلو مترا عن ماليندي شمالا عدد الاساتذة اثنان ومديرها الشيخ محمد سعيد عبدالله ويساعــده بعض كبار الطلبة عــلى التدريس لان الفصول ثمانية والمبنى ضيق ولديهم عزم على ان يقوموا ببناء طابق ثان فوق البناء الحالي والمدرسة على مستوى عال نسبيا من جميع الوجوه وتعتني ادارة المدرسة عناية خاصة بتنظيم رحلات للطلبة والمدرسين للتبشير بالدين الاسلامي وتوضيح محاسنه كما يوجد في المدرسة آلــة ناسخة (استنسل) وهي اول مدرسة نرى فيها آلة تقوم على طبع مقرراتها المدرسية ويشرف على شؤون المدرسة جمعية رئيسها الشيخ عمر بن سالم باطهيف .

٣٩ ــ مدرسة فورت هول الاسلامية عدد طلبتها ٦٠. والمدرس يدعى عبدالله بن سالم عبيد يتقاضى من المدرسة (١٢٠) شلنا في الشهر ويجمع راتبه من تبرعات المحسنين .

٤٠ ــ المدرسة الاسلامية في كتوى (وسط كينيــة) مديرها المعلم سعيد بن علي عدد الطلبة ٧٥ أسست عــام

١٣٨٦ هـ. قام على انشائها اهالي كتوى بعد مدة طويلة من جمع التبرعات، ينقصها أثاث وكتب خازنها يدعى احمد طيب.

٤١ ـ مدرسة الفلاح في كبرى غربي نيروبي مديرها الشيخ عبيد كافي يساعده مدرسان هما مو جمعه وسليمان سعيد عدد الطلبة ١٩٢ عدد الفصول اربعة أسست في عام ١٩٤٢ م. والمبنى ملك للمدرسة ويقع جانب المسجد الجامع في بلدة كبرى .

٤٢ ـ مدرسة كلوليني مسلم اسكول مديرها المعلم مرجاء بن مزي بن عثمان عدد الطلبة ٦٥ أسست عام ١٩٥٧م الطلبة موزعون فيها على فصلين ، المبنى وقف للمدرسة .

٤٣ ـ مدرسة جامع كيسومو عدد الطلبة ٣٥ صاحبها زكريا احمد شيخ الكمري أسست عام ١٩٦١ المكان وقف تابع للمسجد .

٤٤ ـ المدرسة الاسلامية في كتوى مديرها ابو بكر عمر جلز عدد الطلبة ١٧. يساعده عبدالله مفتاح أسست عام ١٩٥٨ م.

٤٥ ـ المدرسة الابتدائية الجديدة في كراي هي الآن تحت الانشاء وصل البناء فيها الى السقوف والغرف أربع طول كل واحدة ٧×٩ أمتار ، والمكتب ٤×٩ أمتار ، رئيس المشروع مبارك منقى والجماعة القائمون على انشائها هم

أهالي كراي ورئيس جمعية المدرسة هو الشيـخ سالم بـن كدياكا .

٤٦ ـ مدرسة السعادة الاسلامية في مجنقو نيروبي اسم صاحبها الشيخ رمضان غذياكا والمعلم محمد سالم عدد الطلبة ٤٥ طالب من بنين وبنات أسست عام ١٩٤٥ م. تحتاج الى فرش وبناية المدرسة ملك لصاحبها الشيخ رمضان .

٤٧ ـ مدرسة البدوي الاسلامية في كيزيقتي تبعد عن لامو عشرة اميال مديرها الشيخ حارث صالح الاموي عدد المدرسين المساعدين عشرة عدد الطلبة ٢١٧ والفصول عشرة اسست عام ١٩٥٥ م. المبنى وقف للمدرسة والدراسة مجانا والقائمون عليها اهل البلدة بمساعدة المحسنين .

٤٨ ـ مدرسة الله الاسلامية في بوكولة جنقاما تبعد عن ممباسة ٧ أميال مديرها الشيخ محمد فقيه خروجي عدد المدرسين ثلاثة والطلبة ٢٢. عدد الفصول ٥ أسست عام ١٩٥٠ م. ملاصقة لمسجد بوكولة وبنايتها وقف للمدرسة .

٤٩ ـ مدرسة الاستقامة الاسلامية في قرية ماجنقو مسجد النور على بعد ٦ اميال من ممباسة مديرها الشيخ عيدروس بن مشهور بن شهاب عدد المساعدين على التدريس اثنان وعدد الطلبة ١١٣ من بنـين وبنات والفصول خمسة والمبنى وقف على المدرسة أسست عام ١٩٦٤ م. والمدرسة تأخذ من الطلبة شلنين اثنين في الشهر .

٥٠ ـ مدرسة مسجد انيسة المعلم الشيخمحمد ابو بكر عيشان في (انجي اوكالي) (ممباسة) عدد الطلبة ٧٠ وعدد الـفصول ٣ أسست علم ١٩٣٦ م.

٥١ ـ مدرسة التقوى الاسلامية في حارة ازقـلان (ممباسة) مديرها الشيخ بوناكنيو مزيز عـدد الطلبة ٧٦ والمدرسة اربعة فصول بناها عبد صالح تحتاج الى مقاعد وسبُّورات أسست عام ١٩٦٤ م.

٥٢ ـ مدرسة الفلاح الاسلامية في قرية بن شافي تبعد ٨ اميال عن ممباسة صاحبها المعلم خميس بن جمعة الافريقي يساعده على التدريس اثنان من الطلبة وعـدد الطلبة ٨٠ والفصول ٣ أسست عام ١٩٥٦ م.

٥٣ ـ مدرسة بوكولة الاسلامية تبعد ٩ اميال عـن ممباسة اسم المعلم عثمان بن حسين الافريقي عدد الطلبة ٤٠ يساعد احد الطلبة والمدرسة غرفة واحدة مقسمة الى ثلاثـة فصول أسست عام ١٩٥٨ م.

٥٤ ـ مدرسة استيشن اسلامية سنقامة اسم المعلم شعبان بنخميس القادري عدد الطلبة ٢٠ اسست عام ١٩٦١م.



في جمهورية الصومال

بركات



يوم السبت : ١٣٨٤/٥/١٣ هـ .
١٩٦٤/٩/١٩ م .

الى مقديشو :

تركنا فندقنا في نيروبي في الساعة الخامسة من صباح اليوم أي مع طلوع الفجر قاصدين مطار نيروبي ، على سيارة اجرة لأحد العرب هنا . وقد صلينا الصبح بعد وصولنا المطار . وكانت المعاملة سهلة ميسرة .

وفي تمام الساعة السادسة والنصف توجهنا الى الطائرة ، وكان الركاب خليطا من الناس بينهم امريكيون وايطاليون وصينيون ورجل مهري واحد (من بلاد المهرة في جنوب الجزيرة العربية) وقد وقف الركاب جميعا عند سلم الطائرة مدة خمس دقائق قبل ان يسمح لهم بدخولها وظهر ان المضيفة كانت ترتب مع بعض موظفي الشركة الامتعة داخل الطائرة . وكان الجو باردا ، والمطر يتساقط رذاذا ، وقد صدمنا لمنظر الطائرة اذ وجدناها قديمة صغيرة ذات محركين من طراز «داكوتا» مع ان تذاكرنا على الدرجة الاولى بالطائرات النفاثة ومع ذلك فقد خفف من ذلك علينا ان نرى كتابة عربية علي الطائرة فقد كتب عليها بالعربية «خطوط عدن الجوية» علما بأن الشركة المذكورة هي فرع لشركة الطرق الجوية البريطانية لما وراء البحار وذلك بحكم كون عدن لا تزال مستعمرة بريطانية .

قامت الطـائرة في الساعة السابعة الا ربعـا وكانت المضيفة فيها وحيدة اظنها هندية تعيش في عدن ، وكانت خدمتها رديئة للغاية ولم نكن قد تناولنا طعام الافطار بعد ، فانتظرنا طويلا حتى قدمته المضيفة ، وكان طعاما غير جيد وكميته قليلة ، ومع ذلك فالمضيفة تقدمه بجفاء، وكأنما كانت تتصدق به علينا ، ولا ادري لماذا ؟ فقد ذكرت في هـذه المناسبة ادب المضيفين الاحباش ولطفهم ونظافـة طعامهم وهندامهم ، ومما زاد في اكتمال الصورة السيئة ان المضيفة احضرت صحفا في بداية الرحلة واعطتنا صحيفتين عربيتين تصدران في عدن احداهما (فتاة الجزيرة) والاخرى (الاخبار) وقد قرأنا ما فيهما بسرعة اذ ان كلا منهما تتألف من ورقتين صغيرتين فقط استهلك اكثرهما في الاعلانات ، وجميع ما في الصحف بعد الاعلانات لا يملأ نصف صفحة من صحفنا السعودية الراقية حقا . ومـع ذلك فقد قرأنا في هاتـين الصحيفتين الهزيلتين تحامـلا في التعابير وطريقة صياغـة الاخبار عن المملكة العربية السعودية ... شيء نأسف له لأن هذه الطائرة تنسب ولو بالاسم الى بلد عربي : (عدن) .

اما الملاحون فكلهم مـن الانكليز . وكان الطيران سهلا مريحا فلا اهتزازات ، ولا انخفاضات مفاجئة ، ولعل السبب في ذلك ارتفاع الطائرة الشديد، ولم نستطع مشاهدة أي جزء من الارض بسبب كثافة السحب تحتنا .

وبعد مسيرة ما يقرب من الساعتين وصلنا الى ساحل

المحيط الهندي فأخذت الطائرة تسير بحذائه حتى بلغنا مقديشو . وقد استمرت الرحلة مدة ثلاث ساعات ونصف ، وكان ازيز محركي الطائرة يؤذي الآذان وقد اخذت المضيفة منا في الطائرة جوازات سفرنا نحن الذين سننزل في مقديشو.

مطار مقديشو :

كان منظر منطقة المطار خاصة ومدينة مقديشو عامة على غير ما كنا نتخيل ، فقد تبين لنا ان المطار تجري فيه اصلاحات هامة وانه قبل ذلك لم يكن يليق بمكانة عاصمة جمهورية الصومال خصوصا بالقياس الى فخامة مطار نيروبي ، وقد شاهدنا الاعمال التي تجري في مدارج المطار ، بغية توسيعه ، وجعله صالحا لنزول اكبر الطائرات العالمية النفاثة .

كما لاحظنا ان المكاتب والساحات في المطار صغيرة ايضا ، وتبدو البساطة في جميع محتوياته وأثاثه ، خلاف ما عليه مطارات الخرطوم واسمرة واديس ابابا ونيروبي .

وقد ابهج نفوسنا ان رأينا اللغة العربية مكتوبة على مكاتب المطار وان كانت تحت الانكليزية، كما كانت قرارات الدخول الى الصومال مكتوبة باللغتين العربية والانكليزية ، وكانت الاجراءات هنا تتسم بالدقة فهم يتحققون من شخصية كل زائر ويوازن الموظف بين صورته في الجواز وصورته

الحقيقية ، كما كانت الاجراءات الجمركية دقيقة ايضا ، فهم يفتشون حقائب الركاب ويشددون على مقـادير العملات الاجنبية خاصة ، وقد سررنا لهذه الاجراءات من ناحية كونها تدل على الحيوية وتقدير المسؤولية ، لا سيما في هذا الظرف الذي تمر به جمهورية الصومال الفتية ، وهي تقع بين جارين قويين يحتفظ كل منهما بجزء من الاراضي الصومالية التي لا يزال يقطنها الصوماليون ، وهما الحبشة وكينية . وقد كان الجو في مقديشو حارا بالنسبة الى جو نيروبي البارد الذي كنا قد ارتدينا فيه الملابس الصوفية طلبا للدفء ، وقد عرفنا ان درجة الحرارة في المطار سبع وعشرون أي انهـا درجة معتدلة تشبه جو جدة في أوائل الربيـع ، علما بأن مقديشو تقع على خط عرض ٢ شمالا عن خط الاستواء الذي يقع على بعد مئتي كيلومترا منها جنوبا ، فوق مدينة (كيسمايو) الصومالية .

مقـــديشو :

وأصل اسمها فيما يقال : (مقعد شاه) أي دار السلطنة او دار الملك . ركبنا اليها سيارة خاصة ، وكان منظر الطريق ومداخل مدينة مقديشو تدل على اهمال المستعمرين السابقين لهذه البلاد ، ثم دخلنا الى قلب المدينة ، فزال عنـا بعض الشعور بما رأيناه في مداخلها ، فان الطرق الرئيسية هنـا مسفلتة ، وواسعة ، ولها ارصفة كافية. وقد ذهب بنا السائق

الى فندق يعرف باسم « فندق سافوي » واجرة السرير الواحد فيه ١٠ شلنات صومالية ، أي ما يعادل ستة ريالات سعودية ويملكه رجل ايطالي من بقايا المستعمرين الايطاليين السابقين في الصومال .

وقد ذهبنا بعد ذلك فورا الى مطعم قريب من الفندق وتغدينا وكان الطعام طيبا وفيرا منوعا يدل على وفرة اللحم والفواكه الاستوائية وقد كلفت الوجبة الواحدة مع الفاكهة وهي الموز ما يعادل ريالين ونصف سعودي .

وبعد العصر خرجنا في جولة في شوارع مقديشو ووجدنا فيها كثيرا من البنايات الجميلة والساحاتالتي زرعت فيها الزهور واغلب زهور الحدائق هنا صفراء اللون ، كما أن بعض البنايات المهمة في مقديشو مطلية باللون الازرق مما يوحي بأن الصوماليين يفضلون اللونين الاصفر والازرق على غيرهما . وقد اعجبنا منظر الاهالي وخاصة السيدات بملابسهن التي تتسم بالحشمة والوقار وعدم الكشف عن اجسامهن ما عدا الوجه والكفين .

كما سررنا بمنظر الشبان والاطفال وهم يسيرون بقوة ونشاط واذا تحدثوا بلغتهم الصومالية يخرجون الكلمات من افواههم بقوة كأنما ينتهر بعضهم بعضا . وهم جميعا من الجنس الصومالي الذي يشبه في لونه اللون السوداني ويبدو الواحد منهم ممشوق القوام دقيق التقاطيع كثير

الشبه بالعرب لولا فارق اللون وهم لذلك يعتبرون بعيدين عن الجنس الزنجي الذي يسكن تحت خط الاستواء .

وقد حضر وقت صلاة المغرب ونحن بقرب مسجد لا نعرف اسمه ، فدخلنا للصلاة ووجدنا القوم يتوضأون من حوض بجانب جدار المسجد لا صنابير فيه وهم يغترفون منه اغترافا بأيديهم ، ويغسلون وجوههم على حافته فيعود بعض الماء المستعمل من اعضاء المتوضئين الى الحوض لان القوم شافعية المذهب . وفي برهة قصيرة ازدحم المسجد بالمصلين ، وامتلأ ما حوله من فناء مكشوف ، حتى مكان الوضوء امتلأ بهم ، ولم اجد مكانا اصلي فيه بعد الفراغ من الوضوء فاسرعت الى دخول المسجد نفسه وزاحمت ــ للضرورة ــ حتى وجدت ركنا غير مفروش بجانب (زير) لماء الشرب ولم اجد شبيها لازدحام هذا المسجد بالمصلين الا ازدحام الحجاج في وقت الموسم على الصلاة في الحرم ! شيء مفرح حقا ولكنه محزن من ناحية عدم تلبية مطالب المصلين في توسعة المسجد وفرشه حيث انه لم يفرش منه الا المبنى الرئيسي بالحصر . وقد تجولت بالمسجد بعد الصلاة فاذا به مسجد صغير ، يدل طرازه على قدمه ، ويتوسطه اسطوانات حجرية تعلوها الاخشاب التي سقف بها المسجد .

وقد استرعى انتباهي اعلان مكتوب بالعربية ، وكان يتضمن ان هذا المسجد اسمه (مسجد الاربع ركن) أي

مسجد الاركان الاربعة وانه قـد أسس في عام ٦٦٦ هـ . أي منذ سبعمائة وثلاثة عشر عاما كما جاء فيه ، وانه قد ضاق بالمصلين وانه يحتاج الى توسعة والى فرش ، والرجاء ممن يبتغون الثواب من الله التبرع لهذا العمل الصالح ، وقد سررنا لذلك وازمعنا المشاركة بما يتيسر . وقد رأيت حجرا في قبلته قديما فيه كتابة قديمة واضحة تقول انه جدد بناء هذا المسجد عام ٩٧٢ هـ . أي منذ اكثر من خمسمائة سنـــة .

يوم الثلاثاء : ١٣٨٤/٥/١٦ هـ .
١٩٦٤/٩/٢٢ م .

انتقلنا من الفندق الذي كنا فيه الى فندق آخر ، هو فندق جوبا ، وجوبا اكبر النهرين الرئيسيين في جمهوريـــة الصومال ، وهما نهـــر جوبا وشبيلي وهذا الفندق تملكـــه الحكومة وهو فخم وكبير ، وقد بنته الحكومة لينزل فيه اعضاء الوفود الرسمية الى احتفالات الصومال بالاستقلال عام ١٩٦٠ م وفيهم بطبيعة الحال رؤساء الدول والحكومات والوزراء ، وجميع حواجز هذا الفندق وارضيته وجدره من الورق على اختلاف انواعه ، ومنه المضغوط والمقوى وغير ذلك ، وقد استوردت معظم اجزائه جاهزة من ايطاليا ركبت في اقل من شهر كما اخبرنا بذلك . والفندق مكون

من اربع طوابق وهو مجهز بجميع ما يحتاج اليه النزيل ويقطن فيه حاليا بعض السفراء الاجانب . واجرة السرير فيه رخيصة نسبيا اذ استأجرت حجرة خاصة واسعة مجهزة بكل ما يحتاج اليه المرء ومن ذلك حمام خاص ، وحجرة صغيرة خاصة ليغير فيها المرء ملابسه ويحفظ فيها امتعته واجرتها (٣٣ شلنا صوماليا في اليوم) أي ما يساوي (٢٠) ريالا سعوديا الا ان قيمة الطعام فيه غالية لا تقل عن (١٥) شلنا أي ٩ ريالات على حين ان مثيلاتها في المطاعم الاخرى خارج الفندق لا تتجاوز اربعة شلنات . حتى كوب الشاي بالحليب يباع فيه بشلنين ونصف ، زد على ذلك ان الطعام يطهى ويعد على الطريقة الافرنجية التي كثيرا ما تكون غير متقنة .. ولا نستسيغ مذاقه ولا نقبل طعمه، مما اضطرنا الى الخروج عند الاكل الى الخارج . وقد وجدنا مطعما وطنيا صوماليا ممتازا يسمى (مطعم علي مادوف) وهو يقدم وجبات سخية ممتازة باسعار غاية في الرخص فلا تزيد الوجبة التي تشتمل على الدجاج والارز والخبز مع السلطة والفاكهة التي هي الموز او (الباباي) ولا يوجد غيرهما اطلاقا الا مستوردا ، لا تزيد على ٣ شلنات .

يوم الاحد : ١٣٨٤/٥/٢١ هـ .
١٩٦٤/٩/٢٧ م .

لم نشهد في اي بلد نزلناه زوارا لنا ومستقبلين كما

شهدناهم بالصومال كثرة وازدحاما فقد غمرونا بفضلهم وكرمهم وكان اهل العلم والفضل يكررون لنا الزيارة ويعرضون علينا ان يستضيفونا في بيوتهم مدة مقامنا هنا ، ولا غرو فالصومال بلد مسلم مخلص لاسلامه ولا يوجد بين اهله الاصليين من هو غير مسلم ، بل ان الصوماليين الذين يقطنون الآن خارج جمهورية الصومال في الاراضي المحتلة من كينية والحبشة يمتازون عن غيرهم بتمسكهم باسلامهم وبانهم لا بد ان يكونوا على طرف من المعرفة باللغة العربية . وقد تأكدنا من جميع تلك الاستقبالات ، ومن الحفاوة والتكريم اللذين قابلنا بهما الصوماليون من مسؤولين وغير مسؤولين ، مبلغ الروابط الوثيقة التي تربطنا بهذا الشعب المسلم ، ومبلغ الود المكين المتبادل بين الجميع ، حتى العامة من الناس كانوا يحيوننا ، ويرحبون بنا بمجرد معرفتهم باننا سعوديون ، وان لم يعرفوا شخصياتنا .

لقد شعرنا طيلة مقامنا في الصومال باننا بين اهلينا وذوينا ، فالتحية الاسلامية نسمعها في كل مكان ، لا يبتغي حتى المثقفون من القوم بها بديلا ، واللغة العربية لم نقابل احدا لا يعرفها ، او لا يعرف قدرا منها ، فلم نحتج الى استعمال الانكليزية او غيرها ولا مرة ، حتى الذين درسوا من الصوماليين في اوروبة يحسنون العربية او شيئا منها كما ان اهل البوادي المنعزلين والذين يفدون الى مقديشو لحاجة من الحاجات قد امتحناهم فوجدناهم يعرفون شيئا من

العربية ، حتى النساء والاطفال . كل هذه العوامل مع مناظر ازدحام المساجد بالمصلين ، وحرصهم على ان يسمعوا كل كلمة يقولها الواعظ القادم من المدينة المنورة جعلنا لا نحسّ في الصومال غربة ، ولا نعاني بين اهله وحشة .

وقد فاتني أن أدون في الايام السبعة الماضية يوميات منتظمة بسبب كثرة الاستقبالات ، وانشغالنا بالاجتماعات ، وسوف انقل هنا بعض ما علقته خلال الايام المذكورة .

اللغة في الصومال :

يتكلم الصوماليون فيما بينهم لغة خاصة بهم غير مكتوبة ويتكاتبون باللغة العربية قبل الاستعمار ثم بالايطالية وبالعربية حتى الآن ، وقد سبق ان اجرت لجنة الوصاية التابعة للامم المتحدة استفتاء في الصومال قبل الاستقلال عن اللغة التي يختارها الشعب فاجمع رأي الاعيان وممثلي الامة على ان تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية ، ولا يزال مفعول هذا الاستفسار قائما ، ولكن على الرغم من مضي سنوات عليه فلم يتم تنفيذه حتى الآن . فاللغة العربية لا تستعمل الا بصفة جزئية في الدوائر الحكومية وغالبا ما تكتب الى جانب اللغة الايطالية ، وفي بعض الاحيان تكتب معهما او مع العربية فقط اللغة الانكليزية . والحاصل ان الصومال كما قال بعضهم يعيش الآن في فوضى لغوية لا مثيل لها . وقد تجلى لنا ذلك واضحا في بعض الدوائر الحكومية

ومنها المطار . فقد كانت اللافتات على المكاتب مكتوبة في بعض الاحيان بالايطالية اولا ، ثم تحتها العربية ، ثم تحتهما الانكليزية ، واحيانا بالايطالية تحتها العربية ، واحيانا بالانكليزية وتحتها العربية ، واحيانا بالايطالية فقط . كل ذلك في المطار نفسه اما الدوائر الحكومية الاخرى فليست بعيدة عن هذا .

ويحاول بعض المفتونين بالثقافة الغربية ممن تعلموا في المدارس الايطالية ان يكتبوا اللغة الصومالية بالحروف اللاتينية ، ولكن اولئك قلة ، وتأثيرهم محدود ، وان كان سعيهم ذلك يلقى تشجيعا من الدوائر الثقافية الاجنبية .

ولكن هناك الرأي العام الصومالي وهو رأي عام مسلم كما قدمت ، ولا يبغي باللغة العربية بديلا ، وللمشايخ ورجال الدين من خطباء المساجد وعلماء القبائل تأثير كبير على العامة يحسب له كل من قدم الى الحكم في الصومال الف حساب . واذا اراد بعض الحكام اقرار شيء يخالف قاعدة ظاهرة من قواعد الاسلام فان اولئك المشايخ والعلماء والخطباء لهم بالمرصاد ، فما ان يحركوا الشعب حتى يتراجع الحاكم ، وينتهي كل شيء . هذا مع العلم بان الحكام الصوماليين ــ لعمر الله ــ حتى المثقفون منهم ثقافة غربية اكثر الحكام في البلاد الاسلامية في افريقية تمسكا بالاسلام والتزاما بالسعي لما فيه رفعة شأنه ، ويشاركون مواطنيهم الشعور العميق بانهم جزء من الامة الاسلامية . وبان

روابطهم بالبلاد العربية اقوى الروابط وامتنها .

وهناك مشروع الآن للبداءة بتعريب المرحلة الابتدائية في جميع المدارس الحكومية في الصومال كخطـوة اولى ، يتلوها تعريب المرحلة الاعدادية ، اي تكون الدراسة كلهـا باللغة العربية وليس بصفتها مادة من المواد .

اما اللغة الصومالية المحكية الآن فتتكون من عنصرين اساسيين اولهما من اللغة العربية المحكية في جنوب الجزيرة العربية . وثانيهما من لغة (الجالا) وهم قبائل كثيرة منتشرة الآن في شرق الحبشة وجنوب غربي الصومال وهم اهـل البلاد الاصليون الذين طردهم الصوماليون عندمـا جاؤا الى الاراضي الصومالية من الجزيرة العربيـة فيما يرجح . ويقول الذين يعرفون اللغة الصومالية ان حوالي ٣٠٪ من كلماتها ذات اصل عربي ، اي انها اقل بكثير من اللغـة السواحلية اخذا من العربية . ويخرج الصوماليون الحروف الحلقية واضحة جلية تكاد تفوق وضوحها عندما يتكلم بها بعض العرب . ولا شك ان الحروف الحلقية هي اصعب ما في النطق بالعربية لدى الغريب عنها ، الا انه في حالة تكلم الصوماليين بالعربية فانهم لا يجدون صعوبة في ذلك لانها ليست غريبة عليهم ، وكما قدمت ان جميع الصوماليين بدون استثناء يعرفون العربية او شيئا منها . وفي مقديشو لـن تحتاج ان تتكلم بغير العربية . سواء أكنت في السوق ، ام في دائرة حكومية ، ام في فندق من الفنادق .

المرأة في الصومال :

يبدو التأثير الاسلامي واضحا في المرأة الصومالية ، فانت لا ترى المرأة خارجة متبرجة في الشوارع بالشكل الذي تراه في البلاد الاخرى ، واذا خرجت، خرجت محتشمة ساترة رأسها وساقيها ، الا ان لبعض القبائل الصومالية البدوية وهي قليلة العدد تقليدا خاصا تجرد المرأة وهي خارجة احدى يديها ، وغالبا ما تكون اليسرى حتى الابط ، كما يفعل المحرم في الاضطباع ، ومع ذلك قد يوجد من تخرج من النساء وهي لابسة الزي الافرنجي وهي تبدو به وقد خلت من الوقار والجمال .

اما الحجاب بالمعنى المعروف فلا يوجد اصلا في الصومال . واشتغال الفتاة الصومالية في الوظائف العامة هنا قليل .

اما تعليم البنت فلا يزال ضيق النطاق ، وقد سألت المفتش العام للتعليم في مقديشو عن ذلك فقال انه قليل جدا. حتى اننا قد نضطر الى التعليم المختلط . اذ ان الفتيات لسن من الكثرة بحيث يمكن ان تخصص لهن مدارس بمفردهن ، كذا قال .

ومما يسر المرء ان يلاحظ ان الاطفال خاصة ، وسكان مقديشو عامة تظهر عليهم علامات التغذية الجيدة ، وتغلب على طبيعتهم النظافة بوجه عام ، وذلك على الرغم من نقص

الرعاية الصحية بسبب عدم وجود العدد الكافي من الاطباء الصوماليين . وعدم توفر الاطباء مـــن الاجناس الاخرى ، وذلك لان الاستعمار لم يترك للصوماليـــين شيئا يقيمون عليه نهضة بلادهم ، وليست هذه اليوميات دراسة كاملـة حتى يمكن ان نستشهد بالارقام ، ولكنها مشاهـــدات وانطباعات عاجلة ، انتزعت من بين اوقات العمل والراحة انتزاعا فهي تتسم بلا شك بطابع الاجمال والاستعجال .

يوم الاثنين : ١٣٨٤/٥/٢٢ هـ .
١٩٦٤/٩/٢٨ م .

العودة الى نيروبي :

حزمنا امتعتنا في الصباح وكان موعد اقلاع الطائرة في الساعة الثانية عشرة ظهرا وقد ركبنا الطائـــرة في الوقت المحدد وهي من ذوات المحركين من طراز داكوتا تابعة لشركة خطوط عدن الجوية التي حضرنا معها الى مقديشو ولم نكن لنرضى العودة اليها لولا الضرورة حيث لا يوجد غير هذه الطائرات تستطيع النـــزول في مطـــار مقديشو بسبب الاصلاحات التي تجري فيه . ولكن حدث في هذه السفرة غير ما كنا نتوقع فقد كانت الطائرة غـــير الطائرة ، وكان موظفوها غير موظفي الطائرة السابقة . وكانت المضيفة وهي انكليزية تؤدي الخدمات للركاب بدون تفريق ، وفيهـــم

الافريقيون والاوروبيون والآسيويون ، وعندما تلاحظ بان احد الركاب قد بدأ النوم يداعب جفنيه فانها تتسلل اليه برفق وتأتي بغطاء صوفي خفيف وتغطيه به ، واذكر ان زميلنا الشيخ ابا بكر جابر عندما افاق من نومه وجد عليه غطاء لم يذكر انه كان عنده قبل النوم ، فالتفت الي مستفسرا فاخبرته بالحقيقة . وقد قدمت وجبة غذائية كاملة تتكون من لحم الدجاج والشوربة والحلوى ثم القهوة ، والشاي عكس ما كان عليه الامر في الرحلة السابقة .

كان طيران الطائرة نفسها وهي تطأ لاهثة على شاطىء المحيط الهندي ، رخاء لا عوج فيه ولا امثا . وكان بامكاننا بسبب قلة السحب ان تتبين بوضوح تام معالم الارض التي نطير فوقها على ساحل المحيط حيث كنا نشاهد الشاطىء ذا الرمل الابيض الذي يختلط فور ابتعاده عن الماء بالرمل الذهبي الجميل ، وكانت الاشجار التي لا نستطيع تمييز انواعها تكاد تتشابك فروعها ، وكانت الطريق غير المعبدة تبدو واضحة من خلال الاشجار .

قضينا على ظهر الطائرة وقتا ممتعا دام ثلاث ساعات ونصفا ، ثم اخذت الطائرة بعد ان قربنا من نيروبي تنتفض بل وترقص في بعض الاحيان، لأن الرياح كانت تعترض طريقها على جبال منطقة نيروبي العالية ثم هبطنا في مطار نيروبي الجميل ، وفي قسم الجوازات منه ، كان الموظف شابا افريقيا يكلمنا بالانكليزية بصورة عادية ، رأى جوازاتنا

وعرف اسماءنا ، فالتفت الينا هاشا باشا . قائلا في اثناء المحادثة (السلام عليكم) فقلنا : (وعليكم السلام ورحمة الله) فقال : انا مسلم افريقي ، وقد سرني مرآكم وهذا هو عنواني ورقم الهاتف في بيتي ، ويسرني خدمتكم . ثم تحدث الينا برهة من الوقت في بشر ونشوة مما لفت انظار بقية الركاب الذين فاتني ان اذكر انهم خليط يتكون من العرب الحضارم وامريكي يحمل الحقيبة الدبلوماسية من السفارة الاميركية في مقديشو وبعض الصوماليين الذين يظهر عليهم انهم من كبار الموظفين وهندي واحد واثنين من الاوروبيين لم اعرف جنسيتهما .

وقد انصرفنا من موظف الجوازات مسرورين ، ثم انتقلنا الى موظف الجمرك في المطار وهو افريقي ولكنه غير فاحم السواد ، وقد كلمنا بالسواحلية التي لا نعرفها فقلت له اننا نعرف شيئا من الانكليزية ، ثم سمعني اترجم الى العربية ما يقوله ، فكلمنا بعربية فصيحة وقال انا عربي مثلكم ، وكنت اظنكم من عرب شرق افريقية ، ثم رحب بنا اجمل ترحيب فشكرناه وعدنا على سيارة الاجرة من المطار الذي يبعد ثمانية عشر كيلومترا الى نيروبي الجميلة البديعة التي تعتبر زهرة ناعمة في وسط الحديقة الافريقية الخضراء .

إلى الصومال ... مرّة أخرى



يوم الخميس ٩ /١٣٨٦/٥ هـ
١٩٦٦/٨/٢٥ م

غادرنا مطار جدة الدولي الى عدن في اولى مراحل رحلتنا الثانية التي تقدم ذكرها في تصدير الكتاب وذلك يوم السبت الواقع في ٥ جمادى الاولى عام ١٣٨٦ هـ المصادف ٢١ اغسطس عام ١٩٦٦ .

وقد سافرنا على طائرة تابعة لشركة خطوط عدن الجوية من طراز دي سي (٦) ذات المحركات الاربعة وجميع ملاحيها من الانكليز اما المضيفتان فهما فتاة انكليزية وفتاة عربية من عدن ، وقد تناوبتا الحديث من مكبر الصوت بالطائرة ، الاولى بالانكليزية ، والثانية بالعربية ، واعلنتا ان الرحلة ستدوم ثلاث ساعات وعشرين دقيقة ، وان ارتفاع الطائرة سيكون (١٧) الف قدم .

اما الركاب فاكثرهم من جنوب الجزيرة العربية ، وبعضهم قدم على الطائرة من القاهرة وكانت الخدمة متوسطة . وكان الطيران ممتعا حيث ظلت الطائرة فوق ساحل البحر الاحمر بشعابه الكثيرة وجباله التي كانت تقترب من الساحل احيانا وتبتعد عنه احيانا اخرى . الى ان غربت الشمس .

في مطار عدن :

وصلنا المطار بعد المغرب ، وقد احاط بالطائرة فريق

من الجنود البريطانيين ، فعدن تعيش في هـــذه الايام ثورة على البريطانيين حامية .

وبعد ان نزلنا من الطائرة وتفقدنا الجنود البريطانيون سلمونا الى موظفين عدنيين فقادنا ضابط منهم الى مقصف المطار وقد لبثنا فيه مدة طويلة . وعرفنا انهم يبقون فيه من لا يحمل سمات دخول ، ولما طال انتظارنا ذهبنا الى مكتب الجوازات في المطار فكان هناك ضابط عربي يعمل في ختم الجوازات ، فسألنا عن تذكرة السفر الـــى مقديشو ولماذا نذهب هناك ؟ فأريناه تذكرة السفر ولم نجبه على سؤالــه عن سبب ذهابنا الى مقديشو لأن هذا ليس من اختصاصه . وفيما كنا معه وقوفا حيث لا يوجد كرسي ، جاءنا موظــف عربي آخر وطلب منا اوراق شهادة التطعيم الصحية فلمـــا ابرزناها له انتحى بي ناحية اخرى في المكـــان ، وقال : ان شهادة التطعيم الصحية التي تحملونها غير كافية . واخـــذ يتكلم بكلام كثير لا معنى له ، ثم قال في النهاية : هذه لا تصلح وتحتاج الى بحث . ولما عدت الى ضابط الجوازات اشار موظف الصحة الى صاحبي وساره قائلا (تشتهـــي بخشيش الدكتور يشتهي بخشيش) ، اي اننا نريد منــك ان تدفع لنا فاجاب صاحبي فيما يقول لماذا ؟ فقال : لا بد لئلا يعاكسكم الطبيب . وهنا اخرج صاحبي فيما يقـــول وبدون ان يستشيرني بطبيعة الحال (٥) شلنات كانت معه اي ثلاثة ريالات سعودية تقريبا ، فاعطاها له وعندما سألت

صاحبي الاستاذ عبد الله الباحوث : كيف اصبحت البطاقات كاملة واصبحنا نحن اصحاء ولله الحمد ؟ اجاب : ذلـــك ببركة الشلنات الخمسة !!. وكنت في تلـــك الاثناء لدى صاحب الجوازات الذي طلب منا رسما قدره خمسة عشر شلنا لكل واحد منا مع اننا كلنا نحمل في جوازاتنا تأشيرات دخول الى عدن من السفارة البريطانية في جدة . ثم فتش الموظفون المحليون حقائبنا بشكل بعيد عن الذوق ، وكانوا يتغامزون علينا عسى ان يحصلوا منا على شيء ثم قـــال كبيرهم : هل معكم فلوس ؟ قلت : نعـــم معنا شيكات سياحية . فقال : هل هي كثيرة . قلت : نعم . قال : كـــم تكون ؟ ولما كنت اعرف ان هذا ليس من صميم عمله لأن عدن لا توجد فيها قيود على الشيكات والعملات الاجنبية قلت : لا اتذكر . قال : هل هي في حقيبتك اليدوية هذه ؟ افتحها . فلما فتحتها قال : هذه فلوس كثيرة ماذا تصنع بها ؟ قلت اننا مسافرون الى الصومال وغيرها من افريقية ولن نبقى في عدن غير ايام معدودة . وهنا حدثت مضايقة اخرى فقد سألني الضابط الذي كان على باب الجمرك عن احدى الحقائب فقال : يقول الحمالون انها ثقيلة هـــل صحيح ان فيها نقودا ؟ وكان فيها تمر اخذناه من المدينة المنورة هدية لبعض كبار المسلمين ، فقلت له : ان فيها تمرا فهل تحب ان (نعزمكم) عليها وفتحت الحقيبة وقلت له تفضل ، وقـــد فعلنا ذلك لئلا يعتقدوا ذلك صحيحا فيؤذوننا في بلاد قـــد

اضطرب فيها حبل الامن ، علما بان هذا السؤال ليس من اختصاصاته لأنه حارس فقط ، ثم قامت مباشرة معركة بين سائقين من سائقي سيارات الاجرة كل يريدنا لنفسه ويريد ان يستأثر بالأجرة وبعد ان تبادلا ابشع الشتم وتدخل الحضور للفصل بينهما فاز بنا احدهما وباجرة عشرة شلنات واخذ في الطريق يسب صاحبه ويقول انه سكران ، الم تشموا رائحة الخمر منه ؟.

نزلنا في فندق الجزيرة ، ومستواه متوسط ولكننا اخترناه لكونه في وسط البلد .

يوم الجمعة ١٣٨٦/٥/١٠ هـ
١٩٦٦/٨/٢٦ م

جولة في مدينة عدن :

تحيط بمدينة عدن القديمة جبال سوداء وحمراء تأخذ بتلابيبها وكأنها تحاول ان تخنقها او هكذا خيل الينا في هذا الفصل الحار من السنة .

والبيوت القديمة في هذا الحي القديم تشبه الى حد كبير البيوت القديمة في مدينة جدة فهي ذات (رواشين) كثيرة ومناسم للهواء مغطاة البراقع الخشبية (الشيش) واكثر مدن العالم العربي شبها بها هي مدينة المنامة في البحرين ان كنت قد زرتها .

اما الحركة التجارية فهي عظيمة فيها ولا غرو فعدن تعتبر سوقا حرة فلا مكوس ولا قيود على التجارة والعملة فيها . وكان الجو خانقا لحرارة الهواء ورطوبته وكان بعض السكان يبدون بملابس غير لائقة فبعضها مفتوح الصدر ، وبعضها عاري الكتفين ولعل مرد ذلك لحرارة الجو فقد كان العرق يتقاطر من اجسام الكثيرين منهم . ويوجد عدد كبير من المتسولين والمتسكعين ، وكلما وقفنا عند صاحب حانوت او تكلمنا مع شخص وقف حولنا جيش من الفضوليين ، ويظهر ان ملابسنا العربية التي تخالف ملابسهم لفتت انظارهم ، وقد مررنا بصاحب مطعم فحاولنا الدخول اليه لأخذ بعض الشراب البارد فأقبل علينا خادمه قائلا بغضب : اذهبوا ايها الاخوان المسلمون ، انه شيء لم يحدث لنا في اي بلد دخلناه .

القنابل :

لم اجد مثلا لحالتنا في عدن الا في قول الشاعر :

البق والحمى واسد خفية وعمرو بن هند يعتدي ويجور

فالى جانب الحر الشديد والرطوبة الخانقة والغلاء في المعيشة ، والنظرات غير المهذبة من الدهماء وابناء السكك ، فان أخبار انفجار القنابل تتوارد في كل ساعة حتى لقد بلغ عدد القنابل التي القيت اليوم خمسا ، ذكر صاحبي ان احداها انفجرت في حي المعلى عندما كان هناك . ولكن ماذا

نصنع ونحن نود الخروج ولكننا لا نستطيع لعدم وجود طائرة ؟ وقد قضينا اكثر الوقت في غرفتنا في الفندق .

يوم السبت : ١٣٨٦/٥/١١ هـ .
١٩٦٦/٨/٢٧ م .

كنت قد حصلت على تأشيرة مجاملة لدخول كينية من القنصلية البريطانية في جدة ، وعندما طلب صاحبي الاستاذ عبد الله الباحوث ذلك امتنعت القنصلية بدون سبب نعرفه وهكذا ذهبنا صباح اليوم الى مقر المندوب السامي البريطاني في عدن عسى ان يمكننا ان نحصل منه على التأشيرة المطلوبة ويقع مقره في حي التواهي في عدن وهو حي افرنجي معظم سكانه من الاوروبيين ، وبعبارة ادق من البريطانيين فوجدنا على الباب جنديا بريطانيا قد شهر سلاحه الذي هو عبارة عن مدفع رشاش وهناك فتى صومالي بمثابة البواب ، كلمنا الفتى الصومالي اولا بأننا نريد الدخول فسمح لنا ولكن الحارس الانكليزي اعترض طريقنا ولعله شك في حقيبة يدوية كان يحملها صاحبي ، وسألنا عن قصدنا ، فلما اخبرناه افسح لنا الطريق الى داخل مقر الحاكم ، ولم نجده وانما وجدنا سكرتيرته وهي امرأة انكليزية شرحنا لها مقصدنا فاحالتنا الى مقر دائرة الهجرة في حي المعلى وقد ذهبنا الى دائرة الهجرة او «المتريشن» كما

يسمونها ، فقابلنا رئيسها هناك واعتذر بأنه ليس من صلاحية اية دائرة في عدن ان تمنح التأشيرة المذكورة ولا يملك ذلك الا الحكومة الكينية نفسها .

يوم الاحد : ١٣٨٦/٥/١٢ هـ .
١٩٦٦/٨/٢٨ م .

شيء قذر :

ذهبنا عصرا الى سوق عدن تتجول فيها ونبحث عن بعض اشياء فرأينا من كثرة بصاق القوم وخاصة الاحمر منه ما جعلنا تتقزز ، اذ كان بعضهم يعلك علف القات ، وبعضهم قد التقم اشياء اخرى جعلها في فمه واخذ يبصق في الشوارع .

هذا وقد انتهينا من حجز اماكننا للسفر الى مقديشو وسوف نسافر غدا باذن الله .

يوم الاثنين : ١٣٨٦/٥/١٣ هـ .
١٩٦٦/٨/٢٩ م .

الى مقديشو :

ذهبنا الى مطار عدن في الساعة العاشرة والنصف صباحا وقد لقينا من الموظفين العدنيين هناك ما اتعبنا ايضا

فقد حاول ضابط عرف اننا نحمل نقودا كثيرة ان يأخذ منا رشوة وحبسنا في غرفــة لاستجوابنا حتى كادت الطائرة تقلــع بدوننا .

وفي تمام الساعة الحادية عشرة والنصف اقلعت الطائرة بنا وهي نفس الطائرة التي قدمنا عليها من جدة الى عدن وقد دام طيرانها ثلاث ساعات منها حوالي نصف ساعة فوق خليج عدن والباقي فوق الاراضي الصومالية في افريقية . وكانت الارض تبدو مــن الطائرة ذات اشجار صحراوية خضراء لان هــذا الوقت هو موسم الامطــار في شمال الصومال .

وقد وجدنا في استقبالنا بالمطار بعض موظفي السفارة السعودية وهم الاخ الاستاذ طارق حمزه القنصل ، والاخ عبدالله الدباغ السكرتير وكان سعادة السفير غائبا عــن مقــديشو .

مهمتنــا في الصومال :

تتضمن مهمتنــا في الصومال اختيــار الطلبة الذين سيستفيدون من المنح الدراسية التي خصصتها الجامعــة الاسلامية بالمدينة المنورة في الصومال ، كما تتضمن الاطلاع على نشاط اعضاء بعثة دار الافتاء في الرياض الى الصومال .

وقد انتهينا منها ولله الحمد . غير ان المشكلة التــي

رافقتنا من جدة فعدن ، هي كون زميلي في السفر الاستاذ عبدالله الباحوث لم يحصل على تأشيرة دخول الى كينية وقد ذهبنا مع القنصل السعودي في مقديشو الى سفارة الحبشة التي ترعى مصالح الكينيين في الصومال ، فاعتذرت بأنها لا تستطيع منح سمات الدخول الى كينية الا باذن من الحكومة الكينية نفسها وانها بذلك ترى ان ترسل برقية ـعلى حسابناـ الى كينية بهذا الصدد وقد وافقنا على ذلك .

مع قائد الشرطة في الصومال :

ذهبنا لزيارة الجنرال محمد ابشر القائد العام لقوى الشرطة في الصومال وذلك بدعوة من سعادته . وقد قابلناه في مكتبه وهو بناء فخم في رابية تجعله اعلى بناء يرى من كافة انحاء مقديشو . وقد تحدثنا معه في شؤون شتى تتصل بعملنا وقد اعجبنا بسلامة تفكيره وبحماسه للدعوة الاسلامية شأن كثير من اخواننا المسؤولين في الصومال . وكان الحديث بالعربية التي يفهمها جيدا ، الا انه اذا اراد ان يتكلم في موضوع يحتاج الى دقة في الالفاظ تكلم بالصومالية وتولى الشيخ نور الدين علي مدير الشؤون الدينية في الصومال ترجمته للعربية .

هذا وقد تجولنا في البناء واطلعنا على بعض الخرائط الايضاحية الخاصة بالصومال والموجودة في المبنى ، وشرح لنا الضباط المختصون ما يحتاج منها الى شرح .

في المجلس الوطني الصومالي :

وبعضهم يسميه الجمعية التشريعية الصومالية . وقد ذهبنا بدعوة من رئيسه سعادة الحاج الشيخ مختار ، فاستقبلنا استقبالا كريما وهو رجل سياسة ورجل دين وصلاح، وقد طاف بنا اقسام المجلس وخاصة قاعة اجتماعات النواب وخرجنا من عنده شاكرين .

معنى كلمة الصومال :

سألت الكثيرين من الصوماليين عن معنى كلمة الصومال فلم يعرفوها ، وقال بعضهم ان الترجمة الحرفية للكلمة تعني باللغة الصومالية «احلب الناقة لنفسك» وقد تكون التسمية ناشئة عن كون الصوماليين وبخاصة في الشمال رعاة ابل من الطراز الاول بل ان حياتهم تعتمد على رعي الابل وانواع الماشية الاخرى .

ويقول الاستاذ الشيخ نور الدين علي : ان اصلها «ذومال» أي صاحب مال والمراد به هنا كثير المال . ولكن ذلك فيما يظهر لي ليس صحيحا ، لان الصوماليين وبخاصة قبل الاستقلال يكادون يكونون من«مستوري الحال»فضلا عن ان يكونوا من ارباب المال الكثير ، والثراء العريض .

اما الذي اعتقده صحيحا فهو ان رسمها «سومال» بالسين وليس بالصاد واما معنى ذلك فلا استحسن ذكره هنا .

دار الآثار القديمة :

يسمون القصر الذي يقع فيه المتحف الوطني « قصر برغش» ... ويعنون بـه برغش بن سعيد العماني سلطان زنجبار وساحل كينية الذي امتد حكمه الى منطقة مقديشو في ساحل الصومال . ومن المعلوم ان العرب العمانيين هم الذين تولوا طرد البرتغاليين من ساحل افريقية الشرقية بما في ذلك سواحل الصومال بعد ان احتلوا البلاد اكثر من مئة وخمسين سنة . والقصر نفسه عربي الطراز ، بابه الضخم ونوافذه والكوى الموجودة في حيطانه ، وشرفاته ايضا كل ذلك يذكرني بالقصور القديمة وبيوت الاغنياء والكبراء في نجد قبل ان يعرف الناس فيها البناء بالاسمنت المسلح .

ويضم المتحف اكثر ما يضم ملابس وادوات واسلحة عربية ومن اجمل ما فيه سرير عربي الطراز يقال انه كان سرير نوم السلطان ، وسيوف عربية محلاة بالفضة وخناجر وسهام ومدافع صغيرة يظهر انها مما خلفه البرتغاليون كما يضم مخطوطات ووثائق باللغة العربية وعدة مصاحف كريمة مكتوبة بخط غير فاخر. وكل المخطوطات العربية حديثة اقدم ما رأيته فيها لا يرقى تاريخه الى اكثر من مائتي سنة ، كما يضم المتحف اشياء من مخلفات بعض القبائل الصومالية ، وهي اشياء قليلة جدا اذا قيست بالمخلفات العربية كما يوجد فيه بعض الاحياء البحرية التي عثر عليها في شواطىء المحيط في ساحل الصومال .

ولعل من اجمل ما فيه ادوات صنـــع القهوة ، وهي تطابق تماما ما كان موجودا في نجد قبل ثلاثين سنة وما يوجد بعضه عند البدو في بلادنا حتى الآن ، والواقع ان المتحف لا يعتبر غنيا بالمعروضات بل انه صغير، نرجو ان يتم تدعيمه وان يشتمل على بعض الاشياء التي تمثل التاريخ الاسلامي في الصومال ، وخاصة اذا عرفنا ان مدينة مقديشو غنيـــة بالمساجد والآثار الاسلامية القديمة التي يمكن ان ينقب في اطلالها ويعرض ما يوجد فيها .

الامواج المتراقصة على ساحل مقديشو :

خرجنا في احـــدى الامسيات الى شاطىء البحـــر في مقديشو وعندما جلسنا فوق احدى الصخور على الساحل القديم قرب احد المساجد القديمة ورأينـــا الامواج التي تتراقص على الشاطىء في تتابع محموم ، ثم تلطم صخوره بوحشية ، فتتناثر شظاياها في كل اتجاه .

انه لمنظر يروقنا نحن الآن ، ولكنني رجعت بذاكرتي الى الايام التي زار فيها الرحالة العظيم ابن بطوطة مقديشو قبل اكثر من ستمائة وخمسين عاما وكان قادما اليها عـــلى سفينة شراعية بطبيعة الحال ، ولا شك انها كانت تلعب بها هذه الامواج المسعورة ، ومع ذلك فان هذه الاشياء لم تفقده لذة الوصول الى مقديشو ، والسعادة في كنف عاهلها السلطان المسلم الذي يحب الخير ، ويكرم العلماء ، والذي

كان في بلاطه من الابهة والعظمة في ذلك الزمان ، ما لا يوجد في كثير من قصور معاصريه من الملوك في انحاء الارض .

الا ليت ابن بطوطة يبعث حيا الآن حتى يرى كيف يقدم الى مقديشو ، حيث يرى نفسه في جوف طائرة نفاثة ، تسبق الريح وقد شيعته مضيفتها الجميلة بالبسمات فهو رحمة الله عليه كان في رحلاته كثير التحدث عن النساء ، ومن الوصافين لحلاهن ، وينزل من المطار فيرى كرم الصوماليين ، وحبهم لعلماء المسلمين ، في انتظاره في مطار مقديشو . ثم يرى عواطفهم وضيافاتهم تغمره في فندقه الذي ينزل فيه ، انه بلا شك سيرى أن الصوماليين لم تزدهم الايام الا كرما على كرم ومحبة للمسلم الغريب عن داره على محبة.

لقد طافت بذهني صورة ابن بطوطة واخذت جميع تفكيري،ولم اشعر الا بزخة باردة من رذاذ الامواج المتكسرة على الشاطىء فاذا بي اعود الى عالم الواقع واكبر واعظم الاكبار عزيمة ذلك الرحالة العظيم ابن بطوطة الذي جاب الاقطار في وقت كانت فيه مخاوف السفر تحيط بالمسافرين من كل جهة ، اما البحر فهو الذي قيل فيه : الداخل فيه مفقود ، والسالم منه مولود .

الماء في مقديشو :

يوجد في الصومال نهران كبيران احدهما يسمى

«شبيلي» والآخر «جوبا» ولا يبعد مجرى الاول عن مدينة مقديشو اكثر من ٣٢ كيلومترا ، ومنطقة مقديشو تعتبر من المناطق الممطورة ان صح هــذا التعبير فعليها تنزل مقادير كبيرة من الامطار كل عام ، وهي الى ذلك توجد مناطــق رملية ليست بالبعيدة عنها ، ويوجد في تلك المناطق امكانات لحفر آبار تدر مقادير من المياه العذبة ، ومع ذلك فان الماء الذي يستعمله «المقادشة» أي سكان مقديشو هو ماء ملح ، والماء الذي يشربونه ملح ايضا، وان كان دون الاول ملوحة، فالمستعمرون السابقون لم يفكروا في انشاء مشروع يمد مقديشو بالمياه العذبة ، اذا افلا يصح ان ينشد في حالهــا قول الشاعر :

ومــن العجائب والعجائب جمــــة
قرب الشفــاء ومــا اليه الوصول
كالعيس في البيــداء يقتلهــا الظما
والمــاء فــوق ظهورهـــا محمول

ولكن هناك مشروع اميركي لمد المدينة بالمياه العذبة من مكان غير بعيد منها ولكنهم يقولون انه يسير ببطء ويتأثر بحالة العلاقات السياسية بين البلدين .

لبن الابــل في المطاعم :

من العجائب في مطاعم مقديشو التي تنفرد بها ، انك تستطيع ان تطلب لبن الابل في المطاعم هنــاك ، سواء في

وجبات الغداء او العشاء ، وهو في كثرته يكاد يعادل لبن البقر في البلدان الاخرى ، واذا طلبت لبنا فان خادم الفندق يسألك هل تريد لبن الابل او لبن البقـر ؟ هذا اذا كنت غريبا ، اما اذا كنت من اهل البلاد فأن الاصل في اللبن ان يكون لبن الابل .

وليس هذا هو العجيب بل العجيب انك تستطيع ان تطلب حتى في المطاعم الايطالية في مقديشو لحم الظبـاء الصغيرة ويكتبون اسمه في القائمة «بيق بيق» ولا ادري اصل التسمية ، كما تستطيع ان تطلب لحم العجل الطائـر البري المعروف ، وقد جربتها كلها فلم يرق لي الا لحم الظباء الصغيرة فهو جيد جدا .

نشاط الدول الكبرى في الصومال :

من المظاهر التي لا توجد بكثرة في البلدان الاخرى غـير الصومال ان ترى مشاريع المساعـدات الانمائيـة والاقتصادية او الثقافية في الصومال كثيرة متقاربة ، وكـل مشروع من هذه المشاريع قد قدمتها دول عديدة تتناقض سياساتها ، وتختلف اهدافها ، فمثلا هناك على طريق افقوى معهد لاعداد المعلمين قامت ببنائه وتشرف على الانفاق عليه الولايات المتحدة الاميركية ، وغير بعيد منه المدرسة الروسية وهي مدرسة مهنية متوسطة قام على بنائها والانفاق عليها الاتحاد السوفياتي ، وغير بعيد منهما مستشفى كبير فخم

لضباط الجيش اقامته ايطاليا ، ومصنع للالبان اقامه الاتحاد السوفياتي ومشروع الاذاعة من المانيا الغربية ، ومشاريع اخرى كثيرة من الامم المختلفة . اما الصين الشيوعية فقد اقامت لهم بناء في وسط البلد وهو «المسرح الوطني» يقيمون فيه الاجتماعات ، ويقول الصوماليون وهم يحدثونك عن هذه المشاريع اننا نحصل على المساعدات من اية جهة ولكننا لا نسمح لأحد ان يتدخل في شؤوننا الداخلية . وقد يمكنك ان تأخذ هذا الامر بسهولة اذا لم تبحث وراء نشاط الدول الشيوعية في الصومال ، وهو نشاط كبير حتى الآن لم يكن له أثر كبير ولكن يخشى بعض الناس وانا منهم ان يؤثر ذلك النشاط في المستقبل في عقيدة الشباب المتعلم في الصومال ، واذا ابديت مخاوفك للصوماليين قالوا : قد يكون ما ذكرته صحيحا ، ولكن نحن بدأنا بتعمير بلادنا من الصفر وامكاناتنا المادية سواء منها الاقتصادية او المالية محدودة ، ولو استطعنا الحصول من الدول الاسلامية على كل احتياجاتنا لما اضطررنا الى قبول المساعدات من الدول الاخرى .

وبهذه المناسبة اذكر ان الصومال تتلقى مساعدات مالية على شكل قروض بدون فوائد بطبيعة الحال وتسهيلات في المعاملات التجارية من المملكة العربية السعودية كما تستورد المملكة السعودية من صادرات الصومال الرئيسية وهي

المواشي واللحوم اكبر من اية دولة اخرى ، وتدفع القيمة بالعملة الصعبة .

الصوماليون يعتقدون انهم من العرب :

ان اكثر من ٨٠ ٪ من الصوماليين يعتقدون ان اصلهم من جزيرة العرب ويعزز ذلك ان بعضهم يعرف على وجه التقريب متى قدم اجدادهم واهاليهم من هناك . ولا عجب فالجسر المائي الذي يفصل بين الاراضي الصومالية والجزيرة العربية اضيق من ان يمنع اتصال الشعبين وخاصة انهما يشتركان في وشائج الدين والثقافة ، والتاريخ الاسلامي المشترك . اما الاقلية التي لا تدعي صلة نسبها بالعرب فهم سكان الجنوب الغربي من الصومال وهم على كل حال مسلمون يشتركون في الوشائج الاسلامية مع غيرهم من المسلمين ومنهم عرب الجزيرة .

الى جوهر :

تبعد منطقة جوهر مسافة تسعين كيلا الى الشمال الشرقي من مدينة مقديشو العاصمة .

وقد سافرنا اليها على سيارة خاصة ، وابتدأنا السفر صباحا فكانت السيارة تسير اول الامر محاذية لساحل المحيط الهندي في اراض رملية حمراء مكسوة بالاشجار

والحشائش البرية غاية في الجمال وتجـد الطيور الملونة الغريبة في كل مكان .

اما طيور الصيد وخاصة الحمام البري « القماري » فهي كثيرة جدا ولا تبعد عـن الطريق حتى تكاد السيارة تصلها ، وقد عرفت ان السبب في ذلك ان اهل البادية من الصوماليين لم يتعودوا اكلها .

وبعد مسافة حوالي خمسين كيلا توقفنا عند كـوخ صغير اعده اصحابه ليكون بمثابة مقهى ، وقد رأينا لاول مرة امرأة غريبة المظهر قال لنا مرافقنا انها من بقايا السكان الاصليين الذين كانوا يسكنون الاراضي الصومالية منذ القديم وبقي منهم حتى الآن عدد قليل جدا ، قال : ولكنهم جميعا مسلمون الآن ولله الحمد .

وقد شربنا الشاي هناك وهم يغلون الشاي ويشربونه اسود ثقيلا جدا ، ثم واصلنا سيرنا الى «جوهر» في مناطق بالغة الروعة ، ولا يكاد البصر يخطىء الرعاة الصوماليين من اهل البدو وهم يرعون قطعان الماشية من البقر والابل في اعداد كبيرة جدا عرفنا لماذا كان الصومال المورد الاول لماشية اللحم الى المملكة ، اما الغنم فلم أر منها الا اعدادا قليلة جـدا .

ولا يكاد البدوي الصومالي يختلف عن البدوي عندنا الا بزيادة سمرته وبأن ملابسه تكاد تشبه ملابس الاحرام

او قل انها قريبة جدا من ملابس اهل البدو في تهامة . وقد وصلنا جوهر بعد حوالي ثلاث ساعات ، واطلعنا على معالمها ومن بينها مصنع السكر وهو مصنع كبير يكفي حاجة الصومال من السكر وبعض المنتوجات الاخرى ، ويقوم بالاشراف الفني عليه خبراء ايطاليون .

وعندما حان وقت الغداء ذهبنا الى مطعم وطني هناك واشترينا تيسا ذبحه صاحب المطعم وطبخه وقدمه الينا بسرعة عجيبة ولكنني وجدت لحمه لم ينضج تماما فتلك طريقة الدلهو في الصومال ، فهم لا يتركون اللحم ينضج تماما وانما يأكلونه وهو نصف مطبوخ ، وكنا اربعة انا وزميلي الاستاذ عبدالله الباحوث ومرافقنا وسائق السيارة . وعندما قدم لنا التيس اكلنا منه انا وصاحبي ما كفانا وهو ما نعده كثيرا جدا . ولكن كيف يأكل اربعة تيسا ؟ اما رفيقانا فقد استمرا بالاكل حتى اتيا على بقية التيس . والواقع انني لم ار قوما يأكلون اللحم بكثرة كما يأكله الصوماليون ، ولعل السبب في ذلك كثرة المراعي وبالتالي وفرة اللحوم، مما جعل اللحم واللبن الغذاء الرئيسي لاكثرية الشعب الصومالي .

* * *



إلى مقديشو.. ثالثة



يوم الاربعاء : ١٣٨٨/٢/٢٥ هـ .
١٩٦٨/٥/٢٢ م .

من الخرطوم الى مقديشو :

ركبنا الطائرة في تمام الساعة الخامسة والربع صباحا من مطار الخرطوم عاصمة السودان . وهي طائرة كبيرة نفاثة ذات محركات اربعة تابعة لشركة الخطوط الجوية الايطالية (اليطاليا) وكانت تذكرتي على الدرجة الاولى الا انني عندما دخلتها وجدت جميع المقاعد المجاورة للنوافذ قد شغلت بركاب من العابرين كانوا فيها قبل وصول الطائرة ، فقلت للمضيفة الايطالية انني اسافر على هذا الخط لاول مرة ولذلك احب ان اكون بقرب النافذة حتى ارى الارض ومعالم الطريق ولو كان ذلك في الدرجة السياحية ، فذهبت معي وارشدتني الى مقعد هناك ولكنه فوق جناح الطائرة ثم عادت الي ثانية وقالت انني وجدت لك مقعدا تتمكن فيه من الرؤية الكاملة للارض ، ولا يحجبك عنها الجناح فشكرتها وانتقلت اليه ، ثم حضر الي مضيف الدرجة الاولى الذي يشترك مع المضيفة المذكورة في خدمة ركاب الدرجة الاولى وقال : انني آسف لانك تركتنا لكونك لم تجد مكانا قرب النافذة في درجتنا .

وكان ركاب الدرجة الاولى كلهم من الاوروبيين ، اما ركاب الدرجة السياحية فهم خليط من الايطاليين

والصوماليين ، الى جانب وفد رسمي من شرطة السودان ، ذهبت لزيارة الصومال بدعوة من الشرطة الصومالية ، ثم اعلنت المضيفة ان الرحلة ستدوم ساعة وثلثا .

وكانت خدمة مضيفي الدرجة السياحية وهم فتيان وفتاة من الايطاليين متوسطة ، ويظهر عليهم من مستوى اذواقهم وادبهم ومعاملتهم للركاب ، وطريقة حديثهم فيما بينهم انهم في ذلك في مستوى سكان الشرق الاوسط ، بل ان المضيفين اللبنانيين في الخطوط اللبنانية يفوقونهم ادبا وذوقا . اما الانكليز فان الايطاليين دونهم بكثير . فمعاملة الانكليز للآخرين وقدرتهم على ضبط اعصابهم ، لا يمكن ان يصل اليها الايطاليون وعلى سبيل المثال اذكر ان المضيفة الانكليزية التي ركبنا معها من مقديشو الى كينية كانت توزع مجاملاتها على جميع الركاب وفيهم الاوروبيون والآسيويون والافريقيون دون تفريق . اما هذه المضيفة الايطالية فانها تلاطف وتجامل الاوروبيين واذا وصلت الى الركاب من الافريقيين كانت معاملتها لهم عادية بل جافة .

في مطار اديس ابابا :

وفي المطار عندما هبطت الطائرة نزلت الى قاعة العابرين وهي قاعة صغيرة وتذكرتها عندما ركبت منها عدة مرات قبل اربع سنوات ، ولم يتغير فيها شيء وكان الجو في اديس ابابا غير بارد في هذا الوقت على الرغم من ان اديس ابابا ترتفع

حوالي سبعة آلاف قدم عن سطح البحر الا ان النسمات التي تهب خفيفة كانت نسمات لطيفة باردة .

وقد نزل عدد قليل من الركاب ولبثت الطائرة قرابة نصف ساعة ، ثم اقلعت ثانية قاصدة مقديشو . وقد اعلنت المضيفة ان الرحلة ستدوم ساعة واثنتي عشرة دقيقة ، وكانت مناظر الحبشة قبل نزولنا في المطار ، واقلاعنا منه بديعة حقا فالخضرة والبحيرات التي ترى في الجنوب والغرب من اديس ابابا رائعة .

ولم تكد تتبدل المناظر الا بعد ان قطعنا من اديس ابابا حوالي نصف ساعة حيث أخذت كثافة الخضرة تقل الا ان الارض ما زالت تبدو خضراء ، ولكن خضرتها كانت خضرة طبيعية يظهر انها تتكون من اعشاب الرعى والاشجار الصحراوية .

في مطار مقديشو :

وعندما اخذت الطائرة تدور على مطار مقديشو لم تكن المدينة في مظهر مدينة الخرطوم بل كانت تبدو اقل من ذلك ، لان منظر ضواحي العاصمة التي تنتشر فيها اكواخ المواطنين الذين كانوا قد انهالوا في المدة الاخيرة على العاصمة من الارياف والبوادي ، تلك الاكواخ بأسقفها المكونة من الصفيح تكاد تحجب منظر قلب المدينة المكون

مـن البنايات الكبيرة والمنازل المبنية بالحجارة أو الاسمنت المسلح ، وتعطي صورة ليست واضحة لعاصمة جمهورية الصومال .

أما المطار فقد اصبح اوسع مما كان عليه عندما زرناه آخر مرة ، وكانت بناية المطار الجديدة جميلة لائقة . وقد وجدت في المطار بعض الاخوان مـن موظفي السفارة السعودية وغيرهم من الاخوان الصوماليين .

وقد نزلت في فندق (جوبا) وهو اكبر الفنادق في الصومال ، وقد سبق لي أن نزلت فيه ، وأهم ما يلفت النظر فيه ملوحة الماء الشديدة حتى ان ادوات الحمام الموجودة في ذلك الفندق الكبير قد اكلها الصدأ من شدة الملوحة ، ولا يستطيع المرأ اذا غسل فمه منه الا ان يتمضمض مرة اخرى بماء معد للشرب يحضره الفندق لنزلائه في زجاجات ، اما الاستحمام فانه لا يطاق لان الشعر يتعقد ويتشبث به الصابون ، لذلك فاني استحم من سطل من ماء الشرب وقد نمت بعد وصولي للفندق لانني قد بقيت طول الليلة الماضية بدون نوم .

وبعد صلاة العصر خرجنا مع بعض المشايخ مشيا على الاقدام الى داخل المدينة لكي اجدد بها العهد ، وقد لاحظت فيها تحسنا كبيرا في الطرق والبنايات والتجميل كما لاحظت زيادة في استخدام السيارات . كما استرعى انتباهي هـذه

المرة ما لاحظته سابقا مــن كثرة الصوماليين في المقاهــي والمحلات العامة مما يعطي انطباعا بأن كثيرا مــن الصوماليين وخاصة المثقفين منهم لا يقضون اوقات فراغهم في بيوتهم .

يوم الخميس : ١٣٨٨/٢/٢٦ هـ .
١٩٦٨/٥/٢٣ م .

ذهبت الى السفارة السعودية وتحدثت مع المسؤولين فيها قرابة ساعتين بمــا ينبغي ان يكون عليه وضع معهــد التضامن الاسلامي الذي تشترك رابطة العالم الاسلامــي والجامعة الاسلامية في الاشراف عليه ، والذي كان السبب في حضوري للصومال . ثم عدت الى الفندق حيث وجــدت جماعة من اخواننا الصوماليين منهم الاستاذ عبد الرحــمن حاج مؤمن وزير العدل والشؤون الدينية سابقا وعضــو الجمعيــة الوطنية الصومالية حاليا ، وكذلك بعض اعضــاء البرلمان الآخرين الذيــن كنت قد تعرفت عليهم عندما زاروا المدينة المنورة ، كما قابلت احد سلاطين الاقليم الشمالــي ، ويعتبر السلطان بمثابة الرئيس الاداري للقبيلة او الجماعة مــن قبيلة ، وتدفع الحكومة للسلاطين رواتب شهرية ويكون السلطان منهم مسؤولا عن تنفيذ تعليمات الحكومة في حدود مجال قبيلتــه .

في كيلو ١٤ :

كان الشيــخ محمد احمد نور مدير مصلحة الشؤون الدينية وهو صومالي تخرج من الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة ، وتقلد منصبه هذا قبل سنة قد دعاني الى حفلة شاي في الكيلو ١٤ في طريق افقوى ودعا عددا من المشايخ منهم الشيــخ عبد الغني حاج فارح عضو المحكمة العليا . وقــد قضينــا امسيــة ممتعة في الهواء الطلق هناك ، فوق بساط مــن الخضرة ، وبين اشجار كثيرة متشابكة ، ويقولون انهم الآن في اوائل فصل الربيع ، الفصل الذي يعقب فصل الحر ، وقد بدأ المطر الموسمي ينزل قليلا ، ولذلك اخضرت الارض، والهواء هنا لطيف . ولا يستطيع المرء الا ان يأسف لعــدم استغلال هذه الاراضي الخضراء في الصومال وعدم الاستفادة من الامطار الكثيرة التي تنزل عليها ولكن نرجــو ان ييسر الله لاخواننا الصوماليين ذلك في المستقبل .

يوم الجمعة : ١٣٨٨/٢/٢٧ هـ .
١٩٦٨/٥/٢٤ م .

في افقــوى :

افقوى قرية فيها منتزه جميل على نهر شبيلي احــد نهري الصومال الرئيسيين ، وتبعد (٣١) كيلا عن مقديشو

العاصمة . وكان الشيخ عبد الرحمن حـاج مؤمن عضـو الجمعية الوطنية الصومالية وعضو الهيئة المركزية في حزب الوحدة الصومالية الحاكم ، قد دعانـــي الى تناول طعام الغداء هناك في افقوى ، وقــد ذهبت معه بسيارة خاصــة ومعه الشيخ نور الدين علي ، المستشار بالمحكمة العليا في الصومال وقد اخذنا بجولة فيما حول نهر شبيلي ، وهو نهر صغير في عرض نهر بردى مرتين ولكنه اكثر منه ماء واعمق مجرى وحوله يزرع كثير من المحاصيل اهمها الذرة والموز والعمبه (المانجو) وعلى جانبيه ارانا الارض التي اهداهـا فخامة رئيس جمهورية الصومال الى جلالة الملك فيصل عند زيارة جلالته الرسمية للصومال في العام الماضي .

ثم دخلنا منتزها هناك يديره رجل ايطالي ، وهو عبارة عن حديقة تظللها الاشجار الباسقة وقد قدم لنا الغداء الذي طهي على الطريقة الايطالية وهي طريقــة جيــدة ، وليست ببعيدة عن الطريقة العربية في الشرق الاوسط ، وتتسم عادة بوفرة الطعام ويكون دسما منوعا ، على خلاف الطعـــام الانكليزي الذي لا يغني عنا نحن سكان الشرق الاوسط شيئــا .

وقد تعرفنا في المنتزه المذكور على عدد من اخوانـنـا الصوماليين من بينهم السيد حاج فارح علي عمر وزيـر الخارجية الصومالية ، والسيد عبد الله عيسى اول رئيس

لوزراء الصومال ، وبعض الوجهاء والتجار الصوماليين . وكان المنتزه غاصا بالرواد وخاصة من الايطاليين .

وقد استرعى انتباهي وجود فتاة خلاسية فسألت عنها فقالوا انها من الهجناء اي من نتائج الاتصال غير الشرعي بين الايطاليين والصوماليات في عهد الاستعمار . ومثل ذلك النتاج يسميه الايطاليون « كاباشينو » والكاباشينو في لغتهم تعني القهوة باللبن كناية عن امتزاج البياض بالسواد .

وقد انتقلنا بعد تناول الغداء الى مقهى جميل جدا اسسه ويديره رجل صومالي كان قد عاش في الولايات المتحدة الاميركية مدة ثلاثين سنة ، وكان قد فتح مطعما هناك ، ثم عاد الى بلاده الصومال وانشأ هذا المقصف على غرار المقصف الذي كان قد انشأه في الولايات المتحدة الاميركية وقد وجدناه غاصا بالاوروبيين والاميركيين ، وذلك لان هذا اليوم الجمعة هو يوم العطلة الاسبوعية في الصومال . اما الطرق الى افقوى فهو معبد ومسفلت سفلتة جيدة ، وهو يخترق منطقة خضراء . اما الطيور الموجودة في تلك المنطقة فحدث عن كثرتها وجمالها ولا حرج ، فهناك العصافير الملونة البديعة الشكل التي تفرخ وتبني اعشاشها في الاشجار الكبيرة ولا من يأخذها ويبيعها ، كما ان هناك طيور الاكل من القماري والغرانيق ، اسراب ، واسراب ، وهي تبعد عن طريق السيارات ولا من مصطاد .

وقد شاهدنا القرويين والبدو من الصوماليين وهم يحملون اللبن على الحمير ليبيعوه في القرى او لمصنع اللبن ، ويقولون ان كيلو اللبن عندهم يساوي نصف شلن اي ستة قروش سعودية .

ثم عدنا مع العصر وكان المطر يهطل ، مما لطف الجو ، وقد دخلنا شارع مكة المكرمة ، اكبر واحدث شارع في مقديشو ، ومررنا في طريقنا بمشاريع اشترك في تنفيذها وتقديمها للصومال على شكل مساعدة بعض الدول الشرقية والغربية مما جعل مضيفي السيد عبد الرحمن وهو سياسي قدير يقول : ان الصومال حقيقة حيادي ولكنه الحياد الذي يكسب من الجميع ، وليس الحياد الذي يحرم اصحابه من الجميع .

والواقع ان الصوماليين من هذه الناحية يعدون من امهر الناس ، واعظمهم حيلة ، فقد كسبوا من الجميع واستطاعوا المحافظة على صداقة الجميع بمهارة . وبعد ذلك ذهبت مع مدير الشؤون الدينية الشيخ محمد احمد نور وبحثت معه بحثا عميقا موضوع معهد التضامن الاسلامي في مقديشو الذي انشىء في العام الماضي ، وكذلك الوضع الاسلامي العام .

ثم عدت الى الفندق حيث وجدت الاستاذ مصطفى نصر الدين القائم باعمال السفارة السعودية في انتظاري

وكذلك اجتمعت بالاستاذ محمد صلاح الدين الحسيني الملحق بالسفارة السعودية ، وبعض الاخوان الآخرين .

ثم شاهدنا حفلا اقيم في الفندق الذي ننزل فيه على شرف سفير حكومة كينية الجديد الذي كان قد وصل مقديشو امس ، وكذلك للوفد التجاري الكيني الموجود في مقديشو ، وقد اجتمع في هذا الحفل جميع الدبلوماسيين وكبار القوم الموجودين في الصومال ، وقد اتضح لي من ذلك ان التمثيل الدبلوماسي الاجنبي في الصومال ليس واسعا جدا .

يوم السبت : ١٣٨٨/٢/٢٨ هـ .
١٩٦٨/٥/٢٥ م .

في معهد التضامن الاسلامي :

كنت قد اردت زيارة معهد التضامن الاسلامي في مقديشو وهو المعهد الذي تشترك رابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة والجامعة الاسلامية في المدينة المنورة في الاشراف على ادارته كما قدمت ، وقد وجدت ادارة المعهد قد جمعت الموظفين والمدرسين ورتبت حفل استقبال تكلم فيه وكيل مدير المعهد لغياب المدير عن الصومال كما تكلم احد المدرسين والطلبة ثم قمنا بجولة على اقسامه بعد ان القيت كلمة في الحاضرين .

ثم ذهبنا مع سعادة سفير المملكة العربية السعودية في الصومال السيد علي عوض لتناول طعام الغداء في بيته وقد حضر اعضاء السفارة ، وقد تناول الحديث اثناءها الاوضاع الاسلامية والاوضاع العامة في الصومال .

جولة فيما حول مقديشو :

بعد ان خرجنا من مائدة سعادة السفير اخذني السيد مصطفى نصر الدين القائم بالاعمال بسيارته التي يقودها بنفسه الى جولة فيما حول مقديشو ، وكان الجو بديعا إذ كان غائما والمطر يهطل رذاذا . وقد تجولنا في منطقة مطار مقديشو ، وشاهدنا بعض الطائرات التي يملكها سلاح الجو الصومالي وهي روسية الصنع ويذكر ان هناك حوالي مائة طيار حربي صومالي قد تدرب اكثرهم في الاتحاد السوفياتي . ثم ذهبنا الى مقر الاذاعة ويبعد حوالي ٧ اميال عن مقديشو ، ثم الى منطقة مصنع اللبن وقد بناه الاتحاد السوفياتي ويقوم بالاشراف الفني عليه رجل وامرأة من الروس ويبعد حوالي خمسة اميال ، ثم تجولنا في المناطق التي بنت الدول الاجنبية للصوماليين فيها بعض المشاريع ، وهي دول مختلفة من الشرق والغرب ، مما يؤكد في ذهن المرء ما قيل : من ان الصومال هي الدولة الثانية في الامم المتحدة التي تحصل على اكبر عون من الدول الاجنبية والهيئات الدولية .

وقد دخلنا بالسيارة الى منطقة غير مسفلتة ، وكانت المناظر رائعة حقا ، فالاشجار الضخمة الخضراء ، منتشرة في كل مكان ، والارض كأنها بساط سندسي ، والطيور الملونة المغردة كثيرة ، والتربة رملية حمراء غاية في الجمال ، وقد رأينا بعض الاهالي ومعهم الثيران التـــي قصدوا بها سوق مقديشو لبيعها وكذلك بعض الغنم والحمير . ويسترعـــي الانتباه ان لون الغنم في هذه البقعة هو ابيض ، والبقر فيها اللون الاحمر والابيض المخلوط بأحمر اما اللون الاسود فقليـــل .

وقد تحدث السيد مصطفى عن امكانية زيادة الثروة الحيوانية في تلك البلاد ، وان ذلك كفيل بجعل الصومال من البلاد التي لا تحتاج الى مساعدة اذا احسن استغلاله كما ان الارض في هذا الموسم من السنة خضراء مما يجعل المحاصيل الاستوائية تنمو بشكل طبيعي وبدون اية كلفة . ولكن ذلك يحتاج ـ بطبيعة الحال ـ الى خبرة فنية وايد عاملة مدربة وذلك مـــا لا يتوفر في الصومـــال في الوقت الحاضر . ثم ذهبنا الى افقوى وهو المكان الذي يتنزه فيه الناس على نهر شبيلي ويبعد ٣١ كيلا عـــن مقديشو كما قدمنا ، وقد شربنا الشاي هناك ، ورأينـــا رئيس مجلس الوزراء السيد محمد ابراهيم عقال وبعض الوزراء بالبساطة والديمقراطية التي يتحلى بها الصوماليون .

يوم الاحد : ١٣٨٨/٢/٢٩ هـ
١٩٦٨/٥/٢٦ م

صـــورة نادرة :

كان وكيل مدير معهد التضامن الاسلامي في مقديشو الاستاذ ابراهيم خليل حسن هرري قد دعانا وبعض الاصحاب الى حفلة غداء خارج مقديشو ، أو في احضان الغابة كما يقول ، وقد خرجنا بالسيارة الى جهة الشمال من مقديشو فوصلنا الى مكان هناك بمثابة مقهى او مطعم على مسافة خمسة عشر كيلا من مقديشو وهناك جاؤا بحصير تحت ظل شجرة برية كبيرة ، وجلسنا مجلسا عربيا ، وكان الطعام يتألف من لحم الحملان الصغار ، والارز والسلاطة والفاكهة المكونة من الباباي فاكهة الصومال الرئيسية ، الى جانب الموز المحصول الثاني الذي تصدره الصومال بعد المواشي ، كما احضروا لونين من الالبان احدهما لبن الابل والثاني لبن البقر .

وكانت جلسة طيبة خرجنا بعد العصر تتمشى في تلك الغـــابة وسط الحشائش والاعشاب ، والشجيرات البريـــة الخضراء ، التي ازدانت بالطيور الزاهية الالوان ، المغردة بمختلف الالحان

وقد لقيت راعي غنم صوماليا وهو فتى في السادسة عشرة تقريبا ومعه خشبة كبيرة على شكل لوح طويل يزيد

طوله على متر ، ولما سألته : ماذا تصنع بهذه الخشبة ؟ ولماذا تحملها هكذا ؟ اجاب : انها لوح احفظ فيه القرآن الكريم ، قال ذلك وهو يزهو ويفخر ويعتز . ولقد هزني مرأى هذه الصورة وتجسم لي فيها رأي العين ما كنت قد سمعته وقرأته عنه سابقا من صور اولئك الذين حفظوا القرآن الكريم على مر العصور في هذه البلاد البدوية النائية بتلك الوسيلة ، وكيف صبروا على ثقــل ذلك اللوح الثقيل طــول اليوم ليستذكروا فيه القرآن الكريم ، وليعود الواحد منهم بعد انتهاء رعيه اليومي الى الشيخ يعيد درسه عليه ويجوده . وهم في الصومال يسمون طالب العلم «حر» .

يوم الثلاثاء : ١ /٣/١٣٨٨ هـ .
٢٨/٥/١٩٦٨ م .

لدى وزير العدل والشؤون الدينية :

ذهبت الى وزارة العدل والشؤون الدينية بصحبــة صديقي الشيخ محمد احمد نور مدير الشؤون الدينية وذلك لزيارة السيد آدم شري جامع وزير العدل والشؤون الدينية في الصومال ، وعند الباب الخارجي للوزارة ذهب صاحبي بنفسه واخبر الوزير ثم عاد واستصحبني ، فوجدت حول باب مكتب الوزير شرطيا ، ولكن الامر ليس له وانما لفتاة كان معها مفتاح اخرجته من جيبها ثم فتحت لنا فدخلنا على

الوزير فوجدنا عنده رجلين احدهما اول صومالي يتولى منصب رئيس المحكمة العليا فيالصومال ويدعى عبد الرحمن شيخ علي ، وقد عين امس فقط ، وذلك بعد ان ابعد سلفه الايطالي بسبب مطالبة خطباء المساجد ورجال الدين بابعاده.

أما مكتب الوزير فهو بسيط ليس فيه من المقاعد غير عدد قليل وقد اعتذر بأنه لا يحسن من العربية ما يكفي للتحدث بها فقلت ان اخانا فضيلة الشيخ محمد احمد نور سيقوم بالترجمة فقلت له : ان هذه مناسبة طيبة لكي ابلغكم سلام اخوتكم المسؤولين في الجامعة الاسلامية وعلى رأسهم سماحة رئيس الجامعة وفضيلة نائب رئيسها . ثم تكلمت عن الروابط الاسلامية الوثيقة التي تربط بين الصومال والمملكة العربية السعودية . فأجابني بكلمة شكر فيها جلالة الملك فيصل المعظم على جهوده في الحقل الاسلامي وقال انني عندما زرت بلادكم اعجبت بالتقدم العظيم الذي احرزته وانها بذلك اثبتت عمليا ان الاخذ بالاسلام عقيدة ونظاما للحياة هو أحسن طريقة للمسلمين لانكم طبقتم الاسلام عمليا ، واضحت المملكة من أحسن البلاد الاسلامية ، ان لم تكن احسنها كلها . ثم قال اننا نعتبر المملكة العربية السعودية الاصل والقدوة لنا .

وقد رأيت الناس يمنعون من دخول البناء الذي تقع فيه الوزارة المذكورة وهو بناء واسع فيه كثير من دوائر الحكومة ويعتبر كالمجمع للدوائر المذكورة ، فأخبرت بأن

السبب في ذلك واقعة حدثت منذ مدة قريبة وهي ان احد المراجعين دخل على احد رؤساء الاقسام ، وسأله عن معاملة له ، ولما أجابه بغير ما يشتهي ، اشتد بينهما الخصام ، فاستل المراجع مدية كانت معه وشق بها بطن الموظف فمات . وعلى أثر ذلك منع أي شخص من دخول الدائرة المذكورة الا اذا أحضر معه بطاقة تثبت ان له معاملة او اية علاقة بالموظفين مثل بطاقة مراجعة ونحوها .

في حارة العرب في مقديشو :

ويسمونها «فلاج عرب» ولعل لاصلها علاقة بكلمة (فيلج) الانكليزية بمعنى قرية وقد تناولنا طعام الغداء في بيت الشيخ احمد محمد صالح مبعوث دار الافتاء ويقع منزله في تلك الحارة في مقديشو . وسميت بحارة العرب لان سكانها من العرب بل هم الذين انشاؤها وهي حتى في مظهرها تشبه منازل العرب في جنوب الجزيرة العربية ، فشوارعها خالية من الاشجار، والخضرة تكاد تكون معدومة في بيوتها لصغرها ، وتتكون من بيوت متلاصقة من طابقين مبنية بلبن الاسمنت ومسقفة بالاخشاب والطين أي ان سقوفها مسطحة . وقد حضر بعض زعماء العرب ومن هم من اصل عربي .

العرب في الصومال :

وبهذه المناسبة تجدر الاشارة الى ان عدد العرب في

الصومال يبلغ حوالي خمسين الفا منهم اربعون الفا مـن الاقليم الجنوبي الذي تقع فيه العاصمة مقديشو ، وعشرة آلاف في الاقليم الشمالي المجاور لخليج عدن والمقابل لساحل الجزيرة العربية .

الا انه لا ينبغي اذا ذكر العرب ان يتبادر الى الذهن صورة الجالية المتميزة كما تقول الجالية الايطالية او غيرها . فالعرب الموجودون في الصومال قـد اندمج اكثرهـم في الصوماليين والذين لم يتم اندماجهم عنصريا قد اندمجوا سياسيا حيث حصلوا عـلى الجنسية الصومالية واصبحوا بذلك صوماليين لا يميزهم عن غيرهم من الصوماليين الا بياض طفيف في بشرتهم تتناقص يوما بعد يوم بسبب تعرضهم الدائم لشمس افريقية التي تصبغ الاجسام بصباغ داكن .

ويتكون العرب في الصومال مـن ثلاث فئات هي : الحضرميون ، وهؤلاء لا يكادون يتزاوجون مع الصوماليين. واليمانيون وهم اكثر العرب اسراعا للتزوج من الصوماليات وبالتالي اصطباغا باللون الصومالي،واندماجا في الصوماليين، وابناؤهم من الصوماليات لا تفرق بينهم وبين الصوماليين الآخرين . والعمانيون وهم قليل ولكنهم ايضا يتزوجون بسرعة من الصوماليات ، ويندمجون فيهم على مر الايام . والعرب جميعا في الصومال يشكرون اخوانهم الصوماليين على كريـم ضيافتهم ، وحسن جوارهم ، فالصوماليون لا

يعتبرون العرب الموجودين في الصومال أجانب ولا غرو في ذلك لان الدين الاسلامي يشملهم جميعا . وقرب العادات والتقاليد من العوامل المساعدة على ذلك ، ويوجد بعض العرب في الوظائف الحكومية في الصومال منهم على سبيل المثال : الاستاذ الشريف عيدروس مدير المراسم بوزارة الخارجية الصومالية .

ويعتبر العرب في الصومال في الحياة التجارية طبقة ادنى من مستوى الايطاليين ، وفوق مستوى الصوماليين ، وهذا المستوى ليس ثابتا بل هو في تحرك وتغير وقد اخذ العرب الآن يقربون من المكان الذي يحتله الايطاليون في التجارة واخذ الصوماليون يزحفون الى مكان العرب ولذلك فمستقبل التجارة في الصومال سيكون ـــ في ظني ـــ في ايدي العرب والصوماليين .

الثعابين في الطريق :

خرجت بعد عصر اليوم مع أحد الاصدقاء الى خارج مقديشو بمسافة ٢٠ كيلومترا الى الشمال الغربي ، وعندما صلينا المغرب ، وكنا عائدين الى مقديشو شاهدنا على ضوء السيارة ثعبانا عظيما يخترق طريق الاسفلت ، وقد حاولنا ان ندوسه بالسيارة ولكنه اسرع الى تخطي الاسفلت ودخل المنطقة الرملية المعشبة ويبلغ طوله حوالي مترين ، وكنا قد تجاوزنا بعض البدو وهم يمشون راجلين خلفنا ، ولا شك

انه لولا مطاردتنا له لكان من الممكن ان يقتربوا منه قبل ان يبتعد عن الطريق . ولما سألت عن ذلك قيل لي : ان الثعابين كثيرة وانها كثيرا ما تلدغ الناس في الخارج ، فمن امكن نقله الى المستشفيات اسعف ، وانقذت حياته ، ومن لم يتيسر نقله مات .

ومن المعلوم ان الاشجار الكثيفة والاعشاب الملتفة تكوّن بيئة صالحة لتكاثر الثعابين واخفائها ، اضف الى ذلك وفرة الحشرات والخشاش التي تتغذى عليها تلك الثعابين .

يوم الاربعاء : ٢ /٣/١٣٨٨ هـ
٢٩/٥/١٩٦٨ م

مع رئيس الجمهورية السابق :

كان صديقي الاستاذ احمد حاج آدم حولو مدير جمرك مقديشو قد مر علي عصر اليوم في الفندق حيث خرجنا مع بعض الاصدقاء في سيارته الخاصة التي يقودها بنفسه الى منطقة زراعية خصبة لا يستغلها الصوماليون الاستغلال التام بسبب نقص الخبرة الزراعية وقلة الايدي العاملة المدربة .

وعدنا مع المغرب لنصلي في مقصف هناك وقد اجتمعنا فيه بالسيد آدم عبدالله عثمان الرئيس السابق لجمهورية

الصومال وقد طلب مني الحاضرون ان اتقدمهم لصلاة المغرب ولما قلت لهم انني في حكم المسافر ، وانني أرى ان فخامة السيد آدم عبدالله عثمان هو احق بالامامة لانه اول رئيس دولة اسلامية نادى رسميا بالتضامن الاسلامي عن طريق اجتماع رؤساء الدول الاسلامية في مؤتمر عام، ضحك وقال: ما دمت تقول ذلك فأنني ارجو ان تصلي بنا بالنيابة عني ، هذا وقد سبق ان اجتمعت بفخامته عندما كان يقوم بزيارة المملكة زيارة رسمية قبل سنوات .

يوم الخميس : ١٣٨٨/٣/٣ هـ
١٩٦٨/٥/٣٠ م

دبلوماسي وشيخ وطيار :

صديقنا الاستاذ مصطفى نصر الدين القائم باعمال السفارة السعودية في مقديشو حضر اليه وفد من جماعة مسجد جامع النور في مقديشو وقالوا : انهم لم يجدوا من يصلي بهم الجمعة الماضية وطلبوا اليه الايعاز الى احد المشايخ الذين بعثوا من قبل دار الافتاء في المملكة السعودية بأن يقوم بذلك فقال لهم: ان المبعوثين قد وزعناهم على مساجد اخرى ولكن لا تخشوا تعطل الخطبة فأنا أصلي بكم واخطب لكم .

ولاول مرة يقوم فيها رجل دبلوماسي فيخطب بالناس ويصلي بهم صلاة الجمعة . ولعل عجبك يزول اذا عرفت ان الاستاذ الشيخ مصطفى هو خريج كلية اصول الدين في الازهر ومن الحاصلين على شهادة تخصص التدريس وقد اشتغل في وزارة المعارف السعودية عدة سنوات قبل ان ينتقل الى العمل في وزارة الخارجية ولكن عجبك سيكون اكثر اذا علمت انه ايضا طيار مدني سبق له ان حصل على شهادة الطيران من كلية الطيران بالقاهرة ، وعمل في الخطوط الجوية السعودية على عهد المرحوم الامير منصور بن عبد العزيز وزير الدفاع آنذاك وقضى في خدمة الطيران في المملكة مدة طويلة ، ولكنه عاد الى العمل كمدرس في وزارة المعارف قبل ان ينتقل الى وزارة الخارجية .

انها فكرة جديرة بالدرس من قبل وزارة الخارجية : ان ترشح من بين المتخرجين من كليات الشريعة في المملكة من يعملون في السفارات السعودية في البلدان الاسلامية لأن المملكة هي منبع الدين الاسلامي وفيها الحرمان الشريفان ويجب ان يكون من يمثلونها في البلدان الاسلامية على درجة من التعليم الاسلامي ، والفقه في الدين . وقد كان وقع صلاة الدبلوماسي السعودي الاستاذ مصطفى نصر الدين في نفوس اهالي المحلة التي يقع فيها الجامع المذكور عظيما الى درجة ان اهالي الحي وكبار المصلين في مسجد الجامع توجهوا الى السفارة السعودية على بعدها من مركز البلد

وقابلوا السفير السعودي السيد علي عوض وشكروه على ذلك .

يوم السبت : ١٣٨٨/٣/٥ هـ
١٩٦٨/٦/١ م

في وزارة التربية والتعليم الصومالية :

ذهبت مبكرا لمقابلة السيد آدم اسحاق احمد وزير التربية والتعليم الصومالي في مقر عمله بناء على موعد سابق . وقد لاحظت ان هناك موظفا يقف على باب مغلق عند اول الدرج الصاعد للطابق الثاني من بناء الادارة وهو الطابق الذي يضم مكتب الوزير والموظف المذكور يغلق الباب ويمنع من يريد الصعود الا باذن خاص وهكذا فالمراجعة هنا ممنوعة للعموم كما في الوزارات والمكاتب الصومالية الاخرى وهو شيء لم نألفه في بلادنا السعودية .

وعندما صعدنا الى الطابق الثاني قابلتنا فتاة صومالية وفتحت لنا باب غرفة الوزير التي كان عليها حارس خاص . وقد تحدثنا اليه عن الجامعة الاسلامية والعلاقات القوية القائمة بين الدوائر التعليمية في المملكة وفي الصومال ورد بكلام طيب كان منه قوله: انني قد زرت بلادكم السعودية وأعجبت بما رأيته فيها وقد لاحظت انه اطلق لحيته ، وقيل

لي بعد ذلك انه اطلق لحيته بعد ان حج وزار البلاد السعودية في العام الماضي .

على مائدة العرب :

اجتمع بعض اخواننا العرب من اليمن وحضرموت وقد تكرموا باقامة وليمة عشاء في مكان خارج «مقديشو» يسمى «عاليالي» ويقع على بعد ستة كيلات من المدينة ودعوا السيد مصطفى نصر الدين وبعض المشايخ في مقديشو وقد قضينا في ذلك المكان الرملي الطيب الهواء جلسة ممتعة حيث كان من بين الحضور اثنان حصلا على شهادات عالية من ايطالية وبريطانية وهما من المثقفين الصوماليين الذين يجيدون اللغة العربية اجادة تامة ولو قارنا بين اطعمة هذه المائدة والاطعمة التي ذكرها ابن بطوطة لاهالي الصومال في القرن الثامن الهجري لما كان هناك كبير فرق .

يوم الاحد : ١٣٨٨/٣/٦ هـ
١٩٦٨/٦/٢

السفر الى السودان :

ذهبنا الى مطار مقديشو مع جمع من اخواننا الصوماليين الكرام الذين أبوا الا ان يغمروني بكرمهم وكذلك عدد من اخواني الموظفين في السفارة السعودية . وقد قالت لنا شركة

الخطوط الايطالية ان الحضور للمطار يجب ان يكون في التاسعة صباحا وسوف تغادر الطائرة في تمام العاشرة ولكنها لم تتحرك الا في تمام الساعة الحادية عشرة .

كانت الطائرة هي التي قدمنا عليها ، ذات محركات اربعة نفاثة ، وقد ركبت في الدرجة الاولى بجوار النافذة كما طلبت ان يحجز لي ، لا كما كان عليه الحال في المرة السابقة. المضيفان في الدرجة الاولى فتاة وفتى من الايطاليين وكان اول ما فعلته المضيفة ان اعلنت ان الرحلة ستكون الى اديس ابابا عاصمة الحبشة ، وستستغرق ساعة وعشرين دقيقة ، ثم قدمت الحلوى للركاب ، وقدم المضيف مناشف ساخنة مبلولة بماء الكولونيا ، يمسح فيها الركاب ايديهم وجباهم ، ثم ارتفعت الطائرة وكان ابتداء طيرانها على مياه الخليج الهندي اللازوردية ، لانها قريبة من الساحل ثم عطفت لتسير على الارض الصومالية الخضراء .

ان ركاب الدرجة الاولى كلهم من الايطاليين ما عدا رجلا هنديا اعتقد انه احد الدبلوماسيين .

لقد اعدت المضيفة المائدة بسرعة امام كل راكب وكان اول ما فعلته ان احضرت زجاجة خمر كبيرة ، وقالت لي وهي تهم بصب بعض محتوياتها في كأس صغير : اتريد شمبانيا ام ويسكي ؟ فقلت لها : لا اريد شيئا من ذلك ، فأنا مسلم ولله الحمد ، فابتسمت وهي تبتعد بسرعة ... ثم

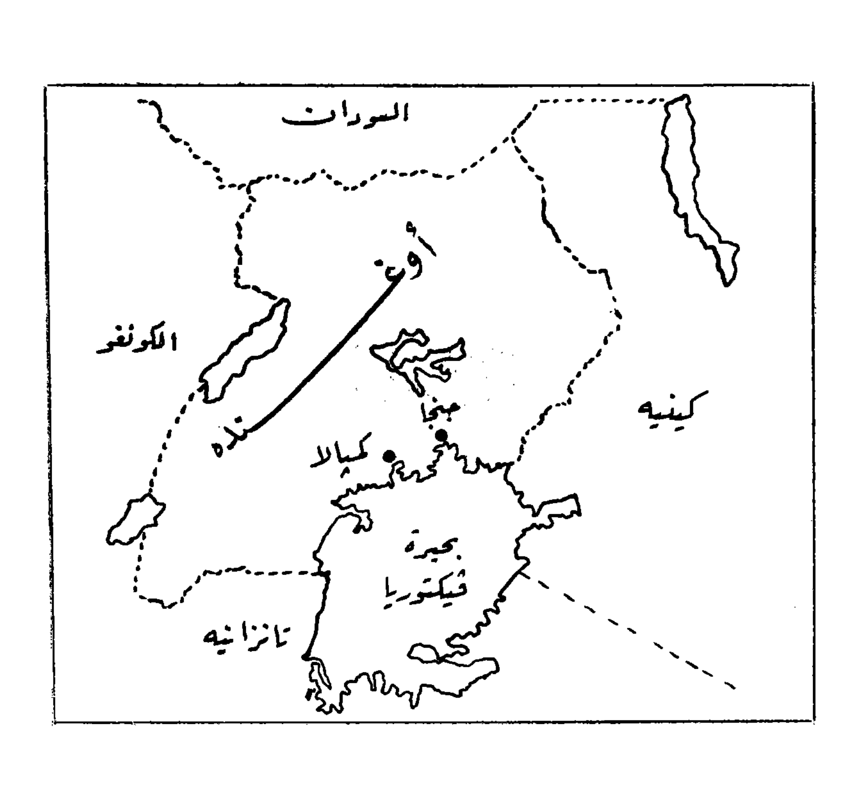
تعددت المائدة وجاء دور الغداء ولما جاءت باللحم سألتها أي لحم هو ؟ ... فقالت : انه عجل صغير (بتلو) ثم جاء دور البيرة وهنا سألتني اولا : هل تريد بيرة؟ فرفضت، فاحضرت لي ماء من مياه فيجي المعدنية . وبعد الغداء جاؤا بالدخان يوزعونه على الركاب بالمجان كما كانوا يسقون الخمر . وذلك كله مما يختصون به ركاب الدرجة الاولى فقط ، اما ركاب الدرجة الثانية فانهم لا يحصلون على شيء من ذلك الا بثمنه وبناء على طلبهم . والواقع انني لو عرفت ان ذلك سيحصل في درجتهم الاولى لمـا قطعت تذكرتي الا على الدرجة الثانية .

وبعد ذلك وصلنا الى مطار اديس ابابا ولم نلبث فيه اكثر من نصف ساعة عدنا الى طائرتنا وقد امتلأت الدرجة الاولى بالمسافرين كلها .

وبعد ان اقلعت الطائرة جاء المضيف وسألني هل تريد خمراً ؟ وهنا كانت الاجابة من المضفية وليس مني : « انه لا يريد ذلك». وقد صارت المضيفة بعد ذلك تشرح لي تركيبات جميع الطعام الذي تقدمه حيثعرفت انني مسلم ولله الحمد.

وبعد ان وصلنا الى مطار الخرطوم ودعني المضيفان وطاقم الطائرة بحرارة .

أوغندة


السودان
أوغندة
الكونغو
كينيه
جنجا
كمبالا
بحيرة
ڤيكتوريا
تانزانيه

يوم الاثنين ١٣٨٤/٥/٢٩ هـ .
٥ /١٩٦٤/١٠ م .

من نيروبي الى كمبالا ...

تركنا فندقنا في نيروبي في الساعة الرابعة صباحاً الى مطار نيروبي . فصلينا الفجر فيه ركبنا طائرة تابعة لشركة طيران شرقي افريقية وكانت الاجراءات غاية في اليسر والسهولة .

وكانت الطائرة صغيرة من طراز « داكوتا » ، والمطر يهطل رذاذا ، ولذلك لم نشاهد شيئا من معالم الارض من الطائرة عند اقلاعها .

وقد اعلنت نشرة الطائرة اننا نطير على ارتفاع عشرة آلاف وسبعمائة قدم منها سبعة آلاف قدم ارتفاع الارض عن سطح البحر ، وثلاثة آلاف وسبعمائة قدم ارتفاع الطائرة عن سطح الارض . اما ملاحو الطائرة فهم من الانكليز عدا المضيف فهو فتى افريقي من كينية كانت خدمته ممتازة وكان يتحلى بذوق رفيع .

وقد استمرت الرحلة ساعة وخمس دقائق وصلنا بعدها الى مدينة كيسومو على بحيرة « نيانزا » (فكتوريا) وهي المدينة التي زرناها من قبل ، ووصلنا على السيارات كما تقدم . وقد حامت الطائرة فوق المدينة

والمنطقة المحيطة بها فبدت الارض خلالها كثيفة الخضرة لا نرى منها غير ذلك .

وبعد ان امضينا ٢٠ دقيقة في مطار (كيسومو) قامت بنا الطائرة الى مدينة (جنجا) في اوغندة وكان الركاب كالعادة من الاوروبيين والهنود . وقد اعلنت نشرة الطائرة اننا نطير على ارتفاع ستة آلاف قدم من سطح البحر وارتفاع ألفي قدم من سطح الارض واننا سوف نطير على ضفاف بحيرة (نيانزا، فكتوريا) لمدة خمسين دقيقة .

وكان منظر البحيرة من الطائرة هائلا حيث ان الطيران امتد على ضفافها لمدة خمسين دقيقة وذلك فوق جزء ليس كبيرا من تلك الضفاف ، وانت لا تشاهد لها من الطائرة الا طرفا واحدا اما اطرافها الثلاثة فهي تبدو ملتصقة بالافق كمنظر المحيط الهائل . ولولا اننا نطير على شاطئها ونشاهد قمم بعض الجبال لخيل الينا اننا نطير فعلا فوق بحر خضم . وقد مكننا من التمتع بتلك المناظر الساحرة ارتفاع الطائرة القليل الذي لا يزيد كثيرا على الفي قدم من سطح الارض كما قدمت .

وقد زاد المنظر روعة تلك الغابات الكثيفة التي تكسو الشاطىء ، والتي يتكون بعضها من اشجار

النارجيل الكبيرة التي تبدو من الطائرة سمراء رشيقة كأنها غادات افريقية قد تعبت من الرقص فنكست رؤوسها لتستريح .

أما أكواخ الوطنيين المدببة السقوف مع جداول المياه التي تأتي من المرتفعات وتصب في تلك البحيرة العظيمة وقطع السحب المنخفضة ، وهي تغذ السير كأنما اجفلت من طائرتنا ، وتنظر بعضها على البعد وهي ترصع مياه البحيرة الهادئة فان ذلك منظر لا تمل العين مرآه ، ولا يمكن للمرء ان ينساه .

وبعد مضي ٥٠ دقيقة بالضبط اعلن مضيف الطائرة باننا قد وصلنا الى مطار « جنجا » وهي بلدة صغيرة تابعة لاوغندة وهي تقع قرب سد (اوين) المقام على البحيرة والذي تنبع منه معظم مياه النيل الابيض . وقد شاهدنا شلالات المياه تندفع من السد وهي لتوليد التيار الكهربائي (الذي يمد اوغندة وكينية بحاجتهما من الكهرباء ، ثم تندفع مياهه بعد ذلك في مجرى عميق تندرج خضرته القائمة من ضفاف الوادي الى قمم الروابي المحيطة به .

كان مطار « جنجا » صغيرا ولكن المر الذي نزلت فيه الطائرة معبد . وبعد ان لبثنا (٣٥) دقيقة وصلنا بعدها الى مطار أنتيبة أو (عنتيبة) كما يحلو لبعض اخواننا

ان يسموها . وكانت مدة الطيران جميعها في اراضي أوغندة، وهي كلها اراض خضراء لا ترى فيها غير الخضرة سوى الطرق التي تبدو كالوشم في جلد الدابة .

في انتيبة ..

أنتيبة قرية كبيرة أو مدينة صغيرة جميلة تتألف مساكنها من « فيلات » يسكنها الاوروبيون واغنياء الهنود وفيها المطار الدولي لأوغندة لأن مدينة كمبالا عاصمة أوغندة تقع في منطقة وعرة ليس فيها ارض مستوية تصلح أن تكون مطارا دوليا ، وتبعد أنتيبة عن كمبالا ٣٦ كيلا .

لم تفتش امتعتنا في المطار ولكن المشكلة اننا لم نجد سيارة تنقلنا الى كمبالا ، فنحن جريا على عادتنا لا نخبر احدا من زعماء المسلمين بقدومنا لئلا يكلفوا أنفسهم عناء استقبالنا او اعداد السيارات لنا ، ولم نجد هنا سيارة اجرة فذهبنا الى مكتب الشركة في المطار وطلبنا منهم عمل شيء لنا فقالوا لنا : أنه سوف تصل بعد ساعتين طائرة كبيرة من نيروبي ، وانهم سوف يأخذوننا مع ركابها .

وقد استرحنا في مقصف المطار في الطابق العلوي لبناية المطار الرئيسية وهو يشرف على ساحة نزول

الطائرات التي تقع على ضفة بحيرة نيانزا (فكتوريا) وقد رأينا فيها عدة طائرات حربية نفاثة تقلع وتهبط في المطار فعرفنا ان ذلك استعداد للاحتفال بعيد استقلال أوغندة الذي سوف تحل ذكراه الاولى بعد أربعة أيام .

ولكننا عرفنا ـ بمزيد من الاسف ـ أن الذين يدربون الجيش الاوغندي هم ضباط اسرائيليون ، وأن الحال هنا تشبه الى حد ما الحال في تنجانيقة حيث تغلغل اليهود هناك هذا مع ان المعروف عن الشعب الاوغندي انه يقف بعواطفه مع العالم العربي والاسلامي .

وكثير من الناس وخاصة العرب ، يلقون الذنب على تغلغل اليهود في الدول الافريقية عامة وبخاصة في دول شرقي افريقية التي استقلت حديثا على عاتق الاستعمار اذ ان الانكليز ارادوا ان يخلفهم اليهود في هذه الديار لأن وجودهم أي الانكليز أصبح يؤذي شعور المواطنين بعد الاستقلال لانه يذكرهم بالعهود الاستعمارية . والواقع الذي لا يمكن للمنصف الا ان يذكره ان اللوم يقع على عاتق العرب فهم بحكم كونهم من الشعوب الملونة، وكونهم قد عانوا من الاستعمار في السابق ما عانته الدول الافريقية المذكورة في اللاحق وكونهم لا يمتون الى الاستعماريين بصلة ، هم أحق الناس بالتعامل مع الدول الافريقية الحديثة الاستقلال وكسب صداقتها وتقديم

الخبراء والمدرسين اليها ولكن بمثل الشروط والتسهيلات التي تقدمها اسرائيل وبنفس الروح الودية التي يعاملون بها من قبل اسرائيل ، وأذكر في هذه المناسبة بمزيد الاسف والحزن اننا كنا فيمجلس في ممباسة ضم عددا من الشخصيات العربية والاسلامية وقد حضر المجلس افريقي مسلم وقدم لنا ابنه واسمه «علي» ، وقال : انه كان قد حصل على منحة دراسية من اسرائيل في التعاونيات لانه قد ذهب الى هناك وعاد بعد ان اكمل الدورة المذكورة وأنه يأسف لهذا الامر ، ولكنه لو استطاع أن يحصل على تلك المنحة في احدى الدول العربية أو الاسلامية لما فكر ان يذهب الى اسرائيل ، ولم نستطع ان نقول اكثر من ان العرب مقصرون ، ولكن تقصيرهم لا يبرر ان يذهب ابناء المسلمين الى اعداء الاسلام ، ففي الارض متسع لهم في غير اسرائيل .

الى كمبالا ...

ركبنا سيارة شركة الخطوط الجوية لشرق افريقية بعد مضي ساعتين من وصولنا الى أنتيبة قضيناها في مقصف المطار في ذلك المكان الجميل الذي يطل على المطار وخلفه بحيرة فكتوريا (نيانزا) ونحن نرقب نزول الطائرات واقلاعها منه .

وكانت مسافة الطريق بين أتتيبة وكمبالا ٣٦ كيلومترا ، وقد استرعى انتباهنا لباس النساء الفضفاض الذي يتكون من « فستان » ضيق الصدر واسع الجيب يتسع عند الخصر جدا حتى يضرب الى الارض بطيات كثيرة عجيبة. وقد تحققنا مما رأيناه ونحن في الطائرة من أن «أوغندة» كلها بستان واحد أو قل حديقة واحدة ليس فيها موضع لا خضرة فيه حتى تبدو الطرق وسط الخضرة كأنها بقايا الوشم في جلد الدابة التي يكسوها الشعر .

مدينة كمبالا ...

... وصلنا كمالا ، واعجبنا بنظافة شوارعها وارتفاع الاشجار فيها الا ان الذي ينقص من جمال منظرها انها تقع في منطقة تتكون من عدة هضاب فلا نستطيع من مكان واحد ان نرى المدينة كاملة ، كما انك تضطر الى الهبوط والصعود في شوارعها وهي بمجموعها انظف واجمل من نيروبي الا ان الحي الاوروبي في نيروبي لا نظير له فيما نعرف في كثير من البلدان الافريقية بل وبلدان الشرق الاوسط ، وبمناسبة قرب احتفالها بالعيد الاول للاستقلال كانت الاعلام منصوبة والشوارع مزينة .

وقد طلبنا من سائق الشركة ان يوصلنا الى محل أخ عربي ليدلنا على احد الفنادق العربية لاننا لم

نستطـع ان نجـد مكانا خاليـا في أي فندق وذلك بسبب
قرب الاحتفال بعيـد الاستقلال الاول ، وقد قيل لنا : ان
الحكومة قد حجزت أكثر فنادق الدرجة الاولى للضيوف
الاجانب وقد بقيـت الفنادق الاخرى وهي لا تفي بحاجات
الناس ، وقد اضطررنا ان نودع امتعتنا عند الاخ العربـي
المذكور واسمه احمـد سالم مـن عدن ويديـر مطعمـا
كبيرا في كمبالا يسمى (عدن هوتيل) أي مطعم عدن لانهم
يطلقون كلمة هوتيل على المطعم وقد تناولنا طعام الغداء في
مطعمه وبعد العصر اتصل بنا احد الاخوان العرب الذي كان
يديـر فندقا يملكه رجل اسماعيلي فأفسح لنا مكانا كان
قد حجزه للطوارىء ، مع انه فندق غير نظيف واجرته (١٠)
شلنـات في الليلة الواحدة أي ما يساوي ستـة ريالات
سعودية وخدمته غير جيـدة بل لا توجد فيه خدمة أصلا
بعد غروب الشمس ، وقد جلسنا فيه مكرهين .

جـولة في كمبالا ...

على الرغم مـن حاجتنا الى النوم لاننا لم ننم نومـا
كافيـا منذ مـدة طويلة فلم نستطع مقاومة الرغبـة في
التجول في مدينة كمبالا ، فخرجنا بعد العصر على اقدامنا ،
فألفيناها عاصمة افريقية حقة ، اذ ان الافريقيين فيها لهـم
محـلات تجاريـة ويساهمـون في ادارة الامور التجارية
فيها على عكس الحال في نيروبي كمـا ان الاوروبيين هنا

قلة لا تذكر ولكن الشأن هنا للهنود على قلتهم النسبية .

ويظهر اليسر على اهل المدينة ، وكذلك مظاهر الصحة والعافية . وعلامات الغنى والترف ، وهم أي السكان الافريقيون ينتمون الى الجنس الزنجي الخالص ذي اللون الاسود . ويلفت نظر السائح السعودي مثلنا هنا كثرة رؤيته الجلباب (الجلابية) والطربوش الاحمر والطاقية البيضاء ، وشدة تعلق المسلمين بالاسلام اذ اننا ما ان نمر على مسلم الا ويسارع بالسلام علينا وقد يصافحنا ويرحب بنا، وشعار المسلم هنا هو غطاء الرأس بالطاقية او الطربوش ، وهم يتغالون في لبس الطواقي ويبذلون الاثمان الغالية فيها ، والطاقية العادية عندهم تتراوح قيمتها ما بين ٧٠ شلنا الى ٤٠ شلنا أي ما بين اربعين الى خمسة وعشرين ريالا لانها تحاك باليد وتكون مطرزة تطريزا خاصا .

والمدينة جميلة نظيفة كما قدمت ومعظم بيوتها من الاسمنت المسلح والحجارة ولا ترى الاكواخ الا خارجها ، وهي تمتاز عن نيروبي بكثافة اشجارها وسموقها في الجو . وتربتها حمراء شديدة الاحمرار رملية مخلوطة ببعض الطين الاحمر كما هي الحال في اكثر اقاليم وسط افريقية وشرقها ، ويلفت النظر هنا قلة المطاعم والمقاهي والحانات ، واحتشام النساء ، وادب الاهالي الجم في المعاملة وان كان لا يصل الى أدب الاحباش ، كما ان

السيارات في الشوارع كثيرة تفوق اكثر البلدان الافريقيـة التي رأيناها عدا نيروبي التي لا تجارى في كثرة السيارات، وسيارات الاجرة قليلة ولها مواقف خاصة كما هو الحال في نيروبي ، وسيارات الركاب فيها (الحافلات) اقل مـن نيروبـي .

اما المتاجر فهي اقل بكثير من متاجر نيروبي ، وخاصة تجارة الكماليات ، حيث لا تجاري نيروبـي اية بلـدة افريقيـة مررنا بها حتى الآن ، وقبل غروب الشمس بقليل تجولنا في السيارة في نواح عدة من كمبالا ، ورأينا عـدة مساجد فيها وخاصة مسجـد كبيلي الذي يعتبر مع كليـة كبيلي والمدارس الاسلاميـة هناك مركـزا للمسلمين في اوغندة وفيه يسكـن الامير بدر بـن نوح ابـن عـم الكاباكا ملك بوغندا اكبر المقاطعات في اوغندة وهو أي الامير بدر بـن نوح زعيـم المسلمين هنا .

ومسجد كبيلـي في رأس رابية جميلة يُرى مـن جميـع انحاء كمبالا واجمل ما فيه اني رأيت على واجهته كتابة بالانكليـزيـة (لا اله الا الله محمـد رسول الله) خلاف اكثر المساجـد هنـا حيـث تكتب بالعربيـة فـلا يقرأها الا المسلمون بل ان بعض المسلمـين لا يعرفـون الحروف العربيـة اما الكتابة الانكليزية فيقرأها جميـع الاجانب مـن غـير المسلمين ولاسيما السيـاح الذيـن

يفدون الى البلاد فيذهبون لرؤية الكنائس والمساجد فيها .

وقد صلينا المغرب في مسجد « نكسيرو » وإمامه الشيخ احمد مشهور الحداد من حضرموت وقد صلى في المسجد عدد من المسلمين من الهنود والافريقيين ما ان عرفوا اننا من المدينة المنورة حتى اخذوا يصافحوننا ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد علم بمجيئنا بعض اخواننا من العرب والمسلمين فزارنا بعضهم ، ولبثنا نتحدث معهم الى قرب منتصف الليل ولذلك لم ننم الا متأخرين .

يوم الثلاثاء ٥/٣٠ /١٣٨٤ هـ .
٦ /١٠/١٩٦٤ مـ .

قمنا بجولة على بعض المدارس والكتاتيب الاسلامية في العاصمة « كمبالا » وما حولها . وقد اعجبنا كثيرا باقبال الاوغنديين على التعليم الاسلامي ، وحرصهم على تعلم اللغة العربية ، وقد شاهدنا شيوخا كبار السن يتكلمون العربية وقالوا لنا انهم تعلموها وهم كبار ومنهم الشيخ « عبيد سلوم » عضو المحكمة البرلمانية بأوغندة . والعجيب في امرهم ان الرجل منهم اذا عرف العربية فانه يأخذ بالتحدث بها وكأنه احد ابنائها فلا تكاد تلمس في حديثه شيئا من اللكنة .

يوم الاربعاء ١/٦ /١٣٨٤ هـ .
٧/١٠/١٩٦٤ م .

انا من ارباب الخطوة !..

خرجنا صباحا بالسيارة قاصدين منطقة ماساكا في اوغندة وتبعد حوالي ٣٥ ميلا الى الشمال الغربي من العاصمة كمبالا ، وذلك لزيارة المدارس والمؤسسات الاسلامية هناك وخاصة مدارس « التقوى الاسلامية » في كبيجي .

وفي الطريق رأينا اشارة اقامها الانكليز وهي عبارة عن قوس صغير ، وتحتها وضعوا عدة لبنات من الآجر على شكل قاعدة جدار ممتد من الشرق الى الغرب وقد كتب على القوس « هنا خط الاستواء » والى الشمال من الجدار كتب «شمال» والى الجنوب «جنوب» ...

أي اننا الآن تحت خط الاستواء ، ولكن المرء يلتفت فلا يرى شيئا يدل على اننا بهذا نجتاز احد نصفي الكرة الارضية الى النصف الآخر ، ان ما ذكره الجغرافيون من ان خط الاستواء خط وهمي هو امر حقيقي بلا شك .

اما انا فقد بادرت ووضعت احدى رجلي شمالي قاعدة الجدار المذكور والرجل الاخرى جنوبيه وقلت

لمرافقي : « لتشهدوا ان احدى رجلي في شمــال الارض والاخرى في جنوبها » . وهنا واتت النكتة زميــلي الشيخ عمر محمد فقــال اذاً انت مــن ارباب الخطوة ؟! وارباب الخطوة ان لم تكــن تعرف هم الذيــن كان يقال ــ في الزمــن الاول ــ انهم تطوى الارض لهم .

وقد وصلنــا مدينة ماساكا ، ونمنا فيها تلك الليلــة كلها ، وتجولنا على المدارس التي تحيط بها، وكنا قد تناولنا طعام الغذاء في كبيجي وكان الطعام مؤلفا مــن الماتوكو أي المــوز المطبوخ ، وقدمــوا معه طعامنــا في الشرق الاوسط وهو الارز واللحم والخبز والدجاج .

اما المناظــر فهي متشابهة في جميع انحاء اوغنــدة ، خضرة كثيفــة بل انه يمكــن القول انها خضرة مطبقة فانك في الخلاء لا تستطيع ان تقنع نفسك بانك فعلا في خــلاء لانك لا ترى الافــق الى آخره الا مــن فوق رابيــة اما الاتجاهات الاخرى فان الاشجار العالية بل الغابات تســد الافق القريب فلا ترى الا الطرق بين الغابات كأنها الممرات الضيقــة في مدن التاريخ القديمة .

يوم الجمعة ٣/٦ /١٣٨٤ هـ .
٩/ ١٠/١٩٦٤ مـ .

الاخ خميس والاخ جمعة ...

صلينا الجمعة اليوم في جامع نكسيرو في مدينــة

كمبالا وامامه الشيـــخ احمد مشهور الحداد وهو حضرمي يقيـــم هنـــاك يشتغل بالارشـــاد والتطبيب بالعقاقيــر القديمة والرقى والتعاليق ، وقد ضاق المسجـد بالمصلــين فيه ، وأكثرهم مــن الافريقيين وفيهم بعض الهنود وقــد خطب الامام بالعربيــة ، والقى زميلنا الشيــخ ابو بكــر جابــر كلمــة بعد الصلاة ترجمها احد اخواننا الاوغنديين للحاضريــن الى اللغة الاوغندية ..

وألطف ما حصـــل في المسجـد انه بعد الصلاة قــام المؤذن وقدم للمصلين شخصين وقال: هذان اخوان جديدان لكم ايها المسلمون ، لقد أسلم احدهمــــا امس الخميس فسميناه « خميس » وأسلم الآخر صباح الجمعــة اليــوم فسميناه « جمعة » وكل الذي نرجوه ان تساعدوهما علــى شراء ملابس المسلمين وبذل بعض المساعدة الممكنة ثــم طاف بالحاضريــن الذيــن نفحوهما ما تيسر وكفى .

انه لمشهــد جعلني اشــد على ايديهمـا وأتأثر بالغ التأثر ولكنني عرفت بعد ذلك ان دخول الناس الى الاسلام مشهــد يتكرر يوميــا في أوغندة .

ثم قال لنا امام المسجـد لقد ضربنا موعدا لاخينـــا الطبيب الباكستانــي ان يختنهما اليوم ، ثم قال لنــا امام المسجـد : ان هناك جماعــة مــن اخوانـــا الاطبــاء الباكستانيين يقومون بعمــلية الختان لمن يسلمون حديثــا بالمجــان .

ثم قال : ان موضوع الختان موضوع مهم فاننا نعرف ان الذيـن يدخلون في الاسلام حديثا كلهم من كبار السن وهؤلاء قد يشق عليهم اجراء الختان ، فقلت له ان الختان ليس شرطا للاسلام ، فلا ينبغي لمـن اراد الدخـول في الاسلام ان تبادروا وتفرضوا عليه اجراء العملية فقد يتهيب ولا يقدم ولكـن الافضل انه اذا دخل فعلا للاسلام بيّنتم له ان الختان مـن سنـن المسلمين ، وعندما يكون الاسلام قد وقر في قلبه فانه لا شك سوف يقدم عـن رضا نفس على اجراء عمليـة الختان .

مع الامير بدر بن نوح ....

خرجنا مـن جامع نكـميـرو قاصديـن سمو الامير بدر بـن نوح أمير المسلمين في اوغندة ، حيـث كان قـد وجه الينـا دعـوة للاجتماع به ، ومعنا الشيـخ احمـد مشهور الحداد وكنا نظـن اننا سنجد الامير في بيته ولكننا وجدناه في المسجـد الجامع في كبيلـي يستمع الى درس مـن احـد المشايخ بعد صلاة الجمعة .

وعندما وصلنـا الى الجامع اوقف الشيـخ الدرس ثم اخذ الاميـر يتكلم والشيخ علي كلومبا احد المقربـين اليـه يترجم لنا كلامه مـن الاوغندية الى العربيةّ ، وقـد رددت عليـه بكلمة جاء فيها اننا الآن لا نشعـر الا اننـا

في بلادنا فعلا فالمسجد هو المسجد ، بيت الله في كل مكان ، والاخوان هم الاخوان ، وشعار لا اله الا الله المكتوب فوق هذا المحراب هو الشعار نفسه المرسوم على المملكة العربية السعودية ، ثم تكلمت عن متانة الصلة الدينية التي تربط بين المسلمين ، وضربت له امثلة من سير الصحابة والسلف الصالح فاغرورقت عيناه بالدموع واخذ يمسحهما بمنديله .

وبعد ذلك نهض ونهض معه كبار المسلمين الى قصره الخاص المجاور للمسجد وهو في منطقة تسمى « كبيلي » تشتمل على مركز المسلمين في اوغندة وفيها المدارس الاسلامية والمساجد وغير ذلك .

وقدم مائدة الغداء التي تشتمل على الارز والذبائح وشيئا من الموتوكو أي الموز المطبوخ وهو طعامهم الوطني ، وقد حضرها عدد كبير من الوزراء المسلمين واعضاء البرلمان .

يوم السبت ٤ /٦ /١٣٨٤ هـ .
١٠/١٠/١٩٦٤ م .

في كتومو ....

ركبنا السيارة ضحى اليوم قاصدين كتومو حيث

يوجد الشيـــخ شعيب اسحاق أحد كبار المبشرين بالاسلام الناشريـــن له في هذه البلاد .

وقد سافرنا في طريق يتجه الى الشمال الغربي وهـــو الطريق الذي يعبـــر شمـــالي اوغندة الى جنوبي السودان، وهو طريق معبد ولكنه غير مسفلت والارض رمليةحمراء ، وقد جعلـــت الامطار الغزيرة ذلك الرمل صالحا للسيـــر بسهولة على انك لا ترى مـــن لون الارض شيـــئا الا مـــا كان على اطراف الطريق اما الباقي فقد غطته الغابات الكثيفة ولفته الخضرة القاتمة .

وتبعـــد كتومو حوالي (٧٥) كيلا مـــن كمبالا . وقد وصلنـــاها قبل الظهـــر بقليل وقصدنا المدرسة حيث كان الطلبة موجوديـــن فيـــها وتفقدناها كمـــا تفقدنا مساكن الطلبـــة الغرباء القريبة مـــن المدرسة .

وكان الشيخ شعيب اسحاق يمـــلك هـــــذه الارض ومساحتها ثمانيـــة وعشرون فدانا ، وهي كل ما يملكـــه ، وتعتبـــر مـــن اجود الاراضي في اوغندة وتنتـــج المـــوز الذي منـــه يأكلون حيـــث يقطف نوع منه اخضر ثـــم يطبخ ويؤكل بالمرق ويسمونه «موتوكو» كما سبق وهـــو الغذاء الرئيسي لسكان تلك البلاد وهو لهم بمثابة الخبـــز لسكان الشرق الاوسط وبمثابـــة الارز لسكان الشرق الاقصى والى جانب الموز تنتج الارض المذكورة محصولا

وفيرا من البن الذي هو المحصول الرئيسي الذي يصدر من تلك البلاد .

لقد قام الشيخ شعيب اسحاق منذ سنوات طويلة وعمره الآن يقارب تسعين عاما بأن أوقف ارضه تلك لله ، وبنى فيها ثلاث بنايات احداهما مسجد جامع، والثانية مدرسة اسلامية ، والثالثة اماكن للنوم ، وقد سمى المدرسة « مدرسة الدين والتهذيب الاسلامي » ووفر لكل طالب يتعلم فيها مسكنا في المساكن المذكورة ، ثم اشترط على كل طالب يتخرج من مدرسته ان يؤسس بعد تخرجه مع اخوانه في مناطق مختلفة من البلاد وخاصة في المناطق التي يكثر فيها المسيحيون والوثنيون مدارس اسلامية ، او بتعبير ادق فروعا لمدرسة الشيخ شعيب تحمل اسم « مدرسة الدين والتهذيب الاسلامي » وقد بلغ عددها حتى الآن سبع عشرة مدرسة وقد قال لنا الشيخ احمد مشهور الحداد ان عدد الذين دخلوا في الاسلام على يد الشيخ شعيب وتلامذته قد بلغ اكثر من مائتي الف .

هذا وعندما فرغنا من تفقد المدرسة كان موعد صلاة الظهر قد أزف فانتهزنا فرصة الصلاة معهم في المسجد ،وكان المسجد مبنيا كالعادة بالاعواد المطلية بالطين وهو مسقف بالعاج على شكل مسنم ، وقد جعلوا للسقف رفوفا من الجانبين لها فائدتان، الاولى : انها

تقي الجدران المطـر ، والثانية : ان ماء السقف يسيل اليها ثم ينطلق منها الى ميازيب قد سلطت على اوعية (براميل) كبيرة فتجمع فيها ويشرب منها الناس ماء صافيـا نميـرا بدون تعب ولذلك لا يحتاجون الى حفـر الآبار ، واستقاء الماء مـن الانهار أو البحيرات .

وعلى ذكر الآبار والانهار اقول انني لم أر في أوغندة طيـلة تجوالي فيها أي مشروع مائي فلا آبار ولا قنـوات للري ولا مكائـن لرفع الميـاه ، ذلك لانهم قد اكتفـوا عـن كل ذلك بمـا منّ الله به عليهـم من دوام نـزول الامطار وكثرتها .

وقد اعجبتني كلمة الشيـخ احمـد مشهور الحداد عندما قلت له على سبيل المزاح ، من اين تشرب كل هـذه الاشجار والخضرة القاتمة ؟ فقال : من ضرع السماء !!!

وعندما انتهت الصلاة كان المطـر يهطل مدرارا فلـم نستطع الخروج مـن المسجـد فأحضروا الينا شرابا قالوا انه مستخرج مـن الموز وقد اعتذرت عن شربه ، وعندمـا وزعوه على الحاضريـن ابتدأوا بأحد الطلاب وكان فـي وسط الصف ، وطبيعي ان الذي في اول الصف احـق منه بالبدء بالشرب ، ولما استفسرت عـن ذلك اجابوا : بـأن هذا قد دخل في الاسلام حديثا لذلك فاننا نتألفه ، ونقدمه على ابناء المسلميـن !!!

٨٩ اصبع موز بشلـن ...

وعندما توقف نزول المطر سألونا هل تريدون الغداء ؟ انه الموتوكو فقط أي الموز المطبوخ فشكرناهم ، وقفلنا راجعين الى كمبالا ، ولكن الوقت وقت الغداء والمنطقة قروية لا يوجد فيها مطاعم مناسبة فمررنا على احدى القرى واشترينا منها موزا صغيرا لذيذ الطعم يسمونه السكري لانهم يأكلونه اكلا ولا يطبخونه كالموز الاخضر وقد نزل سائق السيارة لأنه مواطن اوغندي واشترى من الموز ما لم يستطع حمله بيده بشلن واحد أي بحوالي (١٢) قرشا سعوديا لقد احصيت ما اشتراه بالشلن الواحد عددا فبلغ «٨٩» اصبعا من اصابع الموز ، وقد اكلنا منه ونحن خمسة ، وبنا الى أكله حاجة اذ تلهينا به عن الغداء فاكتفينا وبقي منه في السيارة بقية .

يوم الاحـد ٥ /٦ /١٣٨٤ هـ .
١١/١٠/١٩٦٤ م .

على ضفاف بحيرة « نيانزا » ...

لقد قضينا الايام الماضية بدون ان ننال أي قسط من الراحة لا في الليل ولا في النهار وذلك لكثرة الزيارات والاستقبالات في العاصمة كمبالا ، ولكثرة الاسفار للاطلاع على المدارس المنتشرة في انحاء كثيرة من بلاد أوغندة خارج

العاصمة .

ولذلك عزمنا هذا اليوم الذي هو عطلة للجميع ان نتمتع بالعطلة ، فرضي زميلنا الشيخ ابو بكر جابر جزاه الله خيرا بأن يبقى في فندقنا يستقبل الزوار وذهبت مع الشيخ عمر محمد الى حديقة الحيوانات في ضواحي انتيبة ، على ضفاف بحيرة فيكتوريا ، وفي الحافلة التي اقلتنا من كمبالا الى انتيبة لم يكن يرافقنا احد اذ اننا احببنا ان نكون وحدنا ، ولكننا لا نعرف مكان الحديقة وعلى كل حال كان بقربنا ثلاثة صبيان من الهنود كانوا مثلنا يريدون ان يقضوا بعض يومهم هناك فسألناهم عن حديقة الحيوانات فقالوا انهم يعرفونها ، وهكذا سرنا معهم من انتيبة الى حديقة الحيوان حوالي كيلومتر واحد وسط مناظر جميلة خلابة ترصعها فيلات غارقة في الجنان اقامها الاوروبيون واغنياء الهنود ، واخذت الآن تتحول شيئا فشيئا الى الافريقيين ، ودخلنا بعد ذلك حديقة الحيوان ورسم الدخول اليها شلن واحد ، ولكننا وجدناها فقيرة في حيواناتها والعناية بها ليست كبيرة ، وقد قضينا فيها وقتا طويلا امتد حتى الظهر حيث توضأنا من ماء البحيرة وادينا الصلاة هناك في جو غائم تحت نفحات نسيم عليل لا يصدق المرء وهو هناك انه تحت خط الاستواء.

ولكن المشكلة كانت مشكلة الغداء فليس في الحديقة مطعم ، وقيل لنا انه لا بد من الرجوع الى

انتيبة ، ولم نجد سيارة اجرة ، فقطعنا المسافة على اقدامنا وعندما وصلنا متعبين لم نجد الا مطاعم افريقية ، وطبيعي ان الوجبة الرئيسية فيها من الموتوكو ، وهو الموز المطبوخ، ولم استطع استطابته فطلبت بعض البيض المسلوق مع قليل من البسكويت أما الخبز فلا يوجد في المطاعم منه شيء . .

ثم عدنا بعد العصر الى الفندق ،

الإِسْلامُ في أُوغَنْدَة



وصلت البعثة عاصمة اوغندة (كمبالا) قادمة اليها من نيروبي وقضت فيها عدة ايام الى جانب زيارتها ضواحي العاصمة ومناطق : مساكا ، وزبامنكا ، وكبيجي ، وكبيبي ، ولوكالو، وجنجا، وقد اتصلت بعدد كبير من زعماء المسلمين وعلمائهم ورؤساء الجمعيات الاسلامية كما تفقدت عددا من المدارس والكتاتيب الاسلامية في اماكن مختلفة ومن بين الزعماء المسلمين الذين اجتمعت بهم البعثة سمو الامير بدر بن نوح زعيم المسلمين هناك وابن عم الكاباكا ملك بوغندا (بالباء) احدى ولايات اوغندة ، وهو في الوقت نفسه نائب الملك ، كما اتصلت بشقيقه الامير عبد الرحيم ابن نوح وشيخ الاسلام احمد سابو كعب ، ووزير الاوقاف في بوغندا الاستاذ عبيد سلوم لوتاني وهو في الوقت نفسه عضو المحكمة البلدية والاستاذ محمود امنيقي وزير المعارف في بوغندا والشيخ محمد ابراهيم سمكولا رئيس القضاة والشيخ عيسى يوسف نائب رئيس المسلمين وعضو البرلمان . كما قامت البعثة بالقاء بعض العظات والكلمات الدينية في المساجد وكان الحديث بالعربية ثم يترجم الى اللغة اليوغندية حيث ان معظم الحاضرين في المساجد لا يعرفون الانكليزية ، كما قامت البعثة بمنح مساعدات مادية لعدد من الجمعيات.

عدد المسلمين في اوغندة :

لا يوجد احصاء رسمي دقيق للمسلمين ، ولكن ثبت

ان عددهم في مقاطعة بوغندا التي تقع ضمنها العاصمة كمبالا بلغ ثمانمائة الف من مجموع سكان المقاطعة البالغ عددهم مليوني نسمة الا ان تلك المقاطعة مشهورة بانها اعظم معقل للمسلمين ومن الاحصاءات الرسمية بعدد المسلمين في بعض الاماكن والبحث مع كثير من اليوغنديين المهتمين بالشؤون الاسلامية تبين لنا ان نسبة المسلمين على وجه التقريب تبلغ ٣٠٪ من مجموع السكان البالغ عددهم حوالي ستة ملايين و٣٠٪ منهم مسيحيون و٤٠٪ وثنيون .

نشاط الدعوة الاسلامية :

يصح القول بأن اوغندة تعتبر احسن الاماكن التي زارتها البعثة من حيث سير الدعوة الى الاسلام ، وكثرة دخول الناس فيه جماعات ووحدانا ، حتى انه قل ان يمر يوم لا يدخل فيه رجل او اكثر في الاسلام وذلك في مناطق مختلفة حيث يوجد عدد من الدعاة من اهالي البلاد قد تطوعوا بالقيام في الدعوة الى الله على ضعفهم المادي ، وقلة امكانياتهم، وقوة التبشير المسيحي المادية، وهم يستخدمون وسائل بدائية في الترغيب في الدخول الى الاسلام الا ان اخلاصهم وتفانيهم وصدق عزيمتهم كان سبب نجاحهم وهم متفرقون في القرى والارياف والدساكر لا تكاد تربط بينهم رابطة مادية ، وقد لمست البعثة في اولئك الاقوام سواء منهم من دخل في الاسلام حديثا ، او من مضت عليه مدة

فيه ، صدق القول ، وحسن الاسلام ، وطيب القصد .

ولا شك انه لو امكن مساعدتهم مساعدة مادية بالملابس وبعض الاطعمة او ببناء مراكز بسيطة لهم في الارياف النائية ولو كانت تلك المراكز لا تزيد على سكن من الاكواخ لكان لذلك ثمرة طيبة مفيدة ، كما انه يوجد عدد قليل من العرب من الحضارمة يقومون بالارشاد والدعوة في اوغندة وتقوم الجمعيات الاسلامية واعظم تلك الجمعيات (الجمعية الاسلامية الاوغندية) ويرأسها الامير بدر بن نوح ابن عم الكاباكا ملك اوغندة و(جمعية مساعدة المدارس الاسلامية) و(جمعية التبليغ الاسلامي) .

وللمسلمين في كمبالا العاصمة ضاحية جميلة تسمى (كبيلي) تشتمل على مركز اسلامي ضخم يقع ضمنه مسكن الامير بدر بن نوح ومقر الجمعيات الاسلامية ومسجد كبير يقع على قمة هضبة يرى بمآذنه العالية من كل مكان في العاصمة، ومدرسة ثانوية مدنية يطبق فيها المنهج الحكومي الى جانب تدريس حصص دينية اسلامية ويلتحق متخرجوها بالكليات المدنية ويزيد طلبتها على الف طالب ، وبعضهم يسميها تجاوزا الكلية الاسلامية . وهناك مدارس اسلامية وكتاتيب اسلامية كثيرة وهي تشمل المدارس المدنية للبنين والبنات التي تسير وفق المنهج الحكومي الا انها تدرس حصصا اسلامية اضافية وهذه اكثرها للمسلمين من الهنود وتساهم الجمعية الاسلامية لشرقي افريقية بالانفاق عليها

الى جانب المصروفات الشهرية التي تتقاضاها من الطلاب والطالبات ، وهناك مدارس وكتاتيب اسلامية خالصة زارت البعثة وتفقدت منها في نطاق امكانياتها الزمنية عددا لا بأس به في مختلف مناطق اوغندة ومنها :

أ ــ مدرسة التذكرة الاسلامية ومديرها الشيخ زبير ابن شعيب عدد طلابها (١٢٥) وعدد مدرسيها (٦) وفصولها (٥) وعمارتها موقوفة عليها من قبل الجمعية الاسلامية اليوغندية .

ب ــ مدرسة الدين والتهذيب : في كتومو ، وقد سبق الكلام عليها في اليوميات .

ج ــ مدرسة التقوى الاسلامية : في كبيجي مديرها الشيخ طه موسى طلابها (٢٥٠) ومدرسوها (٨) وهي تدرس اللغة الانكليزية الى جانب العلوم الدينية والعربية وتعتبر مدرسة تحضيرية وبجانبها مسجد يصلي فيه الطلبة ، ويقوم صاحبها بايواء الاحداث الذين يدخلون في الاسلام حيث يوزعهم على جماعة من المسلمين فيعولونهم ويدرسهم في مدرسته حتى يتخرجوا فيصبحوا دعاة للدين وهي تقوم على ما تحصله شهريا من الطلبة القادرين وعلى تبرعات المحسنين.

د ــ مدرسة الدين والتهذيب بمنطقة كيمانيا مديرها الحاج راشد جابر مدرسوها (٦) وطلبتها (٢٤٥) .

هـ ـ المدرسة الاسلامية : في بامنانكا اسسها الشيخ محمد ابراهيم رئيس القضاة عدد طلبتها حوالي (١٠٠) وعدد مدرسيها (٣) .

هذا وهناك عدد من المدارس في المناطق النائية تحققت البعثة من حاجتها الى المساعدة ولم تستطع الدخول اليها ضمن المدة المحدودة لاقامتها في اوغندة .

وهناك نشاط معاد للاسلام يتمثل في الجهود الكبيرة التي يبذلها المبشرون لتنصير الوثنيين وصدهم عن الاسلام الى جانب الدعوات التي تقوم بها بعض الجهات التي تتستر باسم الاسلام كالقاديانية والاسماعيلية ، وهناك نشاط صهيوني اخذ يتسع على ايدي الخبراء والمستشارين العسكريين والمدنيين من الاسرائيليين الذين اخذ يتزايد عددهم منذ الاستقلال .

ولا بد هنا من التنويه بجهود شخصية لاحد الدعاة العظام الى الاسلام في اوغندة ، انه الحاج موسى كسولي .

انه حي يرزق ، ولد مسيحيا ، ولبث كذلك حتى بلغ الثلاثين من عمره فاسلم وحسن اسلامه ، وكان ثريا فانفق جزءا كبيرا من ثروته على الشؤون الاسلامية ، ويكفي ان نعلم انه ـ وحده ـ بنى عدة مساجد كبيرة بالاسمنت المسلح ، وليس ذلك فحسب ، بل ان كل مسجد يبنيه يبني له عمارة مكونة من حوانيت وشقق للايجار ويوقفها على مصالح المسجد ، لكي يكون له موارد ثابتة .

وكان من آخر ما فعله في هذا الصدد ان اشترى قطعة ارض في مكان يبعد (٥) اميال من العاصمة (كمبالا) تبلغ مساحتها خمسة افدنة ، بنى فيها مسجدا جامعا ومدرسة اعدادية داخلية يتعلم فيها الطلبة العلوم الاسلامية ، واوقف الارض على المدرسة والمسجد ، كما انه قام اخيرا بمشروع يرمي الى فتح مدارس نسائية لتعليم الدين الاسلامي وقد زاد ما فتح من تلك الكتاتيب على مائتي مدرسة .

ويقول الحاج موسى كسولي عن نفسه ان امنيته ان يدفن في المدينة المنورة ، وقد خصص لذلك مبلغا من المال واودعه في البنك يكفي لنقل جنازته مع مرافقه من اوغندة الى المدينة المنورة .

حالة المسلمين المادية :

يشتغل معظم المسلمين بالزراعة وبعضهم يعتبرون ملاكا للاراضي الزراعية الخصبة كما ان بعضهم قد انخرطوا في سلك الوظائف الحكومية . واذا استثنينا القلة القليلة من المتعلمين تعليما عصريا من المسيحيين الاوغنديين الذين اصبحوا موظفين في الحكومة او في الشركات فان حالة المسلمين المادية تبدو احسن من حالة المواطنين الافريقيين الآخرين سواء من المسيحيين او الوثنيين ، ولكن يجب ان يكون ذلك بعد اخراج الاوروبيين والهنود من هذا التفاضل

لان هؤلاء هم الذين بيدهم ازمة التجارة والاقتصاد . ولكن مركز المسلمين الاجتماعي في اوغندة مركز محترم ومعترف به من الجميع وهم احرار لا في ان يمارسوا نشاطهم الديني فحسب بل في ان يدعو غيرهم اليه . وتجدر الاشارة الى ان معظم قادة الجيش هم من المسلمين .

الاقتراحـات :

ان امكانيات نجاح الدعوة الاسلامية في اوغنـــدة امكانيات كبيرة ولذلك يجب بذل المساعدة المادية لاغراض الدعوة والدعاة على ان لا يكون ذلك بشكل مساعدة مادية صرفة قد تصرف في غير ما اريدت له لذلك نقترح ما يلي :

أ ــ انشاء مركز اسلامي صغير في كمبالا يتألف من مكتب يتولى الاشراف على توزيع المساعدات المادية على شكل رواتب شهرية للمدرسين واستئجار بيوت للمدارس ومراكز الدعوة الاهلية ودفع اجور انتقال للدعاة بعـــد التحقق من انهم يقومون بالدعوة على الوجه المرضي وتوزيع المدرسين والمرشدين الذين يرسلون الى تلك البلاد مـــن المملكة على المناطق المحتاجة للتعليم الديني هناك .

ب ــ ارسال عدد مـــن المدرسين والمرشـــدين الملمين باللغة الانكليزية والعارفين بالسواحلية لتدريس الدين واللغة العربية في المدارس والكتاتيب هناك ، وارشاد المسلمين عن

طريق الخطابة والتذكير في المساجد والمجتمعات ، وذلك استجابة للطلبات المتكررة من زعماء المسلمين ووجهائهم في اوغندة ولسد الحاجة المتزايدة الى ذلك .

ج ـ توزيع عدد من نسخ تفسير القرآن الكريم بالانكليزية ومن الكتب الاسلامية باللغتين الانكليزية والسواحلية .

و ـ الاكثار من المنح الدراسية للطلبة اليوغنديين في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وغيرها من معاهد التعليم الاسلامية .

إلى أوغندة كرّة أخرى



قدمنا الى اوغندة من كينية .

وقد فوجئنا بالفتنة الكبرى التي مزقت المسلمين هناك وتتلخص قصتها فيما يلي :

عندما دخل الانكليز الى اوغندة مستعمرين كانت هناك مملكة بوغندا (بالباء الموحدة) وكان ملكها يقال له الكاباكا وكانت المملكة المذكورة هي موطن المسلمين الاوائل ومن هناك انتشر الاسلام الى باقي انحاء اوغندة فأقر الانكليز الملك المذكور على مملكته وجعلوها محمية وضموا اليها اراضي جديدة واسعة كان يسكنها آنذاك اناس بدائيون وجعلوها مستعمرة وكان أول المسلمين من الاسرة المالكين في بوغندا (بالباء الموحدة) الامير نوح ابوقو والد الامير الحالي بدر بن نوح وكان يسكن في ضواحي كمبالا زعيما على المسلمين وقام بذلك من دون منازع وحين توفي تولى ولده الامير الحالي بدر بن نوح زعامة المسلمين واصبح مما يعترف به المسلمون في كل انحاء اوغندة .

وعندما جاء الاستقلال كان دستور اوغندة ينص على ان تكون البلاد بمجموعها جمهورية وهي ستة اقاليم وان تكون (بوغندا) مملكة في داخل الجمهورية ملكها الكاباكا متيسا الثاني وهو مسيحي وولي العهد بعده الامير بدر بن نوح زعيم المسلمين . وكان رئيس وزراء جمهورية اوغندة التي تضم جميع اقطار البلاد هو الدكتور ملتن اوبوتي .

ولكن في عام ١٩٦٥ الميلادي حصل خلاف سياسي عظيم بين الكاباكا ملك بوغندا التي هي جزء من عموم اوغندة وبين الدكتور ملتن اوبوتي رئيس وزارة جمهورية اوغندة كلها ، وقد تطور الى حد الصدام المسلح بل الحرب الطاحنة فقتل من اتباع الفريقين ما يقارب ستة آلاف وقتل من انصار الكاباكا ما يزيد على ثلاثة آلاف واضطر الكاباكا لتفوق خصومه وعلى رأسهم الدكتور ملتن اوبوتي الى مغادرة البلاد .

وقد ألغى أبوتي الدستور الذي ينص على تمتع مملكة يوغندا باستقلالها الداخلي ، وأدمجها ضمن اقسام أوغندة ، وبذلك اصبح نشاط الامير بدر بن نوح معدوم التأثير من الناحية الرسمية ، بل زيادة على ذلك اخذت الحكومة تضايقه وتعاكس كل ما يقوم به من اعمال ، ونظرا الى ان المسلمين قوة لا يستهان بها في أوغندة ، لان معظم قواد الجيش منهم كما ان الاسلام آخذ في الانتشار هناك فقد برز من صفوف انصار الحكومة شخص يدعى اكبر منجوني يشغل منصب وزير الزراعة في حكومة اوغندة وهو رجل حديث عهد بالاسلام اسلم عام ١٩٥٩ م أي منذ سبع سنوات على يد رجل هندي وتسمى باسمه وهو قريب للدكتور ملتن أبوتي رئيس وزارة أوغندة ويقولون عنه في أوغندة انه أخوه لانهم هناك يتوسعون في موضوع القرابة فيقولون لابن العم

وابن الخال وابن العمة والخالة أخ ولذلك لا يستسيغون حتى المسلمون منهم ان يتزوج الرجل من ابنة عمه أو ابنة خاله او خالته ويقولون : كيف يجوز ان يتزوج من اخته .

وقد كون السيد اكبر منجوني المذكور مع السيد شعبان انكوتو وزير الصحة جمعية اسلامية جديدة استطاعت ان تستميل الى جانبها معظم المسلمين البارزين الذين كانوا حتى الامس القريب يتبعون الامير بدر بن نوح ويقرون بزعامته وعلى رأسهم المفتي الشيخ شعيب اسحاق وشيخ الاسلام احمد سابو كعب ، والشيخ عبده عبيد احد الشباب المثقفين.

وهكذا عندما وصلنا أوغندة كان هناك جمعيتان اسلاميتان كبيرتان ينقسم المسلمون فيهما في تناحر بعد ان كانوا بالامس القريب اخوة متصافين ، وكل هذا الانقسام كان بسبب السياسة .

أولاهما تسمى ـ جمعية الاتحاد الوطني لتقدم المسلمين في أوغندة ويرأسها اكبر منجوني وزير الزراعة وسكرتيرها العام شعبان انكوتو وزير الصحة وتؤيدها الحكومة الحاضرة ويلتف حولها عدد كبير من المسلمين لانها هي الجمعية المؤيدة من الحكومة والتي يمكن بواسطتها ان يؤدى، أي عمل للمسلمين على النطاق الرسمي، ومن بين اولئك المسلمين كبار المسلمين وعلماؤهم .

وثانيهما : تسمى ـ الجمعيـــة الاسلامية الاوغنديــة ويرأسها الامير بدر بـــن نوح ويعتبر من اكبر المعارضين للحكومة الحاضرة ولذلك فان الحكومة تقــف في وجــه الجمعيــة المذكورة ولا تنفذ أي شيء بواسطتها بل العكس هو الصحيـــح اذ تحاربها وتراقب رئيسها ، وتعمل جاهدة على إذابتها . وليس لها ـ أي هذه الجمعية ـ في الـــوقت الحاضر نشاطرسمي تنفيذي ـ وانما مقتصر نشاطهافي الوقت الحاضر على الميــدان الاهلي ، مع الترقب والاستعداد لما يأتي به المستقبل . علما بأن هذه الجمعيـــة كانت الجمعية الاولى في أوغندة سابقا ولها نفوذ كبير في الماضي ، ولكن لم تستطع ان تجاريها اية جمعية اخرى .

خطـة العمـل :

اننا نقدم للمسلمين في كل بلد افريقي باســـم دار الافتاء والجامعة الاسلامية اللتيـــن يرأسهما سماحة مفتي البلاد السعودية ثلاثة عروض طيبة .

اولا ـ تقديم منح دراسيـــة في الجامعة الاسلاميـــة لعدد محدود مـــن الطلبـــة .

الثاني ـ تخصيص بعض المدرســين والمرشديـــن ليساعدوا على نشر الديــن الاسلامي هنـــاك على نفقـــة الحكومة السعوديـــة .

الثالث ــ تقديم بعض المساعدات المالية العاجلة .

ومعلوم ان الامرين الاول والثاني لا بد لتنفيذهما من ألا تقف الحكومات الحاضرة ضدهما لان الامر يحتاج الى تحصيل جوازات وتسهيل سفر للطلبة الافريقيين كما يحتاج الى اذن بالدخول وترخيص بالاقامة والعمل للمدرسين الذين يرسلون من المملكة . اما الثالث وهو المساعدة المالية فأمر ليس ضروريا أن توافق عليه رسميا وفي حالة أوغندة لا يمكن أن يتم الامران الاولان الا بواسطة الجمعية الاولى ، التي لها نفوذ في الحكومة الحاضرة ، اما الامر الثالث فيمكن ان يقدم للجميع .

وهكذا حزمنا أمرنا على ان نتصل بالجمعيتين الاسلاميتين كلتيهما وان نتصرف معهما تصرفا نزيها محايدا لا يشعر احد بأن المملكة العربية السعودية تقف في جانب فريق من المسلمين دون الفريق الآخر .

وهكذا فقد عملنا ما يلي : ــ

لم نطلب الاتصال بأحد حال وصولنا فاتصل بنا نائب رئيس الجمعية التي تؤيدها الحكومة ودعانا باسم رئيسها الى حفلة شاي في بيته ، فطلبنا منه ان يمهلنا بعض الوقت ، وذهبنا لمقابلة الامير بدر بن نوح في بيته في كيبولي ، وقد شرح لنا الوضع السياسي وما تفرع عنه في

بلاده كما شرحه لنا الآخرون وقد لخصناه في اول هـذا التقرير ثم احالنا على الشيخ علي كلومبا سكرتير الجمعية المذكورة ، وهو رجل نشيط يعرف العربية جيدا ، وملم بجميع الاوضاع الحاضرة وقال انني افوض الشيخ علي كلومبا في اخباركم عن كل ما تودون معرفته عن بلادنا وأوضاعها الحاضرة ، ثم ذهبنا الى رئيس الجمعية الاسلامية الاخرى السيد اكبر مانجوني في بيته فشرح لنا الاوضاع الحاضرة وكان مما قال اننا لا نكره اعضاء الجمعية الاخرى ولكنها الآن اصبحت مشلولة بسبب الوضع السياسي في البلاد ولا يمكن ان تؤدي للمسلمين عملا ذا قيمة ..

وقد تحدثنا مع زعماء الجمعيتين وقلنا لهم اننا لا نرغب التدخل في القضايا الداخلية لهم الا بالقدر الذي يوافقون عليه مجتمعين ويكون من ورائه فائدة مرجوة للجميع ، فاذا كانوا يرون ان من المصلحة ان يجتمعوا معنا ونسعى للصلح بينهما فذلك واجب كل مسلم ، وان كانوا يرون ان هذا غير ممكن او غير مرغوب فيه فاننا لن نتدخل فيه . وقد رحب اعضاء الجمعية الجديدة بالوساطة . اما الشيخ علي كلومبا ممثل الجمعية التي يرأسها الامير بدر بن نوح فقال :

انه لا يرى فائدة من محاولة التوسط لان الخلافات

اعمق من ذلك فصرفنا النظر عن المحاولة مع الجمعيتين .

وهكذا ذهبنا الى المدارس التابعة للجمعيتين كلتيهما وقدمنا التبرعات للفريقين . اما المدرسون فقد قدمنا طلب التحاقهم بالعمل والاذن لهم به الى الجمعية التي تؤيدها الحكومة لانه لا يمكن الا ذلك ، كما قدمنا المنح الدراسية للجمعية المذكورة ، وقدمنا منحة للجمعية التي يرأسها الامير بدر وذلك بواسطة الشيخ علي كلومبا .

وهكذا غادرنا أوغندة آسفين على اننا وجدنا المسلمين في الزيارة الثانية اسوأ مما كانوا عليه عندما زرناهم المرة الاولى . ومما يجدر التنويه به ان الدعوة الى الاسلام ودخول الناس فيه على نطاق شعبي عام لا يزال كما كان ، ولم يتأثر بهذا الخلاف وذلك لانالقائمين على الدعوة الاسلامية يعدون بالآلاف ومنتشرون في كل مكان من أوغندة ولله الحمد .



في مملكة بورندي



يوم الاربعاء ٨ /٦ /١٣٨٤ هـ .
١٤/١٠/ ١٩٦٤ م .

السفر الى بورندي :

ذهبنا في الصباح الباكر الى مكتب شركة شرق افريقية للطيران في كمبالا ، وانهينا العمل في تذاكر سفرنا حيث لم يكن فيها قبل ذلك النزول في بورندي . وقد دفعنا الفرق وقدره (١٣٩ شلنا) لكل تذكرة . ثم عدنا الى فندق الجعفريين حيث دفعنا بعض المساعدات المالية للمدارس والهيئات في أوغندة .

ثم خرجنا في الساعة الحادية عشر الى أتنيبة حيث مطار كمبالا ، وركبنا طائرة تابعة لشركة الخطوط الجوية الكونغولية من طراز ـ د س ٦ ـ وكان خدم الطائرة ومضيفوها من الكونغوليين وخدمتهم رديئة ولم يقدموا للركاب غير كوب صغير من(الكوكاكولا) أعتقد انه نصف زجاجة فقط . اما ملاحو الطائرة فهم من البلجيكيين، وأما الركاب فخليط من الاوروبيين والهنود وفيهم قليل من الافريقيين .

ولم نشاهد معالم الارض معظم الوقت ، لأن السحب كانت كثيفة تحجب رؤية الارض ، وما ان قاربنا عاصمة بورندي ونزلت الطائرة عن مستوى السحاب

حتى شاهدنا الارض تحتنا جبالا وروابي خضراء تكسوها الاشجار الكثيفة ، وتتخللها الوديان التي تجري فيها المياه وهي تشبه على وجه العموم في منظرها منظر اراضي الحبشة .

وقد نزلنا في المطار بعد طيران دام ساعة ونصفا ، وكانت اول مشكلة صادفتنا هناك ان الاستمارات التي يملؤها القادمون مكتوبة بالفرنسية ولما ملأنا بعضها بالانكليزية لعدم معرفتنا بالفرنسية حضر موظف افريقي لا يعرف حرفا من الانكليزية ورطن بالفرنسية ، ثم شطب ما كتبناه واخذ يكتب بالفرنسية وهو يتأفف وكان موظفو المطار خليطا من البلجيكيين والافريقيين الوطنيين . اما المطار فهو متوسط ونظيف . وقد ركبنا سيارة اجرة من المطار الى العاصمة وكانت المسافة (١٢ كيلا) والاجرة (٢٠٠ فرنك بورندي) أي ما يساوي عشرة ريالات بالصرف الرسمي والسير هنا الى اليمين ، خلاف ما عليه الحال في كينية ، وأوغندة والصومال ، حيث السير هناك الى الشمال .

وكانت الطريق بين المطار والمدينة تمتد وسط ارض معشبة تكسوها الحشائش البرية الكثيفة التي يوحي منظرها بعدم العناية والتعمير ، ولا غرو فالبلاد كانت مستعمرة بلجيكية ، وقد عرف ان الاستعمار البلجيكي من أسوأ انواع الاستعمار . ولما قاربنا البلدة

اخذنا نلمح بعض القرويين وقد ارتدوا ثيابهم الغريبة التي يتكـون الواحـد منـها مـن قطعـة مـن القمـاش يلفها الرجل حول جسمه مـن عنقه حتى ركبتيه ، ويخرج منـها احدى يديـه الى الكتف كأنه معتمـر مضطبـع ، وقـد ترك رأسـه بشعره المنكوش عاريـا ، ويحمـل عصاه وهو يوسع الخطا وعليـه مظاهـر الفقـر والفاقة .

مدينة بوزمبورا :

رأينا الجانب الذي دخلنا منـه الى مدينة بوزمبورا العاصمـة مهمـلا يذرع شوارعه شعب يسيـر بثيـاب مهلهلة ، وقد بدى لنا منظـر العمـال الذيـن يسكنون في هذا الحي منفرا اذ يلبس الواحد منهـم سروالا قصيرا وقميصا مفتوح الصدر الى نهايته وكثيرا ما يكون حـافي القدمين ، وعندما رأونا اسرع عدد كبير منهم الينا يعـدون عدوا ، وبعضهـم جاء مـن اماكن بعيدة يركض ركضـا وذلك لكي يفوزوا بحمل امتعتنـا .

واسترعـى انتباهنا قبـل وصولنا الفندق منظـر بعض العرب العمـانيين الذيـن يسكنون تلك البلاد وبدا لنـا منظرهم غريبا أيضا في هذه البلاد الافريقيـة فهم عدا ما يتميزون به مـن بياض البشرة فقد ارتدوا جلابيبهـم (الشوالية) نسبة الى (موضة الشوال) وكوروا عمائمهم

الكبيرة ، وأعفوا لحاهم الكثة ، وقد أنسنا بمنظرهم وشعرنا بالطمأنينة لرؤيتهم ، في هذه البلاد النائية من وسط افريقيا التي لا نعرف فيها كثيرا من الناس ولا يوجد فيها سفارة أو قنصلية لاي بلد عربي [1] .

وقد نزلنا في فندق يدعى فندق اقبال وصاحبه مسلم هندي حنفي المذهب . وما ان استرحنا في الفندق وتناولنا طعام الغداء حتى رآنا فيه احد الاخوان من العرب العمانيين المقيمين هنا فذكرنا له اننا نحب ان نتمشى في الشوارع القريبة من فندقنا فرحب بنا وخرجنا من الفندق وقصدنا اماكن الاخوان العمانيين الذين اخذوا يضفون علينا كرمهم بالدعوة الى تناول القهوة ، وقد تناولنا القهوة في محلين واما الثالث فكان صاحبه شيخا انتقل من روندا الى بوروندي أبى الا ان نذهب معه الى بيته وكان المطر يهطل ونحن نحب ان نرى شيئا من معالم البلدة قبل حلول الظلام حيث لا يستحسن للغريب ان يتجول بعد ذلك في افريقية التي مررنا بها ما عدا السودان ولكن اخانا العماني أبى الا ان يكرمنا ويذهب بنا الى بيته ثم قدم لنا القهوة العربية التي افتقدناها منذ خرجنا من بلادنا . وقد حل الظلام وعاد معنا بعض اخواننا العمانيين الى الفندق بعد ان استمتعنا

---

١ ـ افتتحت سفارة مصرية في بورندي فيما بعد .

بحديثهم العربي الفصيح ، واستفدنا منهم ما يتعلق بحالة العرب والمسلمين في أقاليم (رواندا) و (بورندي) وشمال وشرق الكونغو ، ومما لفت نظرنا في هذه المدينة كثرة النخيل وقد بلغ حجم طلعه ما يزيد على مقدار الحمصة فاستغربنا ذلك لان هذا الوقت هو وقت صرام النخل في بلادنا ولكن لا عجب فنحن في النصف الجنوبي من الكرة الارضية وشتاؤنا هو صيف هذه البلاد والعكس بالعكس . وقد خبّرونا ان العرب هم الذين جلبوا النخل من عمان عن طريق زنجبار وممباسة ، وانه يثمر هنا ثمرا يؤكل ، على عكس حاله في اوغندة حيث يوجد النخل ولكن لا يثمر أبدا . اما هنا في بوزمبورا فقد اختلط نخيل التمر بنخيل النارجيل (جوز الهند) وبنخيل الزيت فأصبحت ترى في مكان واحد نخلة بأعذاقها الكبيرة الى جانب شجرة من اشجار النارجيل تحمل طلعها الذي يشبه اعذاق النخيل ما دام صغيرا ، وحولهما نخلة من نخيل الزيت الذي يشبه نخيل التمر تماما عدا طلعه فهو يختلف اختلافا بيّنا ، ويذكر احد الاخوان العمانيين بيتا قاله شاعر عماني زار هذه البلاد وانشأ فيها قصيدة منها .

نخيلها يميل مع امباها   تشابه المزون من أنباها

ويقول ان الامبا هي المانغو أي العمبة والمزون قريةفي عمان .

والجو هنا معتدل متشابه طول السنة فيما يقولون : اما الامطار فهي تسقط دائما وان كان يأتي وقت تكون فيه اكثر من الاوقات الاخرى . واهلها كلهم من (البانتو) او الزنوج الا ان الحيوية الموجودة في الاوغنديين لا يلاحظ المرء توفرها هنا .

يوم الجمعة ١٠/ ٦/ ١٣٨٤ هـ .
١٦/١٠/١٩٦٤ م .

في جامع مويانزي .

أدينا صلاة الجمعة اليوم في مسجد الجمعة في حي مويانزي وهو الحي الذي يسكنه المسلمون الافارقة وقد سررنا اذ رأينا الناس قد تجمعوا في المسجد قبل الوقت بمدة تزيد على نصف ساعة وقد امتلأ المسجد بهم وهم يتلون القرآن الكريم او يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم كل بمفرده . والمسجد متوسط السعة وهو مبني بالآجر ومسقف بالصاج على شكل مسنم شأنه شأن اكثر البنايات الافريقية ، وهو مفروش بالحصر الجميلة، وقبل دخول الامام أذن الأذان الاول ، ثم لبث الناس برهة ولم يتنفّل بعد الاذان الا القليل منهم ، ثم وقف المؤذن على باب المسجد في المؤخرة ، وتلا بعض العبارات التي تأمر الناس بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فضج

المسجد بأصواتهم وهم يقولون بصوت واحد اللهم صل وسلم عليه ثم أخذ المؤذن يمشي داخل المسجد وهو ينشد ابيات مديح في النبي صلى الله عليه وسلم لم أحفظها ، والامام يسير خلفه وكل من سمعه من الناس افسح الطريق له وللامام ، ليمرا الى المحراب ، وكان الامام يمشي مطأطأ الرأس ، خاشعا ، وقد ارتدى لباس المسلمين هنا وهو الجلباب الابيض ولبس فوقه ـ ليمتاز عن غيره ـ جبة سوداء كما وضع على رأسه كوفية (غترة) بيضاء ، وهي الكوفية الوحيدة التي شاهدناها في كل انحاء شرق افريقية ، وارتدى فوقها عقالا مقصبا ، وقد وضع تحت ابطه مجلدا هو ديوان خطب قديم . وقد تلا الخطبة من الديوان المذكور وهي قديمة مسجوعة ، واستطاع بصوته الجهوري وبنغمات التأثر أن يجعل الجميع يتأثرون ، اما الافريقيون وهم لا يعرفون العربية فبصوته وباخراجه الكلمات ، واما نحن فبشدة ايمانه بما يتلو حسب ما ظهر لنا . ولم تترجم الخطبة الى لغة القوم لا قبل الصلاة ولا بعدها . وكانوا قد قالوا لنا انهم في العادة يترجمون خطبة الجمعة بعد الصلاة ، ولكن نظرا لوصولنا هنا فقد عرّف الامام الحاضرين بنا ، وطلبوا منا ان نلقي اليهم موعظة بعد الصلاة فتكلم زميلنا فضيلة الشيخ أبي بكر جابر بكلمة ترجموها الى السواحلية ، واكتفوا بها عن ترجمة الخطبة . وقد سارع الجميع بعد ذلك

الينا للسلام والتحية وكل من سلم علينا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم لاننا قادمون من المدينة المنورة .

وقد عدنا الى الفندق ونحن في غاية التأثر من قوة الرابطة الروحية الاسلامية التي تربطنا بأولئك الاخوان الاحباب على بعد الدر وقلة الانصار .

مدرسة ارشاد الحياة الاسلامية :

وبعد العصر كنا على موعد مع الجمعية الاسلامية الافريقية ، وتعرف هنا بجمعية (امبو) ويقع مقرها في حي موبانزي السابق ذكره ، ورئيسها الشيخ جمعة عيدي وهو افريقي من اهل بوروندي وقد رحب بنا اعضاء الجمعية التي يقع مكتبها في بناء مكون من غرفتين ومبني على الطريقة الافريقية الوطنية جدرانه من اللبن أي الطين النيء وسقفه مسنم من الصاج ، وقد وضع في حواشيه ما يشبه (البرنيطة) من الصاج ليقي الجدران الطينية من وصول المطر اليها . ومن مكتب الجمعية توجهنا الى مدرسة ارشاد الحياة الاسلامية وهي مدرسة للافريقيين المسلمين يدرس اولادهم فيها في ايام العطلة الاسبوعية أي آخر يوم السبت ويوم الاحد ، وذلك لان معظم الطلبة يذهبون الى المدارس الرسمية في الايام العادية ، وقد شاهدنا في المدرسة المذكورة حوالي ١٢٥ طالبا من

الفتيان والفتيات ، وقامت فرقة الانشاد في المدرسة بالقاء نشيد ترحيب بالعربية ختموه بالدعاء لنصر الاسلام والمسلمين ، ثم ألقى مدير المدرسة كلمة قصيرة، وقد رددت عليه بكلمة بالعربية قام بترجمتها جملة جملة الاستاذ عمران جمعة الى السواحلية ، وكان اجتماعا مشهودا لزعماء المسلمين هنا ، أعلنا فيه للجميع اننا سوف ندفع مساعدة مالية رمزية من الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة لهذه المدرسة .

يوم السبت ١١/ ٦ /١٣٨٤ هـ .
١٧/١٠/١٩٦٤ م .

ذهبنا لزيارة بعض المدارس والكتاتيب الاسلامية في بوزمبورا وقد أسفنا لما لاحظناه من مظاهر التفرقة بين المسلمين هنا اذ ان لكل طائفة كتابا يخصهم دون غيرهم وان كان المسلمون الافريقيون وهم شافعية المذهب هم الاغلبية .

ومما استرعى انتباهنا ايضا اننا رأيناهم لا يكتفون اذا أشاروا للمسجد او كتبوا عليه بكلمة (مسجد) بل لا بد ان يضيفوا الى ذلك تعريفا آخر فيقولون مثلا مسجد الشافعية او مسجد الحنفية ، وهذا يكون دائما للمسلمين الهنود من اهل السنة لانه لا يوجد هناك احناف

غيرهم ، كما ان هناك مساجد للطوائف الاخرى خاصة بهم مثل الاباضيـــة والاثني عشرية حتى طائفة الاسماعيليـــين اتباع آغا خان لهم مكان خاص يضم معبدا وقاعة اجتماعات يسمونه (مسجدا) .

يوم الاثنين ١٣/ ٦/ ١٣٨٤ هـ .
١٩/١٠/١٩٦٤ م .

ذهبنا الى السفارة البلجيكيـــة واستعدنا منـــــها جوازاتنـــا بعد ان منحتنا تأشيـــرة الدخول الى الكونغو رغم نصيحـــة المسؤولين فيها لنا بعدم الذهاب الى هنـــاك نظرا للقلاقل الناشئة عـــن توتر العـــلاقات السيـــاسيـــة بـــين الكونغـــو برئاسة تشومبي من جهة ، وبين حكومة مصر والجزائر مـــن جهة اخرى . وقد قال لنا سكـــرتير السفيـــر البلجيكي انهم قد تبلغوا اليـــوم امرا مـــــن حكومة الكونغو بعدم السماح لاي عربي بدخول الكونغو. ومـــن السفارة البلجيكيـــة ذهبنـــا بجوازاتنا الـــــى السفارة البريطانية في بوزمبورا حيث طلبنا سمة الدخول الى روديسيـــة الشمالية فوافقوا على ذلك ومنحوها لنـــا فـــورا .

الجمعية الاسلامية السنيـــة :

وبعد العصر توجهنا الى المنزل الواسع الذي يملكـــه

الشيخ تار محمد رئيس الجمعية الاسلامية السنية لاقاليم رواندا وبورندي والكونغو ، وهو باكستاني مسلم يقول انه تركي الاصل وجميع اعضاء جمعيته من الهنود السنيين . وقد دعا الى هذا الحفل طائفة من ارباب المذاهب في هذه البلاد من الافريقيين والعرب والهنود ، وقد اشتمل برنامج الترحيب على نشيد بالعربية ألقاه بعض الصبية من ابناء المسلمين هنا وقد لقنوه تلقينا ، والا فهم لا يعرفون العربية ، ثم تلا طالب افريقي آيات من القرآن الكريم مرتلة موجودة ، ثم تكلم الداعي الشيخ تار محمد كلمة اسلامية غلبه التأثير في آخرها فبكى طويلا لحالة الاسلام والمسلمين وطلب منا الدعاء في المسجد النبوي الشريف وكان يتكلم بالاوردية ليفهم الحاضرون من الهنود كلامه ، ثم يعيد بالسواحلية ليفهم الافريقيون كلامه ثم يترجم لنا احد العرب العمانيين كلامه للعربية ،وقد رددت عليه بكلمة وفي آخرها شكرته على حسن ظنه ووعدته بالدعاء له ولاخوانه المسلمين في المسجد النبوي الشريف نسأل الله سبحانه وتعالى ان يقبل منا جميعا صالح الدعوات .

وزارنا تلك الليلة في الفندق كما هي الحال في اكثر الليالي والايام في بوروندي عدد كبير من اخواننا المسلمين من العرب والافريقيين الامر الذي لم يترك لي فرصة كتابة هذه اليوميات بشكل مفصل .

العرب في بوروندي .

والعرب في بوروندي كثيرون على خلاف ما كنا نعتقده من قبل ، واغلبهم ان لم يكونوا كلهم من العمانيين ، ويوجد عدد محدود لا يتجاوز اصابع اليد في بوزمبورا العاصمة من اليمانيين ومثلهم من الحضرميين . ومنظر العرب في بوزمبورا خاصة لا يلفت النظر لكثرتهم ، وقد قيل لنا ان الحال كذلك في اوروندا واقليمي كيفو واورينتال في الكونغو وهم محبوبون من الشعب الافريقي ومعظمهم ميسورو الحال ، ومنهم اثرياء ولا تكاد تجد بينهم فقيرا معدما . ولا يصعب عليك ان تميز الواحد منهم وخاصة الكهول والشيوخ ، فهم متمسكون بزيهم العماني الاصيل وقد وفروا لحاهم . اما الشباب والفتيان منهم فقد لبسوا الزي الاوروبي وتعلموا في المدارس الافرنجية الا ان بعضهم ممن لم يتيسر لهم تعلم العربية في الكتاتيب والمدارس الاسلامية لا يتكلمون العربية الا بصعوبة .

ويقال ان بيوت العمانيين في بوزمبورا تبلغ حوالي ثلاثمائة بيت ، مع انها بلدة صغيرة لا يزيد سكانها على ٥٥ ألفا .

يوم الثلاثاء ١٤/ ٦/ ١٣٨٤ هـ .
٢٠/١٠/١٩٦٤ م .

اصبحنا ونحن فيهم من امر السفر اذ عدلنا عن السفر

الى اليزابيث فيل في الكنغو بعد ان منعنا اخواننا من العرب العمانيين الموجودون في موزمبورا اشفاقا علينا مما قد يصيبنا في الكونغو ، لان الكونغو يسودها الاضطراب وعدم النظام ، ونظرا لتوتر العلاقات بين الكنغو من جهة وبين حكومة مصر والجزائر من جهة اخرى . وكنا سابقا قد قررنا السفر من موزمبورا الى اليزابيث فيل في طريقنا الى ملاوي ، وقد ذكر لنا اخواننا العرب في بوزمبورا ان الكنغويين لا يفرقون بين عربي وعربي ، وبأنهم اذا شعروا بعداوة شخص او اشخاص من البيض لهم فانهم لا يتورعون عن الحاق شتى صنوف العذاب بهم .

بل ان اخواننا العمانيين ومنهم الشيخ علي محمد الطوقي اخبرونا انهم كانوا في مدينة كندو في مقاطعة اورتتال في الكنغو عام ١٩٦٢ عندما كانت الثورة ضد البيض على اشدها هناك وانهم شاهدوا ثلاثة عشر اوروبيا من الايطاليين نزلوا بطائرتهم في مطار مدينة كندو الذي يسيطر عليه الثوار نزولا اضطراريا فأمسك الكنغويون بثلاثة منهم واججوا لهم نارا وشووهم قريبا من المطار واكلوهم كما يؤكل لحم الغنم ! ! !

ان هذا الخبر غريب جدا ولكن يؤكد اخواننا العمانيون انهم شاهدوه بأنفسهم ونحن لا نشك في خبرهم وخاصة اذا عرفنا انهم اباضية المذهب وان الكذب عندهم من الكبائر .

وقد قالوا لنا اذا لم تصدقوا ما حدث للاوروبيين فان الذي لا شك انه سوف يحدث لكم هو الاهانة وسلب المال وربما الحبس او التعذيب وأنتم في غنى عن ذلك، ولا يمكننا ان نوافقكم على السفر الى الكنغو في هذا الوقت بالذات لا سيما انكم تشاهدون العرب الذين كانوا في الكنغو منذ سنين طويلة قد تركوها الآن ولجأوا الى بوروندي هربا من الاضطرابات وتركوا اموالهم الثابتة هناك وانتم اولى بتلافي المكروه المحتمل منهم . فشكرنا لهم شعورهم الكريم ووافقناهم على ما ذكروا من اننا في غنى عن أن نعرض انفسنا للمخاطر وان كنا نأسف لذلك لانه يحرمنا فرصة الاطلاع على احوال المسلمين في تلك البلاد ، هذا وقد اخبرني بعض العرب مساء اليوم انهم سمعوا خبرا من مدينة (قوما) في الكنغو مفاده ان الكنغويين قد اعتقلوا العرب الموجودين هناك مع انهم عمانيون ليس لهم علاقة سياسية بالحكومة المصرية او الحكومة الجزائرية .

ومع اننا قد حصلنا امس على سمة دخول الى الكنغو من السفارة البلجيكية في بوزمبورا فقد ذهبنا اليها اليوم واستشرنا القنصل البلجيكي في موضوع سفرنا فنصحنا بعدم الذهاب الى هناك وكان مما قاله انني اعرف ان القلاقل الموجودة هي بسبب خلافات بين حكومتي مصر والجزائر وبين حكومة الكنغو ،وان الحكومة السعودية ليس لها علاقة سياسية بهذا الخلاف ولكن الكنغويين لن يفطنوا الى هذا

فهم لا يفرقون بين عربي وآخر في هذا الموضوع .

وهكذا عدلنا عن السفر الى الكنغو ، وذهبنا نلتمس طريقا آخر للسفر ، ولكن بورندي صغيرة ولا تغادرها طائرات الى الخارج الا مرتين في الاسبوع ، كما ان الطرق البرية كلها مقطوعة او مخيفة نظرا لوجود الاضطرابات في ما حول تلك البلاد في رواندا والكنغو ، وحتى طريق السفن عبر بحيرة تنجانيقة من بوزمبورا قد توقف بل ان الاتصالات بين مدينة بوزمبورا ومدينة (اوفيرا) في الكنغو قد قطعت مع ان المسافة بينهما لا تزيد على خمسة وعشرين كيلو مترا عبر مياه بحيرة تنجانيقة كل ذلك بسبب الثورة القائمة في الكنغو .

وقد ذهبنا الى شركة سابينا البلجيكية للطيران فقال لنا الموظف فيها وهو افريقي انه لا توجد اماكن ، ولما آيسنا نادانا وقال لنا بصريح العبارة : اذا اعطيتموني (٥٠٠) فرنك فاني سأجد لكم مقاعد والا فلا ، ولما مانعنا في اعطائه المبلغ احتد وقال : ما دمتم لم ترضوا بدفع هذا المبلغ فلا اقنع منكم الا بثمانمئة فرنك ! وقد حاولنا ان نثور عليه ، ولكن كيف ؟ ان هذه البلاد صغيرة والطائرة التي تغادرها الى نيروبي واحدة ولا تطير طائرة اخرى الا بعد خمسة ايام ، فكيف نسجن انفسنا ونعطل اعمالنا ؟ وكان مترجمنا رجلا يماني الاصل افريقي المولد والام يسمى يحيى عبد العزيز وهو الذي يسعى معنا في امور السفر جزاه الله خيرا، وكان

يحدث الموظف بالسواحلية ثم يترجم حديثه الينا بالعربية مع انه اي المترجم لا يعرف من العربية الا قليلا ، ولم يكن في مكتب الشركة كما هي الحال في اكثر المكاتب والدوائر الرسمية هنا من يعرف الانكليزية ، وقد قلت لمترجمنا انني ارى ان نشكو هذا الموظف الى رؤسائه البلجيكيين في شركة الطيران فقال : انني لا ارى فائدة من ذلك لانهم شركاء له في الرشوة ، ألم تسمعه يتحدث معنا بصريح العبارة على مسمع من الموظفين والموظفات البلجيكيات في المكتب ! وهذا امر عجيب كيف يسكت اولئك الاوروبيون الذين يدعون المدنية والتهذيب على ان يأخذ الموظف عندهم المال من الناس علنا بغير حق .

وهكذا رضخنا للامر ، وسلمناه ثمانمائة فرنك بورندي وهي تساوي بالصرف الرسمي اربعين ريالا سعوديا لاننا خشينا ان لم نسلمها له الا يحجز لنا اماكن حتى ولا يوم الاحد القادم . ان المبلغ ليس كبيرا ولكنه أخذ منا بالاكراه، وبغير حق ، وهذا شاهد من الشواهد على ان البلجيكيين وتلامذتهم من الافريقيين في مستوى منحط من الاخلاق ، وقد « قطعنا » تذاكر الى مدينة نيروبي عن طريق(انتيبة) في اوغندة ومن نيروبي ننوي السفر الى (اندولا) في روديسية الشمالية .

ومن الشركة قصدنا الفندق ووزعنا مبالغ مالية على

بعض الجمعيات والمدارس الاسلامية على عجل حيث لم يبق على سفرنا بالطائرة غير ساعتين .

عود الى نيروبي :

وفي تمام الساعة الواحـدة والنصف وصلنا مطـار بوزمبورا وانجزنا اعمالنا فيه بسرعة،وكانت المشكلةالمتجددة اننا لم نجد بين موظفي المطار من يعرف الانكليزية فضلا عن العربية.وقد ركبنا الطائرة وهي من طراز دس٦ تابعة لشركة طيران الكنغو التي هي فرع لشركة سابينا البلجيكية . وكان الحديث في الطائرة بالفرنسية ثم بالانكليزية لان معظم ركاب الطائرة من الاوروبيين كما هي الحال في اكثر الطائرات التي تعمل في افريقيـة ، وقد اعلن مكبر الصوت في الطائرة ان الرحلة ستدوم ساعة ونصفا الى انتيبة في اوغندة .اما رداءة الخدمة،وبخل الشركة ، فشيء لمأره فيغيرها منالشركات، اذ لم يقدموا لنا والوقت وقت غداء والرحلة ليست بالقصيرة الا كوبا من الكوكاكولا . وقـد شاهدنا من نافـذة الطائرة ارض افريقية الخضراء التي لا ينقطع المطر عنها وهي في معظمها اراض جبلية خضراء تتخللها الوديان العميقـة المكسوة بالغابات والتي كثيرا ما ترى المياه الجارية فيها من خلال الاشجار تنعكس عليها اضواء الشمس ، الا ان الذي شوه من جمال المنظر ان الطائرة اعلنت في منتصف الرحلة باللغة الفرنسية والتي لا نعرفها ، ما فهمنا منه انه ينبغيعلى

الركاب ان يشدوا احزمتهم لاننا مقبلون على جو سيء وقد ربطوا جميعا احزمتهم ، ودخلت الطائرة في ليل دامس من السحاب لا ترى مما فوقك ولا مما تحتك شيئا ولكنه لم يدم طويلا فقد تجاوزنا تلك المنطقة الى منطقة صاحية تمتعنا فيها بمرأى الارض الافريقية الخضراء .

وبعد مضي ساعة ونصف وصلنا المطار الدولي في (اتتيبة) في اوغندة فنزل عدد من الركاب ثم استأنفت الطائرة السفر بعد نصف ساعة الى نيروبي واستغرقت الرحلة من انتيبة الى نيروبي ساعة وعشرين دقيقة ، وكان الجو صاحيا، بدت ارض كينية من الطائرة مزروعة معمورة فيها الحقول الواسعة والاشجار المغروسة المنظمة .

وقد وصلنا مطار نيروبي قبل غروب الشمس بنصف ساعة ، وكان موظف الجمرك عربيا ، ما أن سمعنا تتكلم اللغة العربية ، حتى اسرع برسم علامة انتهاء التفتيش على حقائبنا ، وقال بالانكليزية : انني عربي الاصل من ممباسة، ولكنني لا اعرف من العربية شيئا ، وقد ذهبنا فورا الى مكتب الشركة في المطار ، وسألنا عن أول طائرة تسافر الى (اندولا) في روديسية الشمالية فلم نجد قبل يوم السبت القادم أي بعد ثلاثة ايام .

وهكذا عدنا الى نيروبي الجميلة او (هاف) لندن أي نصف لندن كما يسميها الاوروبيون ، وكان الجو فيها باردا

بالنسبة الى جو بوروندي واوغندة ، وقد عدنا اليها من حيث لم نكن نظن سوف نعود ولكنه عود حمدناه ،ولن يضيق الصدر من الرجوع الى نيروبي .



في بورندي ... ثانية



يوم السبت ١٥/ ٧/ ١٣٨٦ هـ
٢٩/١٠/١٩٦٦ م

قمنا مبكرين لاداء صلاة الفجر ،ثم شرعنا في اكمال عملنا في المساعدات المادية للجمعيات والمدارس الاسلامية وهو العمل الذي كنا قد بدأناه من قبل وظننا انه ينتهي عند منتصف الليلة البارحة ، ولم يبق على مغادرتنا اوغندة الا ساعتان ونصف وكان عملنا في ترتيب امر السفر مستعجلا ، كما ذهبنا الى مطار (انتيبة) الذي يبعد عن كمبالا (٣٥) كيلا على عجل ، ووصلناه قبل قيام الطائرة بربع ساعة ، ثم ركبنا الطائرة في تمام الساعة التاسعة والنصف .

عاصمة مملكة بوروندي ، وصلناها بعد مضي ساعة و٣٥ دقيقة في الجو ، وكانت الطائرة من طراز (فريندشيب) تابعة لشركة شرق افريقية للطيران ، وكنا خلال الطيران نسبح وسط لجة بيضاء من السحاب الكثيف الذي لا نرى معه شيئا اطلاقا ، وكانت الطائرة تتأرجح ذات اليمين وذات الشمال وترتفع وتهبط مما جعلنا طيلة الوقت او اكثره مشدودين بالاحزمة الى مقاعد الطائرة ، ولم يتمكن المضيفون من تقديم أي شراب او اي شيء آخر طيلة الوقت .ومما زاد الحال سوءا ان مقاعد الطائرة تئط وتصر حين يتكيء عليها الراكب لشدة قدمها ، وكان صوتها في مثل هذه الحالة مزعجا ، وعندما قاربنا بوزمبورا ، وخفَّت حدة اضطراب

الطائرة شممنا رائحة نار ففزع الركاب وكلموا المضيفة التي ذهبت الى الطيارين فكلمتهم ، ولكنها لم ترد علينا جوابا. ودام انبعاث رائحة النار حوالي ربع ساعة ثم زال ،فتنفسنا الصعداء .

سرقوا حقيبتي من جمرك المطار :

كنت اشعر ببقايا اسهال اصبت به في اوغندة مع بقايا انفلونزا ، وكنت لذلك متعبا ، وزادتني حالة الطائرة تعبا ، وكنت خائفا من التفتيش في بوزمبورا لانني احمل مبالـغ طائلة من الجنيهات الاسترلينية ولم اكن اخشى عليها مــن الاجراءات الرسمية فدخولي بها شرعي لا غبار عليه، ولكنني اخشى من أن يكون اكتشاف تلك المبالغ الكبيرة معي سببا لتدبير جريمة او سرقة ضدي ، ومع ذلك فقد نزلت الطائرة في المطار وذهبنا الى موظف الجوازات ولم نكــن نعرف الفرنسية ولا السواحلية التي لا يحسن الموظفون غيرهما ، تولت مساعدتنا في الترجمة مــن الفرنسية الى الانكليزية امرأة اوروبية كانت قادمة معنا بالطائرة ، وفي تلك الاثناء كان مَن انتهى مِن موظف الجوازات من المسافرين يذهب عند موظف الجوازات ، قال لي الاستاذ عبدالله الباحوث : ان حقائبنا قد حضرت،وهيموجودة الآنعلى منصةالتفتيش في الجمرك ، ثم قال لي بعد ذلك وهو منفعل : ان حقيبتك

قد اختفت ، فتركت الجوازات بعد ان أنهيت الختم منها وذهبت أفتش عن حقيبتي في الجمرك فلم أجدها، ولما لاحظ الموظفون اضطرابي سمحوا لي بالخروج قبل تفتيش الحقيبة اليدوية التي فيها الاوراق الهامة والصكات المالية ، وعندما خرجت الى ساحة المطار الداخلية وانا على تلك الحالة حاولت التفتيش عن حقيبتي المفقودة مع الركاب الذين خرجوا من الجمرك قبلي فلم أجد لها أي أثر ،ثم عدت ثانية الى الجمرك فلم أجدها . وقد وجدت في المطار ثلاثة من اخواننا المسلمين السنغاليين الذين جاؤوا الى بوزمبورا للتجارة في الماس بين الكنغو وبورندي وهم يتكلمون العربية بصعوبة ،فشرحت لهم موضوع الحقيبة فذهبوا معي الى الموظف المسؤول في مكتب شركة شرق افريقية في المطار وشرحوا له الموضوع بالفرنسية فطلب مني اقرارا بما تحتويه الحقيبة ورقم الايصال الذي احمله ثم قال : اننا سوف نبرق الى جميع محطات الطيران التي تتعامل مع مطار انتيبة فربما تكون الحقيبة هناك وقد ارسلت الى مطار آخر فقلت له : ان صاحبي قد رآها في جمرك مطار بوزمبورا ومعنى هذا انها فقدت وهي في عهدتكم بعد انزالها من الطائرة فقال : ربما يكون صاحبك غير متأكد ، ومع ذلك يمكنك أن تراجعنا ظهر يوم الاثنين القادم حيث ان الغد عطلة .

وهكذا ركبنا سيارة اخواننا السنغاليين من المطار الى فندق (بقداس) في بوزمبورا وهو اكبر الفنادق فيها وكانت

جميع ملابسي وحاجاتي بما في ذلك جهاز الراديو وبعض الادوية وحتى بعض مذكراتي اليومية في أخريات أيامي في كينية وأوغندة في الحقيبة المفقودة .

جولة في بوزمبورا :

خرجنا بعد العصر الى الحي الـــذي يوجد فيـه حوانيت بعض العرب العمانيين علنا ان نجد منهم من يساعدنا أو يواسينا ،وقد استعدت ذكرياتي في هذه المدينة قبل سنتين ولم أجد في بوزمبورا شيئا لم أره من قبل الا ما خيل الي أنه زيادة في عدد العاطلين والمحتاجين الذين ليس على بعضهم سوى خرق مهلهلة وقد رأيت في دكان اخينا العربي علي بن محمد الطوقي عاملين سألته عن اجر العامل اليومي منهما فقال انه (٢٠) فرنكا بورنديا أي حوالي ريال سعودي بالصرف الرسمي ، منه يأكل ويشرب ويسكن هو وعائلته ، ثم عدنا الى الفندق حيث تكرم بزيارتنا بعض اخواننا العرب مـــن الموريتانيين الذين جاؤوا الى بوزمبورا للاتجار في مـــاس الكنغو ، كما علم بمجيئنا بعض اخواننا من العرب ورؤساء المسلمين وقد أنسنا بهم كثيرا وكان في اجتماع العمانيـــين والموريتانيين عندنا في الفندق وهم يتفاهمون بلغـــة الضاد ما جعلني أزداد يقينا بأنه يجب على جميع المسلمين المحافظة على اللغة العربية بل والسعي لانتشارها وشمولها في جميع المسلمين ، لقد كان العماني على شاطىء الخليـــج في شرق

الجزيرة العربية يتكلم بسهولة مع اخيه العربي الموريتاني الذي يسكن ويعيش في شاطىء المحيط الاطلسي في أقصى غرب العالم العربي . أما اخواننا السنغاليون والمسلمون البوروندیون فقد أظهروا مشاركتهم لنا بالاسف لحادث اختفاء الحقيبة ووعدونا بالعمل على ارجاعها بقدر استطاعتهم من ذلك انهم قالوا : ان نائب قسم الترحيلات في المطار مسلم فلنذهب اليه ونخبره بحادث الحقيبة ، وهكذا ذهبنا مع رئيس الجمعية الاسلامية الشيخ سعيد جمعة مهيهي اليه وبعد ان رحب بنا طمأننا انه لا يحتمل ان تكون الحقيبة قد سرقت من المطار لان الحراسة ــ فيما يقول ــ شديدة وقال : انه من المحتمل ان تكون قد ضمت غلطا الى متاع شخص آخر ،ومع ذلك فقد وعدنا ان يخرج غدا الى المطار ويتأكد من جميع الامكنة فيه، فشكرناه وعدنا الى الفندق.

يوم الاحد ١٦/ ٧/ ١٣٨٦ هـ
٣٠/١٠/١٩٦٦ م

ذهبنا الى مطعم الفندق لتناول طعام الافطار ، وعلى ذكر المطعم فقد كانت اسعاره غالية فوجبة العشاء كلفت مئة وخمس وسبعين فرنكا أي ثمانية ريالات ونصف للشخص الواحد تقريبا ، خلاف ما عليه الحال في اقطار شرق افريقية التي مررنا بها .

وبينما كنا نتناول الفطور اذ شعرنا بصوت يشبه صوت القطار التي يتمهل في سيره مع تحرك الارض بنا مرتين، فقلت للاستاذ عبدالله ان هذا زلزال نرجو الا يتكرر فقال : لا حول ولا قوة الا بالله . أزلزالان زلزال في الارض وزلزال في الطائرة ، ثم عرفنا بعد ذلك ان بعض الناس قد فزعوا وخرجوا الى الشوارع ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

هذا وقد خرجنا للمطار وفتشنا عن الحقيبة مرة ثانية فلم نجدها وقال لنا مكتب الشركة انهم بعثوا برقيات الى انتيبة ، ونيروبي ،وكنشاسا ، وكيقالي عاصمة رواندا ،وهم ينتظرون الجواب .

يوم الاثنين ١٣٨٦/٧/١٧ هـ
٣١/١٠/١٩٦٦ م

قالوا لنا ونحن ننتظر بفارغ الصبر بزوغ شمس اليوم لنتمكن من اخذ التأشيرات اللازمة لنا من بعض السفارات الاجنبية وللسؤال عن حقيبتنا المفقودة في المكتب الرئيسي للشركة ، لاننا لم نتمكن من عمل ذلك أمس الاحد لانه يوم العطلة الاسبوعية . قالوا لنا : ان هذا اليوم الاثنين ايضا عطلة رسمية لمناسبة عيد العمال وجميع المؤسسات والدوائر الرسمية وغيرها فيه مغلقة وقد حضر الينا بعض اخواننا

المسلمين من اعضاء الجمعية الاسلامية وقالوا : ان لهم أخا مسلما من موظفي المطار يعرف جميع العمال فيه حتى من اشتهر منهم بالسرقة وسوف يبحث معهـــم ليعرف ما اذا كانت الحقيبة قد سرقت فعلا ام ضاعت قبل ان تصل الى المطـــار .

هذا وقد توارد الينا في الفندق اخواننا من زعمـــاء المسلمين هنا وعامتهم ، وكنت قد تعرفت على كثير منهم في المرة الماضية ، وقد طلبوا مني ان يجمعوا المسلمين في بناية المدرسة الاسلامية لكي نتحدث اليهم عن مهمتنا فأجبتهم الى ذلك وذهبت فعلا بعد صلاة العصر الى مكان الاجتماع وكان أكثر زعماء المسلمين حاضرين ومنهم الحـــاكم المسلم الوحيد في احـــدى النواحي في بوروندي ، وبعد ان رحب رئيسهم بنا وتكلم منهم خطيب عن الجميع رددت عليه بكلمة بينت فيها أثر الاخوة الاسلامية وقوة ذلك في الجمع بـــين المسلمين ، ثم شرحت الغرض من مهمتنا هنا في بوروندي وفي غيرها من البلاد الافريقية ، واخبرتهم ان دار الافتاء سترسل اليهم مدرسين اثنين نرجو أن يكونا الدفعة الاولى مـــــن المدرسين ، وان الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة قـــــد خصصت لابنائهم خمسة مقاعـــد على شكل منح دراسية يمكننا نحن ان نختار اللائقين من الطلاب لملئها ونقوم بدفع تذاكر اركابهم وترحيلهم الى المدينة المنورة قبل سفرنا اذا أمكن ذلك ، كما أننا على استعداد لان نقدم لهم مساعدات

مالية رمزية للجمعيات والهيئات والمدارس الاسلامية من الآن ،فسروا لذلكودعوا لله سبحانهوتعالى ان يحفظ جلالة ملك المملكة العربية السعودية فيصل المعظم ، كما شكروا المسؤولين في دار الافتاء والجامعة الاسلامية .

يوم الاربعاء ١٩/ ٧/ ١٣٨٦ هـ
٢ /١١/ ١٩٦٦ م

قمنا بجولة على المدارس والكتاتيب الاسلامية الموجودة في منطقة (فابوروا) قرب بوزمبورا العاصمة ، وقد سرّنا ما رأينا فيها من جهات وساءنا من جهة ، لقد سررنا لوجود الكتاتيب المذكورة تدرس اطفال المسلمين من بنين وبنات باللغة العربية لغة القرآن الكريم مبادىء الدين الاسلامي الحنيف ، وذلك على قلة الامكانيات ، وبعد الشقة بينهم وبين اقطار المسلمين وساءنا ان وجدنا تلك الكتاتيب على حالة من سوء الامكنة وقلة التهوية وقلة الادوات المدرسية بل وانعدامها في بعض الحالات . فبعض المدارس لا توجد فيها فرش فضلا عن مقاعد يجلس عليها الطلبة .

اما اسماء المدارس فهي اسلامية وان كان فيها نوع من الغرابة بالنسبة الىما ألفناه من الاسماء فيبلادنا ،فمثلا رأينا اليوم مدرسة اظهار الحق لصاحبها عمر باروتي . مدرسة السفينة الاسلامية لصاحبها عبدالله دسترر. المدرسة النسائية

الاسلامية في مسجد النور في بويانزي . المدرسة الحسينية لصاحبها محمود حسين نيزلو . مدرسة الدعوة في بويانزي لصاحبها حسن سعدالله .

لقد كنا نتجول على المدارس والمساجد بالسيارة والمطر يهطل مدرارا . وكان اخواننا يستقبلوننا بل ويتجمهرون نساء ورجالا لاستقبالنا على تلك الحال مما زاد في نشوتنا وحماسنا ولا ننسى ما قام به الاستاذ يوسف أليمنغو نائب رئيس جمعية الطلاب الافريقيين المسلمين في بوروندي من جهود طيبة في هذا الموضوع من اهمها مرافقتنا في جولاتنا للترجمة ولو كان في ذلك تعطيل عمله طيلة حاجتنا اليه .

يوم الاحد ٢٣/ ٧/ ١٣٨٦ هـ .
٦ /١١/ ١٩٦٦ م .

خرجنا بعد العصر مع احد الاصدقاء العرب بسيارته الخاصة وهو الشيخ علي بن محمد الطوقي من عمان الى نزهة على شاطىء بحيرة تنجانيقة الذي تقع عليه مدينة بوزمبورا . وسرنا على الطريق المحاذي للشاطىء والمؤدي الى الكنغو حتى لم يبق لنا الا عدة كيلوات على الوصول الى حدود الكنغو . وكنا نشاهد اكواخ الاهالي المبنية من القش وقد تطامنت حتى كادت تغيب بين الحشائش

والاشجار الصغيرة . وعندما ترى احد الاهالي حافي القديمين قد وضع على عورته وبعض صدره خرقا متسخة ، فانك ترهب ذلك وتخشاه وتشفق على استقلال البلاد ، صحيح ان هؤلاء قرويون وان هناك بعض الوطنيين ممن ارتفع مستوى معيشتهم ولكنهم قلة قليلة جدا . وكانت هذه مناسبة ليقول احد اصحابنا وهو يشير اليهم والى مساكنهم انهم وقد مضى على حصولهم على الاستقلال اكثر من اربع سنوات اسوأ اقتصاديا مما كانوا عليه قبل ذلك بكثير .

ثم تحدث الينا صاحبنا العماني لمناسبة وجودنا قرب ميناء (بوزمبورا) على شاطىء بحيرة تنجانيقة عن الحقيبة المفقودة فكرر ما رواه لنا احد الاشخاص العمانيين انه منذ سنتين سرق من جمرك بوزمبورا مئتا بالة من القماش زنة كل واحدة مئتا كيلو غراما ، ولكن كيف يكون ذلك ؟ وكيف تسرق هذه القطع الثقيلة الكبيرة ؟. لا شك ان السبب في ذلك ان جماعة كبيرة من موظفي الجمرك قد اشتركوا في سرقتها لانه لا يمكن اخفاؤها . ثم قال الشيخ علي بن محمد الطوقي انه منذ شهرين فقط سرق من الجمرك ايضا ثمانون بالة من القماش كانت مرسلة بطريق التجارة العابرة (ترانزيت) الى بوكافو في الكنغو ثم قال : فاذا كانت هذه الاشياء الكبيرة الحجم الثقيلة الوزن قد سرقت فما

بالك بحقيبة يمكن اخفاؤها بسهولة ؟ .

ثم جلسنا مع صاحبنا على شاطىء بحيرة تنجانيقة على يميننا جبال الكنغو وعلى يسارنا مدينة بوزمبورا ومن خلفها جبال بورندي ، والجو غائم والنسيم عليل ، وقد توقف المطر لفترة قصيرة وكان قبل ذلك يهطل طيلة النهار يذكر المرء بجو أوروبة في الصيف لولا عدم البرد .

البهوت والأطوس :

يسكن بورندي ورواندا جنسان من الناس احدهما يقال لهم الاطوس ، وهم طوال الاجسام شم الانوف ، واسعو العيون يكادون يشبهون الصوماليين وهم الاقلية في القطرين ولكنهم كانوا اصحاب الحكم والصولجان ، ومنهم الوزراء والزعماء وقواد الجيش .

والجنس الثاني البهوت وهم قصار القامة فطس الانوف ، يشبهون الى حد ما أهالي شرق الكنغو ،بل هم يقولون انهم وأهالي شرق الكنغو من عنصر واحد وهم الاكثرية في القطرين ولكنهم كانوا المحكومين في السابق، الا انهم ثاروا على الاطوس في رواندا بعد حصول البلاد على الاستقلال وشردوا عشرات الالوف منهم وعاملوهم بوحشية حتى مات بعضهم جوعا ولجأ بعضهم الى بورندي المجاورة التي لا يزال يحكمها الاطوس .

يوم الاثنين ١٣٨٦/٧/٢٤ هـ .
٧/١١/١٩٦٦ م .

اللغــة :

يتكلم المسلمون في بورندي اللغة السواحلية وليس لهم لغة غيرها ، ويتكلم معظم الاهالي لغة البورندي الى جانب معرفتهم بالسواحلية ، والحاصل ان اهالي البلاد عندما يتقابلون سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين فانما يتفاهمون بالسواحلية مما يؤكد اهمية السواحلية في شرق افريقية ووسطها ، وقد قيل لنا ان الحال كذلك في رواندا وشرق الكنغو وقد عانينا هنا صعوبة في اللغة حيث لا يعرف الناس من اللغات الاوروبية سوى الفرنسية لغة المستعمرين السابقين ونحن لا نعرفها .

الا ان وجود عدد من اخواننا العرب العمانيين في بوزمبورا قد خفف علينا من ذلك . وتسمع الاذاعات العربية وخاصة اذاعات المملكة العربية السعودية ومصر والسودان واضحة في منطقة بوزمبورا سواء على الموجة المتوسطة ليلا او القصيرة نهارا .

اللبــاس :

اما اللباس فالمسلمون يلبسون لباس المسلمين

السواحليين في زنجبار وممباسة ودار السلام ، وهو اشبه ما يكون باللباس العربي القديم : قميص طويـل يضرب الى الكعبين (جلابية) وفوقه صدري ، ثم علـى الرأس طاقيـة واذا احتاج المسلم الى ارتداء الزي الافرنجـي فانه يفعل ذلك ولكـن لا بد مـن ان يلبس الطاقيـة لكي تكون علامة على انه مسلم . وهكذا كنا كثيرا ما تتعرف على المسلميـن بسبب طواقيهم .

اما لباس الاهالي مـن غير المسلمين فقد ذكرته سابقا ومـن اغرب ما رأيته ان شخصيـن مـن اهل الباديـة بادية بورندي من الفقراء قد لبس كل منهمـا كيسا مـن الخيش فتح في اسفله شقا ادخل منه رأسه وفتح شقيـن آخريـن اخرج منهمـا يديه فبدا للعيان وهـو يلبس (الشوال) حقيقة وليس موضة الشوال .

اما الطعام فأغلب طعام أهل البلاد هو (الموهوقو) وهـو عبارة عن عصيـر من البطاطا بعد طبخه ومعالجته ، ويأكل بعضهم (الموتوكو) الموز المطبوخ كما قدمت ، وقد يأكلون شيئا يشبه الفاصوليا بعد طبخه ، وكـل هـذه المأكولات مما تنتجه بلادهم ويزرعونه بأيديهم ، أما خبـز القمح والارز فغير معروف اصلا لعامتهم كطعام رئيسـي عام ، وجو بلادهم يجعل الزراعـة سهلة ميسـورة لأن المزروعات جميعهما تشرب مـن ماء المطر ومشاريع الري

الزراعية تكاد تكون عندهم معدومة ، واذا تأخر المطر شح الطعام الى درجة ان بعض الناس يموتون جوعا أو يكادون وذلك لان الزراعة عندهم بدائية والاهالي على جهل عظيم بالزراعة الحديثة ، حتى ان المرء يأخذه العجب عندما يقارن بين هؤلاء القوم وبين جيرانهم الاوغنديين حيث يكون للافريقيين في اوغندة نصيب كبير في التجارة ولهم كل الزراعة الا ما ندر وهم أي الاوغنديون على حالة طيبة من اليسر والرخاء يغبطون عليها ، اما لباس العرب في بوزمبورا بل في كافة انحاء بورندي وروانـدا وشرق الكونغو فهو اللباس العماني وهم بين الناس كالعلم الذي في رأسه نار لأن على رؤوسهم العمائم الكبيرة التي تميزهم عن غيرهم الى جانب كونهم يسكنون مع الافريقيين ويختلطون بهم كالزهرة الصفراء في الحقل الاخضر .

أما ابناؤهمفقد شوهتهم شمس افريقية حتى اصبحوا الحلقة التي لم تفقد بين العرب والافريقيين ، وحتى ان اكثرهم لا يعرفون من العربية الا كيف حالك ، وجوابها طيب ، ان لم يقولوا (مزورى) أي طيب بالسواحلية .

الخدم بالمجان :

ليس هناك أزمة خدم في بوزمبورا بل في بلاد بورندي وروانـدا جميعها فقلّ ان تجد شخصا من العرب

أو الاوروبيين الا ولديه جماعة من الخدم وقد سألنا عن السبب فعرفنا أن ذلك راجع الى رخص الاجرة ، ويكفي ان تعرف أن الخادم ولو كان رجلا بالغا يمكنه ان ينفق في خدمتك من الفجر حتى الغسق بل والى ان تصرفه ولا يتقاضى عن ذلك الا ثلاثمائة فرنك في الشهر أي ما يساوي (١٥) ريالا سعوديا بالصرف الرسمي . وقد وجدت عند الاخ الشيخ محمد الطوقي عددا من الخدم الافريقيين الذين يحسنون الكتابة ويقيدون ما يستلمونه منه من البضائع في أول النهار ثم يقدمون كشف حساب بقيمة ما باعوه من البضائع وما تبقى منها لديهم ، فذكر انه يعطي الواحد منهم عشرين فرنكا بورنديا في اليوم أي ريالا سعوديا وربعا في السعر الرسمي مع انهم كما قلت لديهم خبرة في البيع والشراء والاخذ والعطاء وقيد القيمة واستلام الثمن ، ولهذا السبب تجد الخدم في بعض البيوت اكثر من عدد سكانها الاصليين ، وهم على طاعة عجيبة وانقياد كامل لا يكاد السيد يشير اليهم حتى ينطلقوا كالسهام منفذين أمره، ولو كان ذلك وقت المطر او اشتداد حرارة الشمس ، وقد قيل لنا ان الخدم كانوا في الماضي اقل اجورا منهم الآن .

الاجانب في بورندي :

كان اكثر الاجانب في بورندي قبل الاستقلال

الاوروبيين يليهم الآسيويون والاولون يشملون البلجيكيين من الحكام واليونانيين من التجار وغيرهم. اما الآسيويون فهم الهنود والعرب وقد تناقص عدد الطوائف كلها من الاجانب ما عدا العرب ، فرحل البلجيكيون الا القليل وكذلك فعل اكثر الهنود وعدد الموجودين من اليونانيين والهنود يتناقص كل يوم ، منذ اعلان الاستقلال حتى الآن .

يوم الاربعاء ٢٦/٧ /١٣٨٦ هـ .
٩ /١٩٦٦/١١ م .

العودة الى نيروبي :

بعد ان عجزنا عن الحصول على اذن بالدخول الى الكونغو من السفارة الكنغوية في بوزمبورا وعجزنا كذلك عن الحصول على سمة الدخول الى زامبية بسبب عدم وجود من يمثلها في بوزمبورا ، حولنا وجهتنا مرة اخرى كما فعلنا قبل سنتين الى نيروبي عاصمة كينية حيث سنحاول الوصول الى البلدين المذكورين (الكونغو وزامبية) من طريق اخرى .

وهكذا ركبنا طائرة شرق افريقية للطيران وحطت بنا في اتيبة في أوغندة ، واجرى الموظفون فيها التفتيش على امتعتنا مع اننا قاصدون لكينية ولكن البلدين

يشتركان في وحدة جمركيـة ، وبعد ان لبثنا ساعة كاملة في أتنيبة ركبنـا طائرة اخرى تابعـة لشركة خطوط شرق افريقيـة للطيـران قـاصدين نـيروبي وكانت المسافـة بينهمـا ساعة وثلثا . وفي مطار نيروبـي ذكـر ضابط الجوازات وهـو انكليـزي أن سمة العودة التي توجـد في جوازاتنـا قد اصبحت لاغية لاننا غادرنا منطقة شرق افريقـية التي تضم أوغندة وتنزانية الى جانب كينية ، وان القانون يجيز اه ان يعيدنا من المطـار ، الا انه بعـد ان تحدثنا معه قليـلا سمح لنا بالدخول وختم جوازاتنا ،وقد عرفنا بعد ذلك من أحد الموظفين العرب، ان ذلك الانكليزي هو رئيس جوازات المطار وانه ليس لاحد من الموظفين حق ادخال امثالنا ما عداه .

واسرعنـا العودة الى فندقنـا في نيروبي على امل مبارحتها بعد ذلك الى قطر افريقي آخر .

المسلمون في بورندي



تعتبر مدينة بوزمبورا العاصمة اكبر نقطة تجمع للمسلمين في مملكة بورندي ، ويقدر عدد المسلمين فيها بما يعادل ٢٠٪ من مجموع المسلمين في جميع انحاء مملكة بورندي . اما الباقي فهم متفرقون في انحاء المملكة. ويتكون السواد الاعظم من المسلمين هناك من الافريقيين الذين اسلموا على ايدي اهالي تنجانيقة من العرب والسواحليين . كما يليهم العرب من العمانيين الذين يكثرون هناك ويقدر عددهم في بوزمبورا العاصمة بمائتي عائلة ويعتنقون جميعا المذهب الاباضي . ثم يليهم المسلمون من الهنود ،وهؤلاء هم اعلى المسلمين مستوى من الناحية المادية حيث يكون معظمهم من التجار او اصحاب الاملاك . اما العرب فان حالتهم المادية لا بأس بها ، واكثرهم يشتغلون بالتجارة وقليل منهم من يشتغل بالزراعة . اما المسلمون الافريقيون فانهم ضعيفون ماديا ولكنهم على كل حال احسن من السواد الاعظم من مواطنيهم الافريقيين غير المسلمين . ويشتغل بعضهم بالتجارة ، وبعضهم في الزراعة .

ويقدر عدد المسلمين في جميع انحاء بورندي بخمسة وثمانين الفا ، وهم قلة ضئيلة بالنسبة الى مجموع عدد السكان الذي يبلغ حوالي مليوني نسمة ، واكثر السكان وثنيون ومن السهل نشر الاسلام بين الوثنيين في افريقية كما اثبتت التجارب ذلك .

عمـــل البعثة :

لقد قامت البعثة الى جانب الاتصالات الشخصيـة برؤساء المسلمين وزعمائهـم بالقـاء الخطب والعظـات الدينية في المساجد وكان اكبر اجتماع للمسلمين في جامع بينزي في بوزمبورا حيث كانوا على علم بوصولنا ، وقـد شرحنـا لهم مهمـة البعثة واهداف رحلتها وكان الحديث بالعربية ويقوم بترجمته الى اللغة السواحلية احد الاخوان البورنديين الذيـن يحسنون العربية ، كما قامت بتفقـد المدارس والكتاتيب الاسلامية هناك وقدمت لها مساعدات مالية رمزية ، كما كانت تنتهز الفرصة فتصحح الاخطـاء التي تكون قد علقت في اذهان بعض المسلمين عن الوضع الديني في المملكة السعودية شأنها في ذلك في كل بلـد اسلامي حلته وكل ما اقتضت المناسبة ذلك ، كما تشرح الغرض مـن انشاء الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة وهو لتعليـم ابنـاء العالم الاسلامي حتى اصبح فيها لغاية الآن طلاب ينتمون الى اكثر من ٦٠ جنسية .

ولم تتمكـن البعثة مـن زيارة انحاء اخرى مـن مملكة بورندي بسبب ضيق الوقت من جهة وسبب كـون السفر ممنوعا الى اية مدينة او ناحية في البلاد الا بتصريح خاص مـن الامـن العام وذلك لظـروف الثـورة والاضطرابات التي تكشف البلاد مـن اكثر جهاتـها في الكنغو ورواندا .

الدعوة الاسلامية في بوروندي :

يصح القول بان المسلمين في بوروندي حديثو العهد بالاسلام ويقل في الافريقيين من جده مسلم وانما المسلم من اسلم بنفسه او هو وابوه او ابوه فقط [1] ومع ذلك فان النشاط الاسلامي هناك وخاصة من الافريقيين لا بأس به على قلة الامكانيات وضعف مستوى التعليم وضحالة الثقافة الاسلامية والعربية .

وكثيرا ما يدخل افراد وطوائف من الافريقيين في الاسلام بسبب جهود المسلمين الافريقيين هناك . وقد ساعد الافريقيين على ذلك موقف الحكومة الحاضرة في بوروندي حيث تقف من المسلمين موقفا وديا . وتمنح لهم ولكل داع الى الاسلام الحرية الكاملة ، وتفتح بلادها لكل لاجيء من رواندا او مناطق الاضطرابات في الكونغو وخاصة من العرب العمانيين هناك . كما انها تسمح بتخصيص فترة من الوقت في الاذاعة الحكومية في بوزمبورا للمسلمين مساء كل خميس لمدة نصف ساعة يذيعون فيها الارشاد الديني الاسلامي .

---

١ ـ ويقال ان اول مسلم دخل بوروندي كان رجلا يدعى محمد ابن خلفان وهو عماني جاء تانجانيقا حوالي عام ١٨٦٠م واول مسجد بني في بوروندي كان في عام ١٩٠٢ .

الجمعيات الاسلامية :

يوجد في بورندي ثلاث جمعيات اسلامية احداها (جمعية المسلمين السنيين) وهي وان كان اسمها عاما فانها تقتصر على المسلمين السنيين الهنود ويرأسها الشيخ ثار محمد سليماني وهو باكستاني الجنسية . ونطاق جهودها محدود بسبب قلة عدد اعضائها وضعف مواردها .

والثانية (الجمعية الاسلامية الافريقية) وتعرف اختصارا باسم (امبو) ويرأسها الشيخ جمعه بن بلال وهي تعنى بشؤون المسلمين الافريقيين وتجمع التبرعات لبناء المساجد وترميمها ولمساعدة الكتاتيب الاسلامية الافريقية ، ويمكن القول بان اكثر الافريقيين يثقون بهذه الجمعية . فهي بحق جديرة بالمساعدة والتعضيد وقد ذكر لنا رئيسها انهم كتبوا لبعض البلاد العربية يطلبون ارسال عدد من المرشدين والمدرسين لتبصير المسلمين وللتبشير بالدين الاسلامي ولكن لم يستجب لدعوتهم غير المملكة العربية السعودية .

والثالثة (جمعية الطلبة الافريقيين المسلمين) ويرأسها الحاج سعيد جمعه مهيهي وقد سبق له ان ادى فريضة الحج واتصل بالرابطة الاسلامية طالبا تزويد بورندي بمرشدين ومدرسين ومساعدة الجمعية الاسلامية المذكورة كما كتب للجامعة الاسلامية في هذا السبيل

وهو شخصية محترمة ، ولوجوده على رأس الجمعية المذكورة له فائدة كبيرة لشخصيته القوية .

التعليم الاسلامي :

لا يوجد في بوروندي تعليم اسلامي نظامي بالمعنى المعروف ولكن يوجد عدة مدارس وكتاتيب يتعلم فيها اطفال المسلمين اما كطلبة منتظمين واما كطلبة يحضرون في غير اوقات الدراسة في المدارس الحكومية النظامية اي بعد العصر وفي العطل الاسبوعية . ومع ذلك فتلك الكتاتيب الاسلامية لا تحظى بمساعدة تذكر ، لذلك فان مستواها من حيث البناء والتجهيز منخفض ومدرسوها قلة وتلاميذها معظمهم من الفقراء ما عدا الكتاتيب العربية حيث يكون مستوى المدرسة المادي اعلى من ذلك وحيث يكثر الطلبة في المدرسة بعد العصر ، وقد تفقدت البعثة الكتاتيب الآتية وقدمت لها مساعدات مادية كما خصصت لها عددا من الكتب والاجزاء القرآنية الكريمة .

النشاط المعادي للاسلام :

لا يوجد عداء مباشر للاسلام ولكن توجد في بوروندي حركة تبشيرية كبيرة حتى اصبح عدد المؤسسات التبشيرية في العاصمة بوزمبورا وحدها اكثر من (٢٠)

مؤسسة مع ان عدد سكانها لا يزيد على (٤٥) الفا ومن بين تلك المؤسسات المدارس الكبيرة التي تضم الاقسام الداخلية والمستشفيات الكاملة التجهيز ، وتبدو احدى هذه المؤسسات التبشيرية لكل امرىء يصل بوزمبوراوهي كلية لتخريج المعلمين على جبل مطل على العاصمة .

كما يوجد نشاط صهيوني كبير في الميدان التجاري ، ويملك اليهود عدة شركات ومحلات تجارية منها شركة لتصدير محصول البلاد من البن بعد طحن قسم منه وتعليبه .

الاقتراحات :

اولا : فتح مركز اسلامي في العاصمة بوزمبورا يضم قاعة محاضرات ومدرسة لاعداد معلمي الدين الاسلامي واللغة العربية ويضم عددا من المرشدين لا يقل عن خمسة على ان يكون اولئك المدرسون ممن يعرفون الفرنسية او السواحلية اذ لا تكفي معرفة الانجليزية لعدم شيوعها هناك. على ان يزودوا بامكانيات مادية تكفي لتشجيع الدعوة ومساعدة الدعاة في بوروندي وغيرها من البلدان المجاورة كأقليمي كيفو وأرينتال في الكنغو وجمهورية رواندا . ويكون بمجموعه بمثابة مركز انطلاق للدعوة الاسلامية في تلك الجهات .

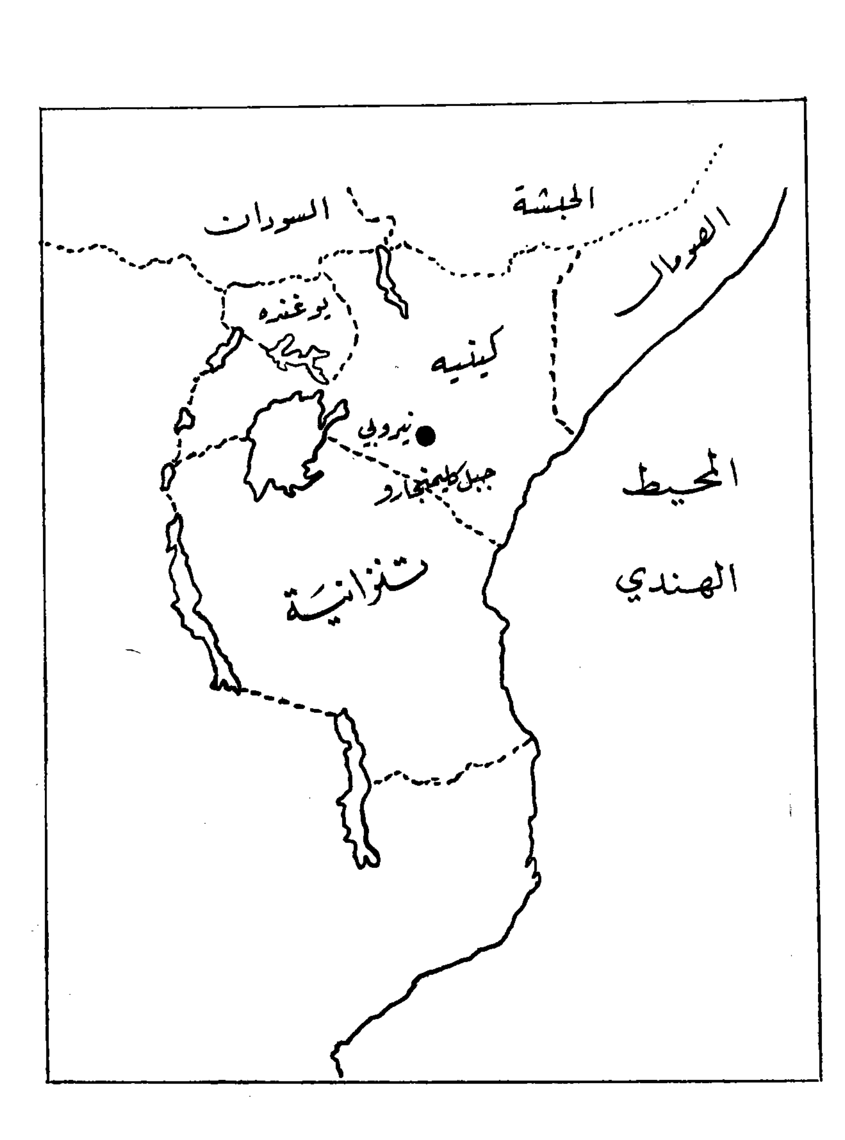
ب ـ تخصيص عدد كاف من المنح الدراسية في

الجامعة الاسلامية وغيرها من المدارس الحكومية في المملكة للطلبة المسلمين من بورندي والجهات المجاورة لها حتى يعودوا الى بلادهم بعد ذلك مرشدين وموجهين.

ج ـ مواصلة ارسال المساعدات المادية العاجلة للجمعيات والهيئات والكتاتيب الاسلامية ضمن المساعدات المادية المطلوب ارسالها الى جهات شرقي افريقية .



في روديسية الشمالية (زامبية)



الحبشة
السودان
الصومال
يوغنده
كينيه
نيروبي
جبل كليمنجارو
المحيط
الهندي
تنزانيــة

يوم السبت ١٨/٦/١٣٨٤ هـ.
٢٤/١٠/١٩٦٤ م.

السفر الى روديسية الشمالية :

بكرنا في الخروج الى مطار نيروبي وكان الجو ماطرا باردا في ذلك الوقت من النهار ، وقد لبثنا في المطار مدة تقرب من الساعة ، وفي تمام الساعة الثامنة الا ربعا صباحا غادرت طائرتنا مطار نيروبي وهي من طراز (فريندشيب) ذات محركين (طوربينيين) تابعة لشركة طيران شرق افريقية وتتسع لاربعين مسافرا . وكان ملاحو الطائرة كلهم من الانكليز اما المضيفان فهما رجل حبشي الاصل يعرف قدرا من العربية ، وفتاة انكليزية وكانت الخدمة حسنة ، ولم يكن في الطائرة الا أقل من نصف مقاعدها مشغولا بالركاب ، وكلهم من الاوروبيين عدا هنديا واحدا وليس بينهم افريقي واحد .

جبل كليمنجارو :

وبعد ان مضى على مغادرتنا مطار نيروبي (٣٥) دقيقة جاء المضيف واخبرنا ان الطائرة سوف تمر في قمة جبل كليمنجارو الشهيرة ، وهي اعلى قمة في افريقية ويبلغ ارتفاعها اكثر من (١٧) الف قدم ، وقد تحولنا عن مقاعدنا الى الجانب الآخر من الطائرة فأخذنا نشاهد

الجبل العظيم وهو يرتفع شيئا فشيئا مع قرب الطائرة منه ، والسحاب يجلله صاعدا معه ، ثم يقف السحاب دون هامته العالية ، التي ازدانت بقلنسوة بيضاء من الثلج الدائم ، وهي تلمع في ضوء الشمس ، وقد شاهدنا الثلج ينضح منه الماء منحدرا الى سفح الجبل . وفي الهامة المستديرة المستوية تقع فوهة بركان واسعة باطنها يبدو لنا مظلما كأنما هي البئر المطوية في جوف الارض في الصحراء .

انه لمنظر رائع جميل لا يحلم المرء برؤيته لأن معظم الطائرات كانت تمر به من بعد ، اما قائد طائرتنا فقد تعمد المرور بقربه ، والدوران حول قمته ، ثم انحرف الى الخط المقرر بعد ان أمتع الركاب برؤيته .

وقد قدم المضيف للركاب شطائر من لحم الخنزير وقال لنا مقدما انها لحم خنزير ، وانا اعرف انكم مسلمون لا تأكلونه ، وسوف نعوضكم عن ذلك ، ثم احضرت المضيفة شيئا من البسكوت وانواعا اخرى من الحلوى .

والحقيقة ان تلك الطائرة طائرة الصداقة لها من اسمها نصيب ، فقد نشأ بين ركابها ما يشبه الصداقة عندما مررنا بجبل كليمنجارو وخرج بعض الاوروبيين عن تزمتهم واخذوا يشيرون الى بعض النقط التي تسترعي الانتباه في قمة جبل كلمينجارو ويوضحونها لنا .

هذا وقد مررنا بعد ذلك بعدد مـن الجبال الشاهقة والقمـم المرتفعـة وبعضها فوق مستوى السحاب الا انها ليست في روعة (كليمنجارو) ولا في سموقه . وقد خفت كثافة السحب فاصبحنا نرى الارض من تحتنا جبليـة قليلة الخضرة نسبيـا ولا غرو فنحـن الآن فـوق ارض المراعي التي تقطنها قبائل الماساي الرعاة المشهورين .

وبعد ان امضينـا ساعة وربعا واصبحنـا نطير على ساحل المحيط الهندي ، اشار المضيف الى الافق الشمالي وقال هنـا جزيرة زنجبار فرأيناها على البعـد ولكننا لم نتبين مـن معالمها شيـئا وبعد قليل لمحنـا مدينـة دار السلام وهي تقع في منطقة خضراء ولكنها ليست في كثافـة خضرة اوغندة .

في مطـار دار السـلام :

هبطت بنا الطائرة بعد ان امضينا في الجو ساعتـين الا ربعا في مطار دار السلام عاصمة تنجانيقة ، بل عاصمة جمهورية تنجانيقة وزنجبار المتحدة . وقد بدا المطار حقيرا بالنسبة الى مطار نيروبي ومتوسطا في الحقيقة ولكنه دون مطارات العواصم في شرقنا العربي بكثير . وقد امضينا فيه مدة نصف ساعة في قاعة المسافرين العابرين ، تناولنـا المرطبات على حساب الشركة ثم عدنا .

الى الطائرة ثانية :

الطائرة نفسها ولكن طاقم ملاحيها ومضيفيها قد تغير فقد استبدلوا المضيف الافريقي والمضيفة الانكليزية بفتى وفتاة من الانكليز وقد ركب من المسافرين بمقدار عدد الذين نزلوا تقريبا . ولم يكن في الطائرة من الافريقيين غير شخص واحد يبدو من هيئته ومن حقيبته التي يحملها انه دبلوماسي . اما اكثر ركاب الطائرة فهم من الاوروبيين وفيها هنديان ونحن العرب الثلاثة .

وفور اقلاع الطائرة وزعت علينا المضيفة الانكليزية الاستمارات التي يملؤها القادمون الى روديسية الشمالية مع ان هنالك متسع من الوقت والرحلة تستغرق ثلاث ساعات ونصفا متواصلة ، كما اعلنت ذلك مضيفة الطائرة وقد تبينا السبب وهو طول تلك الاستمارات ودقتها بل وتعقيدها وكثرة التعهدات التي يجب على القادم ان يوقع عليها ويتعهد بتنفيذها واكثرها اقرارات تتعلق بتبيان الاشياء التي لا ينبغي ان يجهلها المسافر ، والاشياء التي لا يجوز له ان يخرجها عند مغادرته لروديسية ، وعلى وجه العموم فهي اطول واصعب استمارات رأيتها في حياتي .

وقد كان طيران الطائرة سَجْسجاً رخاء لا نشاز فيه، وكانت خدمة المضيفين فيها طيبة ، وقد اصبحنا نرى ارض

القارة الافريقيـــة من الطائرة ، هنا حمراء مشوبة بالسواد أي دهماء تتخللـــها وديان وأكمات حمراء اللون وتبـــدو بعض خطوط السيارات غير المعبدة شديدة الاحمرار ، وقد تكرر معنـــا موضوع اللحم فقد قدموا للركاب الغـــداء وسألنا المضيفة وهي تستعـــد لتقديمه عـــن اللحم فقالت انه لحم خنزير . فقلنا اننا مسلمون ولا نأكل لحم الخنزير فقالت انني أعرف ذلك وسوف اقدم لكم لحم دجاج . كما انها قدمت بعد ذلك للركاب اقداحا من البيرة وقدمت لنا عصيـــر البرتقال عوضا عنها .

وقد دام طيـــران الطائرة ثلاث ساعات ونصفا تمتعنا خلالها في اكثر الوقت بمنظـــر ارض القارة الافريقيـــة الذي اخـــذ يتحول مـــن مناظـــر الغابات والاشجـــار الكثيفـــة فوق الجبال التي لا تبعـــد كثيرا عـــن ساحـــل المحيـــط الهندي الى مناظـــر جبليـــة لا تكون الخضرة فيها كثيفة الا في الوديـــان .

وفي تمام الساعة الواحدة والنصف ظهرا وصلنا :

مطار اندولا :

وهو المطار الرئيسي في روديسية الشماليـــة ، امـــا العاصمة فهي (لوساكا) وتقع على بعد مئتي ميل مـــن اندولا . ويبدو المطار صغيرا ولكنه نظيف ، وموظفـــوه

خليط من الانكليز والافريقيين الوطنيين ، ولكن الافريقيين يأتون في المرتبة الثانية أي يعملون في الوظائف الصغيرة .

وفي مكتب الجوازات في المطار تولى ختم جوازاتنا واوراق سفرنا موظف انكليزي في حوالي الثلاثين من عمره وكانت معاملته لنا غاية في اللطف والمجاملة .

وقد فزعنا حين رأينا شدة التفتيش في جمرك المطار فقد شاهدنا اثنين من الركاب وهما هنديان قد نزع الموظفون ملابسهما عدا القميص (والبنطلون) وفتشوها جميعا كما فتشوا جيوبهما وحقائبهما اليدوية. وقد توقعنا ان يكون الامر معنا اشد ونحن غرباء لم يسبق للموظفين ان نزل عندهم احد من بلادنا فيما نعرف ، فتقدم منا موظف افريقي ، وامرنا بملء بعض الاقرارات الجمركية بطريقة فظة جافة ، وبينما كنا نحاول ان نستفهم منه بعض النقط التي لم تتبينها في تلك الاقرارات تقدم منا موظف انكليزي اكبر منه وتكلم معنا بعبارات مجاملة ثم امر باخلاء سبيلنا وخروجنا من الجمرك بدون ان يفتحوا لنا حقيبة واحدة ، وبدون ان يسألونا عما في حقائبنا سواء الحقائب الكبيرة وحقائب اليد .

وهكذا خرجنا من المطار بدون صعوبة ، ونحن لا نكاد نصدق لان بعض مرافقينا في الطائرة لقوا عنتا

ومشقة وتركناهم وهم لا يزالون تحت التفتيش في جمرك المطار . والظاهر ان للمفتشين الانكليز نظرة خاصة فيمن يزاولون التهريب ، او يحاولون اخفاء شيء ممنوع .

اليوم عيد روديسية الشمالية :

عرفنا قبل ان نحضر الى روديسية الشمالية ان اليوم هو أول ايام الاحتفالات التي تقام في روديسية الشمالية بمناسبة الاستقلال وان اسمها سوف يتغير ابتداء من منتصف الليل فيصبح (زامبية) . وقد رأينا الاعلام الجديدة منصوبة ومعالم الزينة التي كان اظهرها مد الخيوط التي علقت فيها خرق صغيرة رمزا لاظهار الزينة والفرح بالاستقلال ، كما ألصقت صور الزعيم الوطني الافريقي (كنس خوندا) رئيس اول وزارة افريقية في روديسية الشمالية ، وقد اخبرنا ان الاعمال قد عطلت لمدة ثلاثة أيام بهذه المناسبة .

لقد ركبنا سيارة الاوتوبيس التابعة لشركة الطيران التي قدمنا معها ومع ذلك فقد اخذوا منا اجرة الركوب وقدرها (خمسة شلنات) كما هي الحال في نيروبي . وتبلغ المسافة بين المطار وقلب مدينة اندولا (سبعة أكيال) .

في انــدولا :

كنا سألنا هنديا كان معنا بالطائرة عن فندق مناسب لنا في اندولا فذكر لنا فندقا يسمى (سافوي) ولمـــا وصلنـــا اليـــه وانزلنا امتعتنـــا مـــن سيارة الشركة ، لم نجـــد غير خادم افريقي قال : ان المديرة ستأتـــي بعـــد قليل ، ثم اقبلت المديرة واذا بها عجوز اوروبية اظنهـــا يونانيـــة الاصل ، فذكرنـــا لها اننا نريـــد غرفة مـــن ثلاثة اسرة ،فقالت : انه لا توجد لديهم غرف من هذا النوع خاليـــة ولا يوجـــد الا غرف خاصة ، ومع ذلك فأجـــرة الغرفـــة الواحدة ثلاثة جنيهات استرلينيـــة مع الاكـــل . فطلبنـــا منـــها ان تدلنـــا على فندق مناسب فأمرت احد خدامها بادخال امتعتنـــا الى مستودع الفندق ثم ارسلت معنا خادما آخر الى فندق يبعد حـــوالي (ستمائة متر) . وبعـــد ان ارانا الخادم الفندق مـــن بعيـــد نكص علـــى عقبيه ، وهذا الفندق هو (فندق فيكتوريا) وصاحبـــه اوروبي انكليـــزي الاصل مـــن مواليـــد جنوب افريقية يسمى (كليـــن كلزر) وقد جاء الى روديسيـــة للعمـــل، وبينما كان يحدثنـــا عـــن فندقه قال : ان الجو حار وفهمنا مـــن ذلك أنه يريـــد ان يدخل مـــن هذه العبارة الـــى معرفة البلاد التي ننتمي اليها بدون ان يسألنـــا سـؤالا مباشرا خاليـــا مـــن الذوق في عرف الاوروبيين ، لذلـــك

اجبته قائلا : ان الجو حار، ولكـن نحن معتادون علـى الحر في بلادنا ، فقال : أي بلاد هي ؟ فقلت انها المملـكة العربيـة السعوديـة ، فقال بلاد العرب ؟ ان زوجتي قد ولدت في بلاد العرب ، لقد كانت ولادتها في القاهرة واهلها مـن الانكليـز الذيـن تركوا مصر ليعيشوا في جنوب افريقية ، وهنا اقبلت زوجته فعرّفها بنـا وقالت انهـا لا تعرف شيـئا مـن العربية لانها تركت القاهرة وهـي صغيرة السـن .

ثم ذهب معنا بسيارته الخاصة التي يقودها بنفسـه وحمل امتعتنا من مستودع فندق سافوي ، وقد استأجرنا غرفة واسعـة فيها ثلاثة اسرة وحمام خاص بأربعة جنيهات استرلينيـة ونصف . وهذا الفندق اي فندق فيكتوريـا يعتبـر مـن ارخص الفنادق وهو طابق واحد وملحـق به مقهى ومطعم وجميـع نزلائه مـن الاوروبيين ، وهو نظيف جدا ، وقد سألنا صاحب الفندق عمـا اذا كان قد نزل عنده احد مـن العرب قبلنا ؟ فأجاب بالنفي .

وقد نزلنا في هذا الفندق الاوروبي مضطرين اذ لا توجد فنادق للمسلمين بل لا توجد فنادق للآسيويين اصلا، اما الافريقيـون فمـا رأينـا في جميع البلاد التي مررنا بها فندقا يديره افريقيـون الا في السودان والحبشة .

جولة في اندولا :

خرجنا بعد ان استرحنا قليلا في الفندق الى جولة في اندولا فبدت لنا البلدة اشبه بضاحية من ضواحي مدينة كبيرة منها ببلدة مستقلة والجو فيها حار خلاف ما عليه الحال في البلدان الاستوائية التي مررنا بها ولا غرو فهذه البلاد تقع تحت خط عرض (١٢) درجة جنوب خط الاستواء الا ان وقوعها في داخل القارة وارتفاعها عن سطح البحر جعل جوها اقل حرا مما كنا نتوقع . وكانت حوانيت المدينة ومتاجرها ومقاهيها جميعا مغلقة وهي تبدو ساكنة سكون الاموات ، وذلك بمناسبة الاحتفال باستقلال البلاد ، ولا يشاهد المرء الا مرور بعض سيارات الاوروبيين الذين لم يشاركوا الافريقيين فرحهم بالاستقلال بطبيعة الحال .

وقد قابلنا شابان افريقيان متعلمان وقالا ببساطة الافريقيين : من اين اتيتم ايها السادة ؟ فقلنا : من المملكة العربية السعودية فقالا : بلاد البترول ؟ فاجبناهما: نعم ، انه يوجد بترول في بلادنا ولله الحمد ، ولكن يوجد ايضا اشياء كثيرة في بلادنا اهم من البترول ، ثم قالا : لاي غرض جئتما ؟ فقلنا : لغرض السياحة ، فقالا : لا شك انكم من رجال الدين وتحبون ان تزوروا بعض الكنائس وهنا كنائس كثيرة فقلنا : اننا مسلمون ولسنا

مسيحيين ، فتهللت وجوههما وقال احدهما : انني مسيحي ولكنني احب الاسلام ولم اجد من يحدثني عنه ، وقال الثاني : نعم ، اننا لا نعرف شيئا عن الاسلام ، ونحن نريد ان نعرف عنه كل شيء فقلنا اننا مستعدون لشرح كل ما تريدان معرفته عن الاسلام واذا احببتما ان نعود الى الفندق فنجلس معكما فيه لهذا الغرض ، فوعدا بانهما سوف يحضران الينا في الفندق فيما بعد ، ولم نرهما بعد ذلك .

وهنا تبرز لنا مرة ثانية حقيقة مرّة لمسناها في اكثر البلدان الافريقية التي زرناها وهي : عدم وجود الدعاة الى الله وجهل كثير من المسلمين بالاسلام مع استعداد الافريقيين بفطرتهم لاعتناق الدين الاسلامي اذا وجدوا دعاة صالحين إليه لانه دين الفطرة .

ثم واصلنا تجوالنا في مدينة أندولا فمررنا بطريق الصدفة برجل هندي فنادانا قائلا : السلام عليكم ، وقد علمنا بعد ذلك انه مسلم فطلبنا منه ان يدلنا على مسجد في هذا الجانب من مدينة اندولا فقال : انه لا يوجد مسجد هنا ، وانما يوجد مكان يصلي فيه المسلمون يوم الجمعة فقصدنا ذلك المكان فوجدناه اشبه بغرفة متوسطة ليس فيها محراب ولا منارة تتسع لثلاثين مصليا قد تبرع بها مسلم هندي من بيته المجاور لها ، وقد اتصلنا بصاحب البيت الذي هش لنا وبش ، وقد عرفنا من الرجلين

انهما من عامة المسلمين فاخذنا منهما عناوين كبار المسلمين الموجودين في هذه البلاد ، واتفقنا على اللقاء غدا ، ثم عدنا الى الفندق .

وتلك طريقة اتبعناها في رحلاتنا ووجدناها مفيدة وعملية وهي اننا اذا وصلنا الى بلد ولم نعرف عنوان احد من المسلمين فيه ، ذهبنا نسأل عن المسجد فيها، والى جانب الصلاة فيه وموعظة اهله نعرف عن طريق امامه والمصلين فيه عناوين كبار المسلمين واماكن اقامتهم في ذلك البلد .

يوم الاحد ١٩/٦/ ١٣٨٤ هـ .
٢٥/١٠/١٩٦٤ م .

انها زامبية :

اصبح استقلال روديسية الشمالية حقيقيا منذ الليلة البارحة واصبح اسمها الجديد (زامبية) بدل اسمها القديم (روديسية الشمالية) .

وقد سمعت البارحة ليلا احد الاوروبيين الذين يسكنون في فندقنا وهو يذرع حديقة الفندق بين مقاعد زملائه الاوروبيين ويردد ـ موجها الكلام اليهم ـ : انها زامبية ! ان كلمات ذلك الاوروبي تعكس القلق الذي

يساور الاوروبيين على مستقبلهم في هذه البلاد التي لـــم يكونوا يظنون انهم سيتركونها في يوم مــن الأيام لانهـا ــ في زعمهم ــ جزء مــن ممتلكاتهم ، ولان اهلها مــن الوطنيــين الافريقيــين ليسوا بقادريــن على ان يرغموهم على تركها اذا ما رأوا ان مصلحتهم تقتضي ذلك .

مع زعمـاء المسلميـن :

علمنا ان المسلم الهندي الذي لقيناه امس قد اخبـر بنا بعض كبار الهنود المسلمين هنا فزارنا بعضهم في الفندق وذهبنـا الى بيت احدهم ويدعى (رفيع برهاني) وفي بيته قابلنا عمًا له شيخا جاء من الباكستان لزيارتـه ، وقــد فرح القوم للقائنا ورحبوا بنا ، وقال عمه في حديث طويل، يستحثنا على وجوب السعي في تبليـغ الديـن الاسلامي والقيـام بالدعـوة الى الله : انني ارى أن الاتصـال بالمسلميـن في افريقيـة ومساعدتهم على الاحتفاظ بدينهم وبخاصة بيـن الناشئة منهم ، ان ذلك واجب على جميـع المسلمــين ، لا يستثنى منـه فـرد دون آخـر ، وان بلادكم المملكة العربيـة السعودية بصفتها مهبط الوحـي ومنبع الديـن الاسلامي ، يقع عليها اكبر العبء في هــذا الواجب ، ثم قال والدمع ينساب من عينيه : انني شاهدت منـذ ايـام بعض ابناء المسلمين وهم لا يعرفون حتى انهم

مسلمون لانهم لم يجدوا من يشرح لهم الاسلام ، ولم يجدوا مدارس اسلامية فدخلوا وهم صغار مدارس المبشرين فنصروهم ! ثم قال : تصوروا كيف يكون حزنكم وحزن المسلمين اذا سمعتم اسم احدهم (هنري محمد) أو (جيمس علي) !. ثم استمر ذلك الشيخ الهندي الغيور في بث شجونه التي احزتتنا وآلمتنا لانها هي شجون المسلمين جميعا . وقد شرحنا له اهتمام المملكة العربية السعودية ملكا وشعبا في اقامة اوثق الروابط واقوى العلائق مع المسلمين في شتى اقطارهم وامصارهم عامة ، وفي افريقية خاصة وقلنا له : ان مجيئنا هنا ليس الا مظهرا من مظاهر ذلك الاهتمام المتزايد فاننا لم نقدم الى افريقية لغرض سياسي او تجاري أو أي غرض آخر غير الاطلاع على احوال المسلمين والبحث عن الطريقة التي يمكن بها مساعدتهم والاخذ بيدهم الى ما فيه رفع شأن الاسلام والمسلمين ، وذلك في حدود الطاقات المتيسرة والامكانات المتاحة .

ثم ذهبنا مع زعماء المسلمين الى بناية مدرسة اسلامية فألفيناها جميلة نظيفة بنيت على احدث طراز واجمله ، وقال لنا بعض المسلمين من الهنود اننا قد انتهينا من بناء هذه المدرسة منذ حوالي سنتين ومع ذلك فهي مغلقة حتى الآن لعدم وجود مدرس ! وهي تقع في حي (كينيني) من اندولا .

في الحـي الافريقـي :

ثم ذهبنا بعد ذلك بالسيارة الى الحي الافريقي من اندولا ويقع على مسافة ثلاثة اميال الى الشرق من فندقنا الذي نسكن فيه والذي يقع في قلب الحي الاوروبي من المدينة ، وذلك لزيارة الجمعية الاسلامية الافريقية في اندولا والمسجد الجامع الوحيد الموجود هناك ، وقد قابلنا رئيس الجمعية وسكرتيرها وبعض اعضائها وامام المسجد الجامع كما دخلنا المسجد فوجدناه نظيفا واسعا يتسع لحوالي ثلاثمائة مصل أو اكثر من ذلك قليلا ، كما ان فيه ركنا قد خصص للنساء ولكن المسجد فقير جدا بفرشه اذ لم يفرش منه الا قسم قليل ، وقد فرش ببطانيات الصوف التي صنعتها النساء المسلمات بأيديهن اما الباقي فهو بلاط اقرع ، كما انه لا توجد في المسجد منارة ولا دورة مياه للوضوء ، وهم يحاولون الآن ان يجمعوا مبالغ من المال لهذا الغرض ويعتبرونه اهم من الفراش كما يريدون بناء غرفة للامام وغرفة للمؤذن وغرفة لتعليم ابنائهم القرآن تكون جميعها بجانب المسجد وقد خصصوا لها ارضا بجانب المسجد وقد علمنا منهم ومن المسلمين الهنود ان بناء هذا المسجد قد تم بطريقة مؤثرة ، وذلك ان بعض المسلمين تقدموا الى الحكومة الاوروبية التي كانت تحكم

روديسية الشمالية وطلبوا تسجيل جمعية لهم باسم جمعية انشاء جامع اندولا كما طلبوا من الحكومة منحهم قطعة ارض بالمجان ليقيموا عليها المسجد والمنشآت التابعة له اسوة بالمعابد المسيحية ، فمنحتهم الحكومة الترخيص واعطتهم الارض وكونوا منهم لجانا تطوف البلاد وتجمع من المسلمين واغلبهم فقراء يعيشون اما على الزراعة البسيطة او على العمل في مناجم النحاس في روديسية واخذوا يجمعون بالشلن ونصف الشلن حتى جمعوا خمسة آلاف جنيه استرليني وهي كافية لشراء ما يحتاجه المسجد من الحديد والاسمنت والحديد اللازم للسقف ، ثم طلبوا من مهندس انكليزي ان يشرف على اقامة البناء . اما العمال فقد استنفروا جماعتهم من المسلمين الافريقيين لهذا الغرض فكان كل من وجد فسحة من الوقت يأتي ومعه من يستطيع العمل من عائلته فيحملون الاسمنت ويحفرون في الارض ، ويعاون النساء الرجال في هذا الشأن حتى طلبة المدارس عندما يخرجون من مدارسهم وحتى العمال الذين يخرجون من العمل في المناجم ويعودون الى اهلهم كأنما خرجوا من القبور يبادرون فيعملون في المسجد ! . قالوا : وعندما رأى المهندس الانكليزي اخلاصهم وتفانيهم في بناء المسجد تأثر من ذلك واعلن انه قد تنازل عن اجرته وانه سيتبرع بعمله فيه .

انها لطريقة مؤثرةحقا هذا مع فقرهم وانحطاط مستواهم المادي ذانك الفقر والانحطاط اللذان يشملان جميع الافريقيين في هذه البلاد وليسا خاصين بالمسلمين منهم .

لقد بنوا المسجد بالاسمنت المسلح وسقفوه بالصاج سقفا مسنما شأن جميع المنازل هنا اذ لا توجد السقوف المسطحة اصلا .

اما منازل الافريقيين في هذا الحي فهي مبنية بالطين ومسقفة بالصاج وقد تكون منازل الفقراء منهم مبنية بالقش ومسقفة ايضا بالقش على شكل هرمي .

والافريقيون هنا من البانتو او من الجنس الزنجي الفاحم اللون .

ويبلغ سكان مقاطعة اندولا بما في ذلك المدينة وضواحيها حوالي مئة وسبعة واربعين الفا منهم (١٢) الفا من الاوروبيين وحوالي ألفين من الهنود ، والباقون من الافريقيين . ومعظم المسلمين من الافريقيين يليهم الهنود كما توجد امرأة اوروبية مسلمة واحدة .

جمعية المسلمين الهنود :

حضر الينا في الفندق نائب رئيس الجمعية الاسلامية ويدعى السيد رفيع برهاني وطلب ان يجتمع كبار المسلمين في

اندولا بعد العصر وأن نلقي فيهم كلمة ، وقد اجتمعنا في الساعة الرابعة بعد الظهر والقيت فيهم كلمة بالانكليزية لانه ليس فيهم من يفهم العربية .

وقد كان مدار الحديث عن حالة الاسلام والمسلمين في هذه البلاد ، وقد شكوا مر الشكوى من أنه لا يوجد من يعلم اولادهم امور دينهم ، وانهم يخشون على اولادهم من الضياع الديني كما ارونا خارطة لبناء مسجد جامع يزمعون انشاءه بجانب المدرسة التي ذكرنا سابقا انهم اتموا بناءها ولكنها خاوية خالية لعدم وجود مدرس! وقد ذكروا ان المسجد يحتاج الى (٤٠٠٠) جنيه استرليني جمعوا منها حتى الآن في البنك (١٥٠٠) جنيه فوعدناهم بتقديم مبلغ من المال باسم الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة .

لا عربية في اندولا ..

قلت ان الحديث كان بالانكليزية ،وذلك لانه لا يوجد من يحسن العربية من المسلمين في اندولا حتى أئمة المساجد لا يعرفون من العربية شيئا وكنا نضطر الى الحديث مع المثقفين الهنود بالانكليزية فيترجمونه بالسواحلية او الاردية او احدى اللغات الوطنية هنا ولولا اننا نعرف قليلا من الانكليزية لما استطعنا ان نعمل شيئا

ولا ان تتفاهم مع احد . ونذكـر ان الانكليـزية هنا هي اللغــة الاولى ويليها عدة لغات ليست شاملة واهمها لغــة تدعى (يامبا) ولذلك يظــن ان الانكليزيــة ستحافظ على اهميتها بعد رحيل الانكليــز كمــا هي الحال في الهند ، ونظرا لاهمية الانكليزيــة فان المسلمين هنا يقولون انــه لا بد للمبلغ أو المعلم الذي يحضر اليهم مــن ان يكــون عارفا بالانكليــزية لانها اللغة الشائعة بيــن الجميع هنا .

ومما يذكــر ان بعض الحاضريــن هنا من المسلمين الهنود ذكــر ابياتا ابتهاليــة باللغة العربية كان يحفظهــا في صغره ولا يعرف معناها وقال : ان هذه فرصة قلمــا تسنــح وطلب منــي ترجمة تلك الابيات ، وهكذا فــان اكثرهم وان حفظ شيــئا مــن القرآن الكريم او الحديث النبوي او الادعية الاسلاميــة فانه لا يعرف معناه وبالتالي لا يمكــن ان يعلمه لغــيره او ينتفع بــه مــن لا يعرف الاسلام .

يوم الاثنين ٢٠/٦ /١٣٨٤ هـ .

٢٦/١٠/١٩٦٤ م .

سلطنــة اسلاميــة :

عرفنــا ــ متأخرين ــ اننا في بعض اجزاء انــدولا نستظل بظل سلطنة اسلامية على رأسها السلطان (محمــد

شوالا) ويقال ان اجداد هذا السلطان من العرب الذين اختلطوا بالافريقيين فاصبحوا على مر العصور لا يختلفون عنهم في المظهـر والعادات .

ويقولون انه عندما دخل الانكليـز الى تلك البلاد كان في اندولا سلطان مسلم فأقره الانكليـز على سلطنته وعقدوا معه معاهدة حمـاية وضموا الى المنطقة مناطـق اخرى سموها مستعمـرة وجعلوا الجميع تحت ادارتهـم المباشرة ، وقد بقيت سلالة ذلك السلطان تتوارث السلطنة الاسمية في ظل الانكليز ، حتى كان آخرها الآن صبيـا في الثالثة عشرة مـن عمـره حاولنا ان نجتمع به ، ولكن قيـل لنا : انه ليس له تصرف في نفسه وانما يسيطر عليه بعض اقاربه الذيـن لا يهتمون بالشؤون الاسلامية مـع انه مـن المعتقـد ان تلك السلطنة في طريقها الى الـزوال لانها ستذوب في جمهورية زامبية الافريقيـة . ولا يبقـى لها حتى ولا الاسم .

هذا وقد قمنـا بجولة بالسيارة في المنطقـة التـي تحيـط بمدينة اندولا وشاهدنا بحيرة هناك صغيرة تشرب منها البلدة بعد تصفية مائها وتنقيته ، وقد رأينا معظـم الحشائش في هذه المنطقـة جافة هامدة ، عدا الاشجـار الكبيرة والحدائق التي تروى بخراطيم الميـاه كما هـي الحال في بلادنـا وذلك لان هذا الفصل في روديسيـة

الشمالية فصل الجفاف ، ويقولون ان فصل الامطار يبـدأ مـن منتصف شهر نوفمبر ولمدة عدة اشهر خلاف ما عليه الحال في المناطق الاستوائيـة التي لا تحتاج الحدائـق فيـها الى الاستعداد للسقي بسبب كثرة الامطار

ويذكـر ان الزراعة هنا متأخرة جدا لان البلاد تعتمد على الثروة المعدنيـة ، واكبـر مظهـر لذلك انه لا يوجد في البلاد اي نوع مـن انواع الفاكهـة المعروفة ولا تقدم المطاعم فاكهة اصلا ، وقيل ان بعض الاشخاص يستوردون الفـاكهة مـن اتحـاد جنوبي افريقيـة ، لأن الجو هناك معتدل صالح لنمـو كافة انواع الفاكهة .

وقد اعجبنـا بنظافة (الفيلات) واتساع المساحات التي تحيـط بها في ضواحي المدينة ، واكثر تلك الفيلات ليـس لحدائقهـا وافنيتها حواجز مـن الخارج مما يدل على توفـر الامـن في البلاد . وجميـع الفيلات الجميلة يملكها الاوروبيون والآسيويون اما الافريقيون فنادر او أندر مـن النادر ان يملكوا منزلا جميلا في اندولا .

في مدينة لوانشا :

قمنا في الساعة الرابعة بعـد الظهـر بزيارة مدينـة لوانشا التي تبعـد حوالي (٣٧) كيلو مترا الى الجنوب من مدينة اندولا وذلك لزيارة المسجد الذي بنته شركة معادن

النحاس للعمال المسلمين الذي يعملون في تعدين النحاس هناك .

وقد سرنا اليها في طريق اسفلتي جميل تتفرع منه طرق اخرى الى معادن اخرى للنحاس في غير مدينة لوانشا . وتبدو المنطقة ريفية جميلة ، الا أنها غير كثيفة الاشجار ، وكنا ونحن نسير في روديسية الشمالية كأنما نسير في الشرق الاوسط .

وقد وصلنا المدينة المذكورة وهي نظيفة الشوارع جميلة الحدائق ، تنتشر في حدائقها الزهور المنوعة البديعة ، وتتكون منازلها من فيلات تكاد تكون اجمل من اندولا المدينة الرئيسية في هذه المقاطعة .

مسجد لوانشا :

ذهبنا لرؤية المسجد الذي بنته شركة تعدين النحاس في لوانشا للعمال المسلمين ، وهو يقع في احد احياء العمال هناك خارج المدينة الرئيسية بين بيوت العمال الصغيرة التي بنتها الشركة ، وهو متوسط البناء بل يكاد يكون رديء البنيان ، كما أنه متوسط السعة ايضا ، وهو مبني بالاسمنت المسلح ومسقف بالصاج ومفروش جزء منه بالبطانيات ، اما باقيه فهو أملس لا فراش فيه .

وفي مؤخرة المسجد اقيم جدار من لبن الاسمنت يرتفع اعلى من قامة الرجل بقليل وجعل فيه صف من الكوى الصغيرة ، وذلك ليصلي وراءه النساء المسلمات ويسمعن من خلال الكوى التكبير والتحميد .

والحقيقة ان مظهر هذا المسجد لا يليق ابدا بالاسلام لا سيما عند مقارنته بالكنائس المسيحية ولقد شعرت وانا اطوف ارجاء المسجد بالأسف والأسى يحز في نفسي وقلت : ما قيمة المال اذا كان المرء لا ينفق منه في سبيل الله وعلى نفع اخوانه المسلمين واظهارهم بالمظهر اللائق بهم بين الامم ؟ ولقد عزمنا على تقديم بعض المساعدة المادية الممكنة لذلك المسجد وامثاله من المؤسسات الاسلامية في هذه البلاد كما عزمنا على بسط الامر للمسؤولين في بلادنا رجاء ان تتاح لنا فرصة تقديم مساعدة اكبر في رحلة اخرى في المستقبل ان شاء الله ، اما اخواننا المسلمون الذين يصلون في المسجد المذكور فانني لن انسى ما حييت علامات الشعور بالغبطة والنشوة التي علت وجوههم لرؤيتنا نحن اخوانهم المسلمين الذين جاؤوا من بلاد بعيدة لا لشيء الا لكي يتعرفوا عليهم ويتبادلوا الآراء معهم .

لقد قضينا امسية جميلة في ذلك الحي الافريقي من مدينة لوانشا ونحن نتمتع بالهواء الجاف الذي

يشبه هواء بلادنا في عشيات ايام فصل الصيف ولم يكدر صفو تلك الامسية الجميلة الا ما شعرنا به من الاسف لحالة المسلمين هنا .

في مناجم النحاس :

يقال ان روديسية الشمالية تصدر من النحاس (٣٣٪) مما يستهلكه العالم وتشترك باقي الدول بالنسبة المئوية الباقية ، وفي كل من ساعات الليل والنهار يغادر روديسية الشمالية قطار محمل بالنحاس الى (موزنبيق) حيث يصدر من هناك الى كافة انحاء العالم ، ولذلك فان روديسية تعد بحق ارض النحاس .

ولم نشأ ان نترك مدينة لوانشا التي قامت على صناعة تعدين النحاس بدون ان نشاهد شيئا من تلك الصناعة ، وكان الوقت متأخرا اذ لم يبق على غروب الشمس اكثر من نصف ساعة ، ولم يكن بالامكان نزولنا الى المدينة القابعة تحت الارض ، كنا نرى افواج العمال الذين انتهت اعمالهم يخرجون منها وهم يجرون ارجلهم من الاعياء . وقد اكتفينا برؤية الصف الهائل من حجر النحاس الذي يخرج من جوف الارض الى معامل صهر النحاس وتنقيته تحمله جنازير من الحديد في سلسلة متصلة الحلقات لا ينقطع دورانها ليلا ولا نهارا ، كل ذلك بطريقة آلية لا ترى معها عاملا او حتى مراقبا .

وقد قربنا مـن مصنع صهـر النحاس الهائل ورأينا مـن بعد النار تتأجج في جوفه وترمي بشرر كالقصر كأنه جمـالة صفـر . ولكـن مراقبة المصنع مـن بعيد لـم تشف غليلنا فذهب احـد الاخوان الهنود ممن يسكنون في مدينة لوانشا الى المهندس الكبـير المسؤول عـن ادارة المصنع ، وكلمه بأن يأذن لنا بزيارة المصنع ويرسل معنـا دليـلا فأجاب المهندس وهو اوروبي ابوه فرنسي وامـه انكليـزيـة بانه مستعـد بأن يأذن لنا ويصحبنا بنفسـه في ارجاء المصنع .

وكان اول ما فعله ان طلب منـا ارتـداء اغطيـة حديدية للرأس تشبه الخوذات الحربية ، وقال : انها تقـي الرأس مما قد يسقط عليه من حجارة او نحوها . ثم طاف بنا جميـع انحاء المصنع الذي لا اجد له اسمـا يليـق بحقيقـته فكلمة (المصنع) حقيرة بالنسبة اليـه . وقد استغرق تجوالنـا فيـه اكثر من الساعة وذلك المهنـدس الاوروبي البارع يشرح لنا بالتفصيـل جميـع مراحـل العمـل ابتداء مـن دخول حجارة النحاس الى المصنـع حتى انتهاء صهره ثم سبكه في صفائح ضخمة تزن الواحدة منـها نصف طـن كما أخبرنا بذلك وشاهدناه بأنفسنا .

وكان هديـر الآلات الهائلة ومنظر النيران المتأججة، وارتفاع درجة الحرارة داخل المصنع وفي ممراته وردهاته ، وقلة الهواء النقي مما لا يكاد يحتمله المرء الذي يدخـل

اليـه لأول مرة . واعظم ما شاهدنا فيه الفرن الضخـم الذي تبلغ درجة الحرارة داخله (١٣٧٠) درجة مئوية أي انه اشـد حرارة من درجة غليان الماء بثلاثة عشر ضعفـا ونصفا وقد فهمت مـن المهندس المذكور ان المصنع ينتج في الساعة الواحدة (٦٧) طنا مـن النحاس الذي يحيله من حجارة لا تكاد تفرق بينها وبـين الحجـارة العاديـة ـ علـى البعد ـ الى نحاس خـالص ويستمر العمل فيه طيلة الاربع والعشرين ساعة بدون انقطاع دولاب العمـل فيه لحظة واحدة . وبعد ان كتبنا اسمـاءنا وعناويننا عند المهندس المذكور واعطانا اسمه وعنوانه شكرناه لما تجشم مـن التعب في سبيـل الشرح والايضاح ، وكان قـد استفسرنا قبل ذلك عـن معنى بعض الكلمات بالعربيـة مثل كلمة (ماء) وكلمة (نحاس) وقد خرجنا مـن المصنع معجبيـن باتساع صدر ذلك الرجل الاوروبي وبخبـرة وشجاعـة الرجال الذيـن اقاموا هذا المصنع الهائل ..

وكـان الوقت بـين المغـرب والعشاء ، والجـو صافيـا والنجوم لامعة فجعلت ابحث عن النجوم الشهيرة التي كنـا نراها في بلادنا مثل الجدي والفرقديـن وبنات نعش فلم اجـد لشيء منها اثرا فهي لا ترى هنا في هذا الركن من النصف الجنوبي للكرة الارضيـة . وبعض النجوم قد تغير مكانها مـن السمـاء في رأي العين كالنسر الطائر والنسر الواقع والمكتف ، وكنا نراها في بلادنا فوق

الرأس عندنا تتوسط ، قد اصبحت الآن مائلة كثيرا الى الشمال .

يوم الثلاثاء ١٣٨٤/٦/٢١ هـ .
١٩٦٤/١٠/٢٧ م .

دخلنا هذا الصباح مصرفين من مصارف اندولا فاستغربنا كون جميع الموظفين فيهما من الاوروبيين ولم أر الا موظفا افريقيا واحدا في كل مصرف مع ان كثيرا من الموظفين الاوروبيين من الفتيان والفتيات صغار السن وهم يشغلون وظائف صغيرة لا شك ان في الافريقيين من يحسنونها ولكن الافريقيين هنا في مؤخرة الصفوف دائما ومعظم الاوروبيين بل وكثير منهم جاؤوا من جنوب افريقية ، حيث يوجد التمييز العنصري ويحتقر الافريقيون وحيث يتولى الاوروبيون تصريف جميع الشؤون الهامة في البلاد بمفردهم ، ولكن لاحظنا انه على الرغم من كون التمييز العنصري غير موجود هنا رسميا أي انه لا يكتب على الفنادق او المقاهي والمطاعم عبارات التمييز العنصري صريحة فان واقع الحال يقتضي التمييز العنصري اذ ان واقع الافريقيين ومستوى حياتهم المنخفض يجعلهم لا يدخلون المحلات الاوروبية لانها تحتاج لانفاق نقود كثيرة لا يقوى على انفاقها الا الاوروبيون وحدهم ،

وعلى سبيـــل المثال فانه لا يوجد هنا فنادق ، ولا مقاه ولا مطاعم في هذا الحي النظيف مـــن البلد الا وهو في ايدي الاوروبيين وحدهم . وقد لقينا عنتنا في الفندق الاوروبـــي الذي سكنا فيه فطريقة طهو الطعام ودقة المواعيـــد فيه . وغرابة انواع مـــن الطعام علينا ، وسؤالنا عـــن اللحم هل هو لحم خنزير ؟ كل ذلك جعلنا نضطر الـــى تغيير عاداتنا اذ انهم يطهون الطعام حتى العادي منه المعروف لنا بطريقة غريبة تجعلنا لا نستسيغ مذاقه . فمثلا احضروا لنا مرة مع الغذاء شيئا لا نعرفهولم نستسغ طعمهفسألنا خادما ما هذا؟ فقال انه دقيق البطاطس مطحونا وقد غلي غليـــا خفيفـــا ووضع على لحم دجاج مسحوق ايضا ومخلوط بالدقيـــق وقد أضيف الـــى الجميع مربى ، أي نعم مربى لا نـــدري ما هو طعمه حلو بعض الحلاوة مليخا لا ملح فيه فمـــا رأيك بالبطاطس المخلوط بالمربى ؟ وعلى ذلكفقس الشوربة وانواع الخضار التي تغلى جميعها حتى الخس غليـــا خفيفا ثم تقدم مقاديـــر طفيفة منها وبتقتير عجيب ، لانهـــم لا يكثرون مثلنا مـــن الاكل مما يضطرنا بعض الاحيان الى طلب مقاديـــر اضافيـــة مـــن الخبز يقابل ذلك التقتـــير بالطعام سخاء هائل في الصحون الكبيرة والصغيرة والملاعق والشوك والسكاكين ، وافراط في كثـــرة الخدم حتى ان كلمائدة وكّل بها خادم خاص يقف ويراقب الآكلين بحيثلا يضطـــر الآكل أن يضيع دقيقة واحدة من الوقت في انتظار

النوع الآخر من الطعام .

وكل الخدم من الافريقيين الذين ألبسوا زيا خاصا للفندق نظيفا انيقا جميلا تراه في كل لحظة كأنما اخرج من عند الكواء لفوره وحتى الحذاء لا بد أن يبدو لامعا ، وقد لاحظنا بعض الخدم عندما ينتهي واجبهم ويريدون العودة الى منازلهم فاذا بهم يخلعون لباس الفندق ويلبسون لباسهم الخاص وهو لباس قذر كثيرا ما يكون ممزقا او مرقعا متنافرا يؤذي العين مرآه ، وقد هالنا مبلغ السمع والطاعة التي يتحلى بها هؤلاء الافريقيون لأولئك الاوروبيين فأية اشارة ولو عابرة من اوروبي تجعل الخادم يهتز ويجري مسرعا الى حيث أمر ، وقد يحني رأسه قليلا الى الامام علامة الطاعة والانصياع للامر . وقد دهشوا لمقابلتنا لهم بالحسنى حيث كنا نعاملهم معاملة الاخوان ، ونهش في وجوههم ، ونشكر لهم فعلهم فأنسوا بنا وأخذوا يسألوننا عن بلادنا وعن السبب لسفرنا .

أما مواعيد الطعام فهي مواعيد محددة صارمة لا تقبل الاستثناء ، وأول ما يحين موعد الطعام يمشي بعض الفراشين في ردهات الفندق وممراته ومعهم آلات موسيقية صغيرة تشبه (البيانو) يعزفون عليها بصوت خفيض ولكنه مسموع فيسارع الجميع الى قاعة الطعام في الفندق اما من تأخر عن الموعد المحدد فانه لن يجد

طعاما بل لـــن يجد خدم المطعم اذ أن معظمهم يكون قــد انصرف الى بيته أو الى أي عمــل آخر ...

لا عرب في روديسية الشمالية ...

ولم نجــد في هذه البلاد عربيــا واحدا ولم يذكــر اهلهــا ممــن سألناهم مــن المسلمين أنه جاءهم عربي من قبل عدا رجلا واحدا قالوا انه جاء مــن عدن يتلو القرآن ويستجدي المسلمين هنــا وأنهم يحفظون من اسمه كلمــة (فضل) ولذلك فقد لاحظنــا الجهل المطبق بأحوال بلادنا وآية ذلك تقع في عدم التفريق بين الاقطار العربية . وقد كنــا موضع الاستغراب مــن الجميع على حــــد سواء ، افريقيــين وأوروبيين ، ولكــن الاوروبيين لما يتحلون به مــن أدب وما يأخذون به أنفسهم مــن تــزمت ووقار لا يسألوننا عــن بلادنا مباشرة ولا ينظرون الينا الا اختلاسا، وعندما يرون اننا نلاحظ نظرهم الينا واستغرابهم لهيئتنــا فانهم يسارعون بغض الطرف والتظاهر بأنهم لا يقصــدون النظر ولا يهمهم من أمرنا شيء .

أما الافريقيــون فانهم لبساطتهم وعدم تزمتهم بــل وعدم أخذهم بآداب المدنية الغربيــة تجدهم يسارعــون الينا ويسألوننا مباشرة وبدون سابق تهيــؤ مــن أيـــن اقبلنــا ؟ ومــن أي جنس مــن الناس نحن ؟ وعنــــدما

نجيبهم بأننا عرب يقولون : نعم لقد قرأنا بعض الشيء في الصحف عن البلاد العربية وان كانوا لا يكادون يعرفون شيئا عن الاقطار العربية وأذكر انني التقيت باحد المثقفين الافريقيين الذي كان قد سافر الى بعض البلاد الاوروبية وتثقف سألني هل غانا تعتبر بلادا عربية ؟

أما الاوروبيون فانهم بعد ان يتعرف عليهم المرء وتكون هناك مناسبة لسؤالنا عن بلادنا نجدهم يعرفون عن ماضي البلاد العربية أكثر مما يعرفون عن حاضرها فقد قرؤوا شيئا من التاريخ عنها [١] ولكنهم لا توجد لديهم معرفة كافية عن حاضر البلاد العربية يضاف الى ذلك ان الدعاية الصهيونية قد شوهت سمعة العرب في كثير من البلاد لانها وجدت مجالا خصيبا لا منافس فيه فاستطاعت ان تبث سمومها الدعائية بدونأن تلقى اية مقاومة من البلاد العربية .

والعجيب المؤسف ان اسرائيل قد قامت بمفردها وبمساعدة من اليهود في الخارج في بث تلك الدعاية في اقطار كثيرة على حين ان العرب بمجموعهم لم يقوموا بشيء يذكر اللهم الا في سب بعضهم بعضا وتشويه سمعة

---

١ ـ وهم يذكرون ما قرؤوا عنها بالجلال والتعظيم لان تاريخ الحروب الصليبية وتاريخ جنوب اوروبة مشحون بالامجاد العربية ...

العرب انفسهم ، والا فالمعتقد أنه لو تضافرت الجهـــود العربيـــة سواء عـــن طريق الجامعة العربية أو عن طريـــق اتفاق مباشر بينهم على اقتسام الدعاية والاعلام في البـــلاد المختلفـــة فأخذت كل دولة على عاتقها بث الدعاية والاعلام للعرب وللقضايا العربية وتفنيد المزاعم الصهيونية في بلد أو بلدان معينـــة لكان ذلك نافعا مجديا .. لا سيما اذا راعوا نفسيـــة الشعوب المختلفـــة وواقع أمرها فقد كنـــا مثـــلا نقول للافريقيين : اننا عرب ، والعرب افريقيون مثلكم ، وان كانوا يسكنون في شمـــال القارة الافريقيـــة وانـــه يوجد ٧٠ ٪ مـــن العرب في القارة الافريقيـــة وان ٣٠ ٪ فقط مـــن العرب يوجدون في آسيـــة ولكن علاقتهـــم بافريقية علاقة وثيقة وطيدة فيطربهم ذلـــك ويسرون لـــه لأن هذا وأمثاله لا يمكـــن ان يسمعوه من الاوروبيين أو من اليهـــود [1] .

---

١ ـ كما ان السياسة الاعلامية الرسمية لبعض الاقطـــار العربية تقوم على اساس قومي عنصري ، فحرمـــت بذلك عنصرا فعالا نشيطا منبثا في كل مكان من القارة الافريقية إلا وهو العنصر الاسلامي ، فكثير من مسلمي افريقية وجدناهم قد فهموا قضية فلسطين على انهـــا قضيـــة عربية قومية وليس للمسلمين بها صلة ، وقد أعان على رسوخ هذا الفهم في نفوسهم ان الدول العربية المتاخمة لفلسطين لم تتصل بهم فتطلب منهم العـــون والمساعدة بقدر طاقتهم .

السفر الى لوساكا :

لم نجد واسطة للسفر برا الى لوساكا عاصمة جمهورية زامبية (روديسية الشمالية سابقا) . غير الحافلات (الاوتوبيسات) العامة ويركبها الافريقيون ويتزاحمون فيها فنجد عناء من ذلك كما انها تقف في كل محطة تقريبا لذا قررنا السفر بالقطار بعد أن أخبرنا بأنه قطار نظيف وجميل ، وأنه يسافر في تمام الساعة التاسعة ليلا ، ويصل في الساعة السادسة والنصف صباحا . أي أن المرء يدخل القطار وينام وعندما يصحو يكون قد وصل الى بلد آخر فلا يضيع وقتا ولا راحة .

وهكذا تركنا مدينة أندولا في تمام الساعة التاسعة ليلا في ذلك القطار الفاخر الجميل وفي الدرجة الثانية الخاصة أي التي يمكن فيها النوم على سرير مريح .

وقد وصلنا قبل سفر القطار بنصف ساعة بصحبة بعض الاخوان الهنود الذين أبوا الا أن يلاحقونا بكرمهم فيودعونا في القطار . وقد وجدنا لوحة في مكتب القطار قد وضعت فيها أسماؤنا باننا في غرفة (ف) من العربة رقم (٢.٩٢) وهكذا ما كان منا الا أن ذهبنا الى تلك الغرفة ذات الرقم المعين وأقمنا فيها وحدنا ، فوجدناها وجميع القطار عامة شيئا لا يستطيع القلم أن يصف فخامته ونظافته

ونظامه ، ولقد ركبت في الدرجة الاولى في القطارات في كثير من البلاد العربية فما وجدتها تعد شيئا بجانب هذا القطار حتى الانوار الكهربائية يوجد منها في العربة اكثر من أربعة انواع مختلفة ويوجد في الغرفة مكيف هواء خاص وأربعة انواع من الستائر للنوافذ ، ويمكنك أن تغلق عليك الباب والنوافذ وتفتح صمام مكيف الهواء وتنام معزولا عن الخارج كأنك في غرفتك الخاصة أو احسن من ذلك . ولديك حوض لطيف مغطى للماء ومائدة للطعام تطوى بطريقة محكمة ثم ترفع الى جانب الحائط فتتحول الى مرآة كبيرة كما ان لديك مرايا كثيرة غيرها ، واذا أردت ان ترى من في الخارج بدون أن تسمع أصواتهم فيمكنك رفع الحواجز فيكون لك نافذتان زجاجيتان أحداهما الى الجانب الخارجي من القطار والاخرى الى الممر العام في القطار . أما تنجيد جوانب القطار وسقف الحجارات فشيء لا يشبه الا تنجيد الطائرات الفخمة .

وهذا القطار تابع لحكومة روديسية الجنوبية التي يحكمها البيض ، وفيه مفتشان أوروبيان على غاية من الذوق ولطف المعاملة وفي القطار بوفيه (قاعة طعام) فاخرة كأفخر القاعات في الفنادق ، وزجاجات المياه الباردة في كل عربة ، ويشغل المطبخ وحده ثلاث حجرات في احدى

العربات ، ويُحضر الخدم اليك جميع طلباتك الى غرفتك اذا أردت ، وجميع الخدم والعمال فيه هم من الافريقيين وهم على درجة من البراءة والسذاجة ، أو هكذا بدوا لنا من سرعة التفاهم حولنا ، وسؤالهم عنا ، من أين جئنا ؟ ثم من طريقة كلامهم عن الاوروبيين في روديسية الجنوبية حيث سيطروا على كل شيء وليس للافريقيين الا الدنيء من المقام والاعمال ، وقد عرفنا منهم ان هذا القطار يسافر من اندولا الى روديسية الجنوبية ثم الى اتحاد جنوبي افريقية ، وقد تكفل المفتش الانكليزي بملاحظة ايقاظنا فيما لو نمنا عند وصولنا الى لوساكا ، وقد نمنا نوما هادئا مريحا على فرش وثيرة وبآغطية صوفية ، وكان السفر في هذا القطار متعة دونها متعة السفر بالطائرة أو الحافلة ، وقد حاولنا ان نقارن بين القطارات في الحبشة وفي البلاد العربية وبينه ، فلم نجد وجها للمقارنة .

يوم الاربعاء ٢٢/٦/١٣٨٤ هـ .
٢٨/١٠/١٩٦٤ م .

وصلنا لوساكا عاصمة جمهورية زامبية (روديسية الشمالية) في تمام الساعة السادسة أي بعد طلوع الشمس بنصف ساعة ولم يكن هناك فندق يملكه شرقي بل

جميع الفنادق يملكها ويديرها الاوروبيون ، وقد نزلنا في فندق يسمى فندق فكتوريا نفس اسم الفندق الذي نزلنا فيه في اندولا .

وقد بدت مدينة لوساكا لنا لأول وهلة أشبه بمجموعة من الضواحي الواسعة ولكنها ليست في جمال اندولا وليس فيها من الحدائق ما في لوانشا وأكثر المنازل فيها من طبقة واحدة وقل أن تجد فيها عمارة عالية ، وانت عندما تصل اليها تستصغرها لان المنازل قد نثرت فيها نثرا ولأن مكانها منذ عهد غير بعيد كان منطقة خالية فابتدأت العمارة فيها حديثا يضاف الى ذلك أن كثرة السيارات في المستعمرات الانكليزية والرواج الاقتصادي الذي تتمتع به تلك المستعمرات قد ساعد على أن يختار كل شخص مكانا لمنزله ولو بعيدا حيث توجد السيارات والامان وهكذا الحال في أكثر المستعمرات الانكليزية السابقة التي مررنا بها حيث وجدناها تغص بالسيارات بشكل لا يكاد المرء يصدقه قبل أن يراه .

وعندما نزلنا في الفندق أخذنا مدير الفندق وهو أوروبي يذكر أنه من جنوب افريقية وأشار بيده من شرفة الفندق الى معالم البلدة فقال : هنا أكبر شارع في لوساكا ويسمى (كايرو رود) [1] وهناك شارع لفجستون ،

---

١ ــ «كايرو رود» أي طريق القاهرة والسبب في تسميته =

وهناك مسجد الهنود المحمديين يعني المسلمين الهنود .

جولة في لوساكا :

خرجنا الى جولة في لوساكا على الاقدام فوجدناها مدينة تعتبر عاصمة افريقية اذ أن اغلبية السكان فيها من الافريقيين الوطنيين وان كانت المتاجر والحوانيت الكبيرة والمتوسطة كلها بأيدي الاوروبيين أو الهنود ، وقد ذهبنا الى مسجد المسلمين الهنود في لوساكا فوجدناه فاخرا جميلا واسعا قد بني على أحدث طراز وأثث أجمل أثاث وألحقت به دورة مياه فاخرة مجهزة حتى بالمناشف وأكواب الشرب وأحذية الوضوء كما وجدنا المسجد وقد علق به عدد من الجلابيب وذلك ليصلي فيها من لا يود ان يصلي ببدلته الافرنجية ، وبجانب المسجد بنيت مدرستان يتعلم فيهما أبناء المسلمين بنين وبنات، وقد تفرغ للتدريس في المدرستين عالمان من علماء الهند

= بطريق القاهرة ان الانكليز عندما كانوا يحكمون القارة الافريقية من رأس الرجاء الصالح حتى الاسكندرية فكروا في مشروع بناء طريق اسفلتي يمتد من مدينة الرأس حتى الاسكندرية وقد ابتدأوا ببنائه وانجزوا منه قسما كبيرا شمل أراضي جنوب أفريقية وروديسية الجنوبية وروديسية الشمالية ثم وقف ، فأسموه لهذا السبب طريق القاهرة ..

وخصص لكل عالم منهمـا مسكـن قرب المسجد وهمـا في الوقت نفسه اماما المسجـد حيث يتناوبان الصلاة فيه كما بني مسكن آخر لمؤذن المسجد وهو افريقـي سمـاه الهنود اسمـا جديدا هو (بلال) تيمنا باسم بلال بن رباح مؤذن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وذلك اضافة الى اسمه الأصلي صالح .

وهناك ملحق بالمسجـد أيضا بناء مستقل أسمـوه بيت الضيـافة أو مسافر خانه . وينزل به المسلمون الذين يقدمون الى لوساكا ولا يريدون السكن في فنادق لغـير المسلمين أو لا يستطيعون ذلك [٢] كما ألحق بالمسجـد منزل خاص لتجهيـز موتى المسلمين أو تغسيلهم وتكفينهم والانتظار بالميت حتى يدفن كل ذلك في مساحة واسعة من الارض ، وعلى نفقة الاخوان الهنود هناك .

ان هذا شيء عجيب جميل حبذا لو أخذ به بقيـة المسلمين في الخارج وقد أخبرونا انهم فرضوا على أنفسهم نفقات شهرية وفق خطـة ارتضوها ينفقون منـها علـى رواتب الامامين المدرسين والمؤذن ، وعلى صيانة المسجـد

---

٢ ـ وقد عرضوا علينا الانتقال مـن الفندق والاقامة في هذا المسكـن فشكرناهم واعتذرنا لهم بأننا نؤثر غيرنا مـن اخواننا المسلمين المحتاجين وقد حدث فعلا أن جاء في آخر هذا اليوم مسلمان مـن تنجانيقة ونزلا فيه .

والمباني الملحقة به ، ولهم جمعية خاصة اسمها جمعية المسلمين الهنود في لوساكا ورئيس الجمعية هو السيد (آدم بدات) وهو تاجر ثري شديد التمسك بدينه ، وقد أعجبنا جدا بحالة هؤلاء الاخوان الهنود هنا اذ كنا نجد الواحد منهم في المسجد كأنه سارية من سواريه لا ينفك يصلي ويتنفّل ،حتى اذا انتقل الى محله التجاري وقد انتقلنا من المسجد مع احدهم الى بعض حوانيتهم حتى يصبح مديرا ماهرا لمحله لا يجلس ولا يفتر ولا يقدم على عمله التجاري أي شيء .

وبعد أن انتهينا من المسجد وصلينا مع الاخوان هناك عدنا الى الفندق ، وقد واصلنا تجوالنا على اقدامنا في مدينة لوساكا .

والافريقيون فيها من الجنس الزنجي الفاحم السواد الا أن قاماتهم تبدو قصيرة بالنسبة الى الافريقيين الذين يقطنون تحت خط الاستواء أي في كينية وأوغندة كما أن علامات الفقر والضعة تبدو واضحة عليهم ، ولا يوجد في هذه المدينة عربي واحد حسب ما نعرف ولم نسمع كلمة عربية الا من الامامين الهنديين وهما لا يستطيعان الكلام بالعربية الا بصعوبة ، وان كانا قد درساها دراسة واسعة في الهند ولكن ينقصهما التمرن على التحدث بها ولذلك فقد كان جميع كلامنا بالانكليزية في كل محل سواء في المطاعم أو المقاهي وحتى في المساجد مع الاسف .

وقد طلب مني الاخوان الهنود أن ألقي فيهم كلمة بعد أن يجتمعوا في المسجد بعد العشاء فأجبتهم الى ذلك وألقيت فيهم كلمة بالانكليزية بعد ان اعتذرت اليهم عما قد يقع في كلامي من اللحن او الغلط بسبب عدم اجادتي التكلم بالانكليزية ، وقد تضمنت الكلمة الحديث عن الغرض من مجيئنا الى لوساكا خاصة والى بقية اقطار شرق افريقية عامة ، كما حدثتهم عن الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وعن الغرض من انشائها هناك .

وقد طلبوا منا أن نبلغ المسؤولين في المملكة العربية السعودية بحاجتهم الشديدة وحاجة المسلمين في أقطار شرق افريقية وبخاصة في جمهوريتي زامبية وملاوي الى مرشدين ووعاظ وقالوا : انه ينبغي لمن يرسل الى هذه البلاد أن يكون عارفا بالانكليزية لأنه اذا لم يكن كذلك لم تحصل الفائدة المطلوبةمن ارساله لعدم وجود من يفهم العربية ، وقد وعدناهم بابلاغ رغبتهم تلك الى المسؤولين في المملكة .

يوم الخميس ٦/٢٣ /١٣٨٤ هـ .
٢٩/١٠/١٩٦٤ م .

في مسجد الافريقيين في لوساكا :

ذهبنا مبكرين صباحا الى مسجد للمسلمين

الافريقيين غربي لوساكا لمشاهدته وزيارة المدرسة الاسلامية الافريقية هناك وقد رأينا المسجد صغيرا ولكنه نظيف أما المدرسة فهي مكونة من غرفتين يتعلم فيهما حوالي(٤٠) طالبا من البنين والبنات وبعضهم غير موجود في الصباح لأنهم يتعلمون صباحا في مدارس الحكومة وفي المساء يتعلمون القرآن الكريم هنا . ويدرّس في هذه المدرسة مدرّسان من الافريقيين تعلما العربية والدين الاسلامي في زنجبار ولكنهما لا يستطيعان التحدث بالعربية وانما يتحدثان بالسواحلية [١] . ولكن الاطفال والمدرّسين هنا تبدو عليهم علامات الفقر وقلة ذات اليد، والمسجد لم يفرش فرشا كاملا ، ومنظره ومنظر المدرسة لا يليق بالاسلام في هذه البلاد التي يكون فيها المسلمون الاقلية ، والواقع ان المسلمين الافريقيين بحاجة الى المساعدة المادية كما هي الحال في أندولا أما المسلمون من الهنود فهم أثرياء أقوياء ذوو دين وصلاح وجميع مظاهر حياتهم الدينية والدنيوية موضع فخر واعتزاز للمسلم الغريب الذي يأتي الى هنا .

قلت اننا هنا موضع الاستغراب والتعجب من الجميع

---

١ ـ كما يفعل الهنود اذ يدرسون العلوم بالاردية وبالعربية ويعلمون الاطفال من بنين وبنات بعد الظهر اذ يذهبون جميعا في الصباح الى المدارس المدنية حيث يتعلمون الانكليزية وغيرها من المواد المدنية . .

وموقع النظرات الكثيرة المتلاحقة من الاوروبيين والافريقيين على السواء وذلك لغرابة ملابسنا العربية على أهل هذه البلاد وأذكر أن جميع من رآنا هنا وسألنا عن السبب لمجيئنا الى هذه البلاد لا يشك في أننا من المبشرين المسيحيين وقد اعتذر الينا أحد الشبان المثقفين من الافريقيين عندما قلنا له اننا مسلمون ولسنا مسيحيين بأن قال ان ملابسكم هذه لا يلبسها هنا الا العاملون في الكنيسة ، وقد كنا نقول دائما للافريقيين على سبيل المجاملة اننا عرب وان أكثرية العرب يسكنون في افريقية اذاً فان اكثرية العرب افريقيون فنحن مثلكم افريقيون ولكن بعضهم لا يسلم بذلك اذ يقول لكن بيننا وبينكم فرقا : فانكم بيض ونحن سود . فنجيب بأن نقول : ان سبب ذلك هو المناخ ليس الا ... ومن طريف ما ضحك له صاحباي وهما لا يعرفان الا العربية اننا تعرفنا على أحد الافريقيين وكنت اترجم لهما ما يقوله بالانكليزية الى العربية فكان أن سألنا من أين نكون ؟ فقلنا : اننا عرب ، فقال : أعرف ان لي صديقا زار القاهرة بلادكم ، ثم زار غانا ثم أضاف : هل لغة غانا مثل لغتكم (بربرة) ؟ وأخرج من فمه أصواتا لا معنى لها وهو جاد غير هازل .. وهكذا ضحك صاحباي حتى شبعا من هذا الافريقي الذي يسمي العربية رطانة أو بربرة على حد تعبيره ، لأنه لا يفهم منها حرفا وتمثلا بالآية الكريمة (ان تسخروا منا

فانا نسخر منكم كما تسخرون) اذ أنهما كانا يتعجبان دائما من اللغات الافريقية ذات المقاطع الكثيرة والتي يكثر فيها حرف الكاف حتى لا تكاد تخلو منه جملة واحدة .

واللغة السائدة هنا هي الانكليزية بالدرجة الاولى تليها عدة لغات افريقية ليس لها كبير قيمة بسبب تعددها أهمها : اللغة التي تسمى « تشانجا » .

وقد عانينا متاعب بسبب عدم وجود مطاعم ومشارب للمسلمين فجميع المطاعم هنا بأيدي الاوروبيين فكنا نضطر الى السؤال عن نوع اللحم ما هو ؟.. خشية ان يكون لحم خنزير كما كان أحد صاحبي يتحرج من دخول المطاعم والمشارب الاوروبية التي يوجد فيها أكثر الاحيان نساء أوروبيات قد خلعن ربقة الحياء وأصبحن كاسيات عاريات . ويقول ان هؤلاء الاوروبيين لا ينقضي عجبه منهم فنساؤهم يلبسن الملابس الخليعة حتى الرجال بعضهم يلبس سروالا قصيرا يبدو منه أكثر فخذه بشعره القبيح المنظر ، ومع ذلك ينظرون الينا والى لباسنا العربي نظرة الاستغراب ، انه لأمر لم يستطع صاحبي هضمه .

العودة الى أندولا :

ركبنا القطار الليلة من لوساكا الى أندولا بعد ان انتهينا من زيارة لوساكا وقد ذهبنا قبل ذلك الى

مكاتب شركات الطيران وحاولنا ان نجد وسيلة سريعة لزيارة بعض المقاطعات الاخرى في زامبية وفي ملاوي فلم نجد ولم نستطع الانتظار بسبب ضيق الوقت المحدد لنا فحزمنا أمرنا على العودة الى أندولا ومن هناك الى دار السلام في تنجانيقة .

وقد ودعنا في محطة القطار اخواننا المسلمون الهنود ولا أنسى منظر الشيخ الحاج سليمان بلحيته البيضاء الكثة وهو يتناول احدى حقائبنا ويحملها من المحطة الى القطار في تلك الساعة من الليل وقد حاولنا ان نثنيه عن ذلك فأبى وقال ان واجبي الاسلامي يحملني على خدمتكم ... وهكذا قضينا ليلة جميلة هادئة مريحة تمتعنا فيها بنوم طيب جميل في ذلك القطار الفاخر الذي وصفته عند سفرنا من أندولا الى لوساكا . وقد كان عمال القطار وجميع المسؤولين فيه يعاملوننا معاملة غاية في المجاملة وهم جميعا من الافريقيين عدا المفتشين فهم من الانكليز الذين نجد منهم المعاملة الطيبة ولم يظهر على أحد منهم عدم الرغبة في مساعدتنا في المواضيع التي لا تتصل بالامور الدينية علما بأننا لم نكن نخبرهم بالغرض من مجيئنا لتلك البلاد ، وربما تتغير نظرتهم الينا لو عرفوا ذلك .

أما الافريقيون ، فقد كنا نتحدثاليهم عندما يسألوننا عن الغرض من مجيئنا بأننا مسلمون جئنا لنرى بلادهم

بصفتهم اصدقاء للعرب ، ونشرح مقاصد الدين الاسلامي على وجه الاجمال ونبين لهم قواعده العامة ، وكثير منهم يتعجب من ذلك ويبدون لنا استغرابهم لانهم يسمعون هذا الكلام لأول مرة .

يوم الجمعة ١٣٨٤/٦/٢٤ هـ .
١٩٦٤/١٠/٣٠ م .

وصلنا مدينة أندولا في تمام الساعة السابعة والنصف صباحا ، وقد قصدنا توا فندقنا السابق (فندق فكتوريا). ثم ذهبنا الى شركة طيران وسط افريقية ، وقد أخبرتنا الموظفة في المكتب وهي فتاة أوروبية من جنوبي افريقية بأن جميع المقاعد قد حجزت ولما اخبرناها أننا مضطرون الى السفر ولا نستطيع التأخير قالت انها ستبرق الى مدينة «سالسبوري» عاصمة روديسية الجنوبية . تطلب حجز ثلاثة مقاعد لنا وأنها سوف تحاول ما أمكن ايجاد مقاعد لنا وطلبت منا مراجعة المكتب غدا.

وفي المساء جددنا عهدنا ببعض زعماء المسلمين من الهنود والافريقيين كما التقينا بأحد العرب واسمه « جبر حسين » وهو لبناني يقيم بصفة مؤقتة في مدينة (اليزابيث فيل) في الكنغو وقد جاء الى هذه البلاد ليقيم فيها يومين أو ثلاثة ويشتغل في تجارة الماس وقد اخبرنا أنه

يوجد عدد من المدرسين من سورية ولبنان في الكنغو تعاقدت معهم هيئة اليونسكو للتدريس هناك .

يوم السبت ٦/٢٥ /١٣٨٤ هـ .
٣١/١٠/١٩٦٤ م .

راجعنا شركة الطيران فاخبرونا بأنهم وردتهم الاجابة هذا الصباح من مدينة « سالسبوري » التي تقوم منها طائرتنا وتمر بمدينة أندولا بأنهم حجزوا لنا المقاعد وأنه يجب علينا أن نكون في المطار في الساعة الثانية عشرة والنصف ظهرا . وقد اخبرنا صاحب الفندق الذي نسكن فيه بموعد سفرنا فعرض علينا ان يخرج معنا بسيارته الخاصة الى المطار ويودعنا من هناك فشكرناه ، وقلنا له : ان أخانا اللبناني قد قال لنا أنه سيمر على الفندق ويأخذنا بسيارته .

وعندما خرجنا الى المطار وجدنا فيه الدكتور عبد العزيز السيد وزير التعليم العالي في مصر ، ومعه اثنان من الدبلوماسيين وهم جميعا يمثلون الوفد المصري الى احتفالات زامبية بالاستقلال . وقد أصبح عددنا نحن العرب في المطار سبعة وكنا نتحدث بالعربية وكانت بنبراتها القوية تعلو على أصوات المتحدثين من الاوروبيين في المطار باللغة الانكليزية .

وقد غادرت بنا الطائرة مطار أندولا في زامبية متجهة الى دار السلام في تمام الساعة الواحدة والنصف ظهـرا وهي طائرة من طراز (فريند شيب) ذات المحركين النفاثين تابعة لشركة الخطوط الجوية لشرق افريقية وقـد كانت مقاعد الطائرة جميعها مزدحمـة مملوءة بالركاب ومقاعدها تبلغ اربعين مقعدا ، وكان ركاب الطائرة يتألفون من اكثرية اوروبيـة تليها أقليـة عربية وهندية ، فقد كنا ثلاثة مـن السعوديين وثلاثة من المصريين ، وقد استمر طيران الطائرة مدة ثلاث ساعات ونصف . وكان ملاحوها كالعادة مـن الانكليـز عدا مضيفا افريقيـا كان يعمل الى جانب مضيفة انكليـزيـة . وكانت الخدمة جيدة والطعام سخيا .

حَالة المسلمين في زامبية



ان منطقة أندولا في زامبية هي التي يوجد فيها اكبر تجمع للمسلمين هناك وهم يعيشون في مناطق صغيرة متفرقة حول اندولا . وفي مدينة لوانشا توجد اقلية من المسلمين قامت شركة مناجم الماس في تلك البلدة ببناء مسجد لهم اعترافا منها بوجودهم . وقد اتصلنا بكبار المسلمين هناك واكثرهم من الطبقة المتوسطة في المجتمع بما في ذلك رئيس الجمعيةالاسلامية الافريقية الشيخ (حاجي سنتجي) ورئيس الجمعية الاسلامية الهندية في اندولا الشيخ (احمد ابراهيم) منقيرا ورئيس الجمعية الاسلامية الهندية في لوساكا السيد (آدم بدات) ولا يوجد احصاء يحدد عدد المسلمين في تلك البلاد ولكن اقرب احصاء لهم الى الحقيقة فيما نظن هو ثلاثمائة الف وهم متفرقون في البلاد واكبر نقط التجمع لهم في مقاطعة اندولا وفي مدينة فورت جيمستون وعلى شواطىء بحيرة نياسا ويتألف معظمهم من الافريقيين الذين قدموا الى البلاد من نياسالاند أو ممن اسلموا حديثا كما انه توجد جالية من المسلمين ويسكن معظم افرادها في مدينة فورت جيمستون على بحيرة نياسا .

ويعتبر المسلمون اقلية بالنسبة الى مجموع السكان بالبلاد الذي يقدر بمليون وستمائة الف نسمة . ويشتغل معظم المسلمين من الهنود ان لم يكونوا كلهم في التجارة وهم على جانب من الثراء ومن النشاط التجاري .

اما الافريقيون فاكثرهم يشتغلون عمالا في شركات التعدين وخاصة في معادن النحاس التي تكثر في تلك البلاد.

ولا تكاد توجد مدارس للمسلمين الا مدرسة للمسلمين الهنود في لوساكا العاصمة تضم ١٨٠ ما بين طالب وطالبة وهم يدرسون فيها القرآن الكريم ومبادىء الدين باللغة الاردية وقد استقدموا لها مدرسين من الهنود والدراسة فيها تبدأ بعد الظهر حيث ان جميع الطلبة يدرسون في المدارس الحكومية الرسمية قبل الظهر .

اما المساجد فانها كذلك قليلة ، ولا يزال المسلمون في قلب مدينة اندولا ويقدر عددهم بأربعين عائلة لا يجدون مسجدا يصلون فيه الجمعة فيضطر بعضهم الى الذهاب مسافة احدى عشر كيلو مترا الى الجامع الكبير الموجود هناك والذي بناه المسلمون من الافريقيين بطريقة مؤثرة ذكرناها في اليوميات .

والامر في التعليم ليس بعيدا عن ذلك فقد قام المسلمون الهنود في اندولا ببناء مدرسة لتعليم ابنائهم الدين الاسلامي في المساء وبقيت تلك المدرسة مغلقة منذ ثلاثة عشر شهرا في ذلك الوقت ولا تزال بسبب عدم وجود مدرس للاسلام في تلك البلاد لا بالتبرع ولا بطريق صرف المرتب ، ومن الشواهد على ضعف الثقافة الاسلامية هناك اننا لم نجد في الاماكن التي زرناها من تلك البلاد من

يحسن التكلم بالعربية ولا شخصا واحدا وانما كنا نتفاهم معهم بالانكليزية التي تعتبر اللغة السائدة هنا .

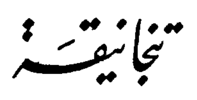
الاقتراحات :

نقترح في الوقت الحاضر ما يلي :

أ ــ ارسال عدد من المدرسين الملمين بالانكليزية أو السواحلية يوزعون على الجهات التي يقطنها المسلمون .

ب ــ توزيع عدد من الكتب وبخاصة ترجمات تفسير القرآن الكريم بالانكليزية اذ لم تقم البعثة بتوزيع شيء من الكتب الموجودة لديها لانها باللغة العربية التي لا يفهمونها وبالتالي لا يستفيدون من الكتب المذكورة .




تنجانيقة



يوم السبت ٦/٢٥ /١٣٨٤ هـ .
٣١/١٠/١٩٦٤م.

في دار السلام :

نزلنا في مطار دار السلام قادمين اليها من اندولا في زامبية وذلك قبل غروب الشمس بقليل ، وكانت الاجراءات في المطار شديدة جدا . فكانوا يطالبون كل راكب بابراز تذكرة عودته من تنجانيقة وكانوا يفتشون أمتعة الركاب بدقة متناهية ، ولم يجاملوا أحدا حتى الأوروبيين ، وكنا آخر الركاب تقريبا بسبب تخلفنا في ملء الاستمارات التي كانت مكتوبة بالانكليزية وكنت أملؤها لرفيقي . وكانت معنا أوراق ومطبوعات تتعلق بمهتنا فأشفقنا من التفتيش الدقيق خشية من سوء فهم لقصدنا لا سيما في هذا الجو الذي يسود فيه هذه البلاد وما حولها عداء محموم للعرب ولكل ما هو عربي وبخاصة عرب الجزيرة العربية ..

وكان أحد المفتشين قد اقبل الينا وقال بالانكليزية: هل تتكلمون الانكليزية جيدا ؟ فأجبته : الى حد ما . فقال بعربية فصيحة ، ولسان العرب ؟ فكانت مفاجأة سررنا بها حيث لم نتوقع أن نكلم بعربية فصيحة في هذا المطار وفي هذا الظرف بالذات فسألنا عما تحتويه حقائبنا فأخبرناه ، وقد سألناه بعد ذلك أين تعلم العربية ؟ فقال انه عربي

مــن عمان ولد في زنجبار وهو يشتغل في هذه البلاد منذ مدة طويــلة وهكذا تركنا المطار الى دار السلام وتبلــغ المسافة (١٧) كيــلا ...

وقد قصدنا فندقا كنا قد أخذنا اسمه من قبل يدعى (زاهر هوتيل) ويملكه رجل هندي مسلم اسمه « زاهــر رفيع» وأجرته ثمانيــة شلنات أي ما يقابل خمسة ريالات سعودية للسرير الواحد ، وقد جاء الى الغرفة فتى يظهــر أنه كاتب الادارة وطلب منا أن نسلم له الاجرة مقدما فقلنا له ان هذه ليست معاملة فندق كبير مشهور وليس معنا من نقود هذه البلاد الا قليل لا يكفي وعندما نصرف مــن المصرف نقودا نعطيكم واذا كنتم تصرون على طلب الاجرة مقدما فاننا سنضطر الى ترك الفندق، وعندما رأى اننا قد عزمنا على ترك فندقه تركنا ، وذكرنا بهذه المناسبة ما فعله بنا الأوروبي الذي نزلنا في فندقه في أندولا فلم يذكــر لنا شيئا أبدا عن تسديد الاجرة وجعلنا نأكل في مطعم الفندق جميع الوجبات وهو لا يعرف شيئا الا أننا عرب سعوديون ولم يطلب منا كتابة أسمائنا ولا رؤية جوازاتنا وعندما أردنا السفــر مــن عنده قدم لنا قائمة الحساب وأعطيناه صكا سيــاحيــا فقبله منــا ولم يفتــرض أنه ربما كان غــير صحيح ...

هذا مع ان ديننا غير دينه ، وجنسيتنا غير جنسيتــه وهذا الرجل الهندي مسلم ابــن مسلم ولكنها التربـــية

والتعليم وآداب المعاملة ، وقد كانت هذه الواقعة احدى المناسبات التي كنا نتألم فيها عندما نرى معاملة الاوروبيين ونقارنها بمعاملة العرب والمسلمين لاخوانهم من العرب والمسلمين الآخرين .

يوم الاحد ٢٦/٦ /١٣٨٤ هـ .
١ /١١/١٩٦٤ م .

جولة في دار السلام :

اليوم هو يوم العطلة الاسبوعية رسميا ومع ذلك فكثير من الحوانيت والمتاجر الصغيرة والكبيرة قد فتحت أبوابها على خلاف ما عليه الحال في أكثر بلدان افريقية الشرقية ، وقد عرفنا من اللافتات المكتوبة على المتاجر أن ارباب الحوانيت الذين فتحوا متاجرهم هم من المسلمين أو من الهندوكيين . والفندق الذي نزلنا فيه يقع في وسط المدينة .. وفي الحي التجاري منها بالذات ويسكن في هذا الحي الهنود وأغلبهم من الاسماعيليين ويوجد منهم قليل من الهندوكيين والسيخ [1] . وكان الجو في دار

---

١ ـ وقد بدت لنا مدينة دار السلام عند خروجنا من الفندق وكأنها مدينة هندية لولا وجود الافريقيين في الشوارع .

السلام حرا رطبا لم نسر منه بعد جو روديسية الجاف الذي يشبه الى حد ما جو بلادنا . وعندما أتممنا جولتنا في أكثر أنحاء المدينة تبين لنا أنها لا تخرج عن بقية مدن افريقيـة الشرقيـة حيـث يكون في المدينة ثلاثة أقسام يكـاد ينفصل بعضها عـن بعض أو قل ان المدينة تتكون مـن ثلاث مدن متلاصقة احداها للهنود وفيها غالبا الاحيـاء التجارية وتتألف بيوتها من طابقين أو ثلاثة ومعظمها مبنـي بالاسمنت المسلح وتكون شوارعها ضيقة غير مشجـرة ولكنها مرصوفة . والثانية للأوروبيين وهي عبارة عـن ضاحية مـن الضواحي الجميلة تتكون من فيلات متباعدة محاطة بحدائق كبيرة مشجرة الشوارع نظيفة غاية النظافة والثالثة للافريقيين وتتكون غالبا من بيوت مـن الطـين وأكواخ من الصفيح أو القش وهكذا الحال في دار السلام. وينزل العرب في حي الهنود وحي الافريقيـين مختلطـين بالفريقين ،ومدينة دار السلام مدينة تجارية عريقة في التجارة. ولكن يظهر من وجوه أهلها ومظهرهم العام أنها ليسـت في مستوى نيروبي أو كمبالا في جودة الهواء . وكثيرا مـا تـرى مظاهـر عدم الصحة على الوجوه ، وطبيعي انـه ليس فيـها أوبئة عامة ، وتشرب دار السلام مـن ماء نهري ولكنه يطهر بأدوية كثيرة ولا تكاد تستسيغ شرب المـاء بسبب شدة ظهـور طعم الادوية المطهـرة وخاصة مـادة الكلور فيه مما يجعله كريه الطعم كريه الرائحة على الرغم

مـن حلاوته .

وعندما كنا نتجول في دار السلام لم يكـن منظرنـا يسترعي الانتباه كثيرا ويثير الاستغراب ، وذلك بسبـب كثرة العرب في هذه المنطقة والسبب الثاني أن الاهالـي انفسهم يلبسون لباس العرب عدا غطاء الـرأس حيـث يقتصرون على تغطيته بالطاقيـة فقط بالاضافة الى ان من يلبسون منهم الزي الافرنجي هم المتعلمون .

وأكثر المطاعم هنا ان لم يكن جميعها يديرها الهنود. فصعب علينـا استساغـة طعامهم بسبب كثرة الفلفـل والبهارات والدهـن فيه ، وبسبب طريقة طهيهم الطعام ، والطعام متوسط القيمة فاننا نستطيع أن نأكل وجبة مـن الارزّ والخبز واللحم ونشرب فنجانا من القهوة بأربعة شلنات، أما الافريقيون فلا يوجد لهم مطاعم خاصة كما هي الحال في أكثر البلدان الافريقية التي زرناها .

العرب في دار السلام :

يبلغ عدد العرب في دار السـلام حسب الاحصـاء الرسمي الحكومي لعام ١٩٦٢ (٣٥٠٠) نسمة وفي تنجانيقة كلها (٣٢) ألف نسمة [١] يشتغلون في التجارة والزراعـة

---

١ ــ لا شك انهم قد زادوا كثيرا بعد كارثة زنجبار اذ هاجر مـن هناك عدد منهم واستقروا في تنجانيقة هربـا بأنفسهم مـن القتل والسجن .

وبعضهم موظفون في الشركات وغالبهم من حضرموت وعمان ويوجد أقلية منهم من اليمن وعدن وليس فيهم من عرب الشرق الاوسط أحد ..

وفي دار السلام استرعى انتباهنا كثرة المساجد والحق أن دار السلام تعتبر مدينة اسلامية حيث يبلغ عدد المسلمين فيها نسبة لا تقل عن عدد المسلمين في المدن الاسلامية المعروفة كالخرطوم والقاهرة وغير المسلمين فيها الآن هم باستثناء الاوروبيين والهنود من الافريقيين الذين جاؤوا حديثا من داخل البلاد للعمل أو الاقامة فيها وليسوا من سكانها الاصليين .

وعدد المساجد في دار السلام كبير جدا وهي موزعة على المذاهب الطائفية هناك فمثلا مسجد السنيين الاحناف ومسجد الاباضية ومسجد الشافعية وللشيعة الاثنى عشرية مسجد وللاسماعيلية اتباع آغاخان معبد يسمونه مسجدا وقد كتبوا عليه مسجد الخوجا ، وللبهرة مسجد ، حتى القاديانية لهم مكان يسمونه مسجدا .

ومن الشوارع الرئيسية في دار السلام شارع الجمعة وشارع آخر يسمى شارع الحايد ..

ومن المعلوم ان دار السلام أول من بناها العمانيون، وذلك عندما انتصروا على البرتغاليين في احدى المعارك ، وآبوا بأسطولهم الى مرفأ دار السلام في الوقت الحاضر أطلقوا عليه هذا الاسم ، وبذلك بدأت دار السلام وأخذت

تنمو حتى اصبح عدد سكانها الآن يقاربمائتي ألف نسمة.

يوم الاثنين ٢٧/٦ /١٣٨٤ هـ .
٢ /١١/١٩٦٤م.

مع كبير علماء تنجانيقـة :

ذهبنا لزيارة الشيخحسن بن عمير الشيرازي من كبار علماء المسلميـن هنا ان لم يكـن أكبرهـم وكنت قـد التقيت به في المدينة المنورة في العام الماضي حيث كان عضوا في الوفد التنجانيقي الرسمي الذي زار المملكة العربيـة السعودية ضمـن جولة له في البلاد العربية كما وجـدت عنده عددا من طلبة العلم الذيـن يعرفون اللغة العربيـة ويدرسون في المدارس الاسلامية في تنجانيقة .

المتحف الوطني :

زرنا المتحف الوطني ويقع في الحي الاوروبي في ضاحية جميـلة شمالي شرق المدينة وقد كتب عليه لافتةأنه أنشىء في عهـد الملك جورج الخامس ملك بريطانية ويتألف من غرف تضم احداها المخلفات القبليـة وكلها حديثة ويتألف معظمها مـن طبول ورمـاح وسيوف وأقنعـة وملابس افريقيـة وقد كتب عليها بالانكليزية وفي بعض الاحيـان يكتب معها بالسواحليـة ايضاحات غير كافية ، وقاعـة

اخرى تضم مخلفات عربية معظمها من زنجبار وتضم رسوما زيتية عن بعض المناظر التاريخية الحديثة في البلاد مثل منظر العبيد والسحرة الذين كان الالمان يجبرونهم على العمل ابان الاستعمار الالماني لشرق افريقية وقبل دخول الانكليز ، كما يضم بعض المناظر لبيع العبيد ومنها منظر سوق بيع العبيد في زنجبار منذ مائة سنة ، ورسوما ايضاحية لتاريخ الاستعمار العربي والافريقي لساحل تنجانيقة على حد تعبير الذين كتبوا على تلك اللوحات ، وجميع الرسوم التي كتبت عن التاريخ العربي تظهرهم أي العرب بمظهر الحاكم المسيطر على الافريقيين ولكن المخلفات العربية جميلة وتدل على الحضارة التي بلغها الحكام العرب في شرق افريقية وبخاصة في زنجبار حيث عرض فيه كرسي جميل مطعم بعضه بالذهب وبعضه مطعم بالفضة وسرير للنوم يشبه سرر سلاطين المماليك في مصر والشام وأواني صنع القهوة وسيوف وخناجر محلاة بالذهب وملابس عربية جميلة من القرن الماضي ، والواقع ان الآثار العربية فيه من أنفس ما في المتحف حسب ما تراءى لي .

والحقيقة ان المتحف لا يستحق الاعجاب ويعتبر فقيرا في مادته وتنظيمه ولكنه على كل حال خير من لا شيء ويستحق من أنشأه من لا شيء الثناء والتقدير ..

ومن المفارقات فيه أنه وضع في داخله تمثال نصفي

بالحجم الطبيعي لأحد الانكليز الذين أسسوا هذا المتحف وأفنوا حياتهم في جمع مادته وقد وضع الافريقيون بعد الاستقلال بجانبه صورة بارزة للرئيس « يوليوس نيريري » رئيس الجمهورية مع أنه ليس له في انشاءالمتحف يد وهذا خلاف ما جرت عليه العادة في المتاحف الاخرى حيث يخلد اصحاب الجهد الحقيقيون في انشائها ولا يذكر معهم الزعماء السياسيون الذين يعملون في غير هذا الحقل وعلى سبيل المثال فلم توضع صورة الزعيم « جوموكينياتا » بجانب صورةالانكليزي الذي قام بانشاء متحف نيروبي العظيم ، وقد خرجنا من المتحف الى قاعة أخرى تابعة له ولكنها منفصلة عنه وفيها تعرض صور فوتوغرافية معظمها من رسوم حديثة جاءت من الخارج مثل المعرض البلغاري الذي أقيم من قبل ...

يوم الاربعاء ٢٩/٦/ ١٣٨٤ هـ .
٤ /١١/١٩٦٤ م .

جمعية تشجيع التعليم الاسلامي :

زارنا اليوم في الفندق الاستاذ عمر مهاجي وهو المسؤول عن التعليم الاسلامي فيجمعية الاسعاف الاسلامية بتنجانيقة وهو في الوقتنفسه أحد موظفي الحكومة وأحد أعضاء الحزب الوطني الافريقي الحاكم .

وبعد أن تحدثنا معه في الشؤون المتعلقة بالمسلمين اتفقنا على أن يصحبنا في جولة على بعض المدارس الاسلامية التي تقوم الجمعية بمساعدتها ولكي يطلعنا على بعض معالم البلاد القريبة من دار السلام بعد أن أخبرنا أنه لولا ضيق الوقت لدينا لذهب بنا في جولة واسعة في أنحاء تنجانيقة كما يقول فشكرناه على ذلك وذهبنا معه في الساعة الثانية بعد الظهر الى ثلاث مدارس اسلامية قد اتفقت الجمعية الاسلامية المذكورة مع وزارة المعارف في حكومة تنجانيقة على أن تعين الحكومة مدرسين للغة الانكليزية والعلوم المدنية فيها وتعين الجمعية مدرسين للديانة الاسلامية ، ويدفع كل من الفريقين رواتب المدرسين الذين يعينهم وقد زرنا بعض المدارس المذكورة فوجدناها مدارس لا بأس بها قريبة من ان تستكمل شروط المدارس النظامية ، ولكنها لا تزال بحاجة الى تشجيع ومساندة وخاصة فيما يتعلق بالمصاحف والاجزاء القرآنية كما أنها تعاني نقصا في عدد المدرسين الذين يجيدون تدريس اللغة العربية الى جانب معرفتهم بالسواحلية لغة البلاد .

ثم خرجنا من دار السلام في اتجاه الغرب الى مبنى الكلية الجامعية هناك ، وهي تقع على ربوة عالية وتبعد عن دار السلام مسافة ١٦ كيلو مترا ، ولكن المنطقة لا تعد شيئا مذكورا بالنسبة الى جمال البلاد الافريقية الاخرى في كينية وحتى الساحلية منها مثل ممباسة .

وأقرب شبه بدار السلام من المدن هي مدينة مقديشو . وهي تشترك معها في أن كلا منهما على ساحل المحيط الهندي ويكادان يتساويان في البعد عن خط الاستواء ، الا أن دار السلام تقع جنوبي خط الاستواء ومقديشو شماليه ..

عرب بلا عربية :

قابلنا في الفندق اليوم جماعة عرفنا من أشكالهم أنهم عمانيون ومعهم اولادهم وقد حاولنا ان نغتنم هذه الفرصة فنكلمهم الا أن أحدا منهم لم يفهم منا ما نقول ، ولم ينطقوا الا ببضع كلمات لا تغني ولا تسمن من عوز ،وبعد قليل حضر شيخ ملتح جليل ، فكلمنا بعربية فصيحة وقال بالحرف الواحد : العفو منكم هؤلاء لا يعرفون الا السواحلية لأنهم لم تتح لهم فرصة الالتحاق بالمدارس العربية ولم يعرفوا من العامة في الشوارع الا السواحلية .

وقد أسفنا كثيرا لأن عددا كبيرا من العرب ممن ولدوا في شرق افريقية لا يعرفون العربية ، ولولا ما بقي لهم من لون لم تستكمل شمس افريقية الاجهاز عليه بعد ، ولولا علامات مميزة لهم كالعمامة لم يعرف أحد أنهم عرب ، او أن آباءهم كانوا يوما ما من العرب ..

يوم الخميس ١/ ٧ /١٣٨٤ هـ .
٥/١١/١٩٦٤ م .

في مطار زنجبار :

في طريق العودة الى نيروبي من دار السلام اخترنا الطائرة التي تمر بزنجبار فمدينة تانجا في تنجانيقة فمدينة ممباسة في كينية فنيروبي ، على الطائرة التي تذهب مباشرة من دار السلام الى نيروبي وذلك لأن الأولى تسافر صباحا والثانية تسافر مساء ولأننا نستطيع أن نرى في الأولى ما لا نراه في الثانية .

وقد غادرنا الفندق في تمام الساعة السادسة والنصف الى مطار دار السلام وقد تكرم بوداعنا بعض اخواننا من المسلمين والعرب وغادرنا مطار دار السلام في تمام الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والعشرين على طائرة تابعة لخطوط شركة شرقي‌افريقية للطيران من طراز (فريند شيب) ذات المحركين .

وقد استغرقت الرحلة من دار السلام الى زنجبار مدة (١٧) دقيقة تمتعنا خلالها بمشاهدة شاطىء افريقية الشرقي وشاطىء زنجبار على البعد في منتصف الطريق ولكن حين قربنا من زنجبار كثرت السحب المنخفضة فلم نر شواطىء جزيرة زنجبار الشرقية الا بعد ان نزلت الطائرة الى مستوى السحاب وكان‌منظر الطائرة من خلال السحاب

الواطىء الخفيف المشبع بذرات الماء الدقيقة رائعا ، ثم بدت لنا جزيرة زنجبار من الطائرة خضراء كثيفة الاشجار ، وقد كسا أرضها نخيل جوز الهند واشجار القرنفل الذي قيل ان زنجبار تنتج منه ٩٠٪ من جميع القرنفل في العالم ، ولـم أستطع رؤية الشجر عن قرب لذلك، لم أستطع وصفهـا .

وبعد أن وصلنا مطـار زنجبار ، وهو مطار متوسط نظيف وقد كتب على واجهته بالعربية الى جانب الانكليزية (زنجبار) وكان بهذا أول مطار نرى الكتابة عليه بالعربية منـذ ما يقرب مـن ثلاثة أشهر عندما تركنا مطار الخرطوم باستثناء بعض الكلمات التي رأيناها بالعربية على مكاتب مطار مقديشو ، وقد عرضت في ساحة العابرين (الترانزيت) في المطار صور وطوابع تمثل بعض مناظر زنجبار في السابق ومنها اظهارهم الافريقي قد حطم القيد مـن يديه (القيد العربي) فيما يزعمون ، وكنا نشعـر ان نظـرات بعض الموظفين الينا غير ودية .

لماذا لم نزر زنجبار ؟

كان برنامج رحلتنا يتضمن زيارة زنجبار للاطلاع على أحوال التعليم الاسلامي فيها وبخاصة وأنه كان هناك معهد اسلامي تخرج منه عدد كبير مـن طلبة العلم من سائـر انحاء شرقي افريقيـة وكنا نظـن ان الاوضاع التي أعقبت كارثة العرب في زنجبار قد تغيرت قليلا بحيث يمكن لنـا

ان نقوم بتلك الزيارة ولكننا عرفنا بعد وصولنا الى شرق افريقيــة ان الظروف لا تزال كما هي وأن العرب بصفــة خاصة قد منــع دخولهم الى زنجبار . وان الفئات الاخرى مــن الناس اذا أرادوا دخول زنجبار عليهم ان يرسلــوا طلبا مكتوبا وينتظروا جوابه وغالبا ما يستغرق ذلك شهرا أو اكثر لأنه لا توجد سلطة خارج زنجبار تستطيع منـــح تأشيرة دخول اليها ، لذا فليس بامكاننا الانتظار المـــدة الطويــلة المذكورة مع اننا كنا على ثقة من النتيجة بانهــا ستكون الرفض .

أسباب كارثة زنجبار :

منذ وصلت الى شرق افريقيــة وأنا أتحدث مع كــل مــن أحسست منــه حســن تقدير للأمور وبصر ببواطنها من العرب والافريقيين أسألهم عن الاسباب الحقيقية لكارثة زنجبار التي أطاحت بعد اقل من شهر على حصول البــلاد على استقلالها بالحكم العربي هناك ، وألحقت بالعــــرب اضرارا مادية ومعنوية لا يمكــن تقدير مداها .

وقد اتضح لي من مجمــوع ما استقريته من الامور ما يلي :

اولا : إن بعض العرب كانوا يحكمون في زنجبــار بدون ان يختلطوا بالافريقيين ويمتزجوا سياسيا معهم فكان الافريقيون ينظرون اليهم لهذا السبب نظرتهم الى حكــام

اجانب يجب التخلص منهم .

ثانيا : أن هناك رواسب قديمة من مشاعــر الكراهية للعرب تولد معظمها من كون بعض العرب والآسيويين ممن لا يتقيدون بأحكام الشريعة الاسلاميـــة ولا يميزون بين الحلال والحرام فيها كانوا يتاجرون بالرقيق ليس ذلـــك فحسب بل انهم كانوا في بعض الاحيان ينهبون الافريقيين ومنهم مسلمون ويبيعونهم في الخارج ويفرقون بذلك بين المرء منهم وزوجه وأهله وذويه وطبيعي أن مثل تلك المشاعر المهتاجة لا تفرق بين الجاني وغير الجاني من العرب .

ثالثا : أنه عند وصول الانكليز الى زنجبار بعد ان عقدوا معاهدة حماية مع سلطانها وفدت معهم الثقافة الغربية التي منها حرية الصحافة والتعبير فاستطاع أن يسيطر على الدعاية والاعلام أناس من الاوروبيين وغيرهم من الحاقدين على الاسلام والعرب فجعلوا على المدى الطويل يظهرون العرب للافريقيين على أنهم اناس غزاة مغامرون وصلوا الى افريقية لهذا الغرض ، كما شرحوا بطريقة مبالغ فيها ما كان العرب يزاولونه من تجارة الرقيق هناك . وقد استطاعــوا على مر السنين أن يسمموا افكار الافريقيين في نفس الوقت الذي لم يكن فيه العرب يعنون بالرد على تلك المفتريات بل لم يكونوا يعنون بالدعاية السياسية اصلا .

رابعا : ان ريح الوطنية الافريقية قد هبت على زنجبار من سائر انحاء القارة الافريقية ، وتلك الروح الوطنية ترى

الحكام العرب عنصرا خارجا عن نطاق القومية الافريقية ، وذلك لان العرب يتميزون بلونهم وعرقهم عن الافريقيين ، ولم يوفقوا الى ان يفصحوا عن صلات القربى التي كانت تصلهم بهم على مر العصور .

خامسا : تسلسلت اليسارية بل الماركسية والافكار المستوردة من خارج القارة الافريقية الى زنجبار فأخذت تصور الحكام العرب في زنجبار لا للافريقيين فحسب بل ولبعض العرب بأنهم حكام اقطاعيون مستبدون يجب القضاء عليهم واسقاط حكمهم تحقيقا للاهداف اليسارية .

فاجتمعت الماركسية المتعصبة ضد الاسلام مع القومية الافريقية المتعصبة ضد العرب بعد أن غذتهما العوامل التي ذكرتها على نكبة العرب في ذلك المكان الذي حكموه مئات السنين ، وكان لهم شرف طرد البرتغاليين منه بعد ان عاث هؤلاء البرتغاليون فيه فسادا وافسادا .

والمؤسف في الامر أنه قد ذهبت في تلك العاصفة الهوجاء دماء عربية بريئة ، وأهدرت كرامات عزيزة ، وكان من أبرز ما في ذلك هتك أعراض الأسر العربية الكريمة من الرعاع والسوقة حتى أصبحت أسر عربية كريمة بين ليلة وضحاها تتكفف الناس لكي تعيش ، بعد أن كانت تنعم بالكرامة والعيش الرغيد ، واصبحت بعض كرائم وعقائل العرب اذا وجدت من يمن عليها بالملجأ والعيش عيشة الخدام ، فانها تشعر بأنها قد حصلت على خير كثير .

والآن ما هي الحالة في زنجبار ؟

يقول العارفون بالامور أن الله سبحانه وتعالى قد ابتلى الزنجباريين الآن بالخوف والجوع ونقص من الاموال والأنفس والثمرات .

فقد جاء الى الحكم اناس لا يعرفـــون اساليبه ولا يقدرونها حق قدرها ، فأساءوا ادارة البلاد ، ونهبوا خيراتها فلم يبق لعامة الناس الا الخوف والارهـــاب ، واصبحت زنجبار بعد أن كانت تسمى جزيرة الاحلام لأنها كانت آمنة مطمئنة تعيش الكراهية والحرمان والتعصب حتـــى بين صانعي النكبة أنفسهم .

العرب في شرقي افريقية :

ويسوقنا هذا الكلام الى تسجيل كلمة مختصرة عــن العرب في شرقي افريقيـــة .

لقد لمحت خلال يومياتي بايجاز عن أحوال العرب في شرقي افريقية في الحاضر والماضي ، وأنهم كانوا علـــى مر القرون يفدون الى تلك الديار زائرين وتجارا بل ومستوطنين، وأن كثيرا منهم قد اتخذوها دارا واندمجوا بأهلها ونشأ عن ذلك اللغة السواحلية والمدن العربية الافريقية التي كانت تقوم في مختلف العهود في تلك البلاد والتي لا يزال بعضها قائما حتى الآن مثل ممباسة وماليندي ودار السلام الخ ...

بل كان العرب أول من لفت الانظار الى تلك البلاد وسماها برالزنج التي حرفت بعد ذلك الى زنجبار أي الزنج لأن كلمة بار هي كلمة « بــر » بالعربية ضد « بحــر » وجميع العرب في شرق افريقية هــم من جنوبي وشرقــي الجزيرة العربية من عمان حتى اليمن ويمكن تقسيمهم الآن الى ثلاث فئات ..

الاولى : العمانيون ، وهم كانوا الحكام والطبقــات الممتازة في الماضي ، ولا يزال منهم في الحاضر موظفون كبار وحكام ولايات في كينية وهم بمظاهرهم التي منها بياض بشرتهم نسبيا وأنوفهم الشماء وأزيائهم التقليديــة يمثلون الحكام العرب في نظر الاجانب الوافدين الى تلــك البلاد حتى أن البرتغاليين عندما وصلوا شرقي افريقية مــن رأس الرجاء الصالح سموهم المغاربة ظنا منهم انهم من اهــــل المغرب العربي ، أو تشبيها لهم بعرب المغرب .

الثانية : فئة الحضرميين ، وهم تجار فحسب ، وقد حصل بعضهم على ثروات كبيرة في شرقي افريقية وهــم أنشط الى الدعوة للاسلام في افريقية والسعي لادخــال الافريقيين الى حظيرته ، وأكبر دليل على ذلك ان مسلمي شرق افريقية من الافريقيين هم شافعيو المذهب اي علــى مذهب الحضارم ، وليسوا أباضية على مذهب العمانيين .

الثالثة : فئة اليمانيين و « أبناء الجنوب العربي » ، وكثير منهم الآن يعيش عيشة الكفاف في تلك البلاد ، ومما

يؤسف له أن بعضهم يتعاطون بيع وشراء القات ، تلك الشجرة الخبيثة التي تهدم البدن وتؤثر تأثيرا سيئا على العقل وقد راح فريق من عقلاء الافريقيين ينحون باللائمة على باعة القات من العرب بأنهم حتى بعد استقلال البلاد لا يزالون يسهلون للافريقيين الوقوع في شرك « القات » الخبيث .

هذه حالة العرب في الحاضر أما في المستقبل فأنا لا أتوقع للعرب ولا لأي جنس آخر أبيض أو اسمر أي مستقبل مشرق في افريقية ،لأن الافريقيين قد أخذتهم نشوة الظفر باستقلال بلادهم فاصبحوا يشعرون بأن لهم الحق في أن يكونوا دون سواهم من الاجناس سادة بلادهم ، وأن يعتبروا غيرهم من الوافدين من خارج القارة غرباء ليس لهم حق العيش كما للافريقيين الا بمقدار ما يؤدي للبلاد من خدمة على أن ننظر اليهم نظرة الغريب المتميز .

ومن المعلوم انه اذا كان التمييز بين الأجناس البشرية بعامل اللون فان ذلك يكون أصعب أنواع التمييز لأن لون الانسان لا يمكن ستره لذلك لا يمكن تناسيه فضلا عن نسيانه . وذلك بخلاف التمييز الذي يكون على أساس العرق والدين واللغة .

الى تنجانا :

تركنا مطار زنجبار بعد أن لبثنا فيه ربع ساعة وركبنا

الطائرة الى مدينة تانجا في تنجانيقة على ساحل القـــارة الافريقية الى الشمال الغربي من زنجبار . وقد تعمـــد الطيار أن يمر بنا فوق مدينة زنجبار بعد اقــلاع الطائرة فرأيناها من الجو مدينة عربية ذات بيوت متلاصقة وغــير واسعة وتقع في الجهة الجنوبية الغربية من الجزيرة . وكان أعلى ما فيها مئذنة شاهقة تشهد بأن البلدة بلدة اسلامية عريقة ولا غرابة فان المسلمين في زنجبار يبلغون ٩٥ ٪ من السكـــان .

أما الجزيرة نفسها فان المرء يرى شواطئها واضحة من الطائرة ولم تمض على مغادرة الطائرة مطـــار زنجبار غير ٢٨ دقيقة حتى وصلنا مدينة تانجا وهي تبدو من الطائرة مدينة جميلة كما يبدو الساحل الافريقي على المحيط الهندي الذي تقع فيه المدينة أخضر مفروشا بالغابات ، ومطارهـــا صغير نسبيا ، وأول ما لفت نظري فيه ان دورات المياه فيه كتب عليها « مرحاض أوروبي » أي افرنجي و « مرحاض آسيوي » أما الافريقيون فلم تذكر لهم مراحيض هنا وقد أمضينا في مطار مدينة «تانجا» ٢٥ دقيقة ثم غادرتها الطائرة.

الى ممباسة :

وكان اكثر من نصف مقاعد الطائرة خاليـــا منذ أن غادرنا دار السلام حتى الآن حيث كان عدد الركاب قليـــلا وأكثرهم كالعادة من الاوروبيين والهنود الا أنه كان معنا

افريقيان فقط . وقد أمضينا ٣٢ دقيقة في الطائرة ثم وصلنا الى مطار مدينة ممباسة في كينية ، وكان مطارها بالنسبة الى المطارات الثلاثة التي أقلعنا منها هذا الصباح وهي مطارات دار السلام وزنجبار وتانجا فخما واسعا جميل الرياش وكان يعج بالمسافرين وخاصة من الاوروبيين الذين كان بعضهم ينتظر طائرات ليسافر الى نيروبي وبعضهم ينتظر طائرات أخرى سافرت احداها الى دار السلام وهكذا امضينا ٣٢ دقيقة في مطار ممباسة ومن ثم غادرناه الى نيروبي ، وقد ازدحمت الطائرة الآن بالركاب حتى كادت تمتلىء جميع مقاعدها .

وأمضينا في الطريق من ممباسةالى نيروبي ساعة وربعا، وأتيح لنا ايضا ان نرى قمة جبل كليمنجارو الشاهقة ولكن على البعد وقد جللتها قطع من السحاب الابيض الذي ارتفع عن مستوى السحاب العادي صاعدا مع ارتفاع الجبل حتى منكبيه فذكرت بيت امرىء القيس الذي يقوله في جبل أبان ولو رأى جبل كليمنجارو لما أثار أبان في نفسه شيئا من الشعر :

كأن أبانا في أفانين ويله كبير أناس في بجاد مزمل

ولم تفتش حقائبنا ولا حقائب أحد من الركاب الذين جاؤوا معنا بالطائرة ، وهكذا عدنا الى مدينة نيروبي تاج افريقية الجميل ، المدينة التي لا يمل المرء العودة اليها .



إلى تنزانية... مرّة أخرى



يوم الثلاثاء ١٣٨٦/٨/١٦ هـ .
١٩٦٦/١١/٢٩ م .

ذهبنا مبكرين الى مطار نيروبي فاقلعت بنا طائــــرة تابعة لشركة خطوط شرق افريقية الجوية من طراز (فرينـد شيب) ذات المحركين متأخرة زهاء عشرين دقيقة الأمر الذي لم نعتده من الشركة المذكورة حيث كانت طائراتها دائمـا مضرب المثل في دقة المواعيد وضبطها ، وقد غادرت الطائرة مطار نيروبي في تمام الساعة السابعة والدقيقة الاربعين الى ماليندي في كينية وعلى متنها ثلاثة وثلاثون راكبـا لم أر بينهم افريقيا واحدا على عادة الطائرات في افريقية الشرقية، وكان معظم الركاب من الاوروبيين وبعض الهنود وقـــد جلس في المقعد المجاور لي في الطائرة أوروبي لاحظت عليه المرح وبعد أن تحدث الي وتحدثت اليه ذكر لي أنه انكليزي ترك انكلترا منذ عهد طويل ، وأنه عاش عــدة سنوات في عدن وفي ليبيا كما أنه قد زار من البلاد العربية سوريــة ولبنان ومصر . وقد أنفقنا الوقت كلـــه في الحديث معه واستمر الطيران لمدة ساعة وعشرين دقيقة حيث وصلنا مطار ماليندي وقد أخبرني أنه ذاهب الى ممباسة .

مطار ماليندي :

مطار صغير ولكنه نظيف ويقع وسط أراض كثيفــة الاشجار بل هي غابات عظيمة حيث أن ماليندي كما أسلفت

مدينة ساحلية تقع على المحيط الهندي .

وفي المطار انتظرنا (١٥) دقيقة ، ثم عدنا الى الطائرة ولم ينزل أحد من ركابها كما لم يصعد اليها راكب جديد، وقد تكلم صاحبنا الانكليزي عن اسماء بعض البلاد بالعربية مثل دار السلام ، وقبل أن ننزل في مطار ممباسة أخرج لي بطاقته الشخصية «الكرت» وأعطاها الي وطلب مني أن أملي عليها اسمي وعنواني وقال آمل اذا عدت الى نيروبي أن أراك هناك .

ونظرت في الكارت فاذا هو شخصية كبيرة فهو جنرال سابق في الجيش ويعمل الآن مديرا لشركة القوة الكهربائية في شرقي افريقية ، وقد استمر طيراننا من ماليندي الى ممباسة عشرين دقيقة ثم من ممباسة الى (تانجا) وهي اول مدينة في تنزانية نصلها في هذه الرحلة «٣٠» دقيقة ومطارها صغير وهو أقل نظافة من مطار ماليندي وقد انتظرنا هناك (١٥) دقيقة ، ثم قمنا من «تانجا» الى زنجبار حيث قطعت الطائرة المسافة في (٣٥) دقيقة ولبثت قبل نزولها تطير في محاذاة الساحل الغربي للجزيرة حيث كان ساحل افريقية الرئيسي عن يميننا وساحل زنجبار عن يسارنا وتبدو زنجبار حقا جزيرة خضراء لا تكاد ترى فيها بقعة خالية من الخضرة .

والواقع أن كلمة زنجبار معناها بر الزنج أو ساحل بلاد الزنج وكانت تطلق قديما على ذلك الساحل الذي هو

الآن عـن يميننا أي على الساحل الافريقي وليس على تلك الجزيرة الصغيرة بالذات ولكن الاسم بعد ذلك انصرفالى تلك الجزيرة كمـا انصرف اسم البحريـن مـن سـاحـل الجزيرة العربيـة الشرقي أي بلاد القطيف والاحساء الى تلك الجزيرة الصغيرة في الخليج العربي والتي كانت تسمى جزيرة «أوال» وعندما اقتربت الطائرة بنا من الارض وهي تستعـد للنزول على بعد من المطار ظهرت لنا قبة المسجـد الجامع في مدينة زنجبار وهي أوضح ما تكون من المدينـة ثم ظهـرت عدة مآذن اخرى .

مطار زنجبار :

نزلت الطائرةفكان أول ما حاولت أن أراه تلكالكلمة المكتوبة بالعربية والتي رأيتها في المرة الماضية عندما زرت أو على الاصح عندما نزلنا في مطار زنجبار عابرين علـى نفس الخط الذي نسير عليه الآن الا أنه في الاتجاه المضاد وهي كلمة « زنجبار » . وقد وجدتها كما هي ، ثم دخلنا قاعة العابريـن وقد تفقدتها لأرى ما اذا كانت تلك الصور التي كانت تصور تخلص الافريقيين من حكم العرب فـي زنجبار باقية كمـا رأيناها في المرة الماضيـة حيث كانت الثورة التي قاموا بها ضد العرب لم يمض عليها وقت طويل وقد وجدتها مرفوعة مـن القاعة وكانت احدى اللوحات المذكورة تصور الافريقي وقد حطم القيد الذي كان فـي

يديه اشارة الى ما سبق ، وقــد لبثت الطائرة في المطــار عشريــن دقيقة ثم قمنا الى دار السلام ولم يستمر طيرانها غيــر (١٥) دقيقة نزلنا بعدها في مطار دار السلام .

المطار كما عهدناه لا يداني مطار نيروبي ولكنه قــد أحدثت فيه ترميــمات حسنت مــن مظهره قليلا ، وقــد مررنا خلى ضابط الجوازات وكــان افريقياً بجانبه آخــر يظهــر أن أصله عربي وما أن عرفنا أننا عرب حتى اخــذا يدققان في الجواز ويسألان عــن عملنا ثم مررنا من عندهما الى ضابط الجمرك الذي سألنا من أين قدمتم فقلنا له اننا قدمنا مــن نيروبي فأشار الى حقائبنا بدون تفتيش ،حيث أن جميع أقطار شرقــي افريقية وهــي كينيــة وتنزانيــة وأوغندة تعتبر منطقة جمركية واحدة ، وهكذا اخرجنا من المطار بسهولة لم نكن نتصورها .

ونزلنا في فندق «زاهر هوتيل» وصاحبه مسلم سني هندي وهو الفندق الذي سكنت فيه في الرحلة السابقة .

دار السلام :

هذه هي المرة الثانية التي أدخل فيها دار السلام ولم تتغيــر عمــا رأيتها عليه منذ سنتين سوى أننـــا الآن في موسم الحر هنا حيــث شعرنا بحر شديد لم نكد نتصور أنه موجــود في شرقي افريقيــة وخاصة لأننــا قدمنا من نيروبي وقبلها من أوغندة ، ولا غرو فموسم الحر هنا قــد

بدأ لأن دار السلام تقع في النصف الجنوبي من الكرة الارضية وهي الى ذلك مدينة ساحلية ويجدر بالذكر أننا علمنا ان العطلة الصيفية للمدارس هنا بدأت قبل ثلاثة أيام أي يوم «٢٥» نوفمبر وهذا في الوقت الذي يشتد فيه البرد في بلادنا في هذه الايام ويستعد الناس عندنا لموسم الشتاء بل يعتبرون الموسم قد حل ويمكن ان يقال از اربعينية الشتاء في بلادنا تساوي أربعينية الصيف في هذه البلاد .

والذي يقدم من نيروبي الى دار السلام يلاحظ الفرق بينهما ليس فقط في الجو بل في تنظيم البلدتين ونظافتهما فبينما تعد نيروبي مدينة نموذجية بالنسبة لدول شرقي افريقية تعتبر دار السلام تشبه الموانىء في جزيرة العرب حيث يكثر التراب في الاسواق وتكثر الاماكن التي تحتاج الى ترميم في الشوارع والارصفة وغيرها .

أما في اللباس وألوان السكان ولغتهم فليس هناك كبير فرق الا في قلة الاوروبيين هنا وكثرتهم في نيروبي ، والا فالسواد الاعظم هنا من الافريقيين يليهم الهنود وهنا يجد المرء جالية عربية نشيطة نسبيا على خلاف ما عليه الحال في نيروبي ويرى أيضا فرقا في الاسماء التي تعلو المتاجر والحوانيت اذ ان أكثر الهنود هنا من المسلمين على خلاف ما عليه الحال في نيروبي حيث أكثر

الهنود من الهندوكيين كما أن هناك في نيروبي جماعة من السيخ كبيرة وهم هنا من الندرة بحيث لا يكادون يرون وفي دار السلام لا يعدم المرء لافتة مكتوبة بالعربية وان كانت قليلة ، والعرب هنا أكثرهم من التجار وان كان التجار الكبار فيهم قليلون وأكثر التجار من الحضرميين ثم من العمانيين .

وقد قصدنا مسجد الجمعة حيث صلينا المغرب فيه وتعرفنا على امامه وهو عربي حضرمي يدعى « عبد القادر الجنيد » ، وقد طربنا حين رأينا المسجد يكاد يمتلىء على سعته بالمصلين الذين حضروا للصلاة قبل أذان المغرب بوقت ، وقد صلى خلف الامام من الناس عدد كبير جدا ، ولعل السبب في ذلك كون المسجد المذكور يقع في السوق العام في دار السلام فيصلي فيه التجار وغيرهم .

يوم الاربعاء ١٧/ ٨/ ١٣٨٦ هـ .
٣٠/١١/١٩٦٦ م .

لدى الجمعية الاسلامية :

خرجنا مبكرين اليوم قاصدين مقر جمعية الاسعاف الاسلامية التي هي الجمعية الاسلامية الوحيدة المأذون بها في تنزانية في هذا الوقت وقد قابلنا فيها الاستاذ عزيز خاكي الامين العام للجمعية وكنت قد اجتمعت به سابقا في المدينة

المنورة ثم في دار السلام وبحثت معه في شأن مهمتنا لأننا لم نجد رئيس الجمعية المذكورة وهو أحد زعماء المسلمين من الافريقيين في هذه البلاد ،وكان وزير الاراضي والغابات سابقا ، ثم سفير تنزانية في الصين ، ويعمل مديرا للمصانع الحكومية في دار السلام .

ثم تركنا الجمعية قاصدين قنصلية زامبية لأخذ تأشيرة منها الى زامبية ، وقد قابلتنا فتاة افريقية أخذت جوازاتنا ثم أعادتها الينا بعد فحصها داخل المبنى ، ثم أعطتنا استمارات لملئها وأمرتنا بالرجوع اليهم غدا .

في سفارة الكنغو :

ومن سفارة زامبية دخلنا الى مكان مجاور هو سفارة الكنغو في دار السلام وقد قابلتنا فتاة افريقية عرفنا فيما بعد أنها تنزانية الجنسية من تانجا ، فلما أخبرناها أننا نريد الحصول على تأشيرة للدخول لنا للكنغو أعطتنا أوراقا مكتوبة بالفرنسية عرفنا أنها تتضمن طلب مقابلة القنصل فملأناها فذهبت بها الى مكتب مجاور ثم بعد قليل جاء الاذن لنا بالمقابلة فذهبت بنا حتى أدخلتنا على موظف كونغولي افريقي يتكلم الفرنسية وشيئا من السواحلية ولما كان لا يعرف من الانكليزية شيئا ونحن كذلك لا نحسن من الفرنسية ولا السواحلية شيئا يكفي طلب شخصا بالتلفون فكان سكرتيرة أوروبية قامت

بالترجمة بيننا وبين القنصل الكنغولي فكان يتكلم بالفرنسية فتنقل الينا كلماته بالانكليــزية وهكذا تنقل كلماتنا مــن الانكليــزيــة الى الفرنسيــة وقد أمرنا أن نحضر غــدا صورا شمسية ونملأ استمارات ثلاثا أعطانا اياها ووعدنــا بانجاز الاوراق غدا على ان يعطينا تأشــيرة للمرور فقط ويقول اذا احتجتم الى مزيد مــن الوقت فيمكنكم اخــذ ذلك مــن دائرة الهجرة في كنشاسا أي عاصمة الكنغــو وقال : انكم بالتأشيرة التي سنعطيكم اياها يمكنكم قضاء ثلاثة أيام الى خمسة هناك فشكرناه وانصرفنا ، وكـــان لطيفا معنا مجاملا كل المجاملة .

مع رئيس الجمعية الاسلامية :

مر علينا السيــد عزيز خاكي الامين العام لجمعــية الاسعاف الاسلامية في فندقنا بعد ظهر اليوم حيث صحبنا الى منزل رئيس الجمعية المذكورة ومنزله يقع على بعــــد حوالي (٧) اميــال مــن دار السلام شمالا قرب ساحــل البحر وقد قابلنا رئيس الجمعية الاسلامية بعواطف طيبــة وبشر ظاهر وقال لنا انني لأقابلكم بقلب مفتوح لأنكـــم اخوان لنا أعزاء جئتم من عنــد اخوان أعزاء نكــنّ لهم كل مودة واخلاص لأنكم من مهد الاسلام ومهبط الوحي ثم أخذ يتكلم عن العلاقة الاسلاميــة الوثيقة التي تربط بين المسلمين فرددت عليه بكلمة شكرته فيها على ترحيبــه

الحار بنا وكررت له ما ذكرته سابقا لاخواننا الافريقيين من ضرب المثل بقرب بلال بــن رباح (رضي الله عنه) وهو افريقي مــن رسول الله (صل الله عليه وسلم) وبعد أبي لهب منه وهو عم الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأنه كان كافرا ثم أبلغته تحيــات وسلام سماحة مفتـــي البــلاد السعودية وفضيلة نائب رئيس الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة ثم قدمت اليه عرضا بارسال ثلاثة مــن المدرســين تكون جميع رواتبهم ونفقات ارسالهم وسكناهــم عــلى حساب دار الافتاء في المملكة العربيــة السعودية وقدمت اليه استعدادنا لتدريس وقبول عدد مــن الطلبة من تنزانية في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنــورة لدراســة العلــوم الاسلاميــة هنــاك كما أخبرته أنه بامكانتـــا تقديــم مساعدة مالية للجمعيــة وللمدارس الاسلامية هنا فقال : انني أشكركم لهذه العروض الطيبة ، ورددت عليه بأن هذا واجبنا ونحــن نشعــر أننا لم نقم الا ببعض الواجب ثــم قلت ان هذا شيء متواضع ولكني ارجو أن يكون البداية الطيبة لعمل اسلامي طيبفكرر شكره ثمودعناه وانصرفنا..

يوم الاثنين ٢٢/٨/ ١٣٨٦ هـ .
٥ /١٢/١٩٦٦م.

قمنا مبكريــن وقصدنا مكتب شركة شرق افريقيــة

للطيران لنسأل عن الحجز الذي كنا قد طلبناه من قبل ذلك بثلاثة أيام ، وذكر لنا الموظف المسؤول وهو هندي غير مسلم أنه سيخبرنا اذا جاء الرد بالموافقة من نيروبي وعندما سألته كان جافا ضيق العطن فقال : راجعني في الساعة الحادية عشرة فتركته ، وقصدت فرع بنك باركليز في دار السلام لأصرف بعض الصكوك السياحية فوجدت من الارتباك وعدم النظام وكثرة التأخير في البنك ما لم أشهده في أي بنك آخر في شرق افريقية ، ولا شك أن ذلك كان بسبب عدم كفاءة الموظفين فقد كانوا على قلتهم يبطئون في انجاز الاعمال مما استغرق مني وقتا طويلا ثم رجعت من البنك الى الموظف الهندي في الشركة قبل تمام الساعة الحادية عشرة لانني اردت أن أذهب بعد ذلك الى سفارة زامبية بدون أن أتكلف عناء العودة الى الشركة فما أن رآني داخلا حتى رفع صوته في وجهي قائلا : أنا قلت لك في تمام الساعة الحادية عشرة ، وذلك قبل أن أسأله ، أو أكلمه . فقلت : نعم ، وانصرفت متعجبا من الفرق الوضح بين خلقه وبين أخلاق الاوروبيين الذين تعودنا منهم سعة الصدر ، وكثرة المجاملة ، وعدم احراج السائل أو المستفهم ، فقد كان الموظف قد قال لي أنه ينتظر برقية من نيروبي والبرقية ليس لوصولها حد معين فمن الجائز أن تكون قد وصلت وعلى سبيل الفرق بأنها لم تصل فان كل ما يكلف هذا الموظف أن يقول لا خبر .

لدى قنصل زامبيــة :

ثم أخذت سيارة أجرة الى سفارة زامبية حيث قابلنا القنصل هناك وهو افريقي متعصب لأفريقيته تعصبا لا أظن أنه يقل عــن تعصب الاوروبيين لأوروبيتهم ، وكان قــد امتنع في السابق عن اعطائنا تأشيرة مرور الى زامبية الا اذا حصلنا على تأشيرة دخول الى روديسية ومن المعلوم أنه لا يمكن ذلك لأنه لا يوجد أحد يمثل روديسية في دار السلام أو غيرها مــن أنحاء العالم ، وقال : انني اذا أعطيتكــم تأشيرة مرور وانتم لم تحصلوا على تأشيرة الى بلد آخــر بعد زامبية فربما تجلسون هناك ، فقلت له : اننا معنــا تذاكــر سفر بالطائرة الى عدة جهات ومعنا مبالغ كافيــة مــن المال بالعمــلة الصعبة ومعنا تأشيرة عــودة الــى نيروبي فاذا لم تقبلنا روديسيــة فان بامكانكم أن ترحلونا في اية لحظة الى نيروبي أو غيرها اذا لم نرحل بانفســنا فامتنع ، ومع ذلك فقد وجدنا في قوله بعض الوجاهة . هذا كان يوم الجمعة فأخذنا تأشيرة دخول الى الكونغو وهي بلد مجاور لزامبية ، وقلنا لعل ذلك يشفع لنا لديه ، وعدت اليه هذا اليوم على هذا الامل ، ولكنه لــم يكلف نفسه حتى عناء النظر في جوازاتنا ، وهل ما ذكرناه من أننا قد حصلنا على تأشيرة الى الكونغو صحيح وأخذ يناقشنا في امور هي أبعد ما تكون عن الواقع وأهمها قوله اذا أعطيتكم تأشيرة مرور فــماذا تصنع لكم الهجرة ودائرة الشرطة في زامبية

وأنتم لا تحملون اقامة طويلة فقلنا له ليصنعوا بنا مـــا شاؤوا ، ونحــن على مسؤوليتنا تتقبل أي اجراء تقوم به الشرطة هناك ، لأننا نثق بأنهم اخواننا ولــن يصنعوا بنا ما يضر ، وأقصى ما يفعلونه ان يرحلونا عن بلادهم أو ان يسجنونا الى حين موعد الطائرة فيرحلونا عليها وهذا مــا نقصده اذ أنّا لا نقصد أن نقيم هناك مدة طويلة ، وبعــد نقاش معه رفض اعطاءنا حتى تأشيرة مرور .

فقلت له قبل ان أودعه : انني آسف على عدم منحنا سمة الدخول مــن قبلكم ونحــن نعتبر الافريقيين بمثابة اخوان لنا وبخاصة لأن ذلك قد حــدث بعد عدة اتصالات كلفتنا كثيرا مــن الوقت ، ثم ودعته وانصرفت .

وذكرت في نفسي المرة الاولى عندما أردنا الدخول الى زامبيــة وكانت تسمى في ذلك الــوقت روديسيـــة الشماليــة فقد ذهبنا الى القنصليــة البريطانية ، فأعطونا تأشيرة دخول مجانيــة اليها ، ولم يستغرق ذلك أكثر مــن نصف ساعة ومع تلك التأشيرة كانوا يقدمون لنا كافـــة المجاملات وحسن المعاملة والاستقبال .

والواقع فيما نعتقــد أن وصولنا الى زامبية لو تيسر لنا دخولها لــن يكون فيه أي ضرر لأحد بل ان العكس هو الصحيــح لأننا نحمــل مبالغ كبيرة مــن المال بالعملة الصعبة سننفقها فيها ، ولــن نتدخــل في أي شــأن مــن

شؤونها السياسية كما هي عادتنا وكما فعلنا في المرة الاولى .

وكان حرصي على دخولها لأنني في الرحلة السابقة قد وعدت بعض اخواننا المسلمين فيها بمعونة مالية وتعليمية من المملكة العربية السعودية تشمل تقديم المنح الدراسية لأبنائهم وتقديم المساعدات المالية لمؤسساتهم الاسلامية ، والاتفاق على ارسال بعض المدرسين والمرشدين بدون أن يتكلفوا الانفاق عليهم ،وكانت هذه فرصةللوفاء لهم بذلك الوعد في هذه المرة لو تيسر لنا دخول البلاد .

ثم عدت الى صاحبنا الهندي الموظف في شركة افريقية للطيران وهو هندوكي الديانة لأسأله عن مصير حجز المقاعد لنا الذي كلمته بشأنه ، فلما رآني مقبلا قال بصوت مرتفع : (نو روم) أي لا مكان لكم في هذه الطائرة ثم اخذ يكررها فقلت في نفسي : (نصدق بلا حلف) اذ لا داعي للتكرار منه .

وخرجت من عنده وأنا أقارن أيضا في نفسي بين موقفه وبين بعض الموظفين الاوروبيين الذين كانوا يخدموننا في حدود واجبهم خدمة صادقة ويسمعوننا من عبارات المجاملة ما لا يمكن أن نسمعه الا من صديق على الرغم من علو مكانتهم في التعليم ، ورفعة دولهم ، وأولئك المتخلفون على تخلفهم ــ يعاملون الناس معاملة فظة فتمثلت بقول القائل القديم : « كل ينفق مما عنده »

أو كما يقول المثل العربي « كل اناء بما فيه ينضح » .

جمعية الاسعاف الاسلامية :

ذهبنا بعد الظهر الى جمعية الاسعاف الاسلامية في دار السلام وقدمنا الى الجمعية تبرعا ماليا وكلمت سكرتير الجمعية الاستاذ عزيز خاكي عما حدث لنا في شركة الطيران ونحن وقتنا ضيق ، ونريد السفر فقال : ان ادارة مكتب الشركة سيئة جدا ، ولكن لا بأس ، تركبون ان شاء الله ، فان لي صديقا له وكالة سفريات يمكن أن يساعدكم ثم اتصل به هاتفيا فقال له : اطمئن واعتبر أنهم مسافرون وعليهم الاتصال بي في الصباح الباكر غدا ففرحنا لذلك وخرجنا من عند الجمعية بعد ان ودعنا بعض الموظفين الموجودين فيها والذين كنا قد تعرفنا عليهم سابقا .

ثم ذهبنا الى الشيخ « حسن بن عمير الشيرازي » كبير علماء تنجانيقة في بيته لرد الزيارة التي كان قد قام بها الينا في الفندق .

ويقع بيته في غربي دار السلام في حي تقطنه أغلبية افريقية وأقلية عربية واقل من الاقلية من الهنود .

اللغة السواحلية :

مررنا ببناء كتب عليه (مجمع اللغة السواحلية) وقد

أخبرت أنه عبارة عن جمعية تشرف على الكتب ، والمطبوعات التي تصدر باللغة السواحلية فتأذن باخراجها اذا كانت لغتها قوية وفقا للقواعد المطلوبة ، كما أن تلك اللجنة تقدم الاقتراحات الخاصة بالنهوض بتلك اللغة وحمايتها من الالفاظ الدخيلة .

وآخر عمل لتلك اللجنة تقدمت به الى حكومة تنزانية هو أن تعلن ان اللغة الرسمية للدولة هي السواحلية فقط وكانت قبل ذلك اللغة الانكليزية .

وهكذا أعلنت الحكومة ذلك ونحن في نيروبي مما جعل بعض الحاقدين على العرب هناك يكتب في صحيفة يومية تصدر بالانكليزية قائلا : ان اللغة السواحلية تذكر الافريقيين بالعهد الذي كان فيه العرب يبيعون الافريقيين ، وهو يشير ذلك الى أن جزءا كبيرا من مفردات اللغة السواحلية قد دخلها من اللغة العربية .

واللغة السواحلية سبق لي ان ذكرت شيئا عنها ، وقد أسماها العرب بهذا الاسم نسبة الى السواحل ـ جمع ساحل ـ والمراد بها سواحل افريقية الشرقية فهي عبارة عن اختلاط العربية لغة العرب الذين قدموا الى تلك البلاد باللغة المحلية للمواطنين الافريقيين هناك ، ويمتد نفوذ اللغة السواحلية من كينية حتى اواسط الكنغو على اختلاف تلك الاقطار ، فمثلا في زنجبار وساحل تنجانيقة وكينية لا يعرفون غيرها وفي المناطق الاخرى هناك لغات

أخرى ولكنها تتصف بصفة المحلية أما السواحلية فانها لغة اقليمية يمكن للجميع ان يتفاهموا بواسطتها .

واللغة السواحلية حافلة بالمفردات والتعابير العربية وهناك خلاف بين اللغويين هل هي عربية مؤفرقة . أي أنها العربية دخلها كثير من المفردات والتعابير الافريقية ؟ ام انها لغة افريقية معربة ؟ . وأصح الاقوال أنها في الاصل عربية مؤفرقة ، أي انها عبارة عن مفردات وتعابير عربية أخضعت للطابع الافريقي .

وقد دخلت العربية الى السواحل الافريقية الشرقية في عصور مختلفة ، وكلما ضعف تأثير العربية لسبب من الاسباب جاءت موجات جديدة من الهجرة العربية فدفعت في عروقها بدماء عربية جديدة . والآن وقد أصبحت اللغة السواحلية احدى اللغات الرسمية في كثير من بلدان شرقي افريقية ووسطها حتى في الكنغو . فانها قد ظفرت بكثير من عناية الباحثين ، والدارسين .

ولقد حاولت الحصول على كتاب يوضح الكلمات العربية في السواحلية الحديثة وسألت فضيلة الشيخ محمد قاسم المزروعي عن ذلك فقال ان احد علماء العمانيين في ممباسة كتب رسالة في هذا الموضوع وأنها مخطوطة لم تطبع بعد ووعدني الاتصال بورثة المؤلف ، ولكن لم يتيسر له ذلك .. وقد جمعت بعض الكلمات العربية في جداول سأوردها هنا على سبيل المثال لا الحصر

ويلاحظ أن الكلمات العربية أصبح كثير منها خاضعـــا للنطق الافريقي الذي يحوّل الكلمات لمقاطع ممـــدودة . فمثلا : (سُكَّر) العربية صارت (سكارى) بالسواحلية ، وسمك (سماكا) و قهوة (قاهاوا) .. الخ ..

وما الطف قول الافريقيين حيث يقابل بعضهم بعضـــا (خبارى) ؟ أي خبرك . والمراد : ما خبـــرك ؟ أي : كيف حالك ؟.

وفي الاذاعة في ممباسة يقول المذيع : (هني اذاعـــة صوت كينيا . أي هنا اذاعة صوت كينيا) وكلماته كما ترى كلها عربية ، وهني : هنا بالامالة .

وأذكـــر أنني في مقهى فندق بقداس في بزمبـــــورا عاصمة بروندي حاولت ان اطلب قهـــوة بدون سكـــــر بالانكليزية فلـــم يعرف الخدم كلامي ، وأنـــا لا اعـــرف الفرنسية لغة المستعمرين التي يفهمونها فرجعـــت الـــــى السواحلية فاسعفتني بما أريد اذ قلت (قهاوى بلا سكارى) أي (قهوة بلا سكر) ، والكلمات كلها عربية كما تـــــرى ففهموا مني بسرعة .

وهذه هي بعض الكلمات العربية في السواحلية .

النطق السواحلي	السواحلية بحروف لاتينية	العربيـة
خباري	KHABARI	خبر
زيادا	ZIYADA	زيادة
كاميلي	KAMILI	كامل
ربعو	ROBO	ربع
نصو	NUSU	نصف
راسي	RASI	رأس
اذاعا	IDHAA	اذاعة
ساعا	SAA	ساعة
عسكري	ASKARI	عسكر
غـالي	GHALI	غال
واجب	WAJIB	واجب
عنـواني	ANWANI	عنوان
سياسا	SIYASA	سياسة
أما	UMMA	أمـة
بعضـي	BAADHI	بعض
عـدوي	ADUI	عدوّ
عمـاري	UMARI	عمر
معنى	MAANA	معنـى
مراضي	MARADHI	مرض
اهورو	UHURU	الحرية
كبـولي	KUBULI	قبول

العربيـة	السواحلية بحروف لاتينية	النطق السواحلي
محل	MAHALA	محلى
كرد"	KURUDI	كوردي
دم	DAMU	دمــو
كاتب	KATIBU	كاتيبو
جيش	JESHI	جيشي
لازم	LAZIMA	لازما
مجادلة	JADILI	جاديلي
دواء	DAWA	داوا
رفيق (صديق)	RAFIKI	رفيـكي
بعد	BAADA	بعدا
قبل	KABLA	كبلا
معلوم	MAALUM	معلوم
قرعة	KURA	كورا
جهود	JUHUDI	جهودي
تجربة	KUJARIBU	كوجاريبو
سمكة	SAMAKI	ساماكي
بحر	BAHARI	بحاري
حال	HALI	حالي
اعلان	ILANI	اعلانـــي
جماعة	JAMAA	جماعا
فهم	FAHAMU	فاهامو

العربيـــة	السواحلية بحروف لاتينية	النطق السواحلي
تفضل	TAFADHALI	تفضلي
قريب	KARIBU	كريبو
كتاب	KITABU	كتابو
قلم	KALAMU	كالامو
سفر	SAFARI	سفاري
قرطاس	KARATASI	كاراتاسي
صندوق	SANDUKU	ساندوكو
دكان	DUKANI	دوكاني
ظن	KUDHANI	كوداني
فكرة	FIKIRA	فيكيرا
عقل	AKILI	اكيلي
وزير	WAZIRI	وزيري
رئيس	RAISI	رئيسي
وزارة	WIZARA	وزارا
علم	ILIMU	عيليمو
عافيـــة	AFYA	عافيا
صحة	SIHA	سيها
دليل	DALILI	داليلي
مصحف	MSAHAFU	مصاحفو
خطبة	HUTUBA	هوتوبا

العربيــة	السواحلية بحروف لاتينية	النطق السواحلي
الخميس	AL-KHAMISI	الخميسي
الجمعة	JUMAA	جمعا
سرّ	SIRI	سيري
مسألة	MASAULA	مساوالا
تجربة	TUJARIBU	توجاربو
إلا	ILA	الا
خيمة	KHEMA	خيما
ميزان	MZANI	مزاني
ابريق	BIRIKA	بريكا
صحن	SAHANI	صاهاني
قهوة	KAHAWA	قاهاوا
رسمي	RASMI	راسمي
مساعدة	MSAADA	مساداة
رعية	RAIYA	رعيا
امانة	AMANA	امانا
مشورة	SHAURI	شوري
زيارة	KUZURU	كوزورو
سواء	SAWA	سوا
وكيل	WAKILI	واكيلي
عيـــد	IDI	عيدي
حزن	HUZUNI	حوزوني

العربيـة	السواحلية بحروف لاتينية	النطق السواحلي
فرح	FURAHA	فوراحا
لغة	LUGHA	لغـا
سلام	SALAMA	سلاما
فخر	FAKHARI	فخاري
فائدة	FAIDA	فائـدا
مال	MALI	مالي
او	AU	او
شرط	SHARTI	شرتي
مشرق	MASHARIKI	ماشاركي
مغرب	MAGHARIBI	ماغاربي
وقت	WAKATI	واكاتي
حديث	HADITHI	حديثي
تعريف	TAARIFA	تعريفا
خوف	KHOFU	خوفو
فرس	FARASI	فاراسي
خصوصا	KUHUSU	كوهوصو
لوم	LAWAMA	لاواما
كنيسة	KANISA	كانيسا
شكر	KUSHUKURU	كوشوكورو
السواك	MSWAKI	مسواكي
خسر	HASARA	هسارا

العربيـــة	السواحلية بحروف لاتينية	النطق السواحلي
سبب	SABABU	سابابو
قياس	KIASI	كياسي
نفس	NAFSI	نفسي
صبر	KUSUBIRI	كوصوبيري
سلاح	SILAHA	سلاحا
ديـــن	DINI	ديني
عبادة	IBADA	عبـــادا
شريعة	SHARIA	شاريعا
مشقة	MASHAKA	ماشاكا
صوت	SAUTI	صوتي
بيـــع	BEI	بيعي
ثمـــن	THAMANI	ثاماني
ست	SITA	سيتا
سبع	SABA	سابا
تسع	TISA	تيســـا
عشرين	ISHIRINI	عشريني
ثلاثين	THALATHINI	ثلاثيني
ضمان	DHAMANA	ضمانا
سهم	SEHEMU	سيهيمو
حلال	HALALI	حالالي
حرام	HARAMU	حرامو

العربيــة	السواحلية بحروف لاتينية	النطق السواحلي
قضاء	KUKIDHI	كوكيضي
صباح	ASUBUHI	السبوهي
خطوة	WATUWA	واتووا
وقت	WAKATI	واكاتي
مكتبة	MAKTABA	ماكتبــا
اتفاق	ITIFAKI	اتيفاكــي
تاريخ	TAREHE	تاريهــي
بضاعة	BIDHAA	بضاعــا
ميت	MAITI	ميتـــي
ميراث	MIRATHI	ميراثــي
فرصة	FURSA	فُرسا
قاموس	KAMUSI	كاموسي
سر	SIRI	ســيري
حق	HAKI	هــاكــي
بني آدم	BIN ADAM	بــن آدم
حقيقة	HAKIKA	هاكيكــا
دائم	DAIMA	دايمــا
شك	SHAKA	شاكــا
قرن	KARNE	كــارني
حتى	HATA	حتــى
جمهور	JAMHURI	جامهوري

العربيـــة	السواحلية بحروف لاتينية	النطق السواحلي
معيشة	MAISHA	ماعيشا
مرة	MARA	مـــارا
خالص	HALISI	هاليصي
شركة	SHIRIKA	شريكـــا
نعــم	NAAMA	نـــاعـــاما
احتياج	KUHITAJI	كوهيتاجي
فلان بن فلان	FULANI BIN FULANI	فلاني بن فلاني
سلطان	SULTANI	سلتـــانـــي
صحيح	SAHIHI	صاهيهـــي
دنيا	DUNIA	دونيـــا
طائفة	TAIFA	تايـــفا
دقيقة	DAKIKA	داكيـــكا
مهم	MUHIMI	موهيمي
طبيعة	TABIA	تـــابيعـــا
اذيـــة	UDHIYA	اذيـــــا
سؤال	SUALI	سوالـــي
ماء	MAJI	مـــاجي
مسجد	MSIKITI	مسكيتي
صـــلاة	SALA	صـــالا
صدقة	SADAKA	صاداكا
زكاة	ZAKA	زاكـــــا



الإسلام في تنزانية



من المعروف ان حكومة تنزانية الحالية تميل الى الشيوعيين وتطبق كثيرا من اساليبهم ولذلك فقد ألغت رخص جميع الجمعيات الاسلامية عدا جمعية واحدة هي المسماة جمعية الاسعاف الاسلامية لأن الجمعية المذكورة يشترك الاسماعيليون بتمويلها وهم اصحاب ثراء واملاك طائلة فتستفيد الدولة ماديا من الجمعية المذكورة وقد عمدت الحكومة الى ربط جميع المدارس الاسلامية النظامية تحت اشراف الجمعية المذكورة فزرنا بعض المدارس التي تنفق عليها الجمعية المذكورة فوجدنا أكثرها قد حولت الى مدارس مدنية ، وحصص الدين واللغة العربية فيها قليلة جدا وقد لمسنا أنه لا يكاد يوجد عندهم من مدرسي الدين واللغة العربية أحد لذلك رأينا ان من المناسب ارسال بعض المدرسين من الموثوق بدينهم وحسن تصرفهم في العلاقات بين الناس لكي يدرسوا في تلك المدارس ولكن الحكومة التنزانية المذكورة لم توافق على منحهم تأشيرات الدخول والعمل فيها . وقد اجتمعنا برئيس الجمعية الوحيدة المذكورة ويدعى السيد تي. آ. تيوا . وكان وزير الغابات والاراضي في حكومة تنجانيقة ويشغل الآن وظيفة رئيس مجلس ادارة احد المشاريع الزراعية الصناعية هناك . وأصله من تنجانيقة من عائلة عريقة في الاسلام ولكنه لا يعرف من الاسلام شيئا وقد تحدثنا معه طويلا في المسائل الاسلامية العامة وما ينبغي ان تكون عليه

العلاقات الاخوية بين المسلمين كما شرحنا له مرامي السياسة الاسلامية الرشيدة التي ينادي بها جلالة الملك فيصل حفظه الله والتي تهدف الى جمع كلمة المسلمين وازالة العوائق التي تحول دون اتصال بعضهم ببعض وذلك بغية ما ينفعهم ويصلح من احوالهم في الدين والدنيا . كما أخبرناه ان بالامكان ارسال بعض المدرسين الى هنا لمساعدتهم على تعليم ابنائهم ما ينفعهم من امور دينهم مع بذل الارشاد والنصح لجميع المسلمين هناك بدون التدخل في الشؤون السياسية أو أية شؤون اخرى خارج دائرة عملهم التعليمي.

كما ان الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة يمكنها تقديم بعض المنح الدراسية للطلبة المسلمين في تنزانية للدراسة في الجامعة الاسلامية على نفقة الحكومة السعودية هذا الى جانب المساعدة المادية التي أمر بها جلالة الملك فيصل المعظم حفظه الله لمعاونة الجمعيات الاسلامية .

وقد أبدى شكره لذلك ولكننا شعرنا انه لن يقول كل ما يود قوله عن علاقة المسلمين بالحكومة الحاضرة . وقد اتصلنا بعد ذلك بالشيخ حسن بن عمير الشيرازي وهو كبير العلماء في تنجانيقة شافعي المذهب على درجة عظيمة من المكانة في نفوس المسلمين هنا ، وقد أخبرنا ان الحالة قد تغيرت عما كانت عليه في عهد الحكم الانكليزي حيث كان الناس في ذلك العهد احرارا في كل شيء أما الآن فلا حرية الا لأنصار الحكومة وقد طلبنا منه ترشيح بعض الطلبة

ولكنه قال ان ذلك ليس بامكانه الآن اذ لا يقبل منه ولا من غيره ممن ليسوا على وفاق تام مع الحكومة ان يرشحوا احدا أو يحصلوا على اذن بالسفر للبلدان الاسلامية .

وقد تجولنا على بعض المدارس والكتاتيب في دار السلام وطلبنا الحصول على اذن لزيارة زنجبار ولكننا أخبرنا ان ذلك لا يمكن الا بإذن من حكومة زنجبار نفسها وانه يحتاج الى مدة تزيد على شهر في المتوسط اذا قبل الطلب .

الاسلام في تنزانية :

تتكون تنزانيا من تنجانيقة وزنجبار .

أولا ــ تنجانيقة :

يعتبر المسلمون اكبر جماعة دينية في تنجانيقة ويأتي بعدهم في الكثرة الوثنيون فالمسيحيون ، ومع ذلك فالسلطات الحقيقية بأيدي المسيحيين نظرا لوجود المتعلمين منهم اكثر من المسلمين ونظرا الى انهم بطبيعتهم كانوا في زمن الحكم الانكليزي اكثر ميلا للاوروبيين بل انهم جميعا تعلموا في المدارس الاوروبية او في مدارس المبشرين وعلى الرغم من ان حكومة تنزانية يساريةفان رئيسها (نيريري)هو مسيحي وله نائبان من المسلمين هما (رشيد كاواوا وعبيد كارومي) وحوالي نصف اعضاء الحكومة من المسلمين ..

ويقدر سكان تنزانية بعشرة ملايين في الوقت الحاضر خمسة ملايين منهم مسلمون وثلاثة ملايين وثنيون ومليونان مسيحيون ، ويكثر المسلمون في ساحل المحيط الهندي . حيث توجد مدن تكاد تعتبر مدنا اسلامية مثل دار السلام (العاصمة) ومدينة تانجا حيث تبلغ نسبة المسلمين فيهما (٩٠٪) .

الدعوة الاسلامية :

لولا وجود تلك الحكومة الملحدة لكان بالامكان ادخال عدد كبير غير المسلمين في الاسلام نظرا الى إنه كانت توجد جمعيات اسلامية قوية هنا ، ولكنها الغيت كلها كما قدمنا عدا واحدة ، ومع ذلك لا يزال عدد من الافريقيين من المشائخ وأئمة المساجد ، يقومون بالدعوة الاسلامية بصفة فردية في الاماكن النائية من البلاد ، ولا يزال عدد الداخلين الجدد في الاسلام يتزايد ، ولا يزال يبنى العديد من المساجد وبخاصة في الاماكن النائية كما قدمت .

ونحن نظن أنه لو قدر لتنجانيقة ان تسلم من تلك الحكومة اليسارية التي تقترب شيئا فشيئا من الشيوعية لكان من الممكن ان تغدو مركزا للدعوة الاسلامية في شرقي افريقية نظرا لسابقة سكان السواحل فيها في الاسلام وشدة تدينهم .

ثانيا ــ زنجبار :

لقد تحالفت الشيوعية مع القومية الافريقية في زنجبار ضد العرب والاسلام ، فأسقطت الحكومة اللغة العربية في زنجبار وألغي التعليم الاسلامي ، وحول المعهد الاسلامي الذي كان قائما هناك الى مدرسة عادية ، وألغيت منه الدروس الدينية ولم يبق هناك للتعليم الاسلامي أثر الا في بعض المساجد وان كان قد قام الآن بعض المسلمين بجهود لجمع مبلغ من المال يكفي لبناء مدرسة اسلامية من جديد ، ولكنهم غير واثقين من ان الحكومة لن تصادرها منهم . اما نسبة عدد المسلمين في زنجبار الى بقية السكان فتبلغ ٩٥٪ منهم ٢٠٪ من العرب والباقون من الافريقيين .

في ملاوي .. (نياسالاند)



يوم الثلاثاء ٢٣/ ٨/ ١٣٨٦ هـ .
٦ /١٢/ ١٩٦٦ م .

حضر الينا في الصباح الباكر في فندقنا بدار السلام عاصمة تنزانية الشيخ حسن بن عمير الشيرازي كبير العلماء الافريقيين في تنجانيقة ومعه بعض علماء الدين الآخرين وذلك لانهاء البحث في مسائل تتصل بالمدارس الاسلامية والمنح التي تقدمها الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة لطلبة تلك البلاد ...

ثم ذهبنا مع الاستاذ عزيز خاكي الامين العام لجمعية الاسعاف الاسلامية هناك وذلك لاعادة المحاولة التي بدأناها أمس مع مكتب شركة شرق افريقية للطيران على أمل الحصول على مقاعد للسفر الى ملاوي في الطائرة التي ستسافر اليوم من دار السلام الى بلانتير عاصمة ملاوي، وكان الموظف المختص وهو هندي قد اخبرنا انه لا أمل في الحصول على مقاعد اليوم كما سبق ان ذكرت فكرر الموظف لنا قوله بعدم الامل في الركوب . ولكن الاستاذ عزيز لم ييأس وذهب الى صديق له يعمل في احدى وكالات السياحة في دار السلام فما اسرع ان حجز هذا لنا ، وقال ان علينا ان نخرج فورا الى مطار دار السلام لان موعد الطائرة قد أزف . ولم نكن نصدق ذلك لان الموظف الهندي كان منذ ايام يكرر ويعيد القول بانه لا يمكن اركابنا ..

وهكذا خرجنا مسرعين الى مطار دار السلام وكانت اجراءات الخروج سهلة على عكس ما كنا نتوقع فلم تفتش حقائبنا في الجمرك . واكتفى المسؤول برسم الاشارة عليها وكان قد قيل لنا انهم يشددون التفتيش حذرا من تهريب العملة .

وقد تأخر قيام الطائرة بسبب وجود الرئيس (خاوندا) رئيس جمهورية زامبية في مطار دار السلام في هذا الوقت وكان مارا بها في طريق عودته الى بلاده من جولة في أوروبة . وكان معه في المطار الرئيس نيريري رئيس جمهورية تنزانية . وعدد من الرسميين والدبلوماسيين في البلاد . وقد شاهدنا الاحتفال وليس فيه ما يسترعي الانتباه ، وقد ظل نيريري على منصة الشرف في المطار ومعه سفير زامبية تحت شمس محرقة لبرهة طويلة وذلك عندما اغلق باب طائرة الرئيس (خاوندا) ولبثت اكثر من ثلث ساعة وهي تستعد للاقلاع . وكان ضابط حرس الشرف للرئيس (نيريري) اوروبيا . كما كان هناك طائرتان حربيتان حول طائرة الرئيس (خاوندا) . وبعد ان انتهت مراسم التوديع حضرت طائرتنا الى ساحة الاقلاع ...

الى ملاوي :

اقلعنا من مطار دار السلام قاصدين مدينة بلانتير عاصمة جمهورية ملاوي في تمام الساعة الحادية عشرة الا

ربعا بالتوقيت المحلي ، وقد اعلن مضيف الطائرة ان مدة الطيران ستكون ثلاث ساعات الا ربعا .

كان الجو في الخارج حارا جدا وشديد الرطوبة ، وكان داخل الطائرة اشد حرا بل كان خانقا . وعندما أقلعت الطائرة كان الهواء الذي يدخل من الصمامات شديد الحرارة كأنه هواء الصحراء وسط النهار في فصل الصيف، ولا غرابة فنحن الآن في النصف الجنوبي من الكرة الارضية والفصل صيف . مع اننا في شهر ديسمبر وذلك على عكس الحال في بلادنا التي تقع في النصف الشمالي من الارض .

الطائرة من طراز (فرند شب) تابعة لشركة خطوط شرق افريقية الجوية ، ومعظم ركابها من الاوروبيين والهنود . وهذه هي المرة الاولى التي اسلك فيها هذا الطريق وان كنت قد سافرت في المرة السابقة من دار السلام الى اندولا في زامبية التي كانت تسمى في ذلك الوقت (روديسية الشمالية) .

وبعد ان مضى ثلث ساعة على اقلاع الطائرة تحسن الجو قليلا لانها ارتفعت ولان المنطقة تحتها اصبحت اكثر ارتفاعا بالنسبة للمنطقة الساحلية التي كنا فيها من قبل حيث انها ترتفع كلما توغلنا في ارض القارة الافريقية بطبيعة الحال ..

وكان مضيفا الطائرة فتى وفتاة من الافريقيين ، خدمتهما متوسطة . وجاري في المقعد اوروبي . يقرأ جريدة ايطالية، وعندما رآني اكتب بالعربية سألني عن بلادي ؟ فقلت له : انني مــن الشرق الاوسط . فقال بسرعة وانفعال : من أي بلد ؟ قلت : من المملكة العربية السعودية . فقال فورا : ما رأيك في اسرائيل ؟ فأجبته ان رأي العرب واحد بالنسبــة لاسرائيل ومشكلة فلسطين ، ثم سألته عــن جنسيتــه ؟ فاجاب : انه ايطالي مسافر الى زامبية للعمل هناك . فقلت له : هل زرت قطرا من الاقطار العربية ؟ قال : لقد عرفت الاردن وسورية ولبنان ، فسألته : هل زرت بيت المقدس ؟ فقال : لا بل عمان فقط ، واجابته هذه جعلتني اشــك في صدق قوله لانه من المستبعد ان يزور أوروبي مسيحــي الاردن ويصل الى عمان ولا يزور القدس ، ولذلك سألته : هل انت يهودي ؟. فاجاب قائلا : لا ولكني أريد ان اعرف رأيك في اسرائيل ...

فقلت له : تصور انه قد جاء اناس غرباء من عدة بقاع من العالم ونزلوا بالقوة في جزء في وسط ايطالية ، واقاموا دولة لهم على اسس حضارية بعيدة كل البعد عن ديانـــة الايطاليين ولغتهم وحضارتهم ، بل هم يقيمون دولتهـــم لتهديد ايطالية كلها بالتوسع وطرد الايطاليين الباقين ليحلوا محلهم عندما تحين لهم الفرصة فهل تقبلون معشر الايطاليين ذلــك ؟.

فقال : لا ، ولكن اليهود يقولون انها بلادهم ، فقلت له : ان اناسا من اليهود سكنوا في بعض بلاد فلسطين خلال حقبة قصيرة وموغلة في القدم ، ولكن العرب لبثوا في جميع فلسطين اكثر مما اقام فيها اليهود خلال تاريخهم القديم عدة اضعاف . واليهود انفسهم جاؤا اليها غرباء في الاصل وسكانها قبل اليهود هم الكنعانيون الذي اصلهم من الجزيرة العربية أي انهم من اسلاف العرب فقال : هذا صحيح ، ولكن اسرائيل قوية ، فقلت : ولكن العرب يملكون من اسباب القوة ما يعتقد انه يكفي للدفاع عن حقوقهم ، وكل المتاعب التي يعانونها الآن ، انما هي بسبب انشغالهم بمعارك جانبية ، وبالتالي تفرقهم وعدم وحدة عملهم ..

ثم قلت له : ارجو ان تفهم ان العرب عندما يتحدثون عن اسرائيل ومشكلة فلسطين فانهم لا يقصدون من ذلك ابادة اليهود كجنس ، بدليل ان اليهود كانوا موجودين في البلاد العربية والاسلامية منذ اقدم العصور . وكان اليهود يجدون من الامان والحماية في ظل الدين الاسلامي بصفتهم من اهل الذمة ما لا يجدونه في أي مكان من العالم في تلك العصور ، ومع ذلك فهم لم يرعوا للعرب والمسلمين ذلك العمل ، بل احتلوا بلادهم فلسطين وطردوهم منها وشردوا نساءهم واولادهم .

هذا وقد تحسن الجو الآن في الطائرة وكانت شديدة

الارتفاع مما جعلنا لا نستطيع تمييز معالم الارض تميــزا كاملا ، وعندما بدأت الطائرة في الهبوط ، اتضحت لنا معالم الارض وهي لا تكاد تختلف عن غيرها من اراضي افريقية الوسطى في انها اراض خضراء تتخللها الوديان الا ان هذه اشبه بارضي بوروندي وشرق الكنغو في ان فيها جبــالا كثيرة تكسوها الخضرة وان كانت الخضرة فيها اقل كثافة .

وقد بدت مساكن الوطنيين من الطائرة أغلبها اكواخ من القش مخروطة الشــكل او مسنمــة كسائر البيــوت الافريقية ، وقد امتلأت بها جميع الاراضي التي نشاهدها مــن الطائرة .

في مطار بلانتير :

نزلنا في مطار بلانتير وهــو صغير فتقــدم بعض الموظفين من الوطنيين الى الطائرة ومعهم موظف اوروبي كما هي الحال في معظم المطارات الافريقية حيث يكون مع الموظفين الافريقيين الذين يستقبلون الطائرة ــ ما عــدا في السودان ، الحبشة ــ احد الاوروبيين أو الآسيويين ، وعندما دخلنــا الى ساحة المطار كان هناك موظفان احدهما يسرع بختم الاوراق والآخر يتمهل وينظر فيها ، فذهبنا مع الذاهبين الى الاول ، الا انه بعد ان نظر الى جوازاتنا احالنا الى الثاني فعرفنا بعد ذلك انه موظف مخصص للبلاد التي لا يحتاج رعاياها الى تأشيرة دخول الــى ملاوي وهــي

الولايات المتحدة الامريكية وكندا ومعظم الدول الاوروبية غير الشيوعيــة . اما نحــن فقــد اسرع الموظف المختص بختم جوازاتنا بعد ان نظر الى تذاكر الخروج ومررنا بعد ذلك لموظف الجمــرك الذي كان يفتش حقائب المسافرين الا انه بعد ان نظر الينا سألنا هل معكم اشياء ثمينة فأجبناه بالنفي فوضع اشارته على حقائبنا وخرجنا ، وهكذا مــرت جميع الاجراءات بسهولة ويسر خلاف ما عليه الحــال في اكثر البلدان الافريقية .

ازمــة السكــن :

لــم نحجــز قبل قدومنا الى ملاوي في فندق معين ، لذلك سألنا مرافقاً لنا في الطائرة وهو افريقي مــن ملاوي عن فندق مناسب فقال انه أحد اثنين اما « رويال هوتيل » في مدينة بلانتير العاصمة او فندق «انترناشنال» في مدينــة (لمب)وهكذا ذهبنا الىالفندقالاول فقال مديره:انه لا توجد لديه اماكن خالية فتطوع سائق سيارة الشركة الذي اوصلنا من المطار الى بلانتير أن يبحث لنا عن سيارة اجرة توصلنا الى الفندق الثاني اي فندق انترناشنال بعد أن اخذنا سيارة اجرة بمبلغ ٩ شلنات و٦ بنسات أي مــا يعادل ٦ ريالات تقريبا فوجدنا مديره اوربيا قابلنا ببعض الجفاء والشــدة على عكس ما عهدنا من الأوروبيين ولما قيــــدت اسمي في دفتر نزلاء الفندق ورأى انني عربي من المملكة العربيــــة

السعودية تهلل وجهه وزال التجهم الذي كـان مخيما عليه بل تبدل فانقلب الى سرور وانبساط وقال : إنني الماني عملت في الحرب الثانية في الشرق الاوسط وعرفت السيد أمين الحسيني مفتي القدس ثم قال : إنه في زمن الحرب لم يكن هناك بالشرق الاوسط بلاد ليست مع الانجليز سوى السعودية ثم أخذ يسألنا عن الشرق الاوسط وقال : أذكر أنني مرة عندما كنت مقيما في سالسبوري في روديسية نزل عندنا شخصان من السعودية لا اذكر اسميهما وهما مثال للتهذيب والاخلاق ، وهكذا أخذ يلاطفنا في الحديث ويسألنا عن بلادنا خاصة وعن الشرق الاوسط عامة .

ونزلنا عنده في غرفة بسريرين بثلاثة جنيهات استرلينية وعشر بنسات أي ما يساوي ستة وأربعين ريالا سعوديا تقريبا للجميع بما في ذلك الاكل ثلاث وجبات ، وفندقه نظيف يعادل فنادق الدرجة الثانية عندنا ، والخدمة فيه تكاد تبلغ حد الكمال حتى الاحذية يأخذها الخدم من النزلاء كل صباح وينظفونها ويصبغونها مجانا ، والخدم كلهم من الفتيان الافريقيين . ومعظم سكان الفندق من الاوروبيين وأكثرهم من البرتغاليين الذين جاءوا من مستعمرة (موزمبيق) المجاورة وهم يدخلون بسياراتهم لأن الفندق من طابق واحد ويحيط به فناء واسع قد غرست فيه بعض الاشجار وأحاطت به الزهور . وقد فهمنا بعد ذلك ان سبب انقباض صاحب الفندق عند رؤيتنا انه قد ظننا من

اليهود وربما كانت له علاقة سابقة بالنازي في المانيا ويخشى على نفسه الضرر من اليهود لذلك السبب .

الجو هنا لطيف نظرا لارتفاع البلاد عن سطح البحر ولكن الشمس حارة ، والبلاد خضراء ولكنها ليست كثيفة الخضرة كالمناطق الاستوائية التي شاهدناهـــا من قبل في أوغندة وكينية وغيرهما ، لذلك فان خضرتها جميلة مفرحة. وقد هطل المطر مدرارا كأفواه القرب ولكننا لم نجد لـه آثارا بعد قليل فلم يخلف مستنقعات أو أوحالا لأن القوم لكثرة الامطار عندهم قد هيأوا لها مجاري ومسالك تذهب منها الى البحيرات الكبرى التي تغص بها بلادهم وسميت بلد البحيرات لهذا السبب .

الاهالـي :

الاهالي هنا سود الالوان من الجنس الزنجي الخالص كما يتراءى لنا أنوفهم فطس وشفاههم غليظة ، ويظهرون لأول وهلة أقل وجاهة من غيرهم من الزنوج تحت خـط الاستواء ، ويشبهون الى حد كبير أهالي الكنغو أو قبائل البهوت في راوندا وبروندي ، ويظهر على العامة منهم الفقر وإن كان دون فقر العامة من الاحباش والبورنديين ، فهم في هذا الامر وسط بين اولئك وبين الكينيين واليوغنديين الذين يظهر عليهم الثراء والوجاهة . الا ان هؤلاء القوم أي سكان ملاوي مشهورون بذكائهم وبأنهم عمال مهرة يتنافس

ارباب العمل على استجلابهم ، ولذلك يوجد منهم عدد كبير جدا في جنوبي افريقية وروديسية وزامبية ، ولا يزالــون يذهبون لطلب العمل في تلك الاقطار ...

اللغــة :

عندما فتحت الراديو على اذاعة القوم وسمعت نبرات كلامهم ذكرت أصوات اللغة التي يتكلم بها اليوغنديون والبورنديون والتي هي بعيدة عن السواحلية ويوجــد في البلاد اربع لغات محلية منها لغتان رسميتان همــــا لغة : تشاينجا ولغة بامبا الى جانب الانكليزية ، وقد قال لنــــا صاحب الفندق انه اذا التقى وطنيـــــان من أهالي البلاد لا يحسنان الانكليزية فقد يتعذر عليهما التفاهم اذا كانا مــن منطقتين مختلفتين لغوياً وذلك على صغر بلادهم ولكن هذا هو شأن الافريقيين ولغاتهم المتعددة التي تضم لهجات كثيرة الى جانب اللغات الكثيرة المتعددة .

في جامع بلانتير :

قصدنا بيت أحد إخواننا من كبار المسلمين الهنود في هذه البلاد وكنا قد أخذنا اسمه وعنوانه سابقــــا من دار السلام فلم نجده وقد ركبنا الاتوبيس من الفندق الــذي نسكن فيه في (لمب) الى بلانتير وكــان الاتوبيس مزدحما بالافريقيين لم يخالطهم أحد لا من الاوروبيين ولا مـــــن

الآسيويين وبعضهم عائدون من العمل . والواقع أنه لولا حرصنا على رؤية القوم على تلك الحالة لما ركبنا معهم وقد لمسنا فيهم كما في الافريقيين غيرهم هدوءا في السيارة وتمسكا بالآداب العامة فلا صخب ولا مشاجرة ولا ضوضاء تكدر صفو الراكب معهم ، وقد بحثنا عن صاحبنا الهندي فوجدناه قد ترك مكتبه في بلانتير الى بيته فذهبنا الى المسجد ـ الجامع ووجدنا الناس يستعدون لصلاة المغرب فيه وجميعهم من المسلمين الهنود ولم أر افريقيا معهم عدا المؤذن ـ والسبب في ذلك أن جميع سكان هذا الحي ، وأصحاب المتاجر فيه هم من الهنود وليس فيه من المسلمين ـ الافريقيين أحد لأن الافريقيين يسكنون اطراف المدن أو الهامش كما يسمونه في اللغة السواحلية كما قدمت ...
وأعجب ما رأيت في هذا المسجد عدد من الاطفال يستعدون لأداء الصلاة فيتوضأون الى جانب الشبان والكهول والشيوخ ، وقد استرعى وجودنا أبناءهم فتحلقوا حولنا وعندما أخبرناهم أننا من المدينة المنورة تعجبوا وفرحوا برؤيتنا ، وكان إمام المسجد لا يعرف الانكليزية ولا العربية اما المؤذن وهو الافريقي الوحيد في المسجد فقد تلجلجت الكلمات في لسانه حيث يعرف من العربية كلمات لا أظنها تتعدى أصابع اليد ، وقد أعجبته روعة المفاجأة فلم يستطع التعبير ، وأخذ يردد كلمات المدينة المنورة الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، وقد أذّن للصلاة فتخيلت

أذان بلال رضي الله عنه لخشوع المؤذن وشدة اخلاصه ، وكان يرقق اللام وينطق الحاء هاء . ثم اقيمت الصلاة فور انتهاء الاذان ، وما أن انتهت الاقامة ويخيل الي أن الامام لم ينتظر حتى انتهت ، حتى دخل الصلاة بسرعة ولم يتمهل ليسوي الصفوف أو ليجيب المقيم ، ثم صلى صلاة خفيفة ولكنها فيما يظهر مليئة بالخشوع والخضوع .

ونسيت أن أقول انه مع اقامة الصلاة جاء طفلان يحملان كومة من الطواقي (القلانس) فوزعوها على المصلين ليستروا رؤوسهم حيث كان اغلبيتهم من لابسي الزّي الافرنجي وبعد انتهاء الصلاة والراتبة تقدم أحد المثقفين من المصلين وهو ذو لحية وعارضين وعلى وجهه بهاء واشراق فسألنا بالأوردية عن اللغات التي نحسنها فقلت له ـ وأنا أعرف كلمات معدودة من اللغة الأوردية انا نعرف العربية والانكليزية فقط ـ فأومأ الينا بطريق الاشارة ان نخرج من المسجد ، فلما خرجنا أخذ يكلمنا بالانكليزية ، وقد تجمهر المصلون حولنا فألقيت فيهم كلمة مختصرة قلنا فيها : إننا جئنا من المدينة المنورة وان اخوانكم المسلمين في المملكة العربية السعودية من العلماء وطلبة العلم وعامة المسلمين يسلمون عليكم ويحيونكم على البعد، ويشعرون ان المسافة التي تفصل بينكم وبينهم لا أهمية لها ، لان رابطة الاسلام تشد المسلمين جميعا بعضهم الى بعض ، وقد حيونا وفرحوا بنا فرحا ممتزجا بالعجب .

هذا والمسجد متوسط الحجم ولكنه نظيف غاية النظافة وحماماته واماكن الوضوء غاية في النظافة ايضا كلها مبلطة بالرخام بما في ذلك الجدر ، والوضوء من انابيب نظيفة حيث ان المصلين من الحنفية الذين لا يجيزون الوضوء بالماء المستعمل على عكس الشافعية الذين رأيناهم في بعض الاماكن وبخاصة في ممباسة والصومال يجعلون لماء الوضوء حوضا كبيرا يشبه البركة يغترفون منه اغترافا ..

وبعد الصلاة وبعد ان ودعناهم تطوع بعضهم بأن أخذنا بسيارته الى الفندق الذي نسكن فيه في مدينة (لمب) على بعد ستة أميال كما ذكرت وكان أعظم ما هزني هزا أن رأيت الشارع الذي يقع فيه باب المسجد مليئا بالسيارات التي حضر اصحابها لأداء الفريضة ليس غير كأنه أحد الجوامع في بلادنا عند حضور صلاة الجمعة أو أكثر ازدحاما بالسيارات ...

الليلة الاولى في ملاوي :

عدنا الى الفندق فجلسنا في البهو الخارجي نرقب الجالسين والغادين والرائحين وهم يتكونون من طائفتين ليس غير ، إحداهما : طائفة البيض وهؤلاء معظمهم ان لم يكن كلهم من البرتغاليين وقد ذكّرونا بألوانهم وطريقة حديثهم وتحررهم من آداب الجلوس والقيام والحديث واللباس بسكان الشرق الاوسط فهم بيض ولكن ليس في بياض الالمان أو صهبة الانكليز وتراهم ليسوا على جانب

كبير من الآداب حتى لاحظت أن بعضهم وليس واحـــدا فقط عندما تمر به الخادمة السوداء يمزح معها مزاحا ثقيلا والناس يرونه ، والغريب أن تلك الخادمة لا تبدي نكرها لهذا الفعل ، أو اشمئزازا منه بل تضحك على طريق المغازلة أيضا . كل ذلك ونحن ننظر والناس ينظرون ، وقد أثـار سخطنا واشمئزازنا ولكن ماذا نصنع ؟..

والطائفة الثانية : السود من اهل البلاد وهم يبدون أقل وجاهة في المظهر من الكينيين واليوغنديين كما قلنا .

وقد تناولنا طعام العشاء في مطعم الفندق على الطريقة الاوروبية ولكن الطعام كان سخيا ليس في الكمية فقط بل وفي النوع فهو يتكون من الشوربة واللحم الفاخر (الشواء) والسمك والخضار والسلطات الطازجة التي كانت قد غابت عنا أو غبنا عنها منذ مدة طويلة ثم الحلوى ثم القهوة والخدم افريقيون ومؤدبون وخاضعون كل الخضوع لرئيسهم على عكس بعض الخدم في كينية وأوغندة الذين يشعرون بعد استقلال بلادهم بالكبرياء وعدم الحاجة الى الخضوع أو طاعة الرؤساء من غير الافريقيين ..

بعد ذلك العشاء الفاخر الذي كنا قـــد افتقدناه في مطاعم دار السلام التي كان يديرها الهنود او بعض العرب ولكن النظافة لديهم معدومة كما أن رواد مطاعمهم قـــد يلبسون ثيابا مهلهلة ويحضرون بوسخهم وعرقهم الـــذي

يتصبب من أجسامهم بسبب الحر في دار السلام في هذا الفصل من السنة .

عدنا الى البهو الخارجي للفندق وجلسنـــا قليلا ثم رجعنا الى غرفتنا وأخذت جهاز الراديو وهو صغير مـــن طراز نشنال الياباني ذي الموجتين وأملي ضئيل في أن أسمع اية اذاعة عربية هنا حيث كنا في دار السلام لا نسمع شيئا من الاذاعات العربية ولكنني عثرت على اذاعة الرياض تذيع موجز الأنباء ، ثم تواصل برامجها وكذلك سمعت بعـض الاذاعات العربية الاخرى واضحة كل الوضوح على عكس ما عليه الحال في دار السلام واعتقد أن السبب أن البلاد مرتفعة جدا بالنسبة الى دار السلام ...

يوم الاربعاء ١٣٨٦/٨/٢٤ هـ.
١٩٦٦/١٢/٧ م.

ذهبنا في الصباح الى صاحبنا في بلانتير وقد استأجرنا سيارة أجرةبلغت تكاليفها حسبعداد السيارة سبعةشلنات وعشر بنسات أي ما يساوي خمسة ريالات تقريبا وذلــك لمسافة خمسة أميال ...

التقينا بصاحبنا الهندي وهو (الحاجمحمد أبو بكر) ويعتبر رئيسا للمسلمين الآسيويين في منطقة بلانتير وقــد قدمت له نفسي وصاحبي وأعطيته بطاقتي الشخصية وحدثته

عن مهمتنا وعن سفرنا ، فأجاب بتحفظ وقال : إننا هنـــا لا نستطيع أن نعمل شيئا لأننا آسيويـون لسنا متمتعـــين بالجنسية الافريقية ولذلك فان أي شيء نعمله يكون في غير صالح المسلمين ولا في صالحكم . وهنا طلبت منه أن يصلنا تلفونياً برئيس الجمعية الاسلامية الافريقية وهـو السيد الياس امين موسى لانه معتـــرف به من الحكومة فقال : انه يسكن في زومبا على بعد ٣٧ ميلا من بلانتير ثم أضاف قوله : ثقوا أن أي شيء تقولونه له سوف ينقلـه مباشرة الى الدكتور باندا رئيس الجمهورية فقلت له : إنه ليس لدينا ما نخفيه عن الحكومة . وليس لنا أي هدف غير الاتصال بزعماء المسلمين وتقديم ما يمكن تقديمه مـــن المساعدة لهم وقد قلت له ذلك لانه اخرج قولـــه مخرج التخويف والتحذير ...

ثم أخرج رقم الهاتف من الدليل فتكلمت مع المذكور وبعد أن حييته قلت له : اننا رأينا انه مـن الضروري ان نتصل بكم بصفتكم اخوانا لنا في الاسلام ولنتحدث فـي الشؤون الاسلامية التي تتعلق بهذه البـلاد فقال : انـي مستعد لذلك سوف اقابلكم حالما تصلون الى زومبا ...

جولة في بلانتير :

خرجنا للتجول في اسواق بلانتير وهي مدينة صغيرة وتكاد الحوانيت فيها تكون اكثر من البيوت حيث ان معظم

المتاجر تقع فيها ويتعامل معها سكان البلاد المنتشرون حولها الى جانب كونها مصدرا لتموين المدن الصغيرة بالبضائع التجارية وقد لاحظت أن اكثر المتاجر فيها تحمل اسماء اسلامية اذ ان معظم التجار الآسيويين هم من المسلمين ، وبلانتير لا تشذ عن القاعدة العامة في مدن افريقية الشرقية والوسطى حيث تكون التجارة مع غير الافريقيين فلم أشاهد مع الافريقيين الا حوانيت قليلة بعضها لاصلاح الاحذية وبعضها للخياطة . وقد رأينا الأهالي في المدن : جمهورا من زبائن المحلات التجارية ليس غير اي لا يشاركون في الاعمال التجارية . ولم نستطع مواصلة التجوال في تلك البلدة بسبب وهج الشمس الشديد في هذه الساعة من النهار فعدنا الى مكتب صاحبنا الهندي وقد حضر اليه بعض زعماء المسلمين هناك فاستشرناهم في أن نذهب الى مكان تجمع المسلمين في «فورت جونستون» فنصحونا بعدم السفر الى هناك وقالوا ان اهالي «فورت جونستون» يعتبرون معارضين للرئيس باندا وحكومته . وهناك ترابط افواج من الجيش لاخضاعهم والمخابرات نشطة جدا هناك ، ولذلك فان ذهابكم اليها غير مناسب ولما سألناهم عن السبب في كونهم معارضين للحكومة قالوا ان احد الوزراء المعارضين للحكومة هو من منطقة «فورت جونستون» وهو مسلم الأصل ويعتبر زعيما في تلك المنطقة وقد سجنته الحكومة وطاردت انصاره ، وكلهم تقريبا من المسلمين ..

في قنصلية البرتغال :

بعد أن أنهينا فترة تناول الغداء في الفندق انتظرنـا صاحبنا المسلم الهندي محمد ابو بكر الذي كان قد وعدنا بالمرور علينا ليذهب معنا الى قنصلية البرتغال في بلانتير طلباً للحصول على تأشيرة دخول منها الى موزمبيق ، وعلى ذكر فترة الغداء والعمل فان العمل هنا على فترتين كما هي عليه الحال في كل اقطار شرقي ووسط افريقية حيث يبدأ مـن الساعة الثامنة والنصف صباحا الى الساعة الثانيـة عشرة ظهرا ثم تبدأ فترة الغداء ثم يستأنف العمل في تمام الساعة الثانية ويعود الناس الى اعمالهم حتى تمام الساعة الرابعة بعد الظهر عدا يوم السبت فلا تكون هناك فترة للعمل بعد الظهـر ...

ذهبنا الى قنصلية البرتغال فوجدنا فتاة برتغالية قالت انها لا تستطيع أن تعرف هل يمكننا الحصول على التأشيرة ولا تستطيع ان تعرف النتيجة الا يوم الجمعة القادم لان يوم غد الخميس هو يوم عيد الجمهورية في البرتغال اي يوم عطلة ، وهكذا فنحن قد ابتلينا بعطل البلاد المختلفة ، حتى تنزانية خرجنا منها في أول يوم من ايام عيدها الجمهوري ! وكنت حريصا جدا على زيارة موزمبيق وذلك من أجـل القيام بواجب المهمة التي وكلت الي من جهة ، ولحرصي من جهة اخرى على رؤية البلاد التي كان يتردد عليها العـرب منذ اكثر من ألف عام وكان فيمن زارها ووصفها العلامة

المسعودي وسماها كما سماها غيره «سفالة» لأنها في رأيهم في أسفل بلاد الارض وسموا الارض القريبة منها « واق الواق » وربما كانت مسرحا لقصص السندباد البحري ..

وهكذا قضينا عدة ساعات بعد ذلك ونحن لا نعرف هل سنتمكن من السفر الى «زومبا» اليوم أم لا ، لانه لا وسيلة هناك سوى الحافلة وهي تزدحم بالافريقيين على الرغم من بطء سيرها وكثرة وقوفها في المحطات المختلفة وهذا ما يتعبنا او السفر في سيارة أجرة خاصة ، وقد أبى علينا صاحبنا الهندي ذلك وقال : ان الأجرة ثلاث جنيهات ونصف أي خمسة وأربعون ريالا سعوديا وهي في بعد جدة عن مكة ، ولا ينبغي أن تدفعوا هذا المبلغ وقد أخبرنا اصحاب الفندق اننا سوف نغادر الليلة ، وفي المساء مر علينا وأخذنا بسيارته الى بيته في لمب وهو بيت يقع وسط غابة كثيفة من الاشجار السامقة ...

ويقول أنه بناه منذ ١٤ سنة وقد أثثه تأثيثا فاخرا ثم حدثنا عن نفسه وعن المسلمين الآسيويين هنا والافريقيين فقال : انه يشتغل في التجارة وان جميع المسلمين الآسيويين هنا يشتغلون في التجارة أيضا وان المسلمين الافريقيين في مستوى منخفض جدا لانه لا يوجد بينهم من تعلم تعليما كافيا ولأن معظم المتعلمين من الافريقيين هم من المسيحيين الذين تخرجوا في مدارس المبشرين الاوروبيين . وقال :انه في هذا الوقت بعد الاستقلال تحسنت الحال بعض الشيء

حيث اصبح في امكان المسلمين ان يدخلوا اولادهم في المدارس الحكومية بدون أن يخشوا تغيير عقائدهم لان التعليم فيها مدني بحت ، وقال : إن معظم الحراس الذين تراهم على المتاجر هم من المسلمين لان معظم التجار من المسلمين الآسيويين يخصون اخوانهم بوظائف الحراسة ، ولكون المسلمين الافريقيين لا يحسنون غير ذلك . وقد سافرنا بعد صلاة المغرب من مدينة لمبي الى زومبا بالسيارة ومسافة الطريق اليها ٣٧ ميلا ولم نستطع ان نميز معالمه . ولكن معظمه تحيط به أشجار الغابات العظيمة التي تغطي معظم بلاد نياسالاند أي ملاوي الحديثة والطريق كله معمور فتجد القرية بعد القرية حتى وصلنا ..

مدينة زومبا :

وهي مدينة صغيرة تقع الى الشمال الشرقي من بلانتير على مسافة ٣٧ ميلا وقد كانت عاصمة نياسالاند في زمن الحكم البريطاني وقد أنزلنا صاحب السيارة قرب المسجد الجامع في زومبا حيث كان صاحبنا الهندي محمد أبو بكر قد أخبر الجمعية الاسلامية بنا وطلب منهم أن ينزلونا في بيت الضيافة الملحق بالمسجد ويقدموا لنا الطعام لانه لا يوجد هناك فنادق أو مطاعم للمسلمين ، وإنما يوجد فندق أوربي في مكان ناء ، أما الافريقيون وهم الذين يكونون الاغلبية فلا محل لهم من الاعراب عندما نذكر المطاعم أو

الفنادق هنا اذ انهم قد استراحوا من ذلك واستراح منهم الناس بسبب فقرهم ..

وقد احاط بنا المسلمون واولادهم عندما وصلنا للمسجد حيث كان الوقت عشاء وموعد الصلاة قد اشرف، وقد حضروا مع اطفالهم الى المسجد فأخذوا يستفهمون منا عن اسباب مجيئنا وينظرون الى هيئاتنا وطريقتنا في الحديث ، وعن كل شيء فينا وقد التفوا حولنا جميعا وكأنما قدمنا من عالم آخر ، وقد أدينا صلاة العشاء في المسجد وكان مزدحما بالمصلين كبارا وصغارا ثم انزلونا بعد الصلاة في غرفة من الغرف المعدة للضيوف من المسلمين الذين يصلون الى هذه البلاد ، والغرفة المذكورة في جناح كامل يشتمل على مكتب مجهز بكل أدوات المكاتب ، حتى جهاز الراديو والتليفون (الهاتف) ، ومساكة الدبابيس ، وساعة الحائط الخ. واعطونا مفتاح المكتب الى جانب مفتاح غرفتنا لكي نستعمله او نستعمل الراديو والتليفون متى شئنا ، وقد ألحق بالجناح المذكور دورة مياه خلاف دورات المياه الكثيرة الملحقة بالمسجد ، ووجدناهم قد احضروا لنا عشاء من احد البيوت هناك وهو طعام بسيط من طعام اهل البيت بدون تكليف فهو يتكون من مرق هندي كثير التوابل ومليء بالفلفل ومعه ما يشبه المخلل الذي هو أيضا في طعم مرق مشبع بالتوابل الى جانب الملح وابريق فيه شاي مخلوط باللبن على عادتهم في استعمال الشاي مع

اللبن وبعد ان لبثوا لدينا مدة يتحدثون الينا ، والحديث كله بالانكليزية ، حيث لا يوجد في هذه البلاد كلها من يحسن التكلم بالعربية ، حتى إمام المسجد لا يحسن منها شيئا وان كان يحسن من قراءة القرآن بقدر ما يكفي للصلاة ...

وعندما انصرفوا عنا أكلنا الطعام وكنا نجد له من اللذة ما لا نجده في أي مكان آخر حتى نفس النوع من ذلك الطعام اذ كنا في مطاعم الهنود لا نستسيغه ولا أدري تعليل ذلك ، ولا شك أن استضافتهم إيانا كانت لله وفي الله وليست لغرض دنيوي ...

يوم الخميس ٢٥/٨/ ١٣٨٦ هـ .
٨ /١٢/١٩٦٦ م .

مسجد زومبا :

تجولنا صباحا في المسجد فاذا به واسع محاط بفناء فيه حديقة صغيرة مليئة بالزهور ذات الرائحة الشذية ومن الجهة الشرقية هناك حوانيت ملحقة به تؤجر ويصرف ريعها لمصالح المسجد ، ومن الجهة الغربية تقع دارالضيافة ، وبعدها يوجد فناء كبير جدا يتسع لاكثر من الف شخص خصص ملعبا لأطفال المسلمين ، وخلفه مباشرة تقع بناية المدرسة الاسلامية حيث يقوم الامام بتدريس الاطفال

المسلمين بعد الظهر مبادىء الدين الاسلامي واللغة الاوردية والكجراتية لغة الاغلبية من المسلمين هنا ،وكل تلك المساحة تابعة للمسجد وقد استرعى انتباهي هنا نظافة دورة المياه في المسجد ، حتى ان جميع اماكن الوضوء فيه قد كسيت جدرانها بالرخام كما انه استرعى انتباهي ما لم أره في غيره ان المؤذن يضع في محراب المسجد عن يمين الامام اناء صغيرا يشبه مطفأة السجاير وقد سألت عن الغرض منه ؟ فقيل لي انه لكي يتفل فيه الامام اذا احتاج الى ذلك ، ولا شك ان ذلك غير مناسب وان المنديل افضل منه ، ولكن لا ادري سبب تمسكهم به .

ويقوم على الانفاق على المسجد جماعة من المسلمين سكرتيرها يسمى (السيد فاروق سليمان) وهو شاب نشيط مخلص في عمله عرضنا عليه ان نقدم بعض المساعدة للمسجد فقال : اننا ننفق على المسجد من ريع الاوقاف التابعة له من الحوانيت وغيرها ، وقال : ان جميع الآسيويين هنا هم من المسلمين وبيدهم زمام التجارة .

جولة في زومبا :

زومبا مدينة صغيرة كانت عاصمة لاقليم نياسالاند زمن الحكم البريطاني وهي تقع في حضن جبل زومبا الذي يرتفع ثمانية آلاف قدم عن سطح البحر وتقع معظم البنايات الرئيسية في سفح الجبل في القسم الاوروبي

منها فهناك مقر برلمان ملاوي وبيت الرئاسة الذي يقيم فيه الرئيس (باندا) في بعض الاحيان ،كما تقع المكاتب الرئيسية لوزارة التعليم وغيرها من المصالح الحكومية واغلبية سكانها من الافريقيين الزنوج كما قدمت .

وقد زرنا السوق الوطني فيها وجميع الباعة والمشترين فيه من الوطنيين وهو عبارة عن مساحة من الارض محجوزة ليس فيها حوانيت يعرض فيها الباعة الافريقيون بعض بضائعهم ومعظمها من المأكولات الافريقية واهمها السمك الذي يستخرج من بحيرة نياسا وغيرها وقد عرضوه في اشكال كثيرة منها المملح والمقدد والمطبوخ والنيء وحتى المعفن وقد وجدنا له من الرائحة الكريهة ما أزعجنا خاصة وان الوقت صيف في تلك البلاد ، وهناك نوع من السردين الطازج والمطبوخ يبيعونه لا تكاد تراه من كثرة الذباب عليه والكومة منه وهي حوالي ثلاثين سمكة كل واحدة في حجم الاصبع الواحد تباع بشلن واحد أي ما يساوي ١٢ قرشا سعوديا وبعضه مشوي بطريقة خاصة يبدو منها اصفر اللون ربما كان ذلك لانه قد دخن عليه تدخينا ، ويجلبون السمك من بحيرة نياسا الكبيرة التي سمي هذا الاقليم كله باسمها في السابق فقيل نياسالاند وغيرها من البحيرات وهناك في الكثرة بعد السمك في هذا السوق اثمار المانجو حيث تباع الواحدة المتوسطة الحجم بقرش سعودي واحد وقد اشترينا بشلن واحد اثني عشرة واحدة

ويبلغ وزنها حوالي كيلوين اثنين وهي طيبة الطعم وان لم تكن فاخرة الى الدرجة التي عليها المانجو في ساحل كينية او تنزانية . وهناك البيض ويبيعون الدزينة «١٢» بشلنين أي كل بيضة بقرشين سعوديين والاهالي على وجه العموم تظهر عليهم الحاجة لأول وهلة .

وقد استرعى انتباهي اوراق كنا نجدها موضوعةعلى بعض الاكوام من المانجو وغيرها من الخضراوات وهي تتكون من ايصالات صادرة من البلدية لتدل على ان اصحابها على فقرهم وقلة معروضاتهم وثمنها البخس قد دفعوا ضريبة العرض في السوق للبلدية ، ثم ذهبنا الى الحوانيت التجارية فاذا بمعظم اصحابها يسلمون علينا ويرحبون بنا لأن معظمهم قد رأونا في المسجد من قبل ذلك لأن التجارة في زومبا بايدي المسلمين من الهنود والباكستانيين .

مع رئيس المسلمين الافريقيين :

رئيس الجمعيات الاسلامية هنا يسمى السيد الياس امين موسى وهو رئيس مجلس الجمعيات الاسلامية في ملاوي وهو من المقربين للدكتور باندا رئيس الجمهورية ويسكن في مدينة زومبا وقد قال لنا اكثر المسلمين من الهنود انه لا يمكن عمل شيء في هذه البلاد الا بواسطة هذا الشخص لأنه من المسلمين المقربين من الحكومةوقبضة

الحكومة شديدة والدكتور باندا شديد الحساسية لأي عمل يشم منه معاونة احد من مواطنيه من خارج البلاد .

وقد حضر الينا المذكور بعد ظهر اليوم ومعه السيد (آر. آي. جوانجا) الامين العام للجمعيات الاسلامية في ملاوي فشرحت لهما مهمتنا وقلت اننا نمثل سماحة مفتي المملكة العربية السعودية ورئيس الجامعة الاسلامية وقصدنا الاتصال باخواننا المسلمين هنا والتعرف على احوالهم وتقديم ما نستطيع تقديمه اليهم وأهم ذلك شيئان :

أولهما : اننا نستطيع ان نقدم للمسلمين بعض المنح الدراسية مجانية نأخذ من ابناء المسلمين من يصلح لذلك ونرحله الى الجامعة الاسلامية على حساب الجامعة وتكون نفقة ترحيله واقامته هناك حتى يتم دراسته على حساب الجامعة الاسلامية وكذلك اعادته الى بلاده بعد انهاء دراسته ليكونوا بعد ذلك مرشدين ووعاظ لهم .

وثانيهما : اننا نستطيع ارسال مدرسين يعرفون العربية معرفة تامة ليكونوا مرشدين لمدرسي الدين الاسلامي هنا وليساعدوكم على تنظيم امور المسلمين الدينية مثل شؤون أئمة المساجد والكتاتيب الاسلامية مع التوصية بعدم التدخل في الشؤون السياسية بل يكونون بعيدين عنها ، وذلك لمدة سنة قابلة للتجديد ، ثم تكلمت عن العلاقات بين حكومتينا واننا لسنا سياسيين وعملنا بعيد عن السياسة ، وتكلمت بعده عن العلاقة الاسلامية الوثيقة التي تربط

المسلمين بعضهم ببعض على بعد الديار وتنائي الامكنة على النحو الذي كنت اتكلم مــع غيره من اخواننا المسلمين في افريقية .

وبعد ان انهيت كلامي بدأ كلامه بشكرنا على هــذه البادرة الطيبة كما يقول ، وقال كلاما طويلا ملخصه قوله : اذا رأيتم انكم تتقدمون بهذا الى الحكومة الملاوية لانه لا يمكن لنا أن نعمل شيــئا الا بعد ان توافق عليه حكومتنا . فقلت: انه لا مانع لدينا من ان تعرضوا ذلك على المسؤولين في بلادكم ، وبخاصة اذا كان يمكن لنا ان نعرف الجواب اليوم او غدا ، فقال : انه سوف يتصــل بالمسؤولــين في الحكومة ويحاول ان يعطينا الجواب غدا مساء .

ثم قلت له انني ارجو ان تشرحــوا لي احتياجــات المسلمين في هذه البلاد حتى نضمنها تقريرا عــن احــوال المسلمين ولعله يكون في امكان رئاسة الجامعة الاسلامية او دار الافتاء تلبيــة بعضها وخاصة ارسال مساعدة مالية بعد ذلك فقال : ان اهم ما نحتاج الى ان ترسلوه الينا هو المصاحف والاجزاء القرآنية والكتب الدينية المبسطة لأن بلادنا تحتاج الى ذلك ، اما المساعدة الماليــة فلا استطيــع قبولها لأن اوامر الحكومة لدينــــا تقضي بألا يستلم أي مواطن أي مبلغ مالي كان مــن الخارج وقلت له : وماذا تصنعون اذا احتجتم الى شيء مــن المال لبناء مسجد او مدرسة ونحو ذلك فقال : نجمع المال قليلا قليلا من الداخل

قلت له : ولو كان ارسال المال صريحا من جهة دينية اسلامية في المملكة اليكم وأنتم جهة معترف بها من حكومتكم ؟ فقال : ولو ، ثم اضاف بان هذا يسري على جميع الجمعيات الدينيــة في ملاوي حتى الجمعيات المسيحية .

على قمة جبل زومبا :

خرجنا مع احد الاخوان الهنود بصحبة الاخ فاروق سليمان سكرتير الجمعية الاسلامية الآسيوية هناك في جولة حول مدينة زومبا صعدنا بعدها الى قمة جبل زومبا التـي ترتفع فوق سطح البحر (٨٠٠) قدم وكان الطريق ضيقـا محفوفا بالمهاوي يضيق في منتصفه حتى يصبح لا يتسـع لأكثر من سيارة واحدة وقد اعدت الحكومة نظاما لتفادي تلاقي السيــارات في الطرق فجعلت نصف ساعة للقادم ونصف ساعة للذاهب بمعنى انك اذا وصلت في الساعـة السادسة والنصف ودقيقة واحدة فعليك ان تقف حتى تبلغ الساعة السابعة وهكذا .

كان منظـر مدينة زومبا من الجبل رائعا بل كـان المنظر كله رائعا لأن الجبل مغطى باشجار الاخشاب الكبيرة وفي سفوحه تنمو بعض المحاصيل مثل الذرة وغيرها ،وكان الجو غائما والمطر يتساقط رذاذا خفيفا . والارض الواقعة تحت اعيننا خضراء ، تلالها ووديانها ، ووصلنا الى قمـة الجبل حيث هناك فندق اوروبي ، وقد حان وقت صـلاة

المغرب فوقفنا بالقرب من منبع نهر زومبا ولجريانه حفيف لطيف ، وهو بارد الماء شديد البرودة ، فتوضأنا منه وصلينا هناك على احدى صخور قمة الجبل التي قد غسلتها الامطار غسلا ، وماء النهر صاف زلال .

وبعـــد صلاة المغرب طفنا قليلا في الاتجاهـــات المختلفة في تلك القمة والجو بارد هناك ، وقد بدت أنوار مدينة زومبا متلألئة تخفت احيانا بسبب الرذاذ ، وفي هــذا الجو البارد تطرق الحديث مع اصحابنا الى موضوع اسباب ألوان الناس ، ولماذا اصبح الاسود أسود ، والاسمر أسمر والابيض ابيض ، وهل مرد ذلك الى الطقس واذا كـــان الامر كذلك ، وهو ما يقول به اكثر العلماء فان أمثال هذه البلاد طقسها معتدل وهي لا تقع في المنطقة الاستوائية بل تقع على خط العرض الرابع عشر أو الخامس عشر جنوبــا ومع ذلك فأهلها سود الالوان ولهم تقاطيع الزنوج الكاملة وقد يقول مـــن يؤمن بأن جميع اسباب اللون ترجع الـــى الطقس ان اولئك كانوا قد قدموا من المناطق الاستوائية شمالا وعاشوا في هذه البلاد مددا لا تكفي لتغيير ملامحهم كمــا هي الحال بالنسبة للزنوج في الولايات المتحـــدة الاميركية وفي افريقيــة الجنوبية ، ولكن هذا يحتاج الى دليـــــل .

هذا وتبلغ المسافة من سفح الجبل الى قمته ١٤ كيلو مترا ، وقد اراد صاحبنـــا ان يزيد مـــن مجاملته لنـــا

فأخذ يدير جهاز الراديو على المحطات العربية وان كان لا يفهم من العربية حرفا فاستمعنا الى نشرة اخبار وغيرها من عدد مـن الاذاعات العربيـة التي كانت تسمع في هـذه البلاد على الرغم مـن بعد المسافة بسبب ارتفاعها .

يوم الجمعة ٢٦/ ٨/ ١٣٨٦ هـ .
٩ /١٢/ ١٩٦٦م .

أدينا صلاة الجمعة اليوم في جامع زومبا وقـد اكتظ المسجـد بالمصلين قبل ابتداء الخطبة وقد حضر عدد كبير مـن الافريقيين لاداء الصلاة خـلاف ما عليه الحـال في اوقات الصلوات الاخرى حيـث كان أكثر المصلين مـن الهنود ، وعندما حان وقت الخطبة دخل الامام وقـد لبس فوق رأسه (غترة) ولبس فوقها جبة بيضاء طويـلة تصل الى كعبيه ولم يكن من عادته ان يلبسها بل كان يلبس طاقية هنديـة وجبة او على الاصح قميصا بين القميص الافرنجي والقميص العربي اي قميص هندي يصل الى الركبتـين ، وتحته سروال هندي ابيض ، وقد حمل معه حين صعـد المنبر مجلدا ضخما اخذ يتلو منه بالعربية خطبة مكتوبة ، لا يدري هو من معناها شيئا، ولا يدري احد من الحاضرين سوانا لها معنى ايضا ، لأنهم جميعا لا يعرفون العربية ، ثم تلا بعدها بخشوع قصيدة بالاوردية كانت فيـما يظهـر

كالخطبة تتحدث عن فضل الصيام بمناسبة قرب حلول شهر رمضان .

أما الافريقيون الذين لا يعرفون العربية ولا الاوردية فليس لهم حظ من الخطبة ولم يخصهم احد بأن يسمعهم شيئا من الموعظة باللغة التي يفهمونها ، الا انه بعد ان انتهت الصلاة وانهى الناس ركعتي الراتبة قام أحد الهنود ممن عاشوا طويلا في هذه البلاد وألقى فيهم كلمة بلغة تشيانجا كنت اسمع أثناء الكلام كلمات عربية ، فسألت عنها فقال : دخلت الى لغة القوم عن طريق اللغة السواحلية حيث اختلطت لغة تشيانجا والسواحلية وهذه مليئة بالكلمات العربية كما هو معروف .

ومما استرعى انتباهي أن أحد المصلين الهنود الذين كنت أعرفهم بحضور الصلاة في الاوقات العادية وبارتداء الملابس الهندية رأيته في صلاة الجمعة وقد حضر الى الصلاة وهو يرتدي كوفية (غترة) وفوقها عقال مقصب وقد فعل ذلك تزينا لصلاة الجمعة .

النتيجة :

حضر الينا بعد الصلاة السيد الياس امين موسى رئيس اتحاد الجمعيات الاسلامية الافريقية في ملاوي وذلك ليخبرنا بنتيجة مساعيه حول الموضوع الذي تحدثنا فيه معه سابقا ووعدنا انه سيحضر الينا بالنتيجة اليوم

فقال انه تحدث مع المسؤولين في الحكومة واهمهم وزيران فيها من المسلمين احدهم وزير الزراعة والآخر المتحدث بلسان الحكومة في البرلمان ، وانهم رحبوا بالفكرة الا ان النتيجة النهائية لا يمكن معرفتها الا بعد ان يبحثوا الامر مع رئيس الدولة ، ويحتاج ذلك الى وقت لا يقل عن عدة ايام وان اختيار الطلبة كما قال يحتاج الى وقت طويل لأن جمعيتهم تمثل المسلمين جميعا في ملاوي واختيار الطلبة من بقعة واحدة يغضب باقي المقاطعات وانما يستحسن كما قال ان ننظر في الامر ونخبركم بعد ذلك عن الاشخاص الذين يتم انتخابهم وعن شهاداتهم ومؤهلاتهم واتم تخبروننا بعد ذلك عن موضوع قبولهم وتذاكرهم .

حالة المسلمين في ملاوي :

ثم تحدثت معه عن حالة المسلمين في ملاوي بصفته رئيسا لاتحاد جمعياتهم فكان مما قاله ان نسبة عدد المسلمين في ملاوي تبلغ حوالي ٤٥٪ من مجموع السكان وانهم موجودون في ثمان مقاطعات فيها وان في المقاطعات الاخرى توجد اقليات ممن هاجروا اليها وهناك اماكن مثل فورت جونستون وكوتا كوتا يكون المسلمون فيها اغلبية السكان ، وقال : ان المشكلة انه لا يوجد مدرسون يفهمون الناس امور الدين او يعرفون اللغة العربية ثم طلب تزويدهم بالكتب الدينية ، وقد اكد لي ما ذكره غيره من

ان الافضل ألا نزور ناحية فورت جونستون حيث يكثر المسلمون لان الوضع السياسي هناك لا يساعد على انجاح تلك الزيارة ، وان الزيارة لن تكون في صالح المسلمين لانها تظهرهم بمظهر من يتصلون بدولة اجنبية ، وذلك مما قد يسبب لهم الضرر عند الحكومة .

وقد اخذنا نستعد للعودة الى « بلانتير » العاصمة ومنها الى مدينة لمبي فاتصلنا تلفونيا بقنصلية البرتغال هناك نستفسر عما تم في موضوع طلبنا منحنا تأشيرة دخول الى موزمبيق فأجاب سكرتير القنصلية بأن الامر يتطلب ارسال الجوازات الى حكومة موزنبيق والحصول منها على تأشيرة الدخول وهذا يحتاج الى وقت لا يقل عن اسبوعين فاخبرناهم بأننا لا نستطيع الانتظار تلك المدة ، وطلبنا منهم ان لا يرسلوا جوازاتنا الى هناك .

ولقد كان سكرتير لجنة المسجد السيد فاروق سليمان قد اخبرنا أنه ينوي السفر الى بلانتير ولمبي فجر الغد وانه يود ان نصحبه بسيارته فأجبناه شاكرين .

وقد زرنا بعد عصر اليوم السيد فاروق سليمان في سوق زومبا وهو حانوت كبير يضم بضائع مختلفة من عود الثقاب الى المعاطف ويعمل فيه مع ابيه وقد قال لنا السيد فاروق انني سوف اريكم معجزة اليوم ، قلت : وما هي ؟ قال : ان أمي قد اشترت من السوق نوعا من الخضرة وعندما شقته بالسكين رأت عليه حروفا فأريناه الامام أي

امام المسجد الذي هو اعلم رجل عندهم بالعربية فقال : انه مكتوب عليه بالعربية (يا الله) ثم احضر والده باذنجانة سوداء قطعها بالعرض وقال انظر الى هذه الحروف ولم أر الا تقاسيم الباذنجان التي تنفرج بعض الاحيان حتى تشبه (يا) بدو نقط اما الباقي فلا ، وهكذا أثبت الامام العالم انه يعرف العربية حقا .

يوم السبت ٨/٢٧ /١٣٨٦ هـ .
١٠/١٢/١٩٦٦ م .

العودة الى لمبي :

غادرنا مدينة زومبا فجرا بصحبة صديقنا السيد فاروق سليمان امين جمعية المسجد الجامع وقد اتيح لنا بذلك ان نرى نهارا الارض والقرى بين زومبا وبلانتير وتبلغ المسافة بينهما (٣٧) ميلا كما قدمت .

وقد كان الطريق جميعه يخترق اراضي معمورة مزروعة ، والاهالي يظهر من عنايتهم بالزراعة انهم على درجة طيبة جدا من المعرفة بالفلاحة وانهم لا يدانيهم في هذا الامر الا الاوغنديون الذين يفوقون غيرهم من الافريقيين في هذا الصدد .

والارض كلها خضراء ولا تجد فيها شبرا خاليا من الخضرة سواء أكانت خضرة طبيعية أم زراعية، ومما يسترعي

الانتباه هنا في ملاوي كثرة الاوروبيين من ذوي الاعمال وغيرهم .

اما الدبلوماسيون فعددهم قليل جدا ولا يوجد سوى خمسة سفراء وثلاثة قائمين بالاعمال ، ومما يؤسف له ان احدى السفارات النشيطة هي السفارة الصهيونية ولليهود في ملاوي نفوذ عظيم .

ومن الاسباب في انحياز ملاوي الى اليهود انه قامت في بعض الاجزاء من البلاد حركة سياسية ضد الرئيس (باندا) وحزبه الحاكم فاتهمت السفارة المصرية وهي السفارة العربية الوحيدة التي كانت موجودة هناك بانها اصبحت تؤيد المعارضين للحكومة وتمدهم بالمساعدات فأمر الدكتور باندا باغلاق السفارة المصرية وترحيل جميع موظفيها في ظرف يومين ، كما ان السفارة الاسرائيلية تقدم لحكومة باندا انواعا من المساعدات التي تحتاج اليها مثل الخبرة الفنية وتدريب الموظفين والعمال في ملاوي بدون ان تتدخل في الخلافات السياسية القائمة بشكل مباشر ، شأنها في بعض البلاد الافريقية الاخرى ، وبذلك استطاعت ان تتسلل اليها وتفرض نفوذها ، وهذا شيء يؤسف له بطبيعة الحال ولكن الاسف وحده ليس علاجا للمشكلة بل يجب على الدول العربية وبخاصة الافريقية منها ، ان تجتمع وتنظر في هذا الامر وتوزع العمل في البلاد الافريقية وترسل من تستطيع ارساله من

الخبراء والمدربين الى كافة انواع المساعدات الاخرى ،وهي اذا قالت للدول الافريقيـــة ان اسرائيـــل ليست مخلصـــة فيما تقدمه مـــن مساعدات ،ولم تبذل لها ما تبذله اسرائيل واكثر منه ، فانها لن تلتفت الى هذا القول اما اذا قـــدمت لها تلك المساعدات فانها بلا شك سيكون لذلك الاثـــر المرجو .

عدنا الى لمبي ونزلنا في الفندق نفسه وهو فنـــدق (انترناسيونال) .

وقد ذهبنا الى بلانتير وأكملنا اتصالاتنا بالمسلمـــين هنـــاك .

وقبل المغرب ذهبنا الى جامع لمبي ، وصلينا المغـــرب فيه ، وبعد الصلاة تحدثنا الى المصلين وقد أولونا عواطفهم مما أنسانا بعض ما نعانيه مـــن وحشة الغربة .

كما زرنا المدرسة الملحقة بجامع لمبي وهـــي قسمان : قسم للصبيان وقسم للبنات وكلها تدرس مبادىء العلوم الاسلامية بطريقة التلقين وبواسطـــة اللغتين الأورديـــة والكجراتية وهما لغتا المسلمين الهنود في هذه البلاد .

المسلمون في ملاوي

وصلنا اليها قادمين من تنزانية .

وقد اتصلنا في مدينة بلانتير العاصمة ومدينة لمبي القريبة منها بالمسلمين الهنود ولهم جمعيات اسلامية صغيرة تشرف على المساجد وتكفين الاموات ومدارس تحفيظ القرآن هناك .

والمسلمون الهنود في ملاوي اغلبهم ان لم يكن كلهم من الاغنياء وليسوا بحاجة الى المساعدة المادية وكثير من جمعياتهم يوجد فيها وفر من المال لانهم قد فرضوا على كل رجل قادر منهم مبلغا شهريا من المال يؤديه الى صندوق الجمعية الاسلامية .

اما المسلمون من الافريقيين فهم في غاية من الضعف والمسكنة اذ لا يكاد يوجد بينهم متعلم ، واكبر مثال على ذلك ان نسبة المسلمين في ملاوي حوالي ٤٠٪ اي انها اكثر الاقطار الافريقية في تلك المنطقة ازدحاما بالمسلمين ومع ذلك لا يوجد في الحكومة من الوزراء المسلمين غير وزيرين فقط هما (جي. دبليو. توماني) وزير الزراعة والمعادن (وقاسم سوتي) المتحدث بلسان الحكومة في البرلمان وهو برتبة وزير .

والسبب في كثرة المسلمين في ملاوي لا يرجع الى العهد الحديث بل لان المسلمين كانوا قد وصلوا الى اقليم سفالة في شمالي موزمبيق قبل اكثر من الف سنة ، ثم دخلوا الى تلك المنطقة واختلطوا بالاهالي ، ومع ذلك

ليس هناك مدارس نظامية لابناء المسلمين واغلبيتهم يشتغلون عمالا وعمالا زراعيين وما اشبه ذلك . وحتى المدارس والكتاتيب الاسلامية قليلة جدا ومساجدهم اكثرها مبني من القش او الصفيح بخلاف مساجد الهنود المبنية بالاسمنت المسلح على الطراز المغولي الذي تتميز به المساجد في القارة الهندية .

ويكثر المسلمون في ملاوي في مقاطعة « فورت جونستون » حيث يكوّنون اغلبية هناك . وكذلك يكثرون في كوتاكوتا، ورواوا ، وملانجي، وكاسوبي ، وجير الزور، ولولونجو ، وكارونقا ، اي انهم يوجدون بكثرة في ثماني مقاطعات من مقاطعات البلاد التي يبلغ عددها عشرين كما لا تخلو منهم المقاطعات الاخرى .

وعلى الرغم من ضعف المسلمين فان عدد الداخلين في الاسلام يزداد يوما بعد يوم والسبب في ذلك جهود فردية صغيرة لبعض المشائخ الافريقيين .

الجمعية الاسلامية الافريقية في ملاوي :

سافرنا الى مدينة زومبا العاصمة الثانية للدولة للاجتماع برئيس الجمعية الاسلامية الافريقية السيد الياس امين موسى ، وتسمى الجمعية المذكورة بالانجليزية : (نياسالاندمسلم اسوسيشان) . وهو من المقربين الى الدكتور باندا رئيس جمهورية ملاوي ورئيس الحزب الوحيد الحاكم في البلاد ، وبصفته تلك اصبح رئيسا

للجمعية المذكورة ، وقد اجتمعنا ايضا بالسيد (آر. اي. جوانيجا) الامين العام للجمعية المذكورة وبحثنا معهما المهمة التي قدمنا من اجلها والاشياء التي يمكن ان نقدمها للمسلمين باسم المملكة العربية السعودية ، وهي المساعدة المالية للجمعيات والهيئات الاسلامية ، واختيار طلبة منهم لترحيلهم الى المدينة المنورة للدراسة هناك على حساب الحكومة السعودية ، وارسال بعض المدرسين لمساعدتهم على نشر التعليم الاسلامي في بلادهم .

وبعد ان فكر رئيس الجمعية كثيرا قال : لقد ابتلينا نحن المسلمين هنا بما حصل من احدى السفارات العربية من اعمال اضرت بالمسلمين فقد حاولت التدخل في الشؤون الداخلية في ملاوي الى حد تشجيع المعارضين للرئيس باندا حتى حدث انقسام في البلاد أضر بالطرفين الحكومة والمعارضة مما اضطر حكومتنا الى ان تطرد جميع اعضاء السفارة المذكورة ، وقال : اننا لذلك نأسف اذ نخبركم اننا لا نستطيع ان نقبل اي شيء الا بعد التفاوض مع الحكومة واستئذان الرئيس باندا .

ثم جاء الينا بعد ذلك وقال : انني اتصلت بالمسؤولين ــ وهو يقصد فيما فهمنا الرئيس باندا والوزيرين المسلمين في حكومته ــ وقالوا انهم يشكرون الحكومة السعودية وخاصة حول ما يتعلق بتقديم المدرسين ومنح الطلبة ، واما ما يختص بالمساعدات المادية فان قوانين البلاد تمنع قبول

اية مساعدة مالية من الخارج للافراد والهيئات في ملاوي ، قال ، وهذا شيء قد طبقته الحكومة حتى بالنسبة للجمعيات المسيحية في البلاد ، ولكن يمكن ان ترسلوا الينا مصاحف وكتبا دينية .

هذا وقد حاولنا ان نزور مقاطعة فورت جونستون فوجدنا ذلك صعبا جدا لانه يحتاج الى اذن خاص من الشرطة بسبب الاضطرابات السياسية كما قدمت في اليوميات .

في رُوديسيَة الجنوبيّة



يوم الاثنين ١٣٨٦/٨/٢٩ هـ.
١٩٦٦/٢/١٢ م.

السفر الى روديسية :

خرجنا الى مطار بلانتير في ملاوي ويسمونه مطار تشاليجا لانه يقع في منطقة تسمى بهذا الاسم وذلك في تمام الساعة التاسعة صباحا وقد كان الموظف الذي أخذ تذاكرنا انكليزيا بعد أن ارشدنا الى كل ما نحتاج اليه وأخذ جوازاتنا شكرنا .

مع أنه كان من الطبيعي أن نشكره لانه هو الذي قام بواجبه نحونا فذكرت الموظف الهندي في شركة شرق افريقية وقارنته به وكانت المقارنة في غير صالح صاحبنا الهندي ــ هندي دار السلام ــ ومما تجدر ملاحظته أن الهندي المشار اليه هو هندوكي الديانة .

ذكاء ضابط الجوازات :

وقفنا في الردهة الخارجية للمطار مدة لا تقل عن نصف ساعة بدون أن يؤذن لنا بالدخول الى ضابط الجوازات لانهاء الاجراءات الخاصة بجوازاتنا ، ولم يكن في المكان مقاعد ، ولم يكن هناك من يرشدنا فرأيت ضابطا يتجول فسألته عن مكان الجوازات وأين ينبغي لنا أن نذهب الآن فأجاب : انه ضابط الجوازات نفسه ، وأن مكبر الصوت

سيعلن عند ابتداء العمل في الجوازات ذلك . ثم أخذ يحدثني فسألني هل انتم سعوديون ؟ فقلت نعم من أين عرفت ؟ قال لقد رأيتكم عند قدومكم الى ملاوي منذ ستة ايام ثم سألني ما هي لغتكم ؟ مع أنه يعرف أننا عرب سعوديون فقلت : العربية ، وليست لغتنا وحدنا بل هي لغة جميع الاقطار العربية في الشرق الاوسط وشمالي افريقية وأخذت أعدد له الأقطار التي تتكلم العربية فقال لي : وماذا عن اسرائيل ؟ وهل هي من الاقطار العربية ؟

ومع ذلك فلكي لا أغمط هذا الضابط الذكي حقه أقول : انه عندما حان الوقت ودخل الى مكتبه كان لطيفا معنا وأنهى اجراءات سفرنا وجميع المسافرين بسهولة ويسر.

الى سالسبوري :

قامت بنا الطائرة من بلانتير الى سالسبوري في تمام الساعة العاشرة الا ربعا بعد أن أعلنت المضيفة أن مدة السفر ستكون ساعة وعشر دقائق ، والطائرة من طراز (دي ، سي ، سكس) ذات المحركات الاربعة تابعة لشركة خطوط ملاوي الجوية ولكن الذي يظهر أن الاوروبيين هم الذين يقومون على ادارتها لأن جميع هيئة الطائرة من الاوروبيين . وكانت المضيفتان من الانكليز .

سارت الطائرة سيرا رخوا في سماء ارض ذات وهاد وجبال خضر ، تتخللها مسايل الماء التي تجري وتنعكس

عليها اشعة الشمس عندما نحاذيها ، ثم ارتفعت الطائرة فلم نعد نتبين من معالم الارض شيئا خاصة وأن هناك بعض السحب المرتفعة والمنخفضة .

وقبل هبوط الطائرة بثلث ساعة اتضحت لنا الارض واذا بها لا تكاد تختلف مناظرها عن منظر الارض في زامبية حيث كثافة الخضرة أقل منها في ملاوي وأقل بكثير من كثافة الخضرة في البلدان الاستوائية . وقبل هبوط الطائرة بدت مدينة سالسبوري وضواحيها جميلة منسقة بل غاية في الجمال .

في مطار سالسبوري :

هبطت بنا الطائرة في المطار ولسنا على ثقة من دخول روديسية لانه ليس معنا تأشيرات دخول اليها ، وقد كان جميع الموظفين الذين استقبلوا الطائرة من الاوروبيين عدا الحمالين . والمطار نظيف جدا وفخم يكاد يقارن بمطار نيروبي في السعة ، أما في النظام وجمال المظهر فهو يفوق مطار نيروبي حقا . وكان جميع الموظفين فيه من الاوروبيين، وقد عجبت جدا لسهولة الاجراءات وسرعتها ، فالطابور الذي يتقدمنا من المسافرين وهو يتكون من ستة اشخاص لم تستغرق اجراءاتهم اكثر من ثلاث دقائق ، أي أن كل شخص لم يقف أمام ضابط الجوازات أكثر من نصف دقيقة ، وهذا شيء لا يصدق ولكن هذا هو الواقع . وعندما

جاء دورنا ، ونحن كما قلت ندخل البلاد بدون أن نحصل على اذن مسبق ، بالدخول ، سألنا ضابط الجوازات بلطف هل معكم (فيزا) الى روديسية ؟ فلما أجبناه بالنفي أسرع الى أوراقه وكتب لنا تأشيرة دخول في أقل من دقيقتين ، وطلب منا رسم التأشيرة وقدره جنيه لكل واحد ، ولما أجبناه بأنه لا توجد لدينا عملة روديسية وانما هي عملة ملاوي قال انها تكفي ، مع أنها أقل قليلا في الصرف من عملة روديسية .

وعلى الرغم من أن جوازاتنا غريبة في هذه البلاد ، فلم يبد استغرابه لنا ، وانما نظر الى أحد الجوازين وقال هل الآخر مثله ؟ فقلنا نعم . فاكتفى بنظر الاول ثم قال : هل معكم تذكرة عودة الى بلادكم ؟ قلت نعم . فصدقنا بدون ان ينظر الى تذاكرنا ولم يطلب ابرازها أو النظر فيها .

ونظرا الى أننا قد انتهينا بعد جميع المسافرين فقد وقف قريبا منا رجل اوروبي كهل عرفنا فيما بعد أنه ضابط في جمرك المطار وأرشدنا الى مكان حقائبنا ، وكنت أحمل معي في يدي حقيبة يدوية ، لان حقيبتي الكبيرة ثقيلة فقد أسرع ليحمل بنفسه حقيبتي الى مكان التفتيش وذلك مع كونه أسن مني ، وعندما مانعت في ذلك حمل حقيبتي اليدوية وحملت أنا حقيبتي الكبيرة ، ولا أدري أين الحمالون .

وعندما وصلنا الى مكان التفتيش سألنا شاب اوروبي

عن النقود التي نحملها فأخرجناها لنعدها فقال انه لا داعي لعدها ، اكتبوا ما شئتم ، ثم أفسحوا لنا الطريق للخروج من المطار بدون أن يفتشوا شيئا من حقائبنا لا الكبيرة منها ولا الصغيرة حتى ايصالات الحقائب لم يطلبوا منا ان نعطيهم اياهـا .

وبأسرع ما يمكن خرجنا من المطار ونحن لا نكـاد نصدق ما حدث ، فهذه أيسر اجراءات مررنا بها منذ خرجنا من بلادنا ، وتعجبنا جميعا لذلك ، وان كان صاحبي أكثر مني تعجبا لأني أعرف من طريقة الاوروبيين في معاملـة الناس أكثر مما يعرف ، فأولئك القـوم قدروا بخبرتهم وثقافتهم الواسعة أننا لا يخشى منا أي ضرر على قضيتهم السياسية فما الذي يدعوهم الى مضايقتنا هذا ما خمنتـه وما أظنه صحيحا .

مدينة سالسبوري :

ركبنا حافلة الى البلد ، والمسافة بينهما ١٢ كلم والأجرة شلنان ونصف أي ريال ونصف تقريبا . انه شيء زهيد جدا نظرا لفخامة الحافلة وبعد المسافة .

ونزلنا في (فندق اليزابيث) وهو فندق أوروبي فخم جميع نزلائه من الاوروبيين ، ولم أر فيه أحدا غيرهم ولا أدري هل ذلك من باب المصادفة أم أنهم لا يسمحـون بذلك . ويديره ايطاليون على رأسهم عجـوز هي التي

وجدناها في الادارة وفي المكتب عجوز أخرى أوروبية كأنها كاتبة ، وأجرة الغرفة الواحدة فيه ذات السرير الواحد جنيه استرليني وسبعة شلنات أي ما يساوي سبعة عشر ريالا تقريبا ، ومستواه مستوى فنادق الدرجة الاولى في البلاد العربية فهو غاية في النظافة وفيه مطعم فخم ورياشه من أغلى الرياش ، والمياه في الغرفة حارة وباردة . وعلى كل حال فهو أرخص فندق نزلناه بالنسبة لمستواه في أي بلد آخر .

جولة في مدينة سالسبوري :

ذهبنا نبحث عن جامع سالسبوري وعن السيد علي آدم رئيس الجمعية الاسلامية هناك ، فبدت لنا مدينة سالسبوري حديثة ضخمة تفوق نيروبي في كل شيء تقريبا، شوارعها واسعة ، وحدائقها كثيرة ، وحركة السيارات فيها عظيمة ، وعماراتها ضخمة ولكن دون الحد الذي يخرجها عن الجمال ، أما متاجرها فهي غاصة بالسلع المختلفة . وأما نظافتها فتكاد تبلغ حد الاسراف . شيء لم أره في أية مدينة أخرى في افريقية ، والواقع أنه يمكن القول ــ بحق ــ أنها مدينة أوروبية في افريقية ، لأنه ليس للافريقيين فيها اي نصيب الا أن يكونوا من زبائن بعض المحلات التجارية .

أما سكانها الاوروبيون فانهم يظهر عليهم الثراء والنعمة ، وأما الافريقيون فانهم في لباسهم ومظهرهم الصحي فوق مستوى كثير من الافريقيين في البلاد الافريقية التي

مررنا بها . الا أنهم مع ذلك تبدو عليهم المسكنة والخضوع، وعدم الشعور بأنهم في مستوى الآخرين من غير الافريقيين ، ولا شك أن ذلك ناشيء عن السياسة العنصرية التي كانت ولا تزال سائدة في تلك البلاد ، وان تكن أقل تطرفا من السياسة المتبعة في جنوب افريقية .

وعندما رأيت مدينة سالسبوري بهذه المثابة من الثراء والحركة التجارية العظيمة لم أستطع أن أصدق بأن روديسية تعاني حصارا اقتصاديا ، حتى السيارات تسمع لها جلبة عظيمة لكثرتها وتنوعها فأين الحصار الاقتصادي الذي يشمل القيود العظيمة على ارسال النفط وغيره اليها . لا شك أن ذلك الحصار ليس فعالا والسبب في ذلك هو جمهورية جنوب افريقية (الباب الخلفي) لروديسية أو (باك دور) كما يقول الاوروبيون ، فجميع احتياجات روديسية تأتي عن طريق ذلك الباب الخلفي لان حكومة جنوب افريقية اكثر عراقة في سياسة التميز العنصري ، ولذلك فانه لا يعقل أن تطبق العقوبات الاقتصادية المفروضة على روديسية ، كما أن روديسية تجد متنفسا في مستعمرة موزمبيق المجاورة فعن طريقها تصدر كثيرا من بضائعها وتستورد بعضها .

ومدينة سالسبوري عبارة عن مدينة رئيسية وضواح، فالمدينة الرئيسية للاوروبيين فقط ، ولا يجوز لأي افريقي أن يسكن فيها أو يفتح فيها محلا تجاريا ، وأما ضواحيها

وهي منفصلة عنها فانها مساكن مخصصة للافريقيين ولا يجوز لغيرهم أن يسكن فيها . أما الآسيويون وهم هنا الهنود فقط فانهم قلة وهم يسكنون في الوسط بين الأوروبيين والافريقيين ، وليس عليهم من التمييز العنصري ما على الافريقيين .

وقد رأينا بعض مظاهر الزينة في سالسبوري لا تزال باقية بعد احتفالهم بالعيد الاول لاغتصابهم الاستقلال . ويتمثل أكثرها في أشكال هندسية بديعة من الأضواء الكهربائية وأقواس النصر في الشوارع .

وبعد تجوالنا في المدينة على أقدامنا رأينا ما يدل على أن هناك في باطن الارض دورة مياه فقصدناها فوجدنا خارجها نظيفا جدا لا يختلف عن مظهر أية دورة مياه نظيفة في بيت خاص لرجل ثري ذي ذوق جميل وقد كتب عليها : (للأوروبيين فقط) ..

مع رئيس الجمعية الاسلامية :

قابلنا السيد علي آدم رئيس الجمعية الاسلامية الآسيوية وهو هندي الاصل واقتصادي كبير ، يملك رأس مال عظيم وهو ذكي سريع الفهم ، وطيب القلب ، وقد رأينا متجره واسعا كبيرا يعمل لديه فيه اكثر من اثني عشر موظفا وقد حدثنا بأن له مصنعا كبيرا لغزل القطن ونسجه وتفصيل القماش .

وقد حدثنا عن تجارته فقال ، ان قضية اغتصاب الاستقلال قد أثرت على الصناعة في روديسية بعض الشيء بالنسبة لما كانت عليه الحال قبل ذلك لأن كثيرا من البلاد الافريقية تقاطع روديسية اقتصاديا في الوقت الحاضر، ولولا وجود جنوب افريقية بجانب روديسية لما استطاعت أن تعيش طويلا .

في جامع سالسبوري :

قصدنا جامع سالسبوري وهو في موقع متوسط من المدينة في الحد الفاصل تقريبا بين مساكن الاوروبيين والآسيويين وأدينا فيه صلاة المغرب فوجدناه لا يختلف عن بقية مساجد المسلمين في الروديسيتين ونياسالاند كما قدمت وصفها وهو عبارة عن بناء متوسط السعة ، مقدمته مسجد، ومؤخرته ردهة في جانب منها المنافع الضرورية وفي الجانب الثاني عدة غرف خصصت لسكنى إمام المسجد ، وفيه غرفة كبيرة كانت فيها المدرسة الاسلامية قبل انتقالها الى مكان واسع كما قالوا . الا أن المسجد صغير نوعا ، وردهاته ضيقة ليس فيها حديقة ، وقد امتلأ المسجد بالمصلين قبل أذان المغرب وقد أذن للصلاة افريقي يلبس ثوبا عربيا على عادة المؤذنين هنا ، وقبل الصلاة قال المؤذن جملة لم أسمعها الا في هذه المنطقة أي منطقة الروديسيتين (ونياسلاند) وهي: «اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة

دائمة الى يوم الدين» ثم يقيم الصلاة بعدهـــا مباشرة ، فيدخل الامام بعد ذلك مباشرة اي دون أن يلتفت الـــى المأمومين أو يأمرهم بتسوية الصفوف ولم يجهر احـــد بالتأمين لأن القوم حنفية، ولم يكن في المسجد من الافريقيين أحد ، لان مساكن الافريقيين في مكان بعيد عن البلد .

وبعد الصلاة وأداء الراتبة بعدها مباشرة سلمنا على الامام وعلى جماعة القوم ، وقد سرني أنني لم أسمع بعد الصلاة شيئا كنت أسمعه في شرق افريقية من الدعاء الجماعي والصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم) بصوت مرتفع بشكل جماعي أيضا بحيث يظن كثير من العامة منهم أنهـا جزء متمم للصلاة لا تصح بدونها ، وقد لبثنا فترة طويلة نتحدث مع الامام ، واسمه الشيخ عبد الله صديق الصوفي ، ومعه شيخ آخر اسمه الشيخ موسى .. وهو نائب الامـام ومدرس أيضا مثله في المدرسة الاسلامية هناك وهم جميعا من الهنود .

وقد لقينا من القوم استقبالا طيبا ومشاعر نبيلة .

ثم ذهبنا من المسجد الى بيت السيد علي آدم وكان قد دعانا لتناول طعام العشاء في بيته فوجدناه قصرا فخما في ربوة عالية تطل على سالسبوري من احدى الضواحـي القريبة ، وبه جناح خاص مجهز بكل ما يلزم وقد دعانا الى أن نمكث فيه ونكون ضيوفه مدة اقامتنا في سالسبـوري فشكرناه على ذلك واعتذرنا له بأننا قد ارتبطنا مع الفندق

بوعد في أن نقيم عنده ، وبعد العشاء أوصلنا بسيارته الى الفندق أو على الأصح باحدى سياراته فلديه اكثر من خمس سيارات للركوب فقط . ويقول ان تعدد السيارات لديه ينفعه لأن البنزين مقنن في روديسية لكل سيارة قدر معلوم ، وهو جالون الا ربعا يوميا وقيمة الجالون ستة شلنات ونصف أي أن قيمة الصفيحة ٢٦ شلنا أي ما يساوي ستة عشر ريالا سعوديا تقريبا . ويقول السيد علي أنه يستطيع ان يوفر من البنزين لسد حاجاته كلها منه بسبب تعدد السيارات لديه . وله ثلاثة اولاد يشتغلون معه ويدرس اثنان منهم في جامعة روديسية بسالسبوري ، وقد أكملا مدة من الدراسة في لندن في وقت سابق ، وذكر لي أنهما تعرفا على عدد من الطلبة العرب هناك ، ومنهم طلبة سعوديون وذكر أحدهما أنه كان عضوا في جمعية الطلبة العرب على الرغم من أنه ليس عربيا بالجنسية وانما ذلك لمحبته العرب وقال انه ايضا في الشكل يشبه العرب .

هل نحن سعوديون حقا ؟...

مديرة الفندق الذي نسكن فيه عجوز ايطالية ما أن رأت كتابتنا على سجل الفندق بأننا من المملكة العربية السعودية حتى بانت عليها الدهشة ولكنها لم تذكر لنا شيئا حتى جاءت المناسبة في هذه الليلة عندما عدنا وأخذت تحدثنا حتى قالت : لم أكن أتصور أنكم من سكان الجزيرة

العربية لأنكم بيض الالوان وسكان الجزيرة فيما أعتقد ليسوا من البيض فأخبرتها بأننا في الجزيرة العربية ديننا الاسلام ولا نلقي الى اللون بالاً وانما نزن المرء بأعماله وبقدر ما يحسن وما يقدمه من عمل ، وعلى ما في هذه الاجابة من عدم المجاملة لها فانني قد ركزت عليها ولم أر أن تفوت هذه المسألة بغير أن أبين موقف الاسلام منها .

وهكذا نجد الاوروبيين في هذا الجزء من افريقية شديدي الحساسية بالنسبة الى اللون . ولا غرو فان السياسة الرسمية للأوروبيين في روديسية وفي جمهورية جنوبي افريقية هي سياسة التمييز العنصري .

يوم الثلاثاء الموافق ١٣٨٦/٨/٣٠ هـ.
١٩٦٦/١٢/١٣ م.

مثل آخر على تأثير لون المرء عند الاوروبيين في هذه البلاد فقد ذهبت الى بنك باركليز لأصرف احدى الصكات السياحية وكانت الموظفة فتاة اوروبية دهشت لسرعة انجازها الاعمال اذ كان هناك طابور من المنتظرين ما أسرع أن انتهت منه في دقائق حتى وصلني الدور فأعطيتها الشيك فنظرت اليه ثم ذهبت به الى مكان داخل البنك ثم عادت مسرعة وقالت : ضع توقيعك الثاني عليه وذهبت بنفسها الى أمين الصندوق حيث أحضرت بيدها قيمته وأعطتني

اياها ولم تسألني عن جوازي ولم تنظر الى توقيعي فيه حتى النقود لم تقل لي عدّها ، ودهشت. فهذه اول مرة يصرف لي فيها شيك سياحي بدون النظر الى الجواز منذ خرجت من المملكة حتى وصلت الى سالسبوري .

وقد كانت عادة أكثر الموظفين الافريقيين والآسيويين في البنوك التي مررت عليها أن يطلبوا ابراز جوازي قبل صرف الشيك ثم يتحققوا من توقيعي بعد أن يقارنوا بينه وبين توقيعي الاول عليه ، وفي أكثر الاحيان لا يكتفي الموظف بذلك بل يذهب الى موظف أكبر منه وربما الى من له خبرة في التواقيع في البنك ، ثم اذا رأى جوازي عربيا سعوديا أخذ يستفصل عن بعض الاشياء . ثم اذا أجرى تحقيق المبلغ وانتهى كل شيء أحالني على امين الصندوق ، وأمين الصندوق يأمرني بعدّ النقود والتأكد منها لئلا يقال عنه بعد ذلك أنه ربما سلمها وهي ناقصة ، أما هذه الفتاة الاوروبية فلم تفعل شيئا من ذلك ، وعندما سألت السيد علي آدم وعنده ثلاثة من المسلمين الهنود عن السبب في هذا ضحكوا وقالوا : لقد عاملوك معاملة الاوروبيين وانك لو كنت افريقيا لحققوا معك ونظروا الى جوازك ، ولكنهم وثقوا بك على عادتهم بالثقة في الاوروبيين ، وبمناسبة الحديث عن البنك المذكور اقول انني لاحظت أن جميع الموظفين فيه من الاوروبيين وليس فيه افريقي واحد .

معهد سالسبوري الاسلامي :

ويقع في مكان جميل تظلله الاشجار الباسقة ، وتمتد غرفه على شكل ضلعي مربع وتحيط به حديقة جميلة مليئة بالزهور. أما الحشائش وملاعب الاطفال فهي أحسن شيء يمكن توفيره ، وغرفه واسعة منظمة ، والطلبة فيه تبدو عليهم النظافة والصحة والنشاط وكلهم من الآسيويين وليس فيهم من الافريقيين أحد .

والسبب في ذلك أن مناطق سكنى الافريقيين بعيدة عن هذه المنطقة ولو أراد أحد منهم السكنى قريبا منه لما استطاع بسبب سياسة التمييز العنصري المطبقة هنا .

استقبلنا عند وصولنا للمعهد المدير والمدرسون وكلهم من الهنود ما عدا واحدا فهو افريقي يسكن في روديسية وأصله من فورت جونستون في ملاوي وقد طافوا بنا فصول المعهد وغرفه وردهاته وهو بحق أحسن معهد او مدرسة اسلامية رأيناها منذ خروجنا من المملكة من حيث البناية والتنظيم وقد خصصوا فصلا منفردا لكبار البنات تدرس فيه امرأة هي زوج المدير .

وبناية المدرسة ملك للدولة وقد استأجرتها الجمعية الاسلامية التي يرأسها السيد علي آدم بمبلغ ٤٥ جنيها استرلينيا في الشهر وهو مبلغ أقل مما تستحقه ايجارا لها بكثير ولكن الحكومة ـ كما يقولون ـ تسامحت معهم لكون المكان مدرسة دينية .

ويأخذ المدير راتبا شهريا من الجمعية الاسلامية قدره ٣٥ جنيها استرلينيا كما يأخذ بقية المدرسين الهنود ٣٠ جنيها فقط لكل مدرس ويأخذ المدرس الافريقي ١٢ جنيها فقط لأنه لا يحمل شهادات وقد سمعنا تلاوة القرآن من احدى الفتيات الصغيرات حيث تلت تلاوة مجوّدة متقنة تعجز عنها اكثر الفتيات العربيات بلا شك مع انها لم تتم السنة العاشرة من عمرها. وتلا طالب هندي في التاسعة بعض قصار السور فأعجبنا وأطربنا ، وهم مع ذلك لا يستطيعون الكلام بالعربية ولا يفهمون معاني القرآن الكريم ، حتى المدير والمدرسون رغم حصولهم على شهادات عالية من مدارس الهند الاسلامية لا يستطيعون التكلم بالعربية وان كانوا يفهمون الكتب العربية وذلك شأن جميع المسلمين الهنود في الروديسيتين ونياسالاند ، فهم وأولادهم يقرؤون القرآن الكريم ولكنهم لا يفهمون له معنى .

وقد رأيت على السبورة عبارات باللغة الاوردية في فن التوحيد جميلة كل الجمال حين ترجمها لنا المدرس الى الانكليزية حتى نستطيع فهمها لأن الانكليزية هنا في روديسية هي اللغة السائدة ويتفاهم بها الهنود حتى فيما بينهم كما يتفاهم بها سائر القوم هنا .

في قنصلية جنوب افريقية :

قصدنا مع احد اخواننا من الهنود المسلمين المقيمين في

سالسبوري قنصلية جنوب افريقية وتشغل طابقا في احدى العمارات الكبيرة . وقد لقينا على المكتب في المدخل امرأة أوروبية بدت متجهمة الوجه مقطبة الجبين ، ولما أخبرناها بقصدنا أشارت بطريقة جافة الى مكتب آخر في الداخل فوجدنا فيه امرأة أوروبية أخرى نصفا ، اي في سن الكهولة ، فاستقبلتنا استقبالا جامدا ان لم يكن سيئا ولما اخبرناها بقصدنا قادتنا بطريقة بعيدة عن الذوق الى غرفة للانتظار ، وقالت : انتظروا هنا وسوف تدعون لمقابلة الموظف المسؤول اذا جاء دوركم .

وبعد مدة قصيرة حضرت فتاة فأشارت الينا بالدخول الى غرفة مجاورة فلما دخلناها وجدنا فيها رجلا ابيض عرفنا فيما بعد أنه نائب القنصل فاستقبلنا ببرود وبتكبر وترفع ظاهر ولما اخبرناه بقصدنا وأننا عرب سعوديون واطلع على جوازاتنا تغيرت لهجة حديثه وبدأ يظهر اللين في القول ، والمجاملة في العبارة ..

وقد بحثنا معه طلبنا للحصول على اذن الدخول الى جمهورية جنوب افريقية فأجابنا بأنه يود ذلك، ولكن ليست لديه صلاحية منحنا تلك التأشيرات ، وقال : إنني مع معرفتي بأن القنصل نفسه لا يستطيع فانني سوف أتكلم معه ثم تكلم مع القنصل بالانكليزية وشرح له موضوعنا وقال : إنهم من رجال العلم ومعهم مبلغ كاف من المال ويريدون أن يروا البلاد ، ثم أخذ يتكلم معه باللغة الهولندية

وهي اللغة الثانية في جنوب افريقية ، ثم بعد ذلك قال لنا : إنني آسف اذ اخبركم انه لا يستطيع أن يمنح سمات الدخول لكم الا جهة واحدة هي حكومة بروتيريا في جنوبي افريقية تلك هي قوانين بلادنا ، وسوف نشفع طلباتكم بتوصية اعطاءكم السمات المطلوبة وأكاد أؤكد أنها ستعطى لكم ، فقلنا له ان الايام المخصصة لرحلتنا في اواخرها ويصعب علينا الانتظار حتى ورود الجواب الذي قال : إنه سيستغرق اسبوعين على الاقل ، فقال : انني سوف ارسله مستعجلا ، ومع ذلك استطيع في حدود صلاحياتي أن اعطيكم سمة مرور في مطارات جنوب افريقية .

ثم أخذ يسألنا عن أحوال بلادنا وعن طرق معيشتنا وعن علاقتنا بالدول الاخرى ، وقد لبثنا عنده أكثر من ساعتين وكان يستبقينا كلما اردنا الذهاب ، ويفيض في البحث في مثل هذه المواضيع ، ولما رأينا رغبته فيذلك قلت له : ان حكومتنا تمنح سمات الدخول كل سنة لاكثر من ألف شخص من رعايا حكومة جنوب افريقية ، ولذلك فنحن تتوقع أن تكون معاملتكم لنا بالمثل ، فضحك وقال : أولئك الناس جماعتكم أو (يوريبيل) إنك تقصد المسلمين الذين يذهبون الى بلادكم للحج ، فأولئك اصلهم من الشرق ، أما بالنسبة لي أنا فأعتقد ان الامر يختلف ، أليس كذلك ؟ فقلت له : انني شخصيا ليست لدي الخبرة في أمور الجوازات والاقامة ، ولكن الذي أعرفه ان حجاجا

كثيرين من رعايا بلادكم يصلون للمملكة كل عام ..

هذا وقد خرجنا من عنده فودعنا الى خارج باب مكتبه، وهو يعتذر عن عدم تمكنه من منحنا سمات الدخول ، ويعد بالتوصية بذلك لدى حكومته .

هذا وقد خرجنا من عنده ونحن عازمون على الغاء زيارة جمهورية جنوب افريقية من برنامجنا لذلك السبب لانه لا يمكننا أن نقيم في روديسية حتى ترد الاجابة ، لضيق وقتنا ، ولأننا لسنا على يقين الأجابة بالقبول لان سياسة تلك الحكومة العنصرية الهوجاء تقوم على عدم تسهيل دخول رعايا البلاد التي تقول عنها انها ملونة ..

مسجد هراري :

هناك في روديسية يسكن الافريقيون في أماكن منفصلة ضمن مساحات معينة تلك كانت السياسة الرسمية للحكومة الروديسية في السابق .

وقد بنت الحكومة مدينة صغيرة في ضاحية سالسبوري للافريقيين من أهل الوظائف والقادرين على دفع الاقساط الشهرية المستحقة وتسمى «هراري» وهي تقع في الجنوب الشرقي من مدينة سالسبوري الاوروبية ، وهي تتكون من بيوت جميلة بعضها على شكل (فلات) وبعضها على شكل وحدات سكنية أي على شكل غرفة كبيرة من الخارج تنقسم الى عدة غرف في الداخل ويحيط

بكل بيت مساحة مزروعة من الارض ، ولولا ان الارض كلها خضراء لأسميتها حديقـــة وفيها الشوارع المسفلتة ، والكهرباء الكاملة والحدائق والملاعب . الا ان ما يضايق الافريقيين وهو شيء يضايق حقا ـ أنهم مجبرون حتـى الآن على السكنى منعزلين عـن غيرهم من الاوروبيـين والآسيويين ، وقد كان هؤلاء الاوروبيون والآسيويـون ممنوعين من الدخول الى مناطق سكن الافريقيين ويتعرض من يجرؤ منهم على دخول منطقة سكن الافريقيين الـى التحقيق معه من قبل الشرطة ولكن ذلك قـد خف الآن بسبب المشكلة التي تتخبط فيها الحكومة الروديسية غير الشرعية نتيجة لاعلانها الاستقلال من جانب واحـد ولما سألت عن حجة الحكومة أو الشرطة في هذا الامر قالـوا انهم يقولون ان ذلك كان لحمايـة الاوروبيين والآسيويين مما قد يصيبهم من الافريقيين لأنهم قد يتعرضون لمشاكـل بزعمهم لتخريب سياراتهم . وهذه حجة ساقطة كما هـو ظاهر .

وقد دخلنا المسجد في تلك الحارة فاذا به نظيف جميل متوسط السعة يحيط به فناء صغير ألحقت به مدرسـة (كتّاب) من غرفة واحدة كبـيرة وغرفتين لسكنى المدرس وهو مبني بالطوب الأحمر ومسقف بشكل جميل ومفروش بفرش بسيط والواقع ان بنايته هنا للمسلمين في حـي اغلبية أهله من الافريقيين غير المسلمين كان مناسبا بل كان

توفيقا من الله سبحانه وتعالى تم بناؤه بطريقة جمع التبرعات وساهمت الجمعية الاسلامية التي يرأسها السيد علي آدم بنصيب كبير من نفقاته . وهذا المسجد يبعد عن قلب مدينة سالسبوري ٣ أميال فقط وإمامه يسمى حبيب ماتشنقجي وهو من اصل صومالي .

مسجد هايفـل :

ومن هنا ذهبنا الى ضاحية أخرى بل الى بلدة أخرى وان كان يشملها اسم «سالسبوري» وتسمى (هايفل) وهي منطقة من مناطق سكنى الافريقيين وهي كبيرة اكبر من هاراري وبيوتها ليست على طراز واحد لأنها بيوت خاصة بنيت بنقود الافريقيين ــ لذلك اختلفت أحجام البيوت من حيث المساحة .

وهي ضاحية جميلة جدا تخترقها شوارع مسفلتة على احسن طراز للذاهب والآيب وتملأ الزهور حدائقالبيوت ــ والبيوت كلها وكذلك بيوت حي هراري ــ مبنية إمـا بالآجر أي اللبن الأحمر ، واما بالأسمنت المسلح فلا تجد فيها كوخا أو عشة أو ما يماثل ذلك او يقرب منه مما تجده في المدن الافريقية الاخرى .

مع ذلك فلا ارى الافريقيين يشعرون بالسعادة لانهم يعيشون هنا وحدهم بدون ان يسمح لاحد بأن يختلط معهم في السكنى فكأنهم يعيشون في سجن كبير ولأنهم اينما

يتوجهون في روديسية يجابهون بالاحتقار وعدم الاحترام.

زرنا المسجد هناك وهو ثالث مسجد رأيناه في منطقة سالسبوري وهو صغير فقير في فراشه وأثاثه ويحتاج الى بعض التكميلات ، وقد وعدناهم غدا بتقديم مبلغ من سماحة مفتي الديار السعودية ، لتكميل بنائه ، وإمامه يدعى (علي محمد) وأصله من ملاوي .

ويقع حي هايفل الى الجنوب من سالسبوري وهو يعتبر ضاحية لها، متصلا بها ويبعد عن قلب المدينة خمسة أميال .

حتى في القبور :

في طريق العودة من هراري رأينا المقبرة فاذا بها قد قسمت اجزاء قسم منها للأوروبيين وقسم للهنود وقسم للافريقيين ولا يمكن ان يدفن احدهم مع الآخرين حتى المسلمون الهنود لهم مقبرتهم المنفصلة عن المسلمين الافريقيين بسبب اللون والاوروبيون المسيحيون لهم قبورهم المنفصلة عن قبور الافريقيين المسيحيين ، ويقول احد المسلمين هنا انه ذهب الى الحكومة منذ شهرين وقال لهم ان الاسلام لا يعرف التفرقة العنصرية وانه لا داعي لبقاء قبور المسلمين منفصلة بل انه يريد ان تكون مقابر المسلمين من جميع الاجناس واحدة ، قال ولا يزال يسعى في هذا الامر ، وهو يدعى الشيخ (كمال ابراهيم) هندي

الاصل ويقيم منـــذ مدة طويـــلة في هذه البلاد ويحمـــل الجنسية الروديسيـــة وهذه احدى مهازل التفرقة العنصرية وليست هذه هي الشاهد الوحيـــــد بل ان احد اخوانـنـــا الروديسيـــين المسلمين من اصل صومالي ، حدثني : انـــه عرضت للبيع عمارة في الحي الاوروبي مكونة من حوانيت في اسفلهـــا ، ومسكـــن في اعـــلاها قـــال : فزدت فـــي ثمنها ، واتصـــل بـــي الـــدلاّل وقال لي بالهاتف : انـنـــي آسف اذ اخبرك انني لا استطيع قبول زيادتك في العمارة ولما سألته عـــن السبب قال لأننا وجدنا في وصية صاحـــب البيت ألا تباع لاسود . قال : فسألت ما دام انه قد مات فما الذي يهمه مـــن البياض والسواد ؟ فأجاب : لئلا يضايـــق جيرانه البيض اذا باعها على اسود ، انها مهزلة المهـــازل بـــلا شك !.

سد ماكلاوين :

حملنـــا السيـــد علي آدم بعد ظهـــر اليوم بسيارته في نزهة فيـــما حول مدينة سالسبوري فذهبنـــا حوالـــي ٢٦ كيلو مترا جنوبا حيث سد ماكلاوين الذي اقامه الانكليز ليحجز خلفه المياه الضروريـــة لتغذية مدينة سالسبوري ، وهو سد كبير اقيم على واد بـــين جبلين وجهز الـــى ذلـــك بجميع ما يجعله صالحا لقضاء الاجازات الاسبوعية فهناك الاشجار الوارفة الظلال، وهناك ظهر السد وجوانبه حيث تقوم

البلدية على الدوام بتنظيفه وتعهده، كما ان كثيرا من الناس يقضون اجازاتهم في صيد السمك من البحيرة التي تكونت ، وهي بحيرة واسعة لا يدرك البصر لها حدا ، وتخرج منها انابيب كبيرة الى محطة التصفية قرب مدينة سالسبوري والباقي يخرج من السد على شكل نهر صغير .

والواقع ان المرء لا يستطيع ان يصف روعة المنظر هنا فالماء الجاري والظلال الكثيفة والجو الذي كان غائما والنسيم العليل ، وعظمة الفن في بناء هذا السد كل ذلك شيء معجب مطرب . وزاد المنظر روعة ان اقبلت اسراب هائلة من الطيور البيضاء التي نسميها عندنا في المملكة «الغرانيق» والتي نصطادها عندما تمر علينا في هجرتها الى اوروبة مرتين كل عام واحدة في الذهاب ، والاخرى في الاياب ، وقد تحققت مما ذكره العلماء من انها تعيش في منطقة جنوب افريقية ابتداء من روديسية حتى نهاية الجنوب وقد اقبلت تلك الطيور في اسراب متعاقبة كل سرب حوالي ثلاثمائة طائر ولعلها ذاهبة الى اوكارها للنوم لان الوقت الآن قبل الغروب . والطريق الى السد من سالسبوري عجيب فهو جزء من خط مسفلت يدعى خط القاهرة ــ كيب تاون ، أو (كايرو رود) كما يسمونه ، وقد كان جزءا من مشروع انكليزي سابق لربط القاهرة في شمالي افريقية بمدينة كيب تاون في اقصى جنوبها بخط مسفلت واحد ،عندما كانت انكلترا تملك من القارة الافريقية

مـــن شاطئها الجنوبي الى شاطئها الشمالي وقد انتهـــى اكثر من (٣٠٠٠) كيلو مترا من الخط المذكور وانتفعت به اعظم الانتفاع كل مـــن جنوبي افريقية وروديسية وزامبية.

والخط يخترق منطقة ذات مناظر خلابة مـــن سهول خضراء ذات تربة حمراء الى تلال كثيفة الاشجار مما جعل المنظـــر ساحرا حقا ، وقد اخبرني السيـــد علي آدم انـــه يملك منطقة واسعة مـــن تلك الارض وانه قد اجر بعضها ايطاليين لزراعتها ، وبعضها قد أعد للايجار الا ان الوضع الراهن في روديسية قـــد عاق تقدم الزراعة وجعل بعـــض الناس لا يقدمون على توظيف اموالهم هنا خوفا مما يأتي به المستقبل . وقال : ان اكثر بلاد روديسية تشبه هـــذه المناظر فالأرض غنية بامكاناتها الزراعية ، وغنية بمعادنهـــا ايضا ولها مستقبل اقتصادي عظيم لانها واسعة وعـــــدد سكانها لا يزيدون على اربعة ملايين .

ثـــم انهى السيد علي طـــوافه بنـــا فـــي ريف مدينة سالسبوري الذي يشبه الى حد ما المنطقة التـــــي كانت للاوروبيين في كينية لولا انها في كينية جبليـــة وهنا ليس فيها جبال مرتفعة ، وطاف بنا ايضا خلال مدينة سالسبوري بسيارته فظهـــرت كـــما وصفتهـــا . قطعة من اوروبـــــة وضواحيها ، وفيلات غارقة في الحدائق .

يوم الاربعاء الموافق : ١٣٨٦/٩/١ هـ.
١٩٦٦/١٢/١٣ م.

هذه اول مرة يدخل فيها شهر رمضان الكريم وأنا في بلاد غير اسلامية ، وليس ذلك فحسب بل في بلاد بعيدة كل البعد عن بلادنا السعودية ولو كان ما بينهما يقطع على ظهر الابل لما امكننا ان نصل الى بلادنا قبل ان يدركنا رمضان آخر فيما نقدر .

وقد صمت اليوم بعد ان اثبت المسلمون رؤية الهلال هنا ، وطريقتهم في ذلك ان يتحروا من يشهد من عدول المسلمين بدخوله فان لم يروه اكملوا عدة شعبان ٣٠ يوما وقد اكملوا فعلا شهر شعبان وصاموا اليوم ، وقد صمت بدون ان اتناول أي طعام ،وذلك لانه في هذا الفندق الذي نسكن فيه وسط هذه البلاد غير الاسلامية لا يوجد مطعم مفتوح فيوقت السحر اما صاحبي الاستاذ عبدالله الباحوث فقد ذهب الى احد اخواننا المسلمين من الهنود الذي كان قد دعانا الى بيته لتناول طعام السحور ، ولكني تأخرت لان الطعام الهندي ببهاراته الكثيرةلا يستطيع بطني تحمّله، ومع ان لنا رخصة في الافطار لاننا مسافرون فقد صمت اليوم ، وقلت : ان شق الصوم علي ولم استطع انهاء اعمالي فلا اصوم غدا ... والا فسأستمر في الصوم .

في قنصلية البرتغال :

ذهبنا الى قنصلية البرتغال في مدينة سالسبوري وتقع في احدى الشقق في عمارة كبيرة تدعى العمارة الانكليزية الاميركية وهي تسكن في الطابق الحادي عشر من العمارة المكونة من (٢١) طابقا وقد دخلنا في احد المصاعد الفخمة الذي يتسع لحوالي خمسة عشر شخصا وقد فرشت ارضيته وجدرانه بالسجاد ، وتعزف الموسيقى الهادئة فيه بصفة مستمرة وطيلة الوقت للصاعدين فيه الى اعلى العمارة والنازلين مع ان المسافة في المصعد لا تستغرق وقتا يذكر ، وقد رأينا في مكتب القنصلية موظفا افريقيا وفتاة برتغالية وكلاهما ليس على جانب كبير من الادب الذي نعهده من الاوروبيين ، ورأيت الناس يزدحمون على طلب تأشيرات الدخول وذلك لكي يتمكنوا من قضاء عطلة عيد الميلاد (الكريسماس) في موزنبيق وكلهم يملأون الاستمارات الخاصة بذلك ثم يعرض طلبهم في داخل المكتب وهكذا فعلنا وانتظرنا طويلا ثم انتظرنا ثم سألنا الفتاة عن النتيجة فقالت ان الجوازين قد ارسلناهما الى القنصل العام واخيرا قالت انهم سوف يبرقون الى حكومة موزمبيق يسألونها رأيها في منح التأشيرة لنا اسوة بغيرنا من الناس من غير الاوروبيين وانه من المنتظر ان يأتي الجواب يوم الجمعة بعد غد .

هذا ولم أخرج في هذا النهار بعد الظهر حيث اصبحت

في غاية التعب بسبب الصيـام ولما اصابني مـن الصداع والضعف لان هذا اول يوم من ايام الصيام ولانني لم‌اتناول طعاما في السحور .

الافطـار :

وبعد العصر ذهبت الى المسجد الجامع في سالسبوري حيت تلوت ما تيسَّر من القرآن الكريم وقد اعجبني منظر الناس هنا ومنهم طائفة كبيرة موجودة في المسجد منذ ذلك الوقت يلبثون المدة الطويلة في قراءة القرآن الكريـــم لا يفترون ، مع انهم لا يفهمون معناه ، وقبل الاذان بحوالي خمس دقائق اصغى الي نائب امام المسجد واسمه الشيـخ موسى وقال بالانكليزية : نستطيع ان نتناول (البركفاست) الآن يريد طعام الافطار فذهبت معه الى القاعة الملحقـــة بالمسجـد وقد غصت بالمفطريـن الذين احضر كل واحـد منهم ما تيسر من طعام ثم قاموا بتوزيعه على الخوانـات وتحلقوا عليها وهو يتألف من الحلوى (والسمبوسك) وقليل جدا مـن التمر وبعض الفواكه كالمانجو والبرتقال والموز كل ذلك بمقادير مقدرة بحيث اكتفى الناس وبقـي شيء بعد ذلك لا يعتبر ضياعه اسرافا ، وقد افطر الناس قبل الاذان ثم شرع المؤذن في الاذان يمده مدا طويـلا ويطيله ليمكن الناس من الافطار ولكنه لم يكد ينتهي حتى نهضوا جميعا لاداء الصلاة ، وقد دعانا بعضهم بعد الصلاة الـى

تناول الطعام في بيوتهم فشكرناهم واعتذرنا ، وذهبنا بعد التراويح الى مطعم فاخر في سالسبوري فأكلنا فيه ما لذ وطاب من الأرز والسمك والخضراوات المتنوعة ونقدناه بعد ان انتهينا (٢٤) شلنا أي (١٥) ريالا سعوديا للاثنين .

صلاة التراويح في سالسبوري :

بعد ان اذن المؤذن لصلاة العشاء مباشرة اقام الصلاة ، وبعد الصلاة صلى كل فرد الراتبة ركعتين ، وقد غص المسجد بالحضور ما بين كبار وصغار وكلهم خاشع متأوه وحتى انني لم ألاحظ ان أحدا قد خرج بعد الصلاة المفروضة بل استمروا جميعا على البقاء في المسجد، وهكذا ابتدأت التراويح وصلاّها الامام صلاة اصدق ما توصف به انها صلاة عصر السرعة فقد كان يوجزها بل يكاد يختصرها ويقرأ في كل ركعة سورة من الفيل حتى نهاية القرآن ، ثم يعود الى سورة الدين فما بعدها حيث يكرر ما قرأه سابقا ، ثم اوتر بثلاث ركعات متصلة تشبه صلاة المغرب الا انه جهر بالقراءة في الثالثة وقبل الركوع سكت وسكت معه الناس هنيهة ظننتهم فيها يقنتون سرا لانهم احناف ، وهكذا انهت تراويحهم بسرعة .

ومع ذلك فقد كان المأمومون بعد كل تسليمتين يجهرون ببعض الدعاء الذي يستغرق حوالي دقيقة واحدة ويتكون من سؤال المغفرة والصلاة على النبي صلى الله عليه

وسلم ، وقد خرجنا بعد اكمال التراويح ونحن معجبون غاية الاعجاب بالتفاف القوم على افطارهم في المسجد ، وبتربيتهم اولادهم تربية اسلامية حتى على إكمال صلاة التراويح .

يوم الخميس ٢ /٩ /١٣٨٦ هـ .
١٤/١٢/١٩٦٦ م .

في ووترفول :

هناك ضاحية تبعد اربعة اميال الى الغرب من سالسبوري تدعى ووترفول فيها جمعية اسلامية صغيرة حيث يسكن في هذه الضاحية من اراد من الآسيويين والافريقيين عكس ما عليه الحال في اماكن الافريقيين الاخرى حيث لا يسمح لغير افريقي ان يسكن مع الافريقيين، وقد شاهدنا المدرسة الاسلامية الصغيرة التي تدرس مبادىء الدين الاسلامي واللغة العربية هناك ، وقد قامت الجمعية الاسلامية على افتتاحها وجلبت لها مدرسا من كيب تاون في جنوبي افريقية وهو شيخ من اصل صومالي يدعى (أحمد علمي) تزوج أبوه هناك وخلفه مع عدد من اخوانه ويقول : ان والده يعرف العربية ، أما هو فيعرف بعض الكلمات التي لا يستطيع نطقها نطقا صحيحا ولكنه كان قد تخرج من مدرسة اسلامية في كيب تاون ويقوم في هذه المدرسة

بتدريس القرآن الكريم ، ومبادىء من حروف اللغة العربية وبعض مبادىء الصلاة والصيام الخ ..

والحي الذي تقع فيه المدرسة يسكن اغلبيته افريقيون حي نظيف حقا ، بيوته تحيط بها الحدائق ، وشوارعه تحف بها الاشجار الباسقة وطرقه مسفلتة ..

العرب في روديسية :

استرعى نظري فتى يدرس في تلك المدرسة فسألنا عنه فإذا به من اصل عربي كان ابوه قد جاء من اليمن منذ مدة طويلة وتزوج بأمرة افريقية فسألت بهذه المناسبة وبعدها عن العرب في روديسية فعرفنا انه كان قد قدم منذ عهد طويل عدد من العرب من جنوب الجزيرة من اليمن وعدن لكي يساعدوا على مد السكة الحديدية حيث ان العمال الافريقيين لم يكونوا يحسنون هذا العمل في ذلك الوقت ، وقد لبث عدد منهم في هذه البلاد وبقي اولادهم ومعظمهم من زوجات افريقيات ولم يبق من اولادهم من يتكلم العربية وانما يوجد بعض ابناء الصوماليين يعرفون العربية لانهم كانوا قد خرجوا الى الصومال ثم عادوا الى روديسية وهذا خلاف ما عليه الامر في زامبية حيث لا يوجد فيها عرب او من يتكلم العربية ، مع ان روديسية ابعد من زامبية الى الجنوب ، كما انه في جنوب افريقية يوجد مسلمون كثيرون يبلغ عددهم

اضعاف عدد المسلمين في روديسيــة مع ان جنوب افريقية الى الجنوب من روديسية وذلك لان معظم المسلمين الذين في جنوب افريقيــة قد جاؤا اليها من جنوبي آسية الشرقي من القارة الهنديــة ومن بلاد الملايو لا من الجزيرة العربية.

الكلمة العربية الوحيدة :

مررت اليوم في قلب مدينة سالسبوري بمحل تجاري فخم كتب عليه بانوار (النيون) كلمة عربية هي (سجاجيد) جمع سجادة . وهي الكلمة العربية الوحيدة التي رأيتهــا مكتوبة على حانوت في روديسية وهو محل اوروبي لبيع السجاجيد كتب عليه بالانكليزيــة هنا تباع السجاجيــــد الايرانية وتحتها كلمة سجاجيد بالعربية وهذه الكلمة غريبة وحيدة هنا لا يوجد غيرها في تلك البلاد .

ولا شك ان ذلك المحل كتب كلمة (سجاجيد)امعانا منه في اظهار سجاجيده الايرانية بمظهر الاصلي حتى كتابة اسمها بالحروف العربية التي يكتب بها الايرانيون .

الشرق الاوسط في روديسية :

وقد تصفحت اليوم جريدة (روديسيا هيرالد) وهي جريدة كبيرة تقع في (١٦) صفحة من الحجم الكبير وبحثت فيها عن أي خبر عن أي بلد من البلدان العربية فلم اجدها ذكرت منها شيئا . ولكن استمعت بعد المغرب الى الاذاعــة

الروديسية وهي باللغة الانكليزية طبعا، فاذا بها تذكر بعض الاخبار عن سورية ولبنان والعراق واذا بالمذيع ينطق اسماء البلدان والاشخاص نطقا انكليزيا سليما بدون تحريف .

مصنع النسيج :

اخذنا السيد علي آدم اليوم الى المنطقة الصناعية أو الحي الصناعي في سالسبوري ، وهو حي واسع جميل تفصل بين بناياته الحدائق والشوارع الواسعة ، وقال ان بعض تلك المصانع ملك للمسلمين ثم أرانا مصنعه الخاص وهو مصنع للغزل والنسيج ضخم يعتز المرء بأنه تحت ادارة رجل مسلم ويمتلىء فخرا واعجابا بهذا الرجل المسلم الذي نافس الاوروبيين وتغلب عليهم بل ان لديه ستة من الاوروبيين موظفين ما بين رجل وامرأة واحدهم اوروبي من جنوب افريقية وممن يسمون (الافريكانو) أي الاوروبيون الذين قدموا الى جنوب افريقية في وقت مبكر وتناسلوا هناك حتى اكتسبت بشرتهم شيئا من السمرة جعلتهم يشبهون سكان الشرق الاوسط .

والمصنع المذكور يدخله القطن قبل غزله فيتم فيه غزله ونسيجه ثم كيه وطيه واعداده للتصدير ، ثم ينقل بعضه الى مصنع له داخل البلد حيث يتم تفصيله وخياطته. والعمال فيه معظمهم من الافريقيين ولكن المحاسب هندي .

وبعد ان انهينا الطواف في ذلك المصنع الفخم اخذنا

بسيارته الى منطقة تقع شمالي سالسبوري تسمى «كليفلاند» . وتعتبر ضاحية من ضواحي سالسبوري تمتد حتى تتصل بالريف ، وهي مخصصة لسكنى الاوروبيين وبيوتها عبارة عن فيلات تقع وسط الحدائق الغناء ،وكان المطر يهطل مدرارا .

والمنطقة كغيرها خضراء جميلة ذات تربة حمراء وقد وصلنا سدا يبعد عن سالسبوري (١٢) ميلا أي حوالي عشرين كيلو مترا أقيم على واد صغير ليحجز بعض الماء ، وفيه رأينا بعض الاوروبيين يمارسون هواية صيد السمك التي قال عنها صاحبنا بالانكليزية انها تحتاج الى ثم قال بالاوردية (صبر) ثم عدنا مع الغروب الى مدينة سالسبوري.

يوم الجمعة ٤ /٩ /١٣٨٦ هـ .
١٦/١٢/١٩٦٦ م .

ذهبنا الى قنصلية البرتغال فاستقبلتنا الفتاة الاوروبية وقالت لنا بدون مجاملة انه لا يمكن لكم دخول موزمبيق لان ذلك يحتاج الى اذن من حكومة البلاد ، ويقول القنصل انه لا يؤمل ان توافق الحكومة ولذلك لا فائدة من ارسال جوازاتكم الى هناك .

متحف سالسبوري :

ذهبنا الى متحف سالسبوري ضحى اليوم فألفيناه صغيرا نسبيا ، أكمل ما فيه القسم التاريخي الخاص بوسط افريقيـة وبخاصة روديسية الجنوبية وساحل موزمبيق ، وهو موضح بالرسوم واكثر ما استرعى انتباهي ثناء عاطر على العرب بانهم اول من وصل الى هذه البلاد في العصور القديمة واول من وضعوا لها الخرائط ووصفوها في كتبهم وفيه مخلفات بعض سلاطين العرب في الساحل من سيوف ورماح وادوات صنع القهوة . ثم فيه رسوم تبـين عناصر الناس في تلك البلاد وما جاورها مثل الهنمسوت والبوشمن والبانتو ، وفيه قسم رسموا فيه ادمغة الانسان والحيوانات ووضعوا فيه مخ الانسان الابيض في مقدمة القائمة وابرزوا له صفات ليست في مخ غيره جرياً على عادتهـم في التمييز العنصري .

والمتحف حديث ومحتوياته ليست كثيرة كما قدمت ، ولا يمكن ان يقارن بمتحف نيروبي ، ولا ان يداني المتاحف العربيـة .

ذكريات عجوز انكليزية :

كاتبة الفندق الذي نسكن فيه عجوز انكليزية اقدر ان عمـرها في حدود (٦٠) سنة اخذت تتحدث اليوم معنا عن الحالة الحاضرة في افريقيـة وما كانت عليه منـذ اربعـين

سنة عندما جاءت الى افريقية اول مرة ، قالت : لقد جئت في ذلك الوقت ولم احتج الى ان ابرز جوازي فضلا عن ان يطلب مني تأشيرات دخول من شمال القارة الافريقية الى جنوبها .

اما الآن فقد اختلف الامر كثيرا فقد بعثت منذ اسبوعين كتابا الى حكومة زامبية اطلب منها ان تمنحني اذناً بالدخول لأتمكن من قضاء اجازة عيد الميلاد ورأس السنة مع ابني الذي يقيم فيها ، وحتى الآن لم يصلني الرد بالايجاب ولا ادري هل يصلني بعد ذلك ، فقلت لها : وما رأيك في الحالة التي عليها افريقية الآن ؟ وهل هي احسن منها عندما دخلت اليها اول مرة ؟ فتنهدت ثم قالت : هل السعادة في السلام ؟ أم في الكراهية والبغضاء ؟ ولما سألتها توضيح ما تعنيه ، قالت : انها في ذلك الوقت كانت تعتبر قارة سعيدة فلا كراهيةولا بغضاء ولا انقسامات بين دولها حتى الافريقيون سعداء بحالتهم التي كانوا عليها ، اما الآن فأين المكان الذي يسوده السلام والطمأنينة في افريقية ؟ أفي البلاد التي سيطر عليها البيض ويسومون السود سوء العذاب ؟ وهم ـ أي البيض ـ في فزع دائم من ان يأتي يوم يسيطر فيه عليهم الافريقيون فيكيلون لهم الصاع صاعين ، أم في الكنغو وكينية والصومال والحبشة وزنجبار وغيرها وغيرها ؟

ثم قالت بل السلام الآن عزيز في اكثر البلاد فتلك

الولايات المتحدة اغنى دول العالم تعاني اضطرابا عنصريا واهتياجا عاطفيا ، ثم أضافت قائلة : حتى بلادكم مهد الحضارات القديمة ومطلع الرسالات السماوية ليس فيها سلام فاليهود والعرب يتقاتلون وفئات الشعب في كثير من بلدانه تتصارع والانقلابات تتلوها انقلابات ، ثم قالت ارى ان الدعاء الذي يقال في كثير من البلاد (وعلى الارض السلام) لم يستجب .

يوم السبت ٤/ ٩/ ١٣٨٦ هـ .
١٧/ ٢/ ١٩٦٦ م .

أكملنا في الصباح عملنا في سالسبوري عاصمة روديسية الجنوبية وذلك فيما يتعلق بالطلبة الروديسيين الذين سيسافرون الى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، كما اتممنا توزيع الاعانات المالية على الجمعيات والهيئات الاسلامية في روديسية . كما اتفقنا مع الجمعية الاسلامية على ارسال مدرسين لهم على نفقة دار الافتاء في المملكة العربية السعودية ولم يبق الا السعي في مغادرة روديسية . ولكن المشكلة في أن روديسية تقاطعها جاراتها الافريقيات ولا تصلها طائرات الا من جنوب افريقية وملاوي والاخيرة ليس فيها طائرات تسافر الى الكنغو مقصدنا بعد روديسية، اذاً لم يبق الا السفر عن طريق جوهانسبرغ في جنوبي

افريقيـــة ، ولكننا ليس معنا سمة دخول تخولنا التجول في جنوب افريقية وانما حصلنا على مرور في المطار لبضــــع ساعات لذلك لا بد من ان تتولى احدى شركات الطـيران الابراق بحجز اماكـــن لنا في احدى الطائرات المسافرة من جوهانسبرغ الى كنشاسا . ويجب ان نسافر اليـــوم لأن الطائرة الاخرى لا تطير الا يـــوم الخميس القـــادم وليس باستطاعتنا ان نظل عدةايام فيروديسية بسبب ضيقالوقت.



المسلمون في روسية



وقد اتصلنا فيها برئيس الجمعية الاسلامية الهندية السيد علي آدم ، وهو شخصية كبيرة ، وله ثراء واسع ونفوذ كبير ويملك من بين ما يملك اربعة مصانع ضخمة ولديه عدد من المستخدمين الاوروبيين ، ويعتبر رئيسا للمسلمين في منطقة سالسبوري وذلك لثراءه وللثقة التي يضعها المسلمون فيه .

ويكفي للدلالة على عمله ان جمعيته تنفق على المدرسة الإسلامية والمسجد الجامع في سالسبوري .

المدرسة الاسلامية :

ويسمونها معهد سالسبوري الاسلامي، وتقع في مكان جميل في مدينة سالسبوري كان في السابق قصرا على أبناء الاوروبيين ، تحيط بها حديقة واسعة ، غرفها واسعة فخمة وكراسي الطلبة فيها نظيفة ، وكل الطلبة فيها تقريبا من الآسيويين .

وهي بحق احسن مدرسة اسلامية رأيناها منذ خرجنا من بلادنا ، وذلك من حيث البناء والتنظيم والنظافة ، ولا شك ان ذلك له اهميته لأن المدرسة المذكورة تقع في حي لا يسكنه الا الاوروبيون والهنود ، ويجب الا تظهر مدرسة المسلمين بالمظهر غير اللائق .

وقد استحضرت جمعية المدرسة مدرسين للمدرسة على نفقتها من الهند كما وظفت احد المدرسين من الافريقيين

وامرأة مسلمة للتدريس فيها . كما ان الجمعية قائمة على شؤون المسجد بما في ذلك غرف للمسافرين العابرين من المسلمين ومحلات لتجهيز موتى المسلمين وتكفينهم وقد وقفوا اوقافا على المسجد كثيرة ولمدرستهم عناية خاصة بتلاوة القرآن الكريم ، وان كانوا يتلونه ولا يفهمون معانيه مع الاسف كما انهم يدرسون مبادىء الفقه الحنفي مترجما الى اللغة الانكليزية .

هذا وقد تجولنا في المناطق القريبة من سالسبوري عاصمة روديسية واتصلنا بالجمعيات الاسلامية الافريقية هناك . وقد لاحظنا مع الاسف الشديد ان هناك مدرسة افريقية قد اغلقت ابوابها بسبب عدم وجود مدرس وهي في حي افريقي يسكنه عدد من المسلمين ، وقد اتفقنا بواسطة الجمعية الاسلامية مع احد المدرسين من الافريقيين على التدريس بالمدرسة المذكورة لمدة سنة كاملة ، واودعنا رواتبه في البنك تحت امر الجمعية الاسلامية لتسحب كل شهر راتبه ، وتسلمه له ما دام قائما بالعمل ، فان مات او ترك العمل استبدل به غيره ، كما سلمنا مساعدات مالية باسم المملكة العربية السعودية الى العديد من الجمعيات المشرفة على بناء المساجد لاكمال بنائها او توفير بعض المرافق اللازمة لها .

المسلمون في روديسية :

يتكون المسلمون في روديسية من طائفتين :

اولهما : المسلمون الافريقيون وهؤلاء كلهم او جلهم جاؤوا الى روديسية من ملاوي في السابق ، واستقروا في روديسية . وحالتهم المادية ضعيفة جدا ، واكثرهم من العمال كما انهم على حالة فظيعة من الجهل بأمور الدين ، ولذلك لا يكاد يوجد بينهم نشاط اسلامي لولا بعض المشائخ منهم الذين يقومون بالتبشير والدعوة الاسلامية ، ولكنهم انفسهم بحاجة قصوى الى التوجيه .

ومع ان التبشير الاسلامي حر بمعنى ان الحكومة لا تقيم اية عراقيل على الدعوة الاسلامية فان التبليغ هناك ضعيف جدا . ولكن المؤكد انه لو وجد تبليغ اسلامي فان الامل كبير جدا في نجاح الدعوةالاسلامية لأن روديسية تعتبر مجالا خصبا للدعوة الاسلامية في الوقت الحاضر بسبب شعور الافريقيين المعادي للبيض الذين لم يعرف الافريقيون الدين المسيحي الا بواسطتهم .

ثانيهما : طائفة المسلمين الهنود وهؤلاء على جانب كبير من الثراء واكثرهم يشتغلون بالتجارة ولكن عددهم قليل نسبيا ، ويوجد اكثرهم في سالسبوري ، وبولاوايو ، وهؤلاء يبذلون جهودا لا بأس بها من الناحية المالية . ولكنهم مشغولون بتجارتهم عن النواحي الاخرى .

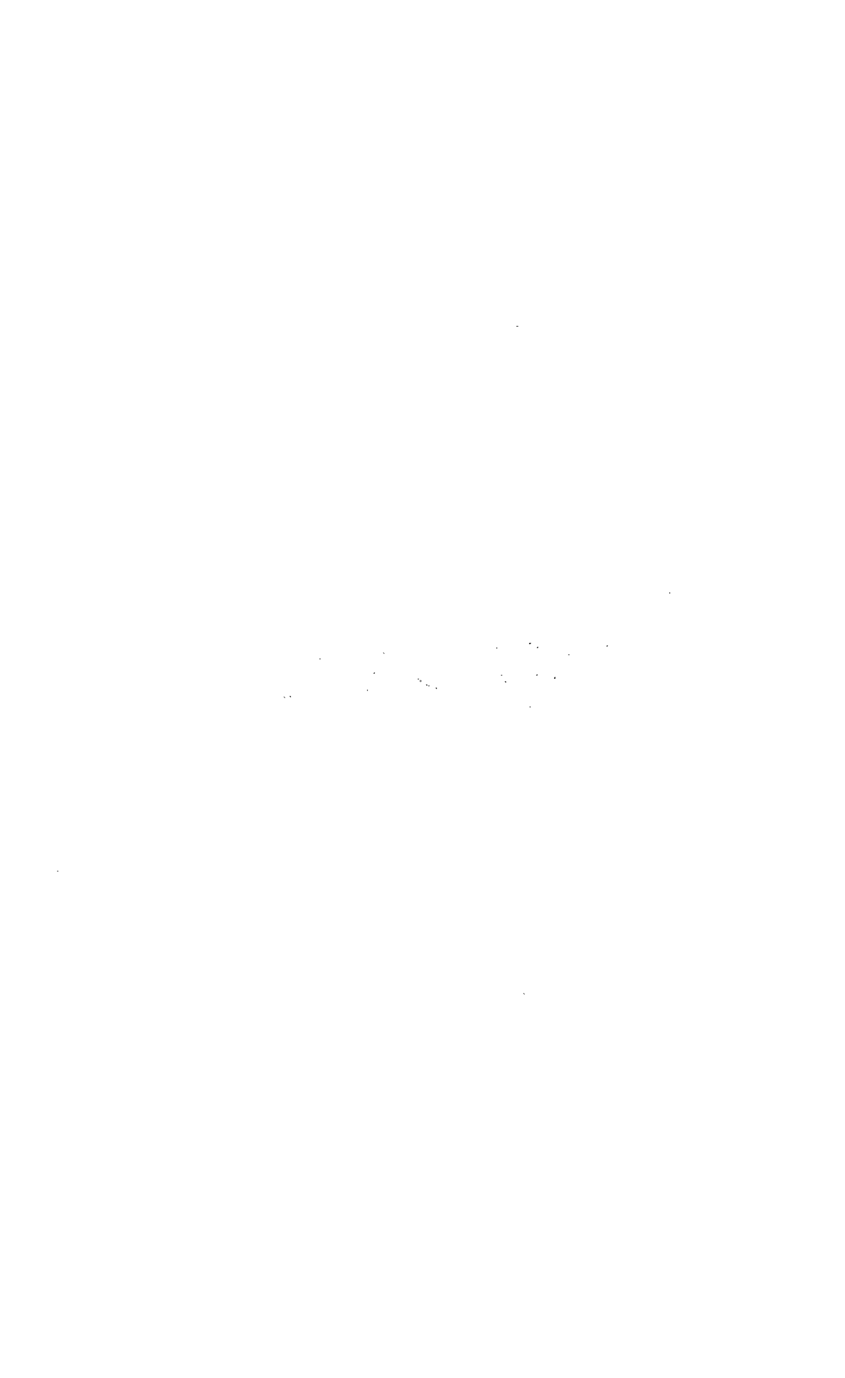
الاقتراحات :

نوصي بزيادة ارسال المدرسين الى روديسية وخاصة اذا كانوا من اصل افريقي حيث يمكنهم ان يختلطوا في السكن بالافريقيين .

كما نقترح العمل على ارسال كتب ومنشورات اسلامية باللغة الانكليزية للحاجة الماسة اليها .

وكذلك بالاكثار من المنح الدراسية لابناء المسلمين هناك .

على أرض جنوب إفريقية



يوم السبت ٤ /٩ /١٣٨٦ هـ .
١٩٦٦/١٢/١٧ م .

السفر الى جوهانسبرغ :

ذهبنا الى مكتب شركة سابينا في مدينة سالسبوري في الموعد الذي حددته الشركة لمراجعها اليوم أي في تمام الساعة العاشرة والنصف فوجدناهم قد أعدوا لنا تذاكر السفر من جوهانسبرغ الى كنشاسا عاصمة الكنغو وحجزوا لنا من هناك مقاعد ولكنهم قالوا ان الصعوبة هي لدى شركة خطوط جنوب افريقية لأننا لا نعلم هل ستقبل التذاكر التي اصدرتها الخطوط الجوية العربية السعودية لعدم وجود معاملة سابقة لها مع تلك الشركة . كما انه لا توجد أماكن خالية في طائرة شركة خطوط جنوبي افريقية المسافرة اليوم من سالسبوري الى جوهانسبرغ والرحلة المقبلة هي يوم الخميس القادم أي بعد ستة ايام .

وذهبنا فورا بين اليأس والرجاء الى مكتب شركة خطوط جنوبي افريقية وعرضنا عليهم تذاكرنا فقالوا : اننا على استعداد لقبول تذاكركم الا أن الصعوبة في الاماكن ولكن على كل حال نحن نكتبكم في قائمة المنتظرين وعليكم ان تخرجوا الى المطار بعد ساعة واحدة فربما يتخلف احد الركاب .

وهكذا انهينا بقية أعمالنا في سالسبوري بسرعة ومنها خرجنا مع السيد علي آدم ومعنا بعض اخوتنا المسلمين الى مطار سالسبوري ولما عرضنا تذاكرنا على الموظفة المختصة قالت انتظروا حتى نرى ، وفي اللحظة الاخيرة وقبل قيام الطائرة بعشر دقائق حضرت الينا الموظفة وهي فتاة أوروبية تشير الينا والى ثلاثة اوروبيين آخرين كانوا في قائمة المنتظرين ايضا : انكم مسافرون .

وهكذا وبسرعة فائقة أنهوا كل شيء ومررنا على ضابط الجوازات وموظفي الجمرك ، ولم يستغرق وقوفنا عندهم وقتا يذكر ، وانهوا كل شيء بسهولة ، بل اخذ ضابط الجوازات يداعبنا فقال لنا اول ما رآنا أهلا بأهل المدينة .

على طائرة جنوبي افريقية :

هي طائرة ضخمة نفاثة حديثة من طراز (فس ـ ١٠) البريطاني وجميع مقاعدها تقريبا مملوءة . وكان بعض الهنود في سالسبوري قد قالوا لنا ان هناك تمييزا عنصريا في طائرات جنوبي افريقية جريا على سياستها العنصرية وان هذا التمييز يكون أيضا في مطار جوهانسبرغ الذي ستنزلون فيه فقلت : هذه فرصة ثمينة لأرى بنفسي كيف يطبق القوم سياستهم العنصرية الهوجاء . ولكننا ركبنا في الدرجة الاولى وسط الاوروبيين بل لم يكن في الدرجة

الاولى كلها غير الاوروبيين الا نحـــن ، ووجدنا من المعاملة الحسنة من القوم ما لم نكن نتصوره سواء منهم المضيفون أو المضيفات أو الركاب .

فالمضيفون فتى وفتاتان من البيض من جنوبي افريقية على جانب كبير من الذوق والتهذيب . وقد بدوا لنا وبـــدا لنا غيرهم من البيض المقيمين في جنوبي افريقية أشبه الناس بسكان لبنان وسورية فهم ليسوا في صهبة الانكليز ولا في بياض الفرنسيين .

وقد اعلنت المضيفة ان الرحلة الى جوهانسبرغ ستدوم ساعة ونصفا وان ارتفاع الطائرة (٣٥) الف قدم ، وقـــد كان جاري في المقعـــد أوروبيـــا عائدا الى وطنه في جنوبي افريقيـــة مـــن روديسية ما إن رأى كتابتي على استمارات الوصول بأنني من المملكة العربية السعودية حتى التفت الي وقال : حقا انك من المملكة العربية السعودية ؟ فقلت : نعم فهش الي وبش ، وأخذ يحدثني عن جنوبي افريقية وعسى ان تكون اقامتنا هناك طيبة ولما اخبرته اننا لم نحصل على تأشيرة دخول الى جنوبي افريقية ابدى تأسفه ، وقال لعلكم تحاولون ذلك في المطار ثم أعطاني عنوانه في جوهانسبرغ وقال : ارجو ان اراك في بيتي هناك .

معالم مدينة جوهانسبرغ :

حين رأيناها مـــن الجو بدت مدينة جميلـــة حقا ،

شوارعها غاية في التنسيق والمنطقة المحيطة بها خضراء والريف الذي تقع فيه ريف اخضر كثيف الخضرة بل لا ترى الا خضرة وأخذ جاري يلفت نظري الى كل ذلك ، حتى اشار الى المنطقة التي فيها في جوهانسبرغ ،وعندما حطت الطائرة في المطار ، كان الجو ماطرا فأحضروا لنا مظلات اعطوا كل واحد منا مظلة يستلمها منه موظف عند دخوله بناية المطار التي كانت قريبة جدا من موقف الطائرة.

مطار جوهانسبرغ :

بدا لنا مطارا فخما لطيفا ، تربض فيه عدة طائرات نفاثة ضخمة من طراز البوينغ ، ومن طراز (فس-١٠) البريطاني وكان يعج بالمسافرين من الآيبين والذاهبين ولكن جميع من فيه عدى الحمالين في قاعة الجمرك هم من البيض، ولم نجد أي أثر في هذا الجزء من المطار للتمييز العنصري ، وربما كان ذلك لأننا مسافرون عابرون لم نتخط المنطقة التي يسمح للعابرين بالتجول فيها .

لم نشعر بالغربة في جوهانسبرغ :

عندما وقفت الطائرة وقبل نزول الركاب صعد اليها طبيب ذو لحية صغيرة يدل مظهره على انه من سكان الشرق الاوسط أو عاش هناك على الاقل فترة طويلة ، وطلب من الركاب ابراز شهاداتهم الصحية ولما رأى شهاداتنا قال

باللغة العربية انتم من أين ؟ فدهشنا وسألناه ؟ وهل تعرف العربية ؟ قال نعم . وعندما دخلنا بهو المطار الخارجي اخبرناه اننا عابرون ، فقال اذهبوا الى تلك الفتاة التي في مكتب الاستعلامات واسألوها بالعربية فهي تعرف اللغة العربية فذهبنا اليها وسألناها فأجابتنا بلغة عربية سليمة وبلهجة مصرية وحدثتنا حديثا طويلا عما ينبغي لنا ان نعمله كل ذلك باللغة العربية ، ثم قالت انه بعد قليل ينبغي ان تذهبوا الى مكتب سابينا في المطار وستجدون فيه شخصين يعرفان اللغة العربية ، وهكذا وجدنا اربعة ممن يتكلمون اللغة العربية في مطار جوهانسبرغ وفي المنطقة المخصصة للعابرين فقط . وعندما عرضنا اوراقنا على ضابط الجوازات تحدث الينا طويلا بالانكليزية وقال انه سيبذل وسعه كي نحصل على تأشيرة دخول ولكنه لا يستطيع اكثر من ذلك ثم ذهب بنا الى ضابط أكبر منه رتبة وتحدث معه في الامر ولكنهم جميعا اعتذروا بأنه لا يستطيع منح تأشيرة الدخول الا دائرة واحدة مختصة في الحكومة ، وهكذا بقينا في المطار بعد ان دخلنا الى الجمرك واخذنا حقائبنا بدون تفتيش . وعرفنا بعد ذلك ان ثلاثة من الذين تحدثوا الينا بالعربية كانوا قد عاشوا اول حياتهم في مصر وقد حضر الينا الطبيب وضابط الجوازات وتحدثوا معي طويلا وعرضوا المشروب فاعتذرت اليهم ثم أخذوا عنواني ووعدوا بأنهم سيكاتبونني واعطوني عنوانهم وقد تحدثت اليهم

طويلا عن بلادنا ونهضتنا واصغوا لتلك المعلومات الجديدة بالنسبة لهم ثم تحدث الدكتور الى ضابط الجوازات فقال انه قد عاش في الشرق الاوسط فترة من الوقت وانه عرف العرب معرفة جيدة وانهم شعب طيب حتى الملونون منهم ـ على حد تعبيره ـ فهم طيبو القلوب نبيلو العواطف ، وقال : ان العرب في فترات طويلة من تاريخهم كانت تمر بهم نكسات سرعان ما ينتفضون منها ، وانهم الآن في نكسة ولكن المؤكد انهم سيستعيدون مكانتهم من جديد . وكان وقت الصلاة قد حان فسألته عن مكان نصلي فيه فأسرع بأن اخرج مضيفتين فتاتين اوروبيتين كانتا في مكتبه وخرج معهما وترك لنا المكتب بعد ان ابعد عنه الكراسي الموجودة واغلقه علينا ، ولما عرف اننا قد فرغنا من صلاتنا عاد اليه .

ثم حضر الينا موظف في شركة سابينا فكلمنا بلغة عربية سليمة واذا به يوناني ولد وعاش في مصر وهو شاب في سن الخامسة والعشرين تقريبا قال انه قد حضر الى المملكة اكثر من ست مرات ، وقد قام على تهيئة سفرنا من جوهانسبرغ الى كنشاسا على طائرة شركة سابينا بعد ساعات ، وقال انني سأحضر في الوقت المحدد لوداعكم .

وقد كان المطار يعج بالمسافرين وخاصة ركاب الطائرة النفاثة الضخمة ذات المدى البعيد وقد وصل افواج من المسافرين من اوروبة وعلى وجوههم تبدو مظاهر الفقر

والحاجة مما يدل على انهم من القادمين الجدد الذين تسهل لهم حكومة جنوبي افريقية اجراءات الدخول والعمل هناك لكي تقاوم تزايد الملونيـــن والسود . ومع تلك الحركـــة الكبيرةللطائرات فاني ـــوالحق يقالـــ لم أر بين ركاب تلك الطائرات النفاثة الضخمة سواء منهم الذاهبون والآيبون أي رجل افريقي أسود ولو واحدا وانما كان كل الركاب من الاوروبيين عدا شخصين يظهر انهما من الهنود قدما على احدى الطائرات ويظهر انهما من العائديـــن الى جنوبـــي افريقيـــة .

الى كنشاسا :

قامت بنا طائرة شركة سابينا الضخمة من طراز بوينغ من مطار جوهانسبرغ الى كنشاسا في تمام الساعة السابعة مساء حسب توقيت جوهانسبرغ المساوي لتوقيت بيروت والذي يتأخر عن التوقيت الزوالي للملكة العربية السعودية ساعة واحدة وقد كانت مقاعدنا في مقدمة الطائرة ودخلنـــا مـــن الباب الخلفي فاخترقنا صفوفا مـــن المقاعد مليـــئة بالركاب مما لا تستطيع معه ان تضع عينك على مقعد خال وكلهم مـــن الاوروبيين الذاهبين الى اوروبة لقضاء عطلـــة عيد الميلاد ورأس السنة هناك أو (الكريسماس) كمـــــا يسمونه وليس بينهم أي رجل غيـــر اوروبي سوانا .

وقد لبثنـــا فترة في الطائرة بين ذهاب المضيفـــين

واياهم مما اوضح لنا الفرق الكبير بين الانكليز الـــذي يكون النظام هو الطابع الذي يميز جميع تصرفاتهم وبين البلجيكيــين الذيــن يشبهون سكان الشرق الاوسط من حيــث ارتجالهم الامور ، وكثرة كلامهم ، ورفع اصواتهم اثناء الكلام وترددهم بدون فائدة .

ثم اعلنت المضيفــة ان الرحلة ستدوم ثلاث ساعات ونصفا أي مقدار المسافة بين الرياض وجدة اربع مــرات وبعبارة اوضح انه لو كان السفر بالطائرة ذات المحركــات الاربعــة لاستغرق عشر ساعات كاملة وان ارتفاع الطائرة سيكون (٣٥) الف قدم .

وهكذا ذهبت تلك الطائرة الجبارة تتهادى بحملهــا الثقيــل بين احضان السحاب ولها أزيز وأطيط لأنها كانت تطير بين اطباق السحب الكثيفة ، ثم ارتفعت عن مستــوى السحاب حتى ظهر لنا الشفق ولونه غاية في الروعة ابيــض رماديا تشوب أسفله مسحة برتقالية ، وقد بدا السحــاب اسفل الطائرة وعلى امتداد البصر تحت الافق رماديا كأنه صفحة تحت ضوء الشفق الخافت او تحت ماء البحـــر المضطرب ، وقد امتدت فترة الشفق طويلة لأن الطائــرة كانت متجهة الى الشمال الغربي .

كان المضيفون ثلاث فتيات وفتى وكلهم من البلجيكيين وكانت خدمتهم متوسطة أما طعام العشاء فكان طيبا مكونا

من لحم الـــدجاج والخضراوات والسلطة والحلوى ثــم القهوة او الشاي .

يدافع عن السياسة العنصرية :

كان جاري في المقعد في الطائرة اوروبيا ابيض مــن جنوبي افريقية ولما دار الحديث بيننا اخبرني عن نفسه انه طيار من جنوبي افريقيــة متعاقد لتدريب جيــش الكونغو وانه لذلك يعتبر عضوا في السلاح الجوي الكونغولي وانه عائد من اجازة في جنوب افريقية .

ثم اخذ يحدثني عن جمهورية جنوبي افريقية والتقدم الذي يقول انها قد حققته في ظل السياسة العنصرية ثــم قال : ان العالم لم يفهم سيــاسة التفرقة العنصرية التــي تمارسها حكومة جنوبي افريقية حق الفهم ! فقلت له : ان هذه فرصة لكي اسمع منك وجهة نظر حكومتك في هذه القضية لانني مــن الناس الذيــن لم يستطيعوا فهــم السيــاسة العنصريــة المذكورة خصوصا وانه لم يتيسر لي زيارة جمهوريــة جنوبي افريقية فقال : ان السياســة العنصريــة تقضي بان يعيش كــل عنصر مــن عناصر السكان على حدة في السكــن والتعليــم وغير ذلك مــن مرافق الحياة .وهذه السياسة هيفي صالح الافريقيين ــ على حد زعمه ــ لانه لو سمح مثلا للبيض او الآسيويين بــأن يسكنوا مع الافريقيين ويفتحوا لهممتاجر ومؤسسات اخرى

لديهم لغلبوا على أمرهم وأخذوا منهم الفرصة المتاحة لهم في ان يتمرنوا على التجارة والاعمال الحرة ، ولذلك تجد في جنوبي افريقية ان السود يملكون المتاجر والمحلات المخصصة للسود وليس كما عليه الحال في شرقي افريقية مثلا حين نجد السود حتى في الدول المستقلة محرومين من كل فرصة للعمل في التجارة ، وكذلك الحال بالنسبة للاسيويين والملونين ثم اوضح ان العناصر عندهم اربعة هي البيض والآسيويون والملونون أي الذين كانوا نتيجة اختلاط بين الالوان ثم السود .

فقلت له : ولكن ما قولك في انكم تحرمون السود والملونين من الوظائف الرئيسية في البلاد ؟ وكيف يكون ذلك في صالحهم ؟ فأجاب ان البيض كما تعرف اكثر مهارة ورقيا من الملونين والسود في الوقت الحاضر واذا اطلق العنان للجميع في ان يتقاسموا الوظائف الهامة في البلاد بنسبة عددهم فان معنى ذلك ان يكون في ايدي البيض وظائف اقل ومعنى ذلك ايضا ان ينحط مستوى البلاد الاداري والاقتصادي لان الاكثرية من البيض غير متعلمة فمن المصلحة اذاً أن يكون تطور البلاد مبنيا على السياسة العنصرية .

ثم اضاف : وأكبر شاهد على ذلك ما تراه اليوم في اكثرية البلاد الافريقية من تدهور الشؤون الاقتصادية والادارية بعد الاستقلال بل انك ترى بعض البلاد يقتتل

فيها الافريقيون بعضهم مع بعض كما حدث في الكنغو ونيجيرية وغيرها وكما علمنا ان الرئيس السابق «نكروما» قد سرق عدة ملايين من خزينة الدولة في غانا هذا غير ما كان قد صرفه في غير مصرفه .فقلت له :اننا في بلادنا لا يمكن ان نفهم وجهة نظركم في السياسة العنصرية لأن الاسلام يحارب العنصرية والقومية الضيقة فأنت في مكة والمدينة ترى المسلمين من جميع الالوان والعناصر مجتمعة في صعيد واحد للصلاة او الحج وهم ما بين ابيض وأسود وملون وعربي وغير عربي الخ . فقال ، ولكن عندكم سياسة تفرقة تفصل بين الناس كما تفصل بينهم سياستنا فأنتم لا تسمحون لأي يهودي او نصراني ان يدخل مكة أو المدينة ، ولا تتسامحون في بلادكم مع الاديان الاخرى على خلاف ما عليه الحال في بلادنا حيث تعيش جميع الاديان على قدم المساواة . ثم أضاف : ولا شك انك قد سمعت كما سمع غيرك ان المسلمين في بلادنا لهم الحرية الكاملة حتى في دعوة غيرهم الى الاسلام ، وانهم يصدرون مجلة عالمية لنشر الاخبار الاسلامية وهم يمتلكون ثروات طائلة فقلت اه : أرجو ان تلاحظ ان التفرقة التي ذكرت انها موجودة في بلادنا تعتبر تفرقة فكرية بمعنى ان الرجل من أي جنس او لون كان اه الحق بل اننا لنرحب به اذا اعتنق ديننا أي الدين الاسلامي وآمن بفكرته أن يكون له ما لنا وعليه ما علينا ، ولا يكون هناك فرق

بيننا وبينه ، والدخول في الديــن الاسلامي متاح لأي فرد بخلاف سياستكم التي تفرق بين الناس عــلى اساس شيء ليس مــن صنعهم وليس لهم فيه يد ، ولا يستطيعــون ان يصبحوا مثلكم فأنتم تشترطون لكي يساووكم ان يكونوا بيض الالوان وهذا ما لا يمكنهم كما تعرف ، وأن الابيض لم يكن أبيض بفعله واجتهاده الخاص ، والاسود لم يكن اسود لتقصيره في العمل ، بل ذلك شيء فطره الله عليــه ، فأنتم تثيبون الابيض على ما لم يعمل وتعاقبون الاسود على ما ليس من فعله ! ولكن ألا ترى اذاً أن سياستكم العنصرية غير انسانية ؟ فقال ولماذا تكون كذلك، فأنت اذا كان عندك شخص غير ماهر فانك تضعه في المكان المناسب له ولا يكون ذلك منك عمل غير انساني ، ثم قال : أريد ان اذكرك بشيء وهو ان العرب وهم نصف ملونين ولما سألته عن معنى قوله نصف ملونيــن قال انهم في درجة أعلى مــن الملونين على حد قوله ، ولكنه لم يقل : انهم اقل من الاوروبيــين وان كان يقصد ذلك ، وقد سجل لهم التاريخ أمجادا كثيرة فقد فتحوا بلادا كثيرة وأسسوا حكومات وأنظمة عظيمــة وخلفوا آثارا هائلة مــن المساجد والمــدارس وغيرهــا وساهموا في الثقافة الانسانيــة فقلت له : ولا تنس انهم حكموا جزءا من اوروبة قرونا طويلة ، ثم قال : ولكــن هؤلاء السود هل رأيتهم حكموا احدا في الماضي ؟ لقد اراد

أن يقنعني بحديثه عـن طريـق مس مشاعري بمـدح العرب ! وطبيعي : ان ما قالـه غـير صحيح ، وان سبب التمييز العنصري هو خوف الاوروبيـين من ان يتعلـم الافريقيون فيتفوقون عليهم وليس لانهم اي الاوروبيـين يعتقدون اعتقادا صحيحا بان الملونين والسود لا يفلحـون ابـدا .

ثم قال : اننا ساعون في تطويـر الافريقيين على حدة وانه بعد عشرين او ثلاثين سنة وبعد ان يحصل الافريقيون على قدر كاف من التعليـم والخبرة يتكون لهم حكم محلي في الاماكن التي يكثرون فيها ، فقلت له : وما رأيك فـي المسألة الروديسية ؟ وما يقال عن تدمير روديسية ؟ فقال : نحـن لا نخشى شيـئا لأن من بأيديهم القوة لا يمكن ان يستعملوها ضدنا ،أو ضد روديسية أما من يرغبون تدميرنا حقا فاننا اقوى منهم ، ثم قال انه اذا اشتد الضغط علـى روديسيـة أو البرتغال فان من الممكـن ان تتكون وحدة أو اتحاد بين كل من جنوبي افريقية وروديسيـة وموزمبيق وانغولا وبذلك توجد دولة كبيرة للبيض فيها السيطـرة الكاملة ولا يقوى احد على تدميرها .

ثم قال انني اتمنى من صميم قلبي ان تزور جنوبـي افريقيـة حتى ترى بعينك كيف يكون مستوى معيشـة الافريقيين فيها مما لم يلقه امثالهم في البلاد المستقلة ثم قال:

انك اذا كنت ترغب في دخول جنوبي افريقية فانني سوف أعطيك عنواني في الكنغو وسوف احصل لك بنفسي تأشيرة الدخول وارسلها اليك ، ثم اعطاني عنوانه الدائم في الكنغو فشكرته على ذلك ، وقلت له : انني لا أظن انني سوف احاول زيارة جنوبي افريقية مرة اخرى في المستقبل القريب وان كنت اود ذلك .

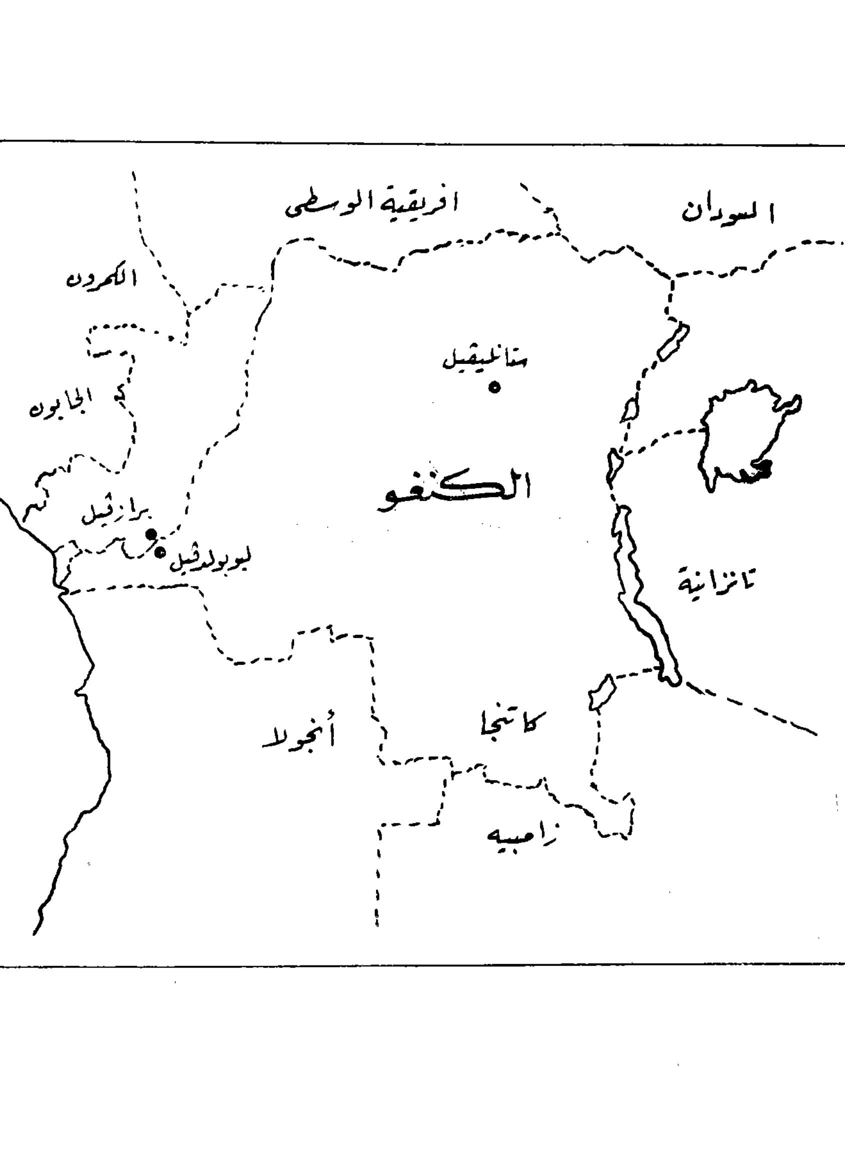
ثم اخذ يحدثني عن عمله في الكنغو وقال ان العمل مع اهل الكنغو متعب غير انهم يدفعون رواتب مغرية ، ثم سألته عما سمعته عن الصعوبات التي يلاقيها الواصلون الى الكنغو من قبل الموظفين في المطار فقال انها حقيقة ولكن ارجو ان اكون معكم حتى تنتهي جميع الاجراءات فأساعدكم عليها .

ومن الانصاف ان اقول انه قد وفى بوعده كل الوفاء فعلى الرغم من انه وجد زوجته تحت سلم الطائرة في انتظاره ،حيث طوقته بذراعيها ، وأخذت تقبله امامنا ، وهي تصرخ من الفرح بقدومه ، واخذت بذراعه الى كل الدوائر الرسمية في المطار وعلى الرغم من ان المرء في مثل هذه الحالة أي حالة لقائه بمن يحبه قد ينسى رفيقه او صديقه ، فقد ظل معنا هذا الرجل وزوجته يساعداننا على انهاء الاجراءات من مكتب الى مكتب حتى أنهينا كل شيء ،

واوصى موظفين عسكريين من الاوروبيين في المطار بنـــا خيرا ، وكان قد قدم لنا زوجته عندما سلمت عليه ، وقدمنا اليـــها فقال هؤلاء اصدقائي من المملكة العربية السعودية وقد كان لوجودهم معي في هذه الطائرة اطيب الاثر فـــي نفسي ، وتقصير الشعور بأمد الرحلة .



في الكنغو



افريقية الوسطى
السودان
الكمرون
ستانليفيل
الجابون
الكنغو
برازفيل
ليوبولدفيل
تانزانية
أنجولا
كاتنجا
زامبيه

يوم السبت ١٣٨٦/٩/٤ هـ.
١٩٦٦/١٢/١٧ م.

في مطار كنشاسا :

الوقت ليل ولم نستطع أن نتعرف على معالم المطار ، وقد توقف موظف الجوازات في المطار حول جوازاتنا هنيهة سألنا خلالها عن بلادنا هل هي مملكة ؟ مع أن الجواز بين يديه فيه أنها المملكة العربية السعودية ثم قال هل ملككم يدعى الحسن ؟ ثم طلب منا رسما قدره عشرون دولارا امريكيا فلما توقفنا ذهب الى رئيس له يستشيره وذلك بعد أن ختم الجوازات بخاتم الدخول ، ثم عاد الينا وأعطانا الجوازات وأعفانا من الرسم فانتقلنا الى مفتش الجمرك الذي أخذ يسألنا عما في حقائبنا ؟ فقلنا : انها ملابس فقال هل فيها آلات تصوير ؟قلنا :لا . قال : وجهاز راديو ؟ قلت: نعم . فأراد فتحها ولكن الضابط الذي كان معنا سألني هل هو مستعمل ؟فقلت : نعم ، انا استعملته بالطبعقال :لا حاجة للفتح وهكذا انتهينا من عنده بدون أن تفتح حقائبنا فأسرعنا الى الخروج من باب الجمرك . وعند خروجنا من الجمرك اجتمع حولنا ثلاثة من الاوروبيين لا أعرف جنسياتهم وأخذوا يتبرعون بالنصائح الينا حول معاملة السكان هنا وكان مما قالوا لنا : لا تسكنوا الا في فندق كبير مشهور ولا تركبوا سيارة أجرة الا مجتمعين ولا

تحملوا نقودا كبيرة معكم ، ولا تضعوا نقودكـم الا في البنوك ، ولا تسافروا خارج المدينة الا ومعكم من تعرفونه من الافريقيين ، ولا تركبوا حافلة وأنتم تحملون نقودا ، واذا رأيتم اجتماعا للافريقيين فتجنبوا الدخول فيه ، كـل ذلك وهم لا يعرفوننا .

ولم يكن قد نزل معنا من ركاب الطائرة النفاثة الضخمة غير ثلاثة أما الباقون فكانـوا عابرين الى أوروبة لقضـاء عطلة عيد الميلاد ورأس السنة هناك .

كان أحد هؤلاء صاحبنا الضابط الطيار الذي ذهبت به زوجته وأصدقاؤه بعد آن ودعونا جميعا عندما انتهينـا وبقي من اصحابه أوروبي من جنوب افريقية لم أعرف عمله ويظهر أنه انكليزي الأصل ، أخذ يحدثنا ونحن في الطريق من المطار الى مدينة كنشاسا عن الكنغويين وينصحنا بمـا تيسر ، فكان مما قال : أن هؤلاء القوم مشاكلهم كثيرة فلا يمش أحدكم ليلا وحده ولا ينفرد أحدكما عن الآخر ثم أخذ يشرح لنا معالم ما نمر عليه ، ونحن في الليل ، ولا نستطيع أن نراه فكان مما أرانا المنطقة الصناعية ثم السجن قـرب مدينة كنشاسا وقال وهو يضحك انه مليء .

مدينة كنشاسا او (ليوبولدفيل) :

دخلناها في منتصف الليل تماما ، وكنا قد سمعنا أن أجرة الفنادق فيها مرتفعة ، وأن السرير الواحد فيها تبلغ

أجرته في الليلة الواحدة خمس جنيهات استرلينية أي اثنين وستين ريالا سعوديا ، ومع ذلك فقد كنا ندعو الله تعالى أن ييسر لنا مكانا في أحد فنادقها .

ذهبنا الى أكبر فندق فيها ويدعى فندق روجينا ولكن الموظفين فيه اعتذروا بعدم وجود أماكن خالية فيه ، فانتقلنا الى فندق كبير آخر يسمى « فندق مملج » ولكن موظفيه قالوا لنا كما قال الأولون وهكذا بقية الفنادق ، حتى الأنزال الصغيرة التي لا يتوفر فيها الأمان المطلوب قرعنا بابها فلم نجد فيها مكانا خاليا حتى تعبنا وتعب معنا سائق الشركة الذي كنا في سيارته .

موقف حرج ...

لم نستطع أن نجد مكانا ننزل فيه ، ونحن نحمل معنا نقودا كثيرة تبلغ قيمتها آلاف الجنيهات الاسترلينية . وبلاد الكنغو مشهورة بسراقها بل وبمنتهبيها حتى لا يأمنهم من هم في البيوت فكيف بغرباء مثلنا يحملون نقودا ، اننا بلا شك صيد سمين وهذا ما يفزعنا اذا تصورناه ، وقد زاد الطين بلة أن سائق السيارة التي تحملنا وهي تابعة لشركة طيران الكنغو لا يعرف من الانكليزية حرفا ، ونحن لا نعرف من الفرنسية شيئا مذكورا ، ولم نصادف من يحسن الانكليزية فضلا عن العربية حتى اذا تعبنا صادفنا رجلا هنديا في آخر نزل كنا نبحث فيه عن مسكن فاذا به يعرف

الانكليزية فكأنما أنزل علينا من السماء ، فقلنا له اننا لم نجد مكانا ننزل فيه ولنا صديق مسلم يدعى الحاج جمعان باوا وبيته قريب من جامع كنشاسا فيما ذكر لنا ، فأرجو أن تدلنا عليه وأن تصفه للسائق حتى يذهب بنا اليه وتخبره أنه اذا ظل معنا حتى نجد صاحبنا فاننا سوف ندفع له مكافأة مالية مرضية . فأجاب انني لا أعرف الرجل المذكور ولا جامع كنشاسا ، ولكنني أعرف رجلا مسلما يعد من كبار المسلمين هنا ويسمى «بلال» والأحسن في رأيي ان تذهبوا اليه وتقضوا بقية هذه الليلة لديه ثم تروا رأيكم بمشورته عندما يصبح الصباح فشكرناه على ذلك بعد أن وصف بيته للسائق .

وكانت توفيقا من الله سبحانه وتعالى فقد ذهب بنا السائق ، وقابلنا الشخص المذكور فاذا به من اخواننا العرب الليبيين الذين يشتغلون بالتجارة في الكنغو .

وقد قضينا في ضيافته بقية تلك الليلة من شهر رمضان المبارك في غرفة من فيلا قريبة من بيته الذي يسكنه وهي «فيلا» غير مسكونة لأن بناءها لم يستكمل بعد ، ولذلك لم يصلها التيار الكهربائي وكنا نستعين بشموع أحضرها لنا من بيته ، وكانت ليلة ليلاء لم نسترح فيها الا اذا ذكرنا أننا قد نجونا الآن من المكث في مكان مجهول قد يكون أحد الشوارع في عاصمة الكنغو .

كان الحر شديدا حتى أنه ذكّرنا بجو مدينة جدة .

وكان البعوض كثيرا ألهب اجسامنا بلسعاته ، وكان طنينه يزيد أعصابنا المرهقة ارهاقا .

وعندما استقربنا المقام قال لنا مضيفنا ـ جزاه الله خيرا ـ انه يستحسن اذا كان معكم نقود أن تسلموها لنا لنحفظها لكم في الخزانة الحديدية الكبيرة داخل بيتنا لأن البلاد هنا غير آمنة فقلنا له : ان هذه الفيلا عليها حارس كنغوي فقال : انه لا يغني عنكم شيئا كثيرا فاللصوص يتسورون الدار من جهة اخرى في الليل ، وقد يأتون من قبل الباب ، فلا يستطيع الحارس أن يفعل شيئا لأنهم يؤذونه أو يهددونه ولما كنا لا نعرف الكثير عن مضيفنا فقد شكرناه على شعوره .

وعندما خرج من عندنا ذكرنا موقفنا قبل ساعة حينما كنا معرضين للضياع التام فهو لم يأمن علينا مع أننا في بيت من الاسمنت المسلح ، محكم غلقه ، وعليه حارس .

وقد فتحت جهاز الراديو أبحث عن المحطات العربية في هذا الجزء من غرب افريقية الذي أصله اليوم لأول مرة ، فكان أول ما سمعته على الموجة المتوسطةاذاعة تونس قوية، ثم اذاعة الجزائر دونها قليلا وقد أصبحنا صائمين رغم الحر الشديد مع جواز الافطار لنا لأننا مسافرون . لن نقيم في كنشاسا ولكننا لم نشأ أن يرانا من اخواننا المسلمين من لا يعرف أن لنا كمسافرين رخصة في الافطار .

يـــوم الاحـــد ٥ /٩ /١٣٨٦ هـ.
١٨/١٢/١٩٦٦م.

جولة في مدينة كنشاسا :

بدت لنا مدينة كنشاسا أو «ليوبولدفيل» كما كانت تسمى سابقا ، مدينة ضخمة هي أكبر المدن الافريقية التي شاهدناها منذ ابتدأت رحلتنا وهي بحق مدينـــة افريقيـــة يشعر المرء فيها بذلك أينما ذهب بل لا يشعر بأن هناك فيها من الناس غير الافريقيين أحد على عكس بقية مدن شرقي افريقيـــة التي تجد فيها الآسيويين والاوروبيين .

صولة وصولجان :

وتتكون كنشاسا من فيل أي المدينة بالفرنسية وهذه كان يسكنها البلجيكيون زمن الحكـــم الاستعماري ، شوارعها مسفلتة وتحوطها الاشجار الباسقة وان كانت لا تصل الى مستوى مدن الاستعمار الانكليزي فالـــذوق الانكليزي المنظم معدوم هنا والحدائق المتسعة البديعة غير موجودة ، وانما توجد أماكن خالية يكسو أرضها العشب الأخضر ، وهي بمثابة الميادين ، والأرصفة الجميلة هنا تكاد تكون معدومة وتتكون فيل أو المدينة حول ضفـــة نهـــر الكنغو العظيم .

وفي ميدان واسع غير بعيد من ضفة النهر قريبا مـــن مقر رئيس الجمهورية الكونغوليـــة الآن يقف تمثـــال

(ليوبولد) ملك البلجيك الذي سميت المدينة باسمه ــ كما قيل لنا ــ راكبا على حصانه شامخا بأنفه يشير الى مجد الأوروبيين قد زال ، ودولة كانت للبلجيكيين قد دالت . وعمارات الحي المذكور تتكون من فيلات تحيط بها حدائق صغيرة ومن عمارات كبيرة ، وقد نزل في الاولى الافريقيون الآن ، ولم يبق من البلجيكيين أنفسهم الا أقل القليل ، ومع أن هذا الحي هو سرة المدينة ، وأجمل نقطة فيها فان شوارعه ضيقة ، وسفلتتها ضعيفة ، ومستوى الصيانة فيها أضعف ، ولا غرو فقد استلمه الافريقيون فيما استلموه من البلجيكيين من شؤون الكنغو فجأة ، وبدون استعداد ، فكانوا مثل « اللي ما يعرف الصقر يشويه » . هذا الى أن البلجيكيين أنفسهم لا يمكن أن يقارنوا بالانكليز والفرنسيين في مهارتهم وذوقهم ومعاملتهم للآخرين .

وفي هذا الحي تقع معظم دوائر الحكومة ووزاراتها والسفارات الاجنبية ، وترى الافريقيين ذاهبين آيبين في الحي زرافات ووحدانا لقضاء مصالحهم على عكس ما عليه الحال في معظم البلدان التي كنا قد مررنا عليها حيث يكون الافريقيون في مثل هذه الأحياء الراقية من المدن أشبه بالغرباء منهم بأهل البلاد .

اما بقية المدينة باستثناء الضواحي التي فيها بعض الفيلات فانها عبارة عن احياء مزدحمة بالافريقيين شوارعها طويلة ضيقة متقاطعة بعضها مسفلت ضعيفة وبعضها غير

مسفلت ولا مبلط أصلا ، وتتكون منازلها مــن غرف مبنية
بالطوب ، وغير مسورة بل تجد الافريقيين أطفالهم ونساءهم
بل ومطابخهم أمام تلك الغرف فيما بينهــا وبين الشارع ؛
وتمتد المجاري على جانبي الطريق وهي مكشوفة يلعب بها
الأطفال في بعض الأماكن ، ويرى المار منظراً يجعله ينتقزز
بل ويكاد يغلبه الغثيان وهو منظر المجاري وقــد اخضرّ
ماؤها واسود في بعض الأماكن ، وقد لاحظت بعد ذلك أن
مياه الامطار التي تنزل على المدينة تأتي عادة على تلــك
المجاري فتحمل ما فيها الى نهر الكنغو ، وعندما وصلنا الى
المدينة سألناهم عن سبب الحر الشديد فيها ؟ فقالوا : انلهم
حوالي خمسة ايام لم ينزل عليهم المطر ، وهذا شيء غــير
عادي في مثل هذا الوقت من السنة .

أما الاطفال في عاصمة الكنغو فلعمر الله اني لم أر
أكثر عددا منهم في أي بلد من البلدان التي زرتها اذ تجد البيت
المكوّن من غرفتين وقد انتشر أمامه عدد ضخم من الاطفال
لا يكاد يفصل بينهم في الأعمار فاصل . وهم شبه عرايا بل
بعض الصغار منهم عرايا حقيقة وهم يمرحون ويلعبون في
الشارع ومعهم أمهاتهم يطهين الطعام ويغسلن الملابس في
الشارع على مرأى من الذاهبين والآيبين وأغلبهن قد برز
نصف صدرها الأعلى مما جعل منظرها منسجما مع المنظر
غير اللائق المحيط بها ويزيد المنظر غرابة أن الكونغوليات
من النساء والفتيات يجعلن رؤوسهن ضفائر صغارا مشددة

الى أعلى لا الى أسفل لأن شعورهن قصيرة فيبدو شعر الواحدة منهن متجها الى أعلى كأنه عدة قرون في رأسها وهن بذلك يخالفن معظم الافريقيات في شرقي افريقية وتحت خط الاستواء حيث تعمد هؤلاء الأخيرات الى حلاقة رؤوسهن تخلصا من شعرهن القصير في أكثر الأحيان .

وفي تلك الشوارع غرست بعض الاشجار التي تتكون غالبا من اشجار المانجو ومن اشجار نخيل الزيت الذي لا تكاد تفرق بينه وبين نخيل الثمر مما يجعلنا تتذكر منظر النخيل في بلادنا .

وخلاصة القول أن مدينة كنشاسا أكبر مدينة في افريقية السوداء رأيتها وأكثر المدن الافريقية بل هي مدينة افريقية حقا ليس لغير الافريقيين فيها نصيب الا نصيب الضيف غير المحبوب في بيت مضيفه .

الكنغويون :

لا يمكننا أن نطلق كلمة الكنغويين على سكان كنشاسا فتكون تلك الكلمة مطابقة لمعناها كل المطابقة لأن كلمة الكنغو تطلق على اقليم بل أقاليم واسعة شاسعة يقطنها أجناس من الافريقيين يتكلمون لغات متعددة ، ويتفاوتون في درجة تعليمهم وثقافتهم ان لم يكن في عنصرهم ولكننا هنا نريد بالكنغويين سكان مدينة كنشاسا وهم يتكونون

من الكنغويين الاصليين أي سكان تلك المنطقة التي كان البلجيكيون قد بنوا بقربها مدينة باسم ملكهم ليوبولد فقالوا «ليوبولدفيل» أي مدينة ليوبولد كما يتكونون من الجاليات التي جاءت من أقاليم الكنغو المختلفة وهم على وجه العموم سود الألوان يمتازون عن بقية السود الذين شاهدناهم من قبل بشيئين رئيسيين ظاهرين أولهما : قصر القامة ، والثاني أنه ليس في أشكالهم من الوجاهة والضخامة ما للكينيين والأوغنديين مثلا ، وأنك حين ترى الافريقيين من غربي افريقية من السنغال ومالي ونيجيرية وهم بقاماتهم العالية وأجسامهم الضخمة التي تبدو عليها الفخامة والوجاهة لتميزهم على البعد عن الكنغويين بل الواحد منهم بين الكنغويين كأنه علم في رأسه نار .

أما الشيء الأهم الذي يميز الكنغويين عن الافريقيين الآخرين فهو وحدة طباعهم ، وقوة شكيمتهم ، وتقلب أمزجتهم ، وشيء من الشعور بالعزة والوطنية في نفوسهم يجعلهم يشعرون بأنهم أرفع من غيرهم من الناس ان لم يكونوا يتخيلون أنهم أرفعهم .

في المدرسة الاسلامية :

تلك أول مدرسة اسلامية في مدينة كنشاسا قام على انشائها جماعة من النيجيريين الموجودين في الكنغو والذين يشتغلون في التجارة ليسدوا النقص الموجود هناك حيث لم

يكن من الممكن سابقا لأبناء المسلمين أن يجدوا من يعلمهم مبادىء الدين أو اللغة العربية لأن سياسة الحكومة الاستعمارية تقوم على عدم السماح بالتعليم الاسلامي في الكنغو .

وقد زرناها هذا اليوم فوجدنا فيها الرئيس القبلي للنيجيريين في كنشاسا (الحاج باوا) وإمام المسجد الجامع في كنشاسا الذي بناه النيجيريون منذ حوالي ثلاثين سنة .

والمدرسة كما قلت تعلم القرآن الكريم ومبادىء اللغة العربية وشيئا من الأحكام الدينية الأولية على مذهب الامام مالك ، وقد استقبلنا طلابها بنشيد ترحيب باللغة العربية وأدوه أداء حسنا لا يقل عن اداء اطفال أية مدرسة ابتدائية في الاقطار العربية ثم تكلم مدير المدرسة بالسواحلية ثم ترجم كلامه الى اللغة العربية التي يفهمها بعض الحضور ثم ألقيت كلمة باللغة العربية كان أكثر الحاضرين من القوم يفهمونها أما الطلبة فلم يفهموا منها شيئا وقد ترجمها لهم أحد المدرسين في المدرسة ، وفي المدرسة ١٢٥ طالبا وطالبة أكثرهم من النيجيريين وفيهم من غيرهم من المسلمين ، وفيها مدرسان ، وقد أعلنت لهم عن التبرع للمدرسة المذكورة بمساعدة مالية مجزية من دار الافتاء بالمملكة العربية السعودية .

الافطار في كنشاسا :

ذهبنا قبل غروب الشمس الى جامع كنشاسا فوجدنا المسلمين محتشدين هناك استعدادا للافطار وصلاة المغرب وغالبيتهم من النيجيريين يليهم السنغاليون فالعرب الغينيون فالكنغويون وهذه اول مرة أحتك فيها بالمسلمين من غربي افريقية في خارج المملكة العربية السعودية وقد وجدتهم يمتازون عن مسلمي شرقي افريقية بتفوقهم في معرفة اللغة العربية فلا تكاد تجد أحدا منهم لا يعرف شيئا من اللغة العربية على تفاوت بينهم بخلاف أغلب المسلمين في شرقي افريقية الذين كان بعضهم لا يعرف حتى معنى « كيف حالك » ؟ وجوابها : طيب ، كما أنهم أكثر ثقافة وفهما للاسلام من الشرقيين ، وحتى في التجارة والاقتصاد فان بينهم ناجحين ومبرزين في التجارة ، وقد أحضروا الى المسجد صناديق زجاجات المياه الغازية ، وعناقيد الموز ، وبعض الخبز وذلك تبرع من الموسرين منهم فكان كل شخص يأخذ نصيبه حتى اذا حان موعد الافطار بدأ المؤذن بالآذان فأفطروا متفرقين على خلاف ما عليه الحال في روديسية حيث يفطر المسلمون مجتمعين على مائدة واحدة تتكون من عدة موائد ، وقد دعانا امام الجامع الى تناول طعام الافطار معه في غرفته الخاصة ثم صلينا المغرب فكان أعجب ما في ذلك أن المؤذن أقام الصلاة كالأذان تماما ما عدا الاقامة حيث كانت مرة واحدة فقط ثم كان المؤذن

يسمع بعد الامام فيقول بعد الرفع والتكبير «اللهم رب ولك الحمد» وعند الفراغ من الصلاة كان التسليم عبارة عن جملة واحدة فقط هي السلام عليكم فقط فيخرجون من الصلاة حتى بدون التفات . وذلك لان القوم مالكية .

وبعد صلاة المغرب أحضرت الينا في بيتنا مائدتان هدية احداهما من كبير المسلمين النيجيريين والاخرى من كبير الكونغوليين الذين اصلهم من شرقي البلاد ويقيمون في كنشاسا .

التراويح :

شهدنا التراويح معهم فكانت تراويح خفيفة موجزة الى حد يكاد يبلغ حد الاختصار وهي اكثر ايجازا من تراويح القوم في روديسية فكانت خمس تسليمات فقط يقرأ الامام في كل ركعة آية واحدة مثل قوله تعالى : «والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم » ومثل قوله : « فبأي آلاء ربكما تكذبان » ، وهكذا ثم يوتر بثلاث ركعات ، ويجمع ركعتين ثم يسلم ثم يصلي الثالثة ولا يقنت اصلا .

وألطف ما فيها أنه بعد كل تسليمة يذكر احد المأمومين كم صلى الامام فبعد التسليمة الاولى يقول باللغة العربية، صلى واحدة او يقول : (الاول) يعني الاولى ، ثم بعد الثانية والثالثة وهكذا وبعد ان ينهي الخمس يقول : كمل الخمسة .

هذا وقد كان الجو حـــارا بحيث كانت المـراوح لكهربائيــة في المسجد على اشد دورتها ، وهو اول مسجد ندخله تستعمل فيه المراوح منذ ان وصلنا الى افريقية .

يوم الاثنين ١٣٨٦/٩/٦ هـ.
١٩٦٦/١٢/١٩ م.

اجتمعنا بعدد من زعمــاء المسلمين من سائر انحاء الكنغو ، وقد بحثنا معهم كل ما يتعلق بمهمتنا .

وقد نصحونا جميعا بعدم الذهاب الى الاقليم الشرقي الذي عاصمته «كازبكاني» ستانلي فيل سابقا والى اقليم «كيفو» وكلاهما فيه اقلية اسلامية كبيرة وذلك لعدم توفر الامن فيه ، ولأن الحكومة لا تسمح بالسفر اليهما الا باذن خاص والسفــر اليهمــا فيه خطر على حياتنا وبخاصة في الاقليم الشرقي كمــا اخبرونا .

يوم الاربعاء ١٣٨٦/٩/٨ هـ.
١٩٦٦/١٢/٢١ م.

الاسد فلت :

حاولنا خلال اقامتنا القصيرة في كنشاسا ان نجد وقتا نزور فيه ما يستحق الزيارة فيها مثل حديقــة الحيوانات ، وعندما تيسر لنا الوقت كان دليلنا أخا مسلما مــــن تشاد

يعرف الفرنسية والعربية ويعرف الىجانبها اللغة الكونغولية والسواحلية وضرب لنا موعدا بعد عصر اليوم .

وعندما ذهبنـــا معه وكنا جميعـــا صائمين والحـــر شديد ، والتعب قد بلغ منا من جراء العمل صباحا مبلغه ، وصلنا الى باب حديقة الحيوانات فتراطن دليلنا مع البواب ثم جاء الينـــا وقال : (الاسد فلت) ولما لم نفهم اوضح لنا مراده بأن الاسد قد أفلت من قفصه ، وهو الآن طليق في الحديقة لذلك لا يمكـــن لنا الزيارة هذا اليوم لأن دخول الحديقة ممنوع لهذا السبب بطبيعة الحال .

لا سفر الى الكنغو برازافيل :

ذهبنا الى السفارة الفرنسية في كنشاسا على رجـــاء ان تمنحنـــا تأشيرة دخول الى الكنغو الآخر على ضفة نهر الكنغو أو قل الى المدينة التي نراها بوضوح من مكاننا في مدينة كنشاسا ، ولكن السفارة الفرنسية اعتذرت الينـــا بأنها الآن ليس لديها صلاحية منح التأشيرات المذكورة .

وهكذا فشلنا في وصول القطر المذكور علما بأنـــه لا يفصل بيـــن القطريـــن الا نهـــر الكنغو وان الكنغويين الكنشاسيـــين يمكنهم السفر بدون تأشيرات دخول الـــى بلاد الكنغويين الآخريـــن في برازافيـــل والعكس بالعكس أي ان المرور ما بين القطرين الكونغويين يشبه الى حـــد ما المرور بين سورية ولبنان لرعايا البلدين المذكورين .

ولما كانت الوسيلة الوحيدة لدخول الكنغو الآخر هي ان نرسل طلبا الى حكومته ثم ننتظر الرد الذي ذكر لنا انه قد يستغرق اسبوعين ، وليس بامكاننا الانتظار ، فقد صرفنا النظر عن السفر اليه .

يوم الجمعة ١٣٨٦/٩/١٠ هـ.
١٩٦٦/١٢/٢٣ م.

السفر من الكنغو :

خرجنا بعد صلاة الفجر مباشرة الى مطار كنشاسا (ليوبولدفيل) سابقا عاصمة الكنغو والذي يبعد عن المدينة ٣٢ كيلو مترا ويسمى مطار انجيلي ، وأنجيلي في لغة الكونغو المحلية هي النهر ، وقد أكملنا اجراءات قطع التذاكر ووزن الحقائب في مدة وجيزة ثم ذهبنا الى البهو الداخلي في المطار فلبثنا هناك مدة ساعة كاملةونصف الساعة سئمنا فيها الانتظار ونمنا في القاعة وصحونا ، وقد رأينا كيف انه حتى المسافرون الى لمباشي (اليزابيث فيل سابقا) قد لبثوا مدة طويلة واقفين عند باب الخروج الى الطائرة بدون ان يؤذن لهم بالسفر . مع ان رحلتهم داخلية والملاحظ في هذا المطار ان هناك عددا لا بأس به من المسافرين الافريقيين على الطائرات وهو أكثر بكثير من العدد الذي يسافر على الطائرات من الافريقيين في بقية

اقطار افريقيــة التي زرناها ولا شك ان ذلك يرجع الـــى صعوبة المواصلات البرية في الكنغو وطول مسافاتها ،وعدم توفر الامن فيها الامر الذي يضطر الكثير من الناس الـــى السفر بالطائرات ، الى جانب كون الكونغوليين انفسهـــم يملكون مـــن مصائر بلادهم اكثر مما يملكه اخوانهم في بعض الدول الافريقية الاخرى .

قبل الخروج الى الطائرة :

وبعد طول انتظار رأيت الركاب يتجهون الى قســـم الجوازات والمكوس ، بدون أن ينادي عليهم فأسرعوا الى الباب كل يريد ان يسبق صاحبه ، وكان فيهم عدد مـــن الاوروبيين الذيـــن اصطفوا كعادتهم للدخول بـــدون ان يزاحم احد منهم الآخر ، ولكننا وقفنا عند الباب قبـــل ان يؤذن لنا مع انه لم يكن هناك قبلنا طائرة اخرى مسافـــرة للخارج وبعد ان جاء الاذن كان هناك حاجب يدخل الناس اثنين اثنين .

ولما دخلنـــا رأينا رجلا فسألنا عن اوراقنا الصحيـــة فأبرزناها له مع اننا نغادر البلد ولا ندخله ، ولم يسألنا احد طوال رحلتنا عن اوراق الصحة عند المغادرة لأنهم يكونون قد اطلعوا عليها عنـــد الدخول ، ثم اشار الى موظف آخر بعده فسألنا عـــن اسمنا العائلي فأخبرناه ثم انتقلنا الـــى فتاة افريقية فطلبت منا أن نريها تذاكر السفـــر فأريناهـــا

اياها ثم انتقلنا الى موظف رابع فرأى جوازاتنا ثم احالنا الى الموظف الخامس والاخير الذي اعاد طلب الاطلاع على تذاكر سفرنا ثم تكلم بالفرنسية ولما كنا لا نعرف الفرنسية فقد دخل صديق لنا كان معنا يعرفها وتحدث معه فتركنا وهكذا انتقلنا من قسم الجوازات ولم يختم احد على جوازاتنا بشيء ولا على تذاكرنا .

لدى موظفي الجمرك :

ثم انتقلنا الى قسم الجمرك حيث حضر موظف يعرف قليلا من الانكليزية فأمرنا بفتح حقائبنا ففتحناها فنفشها ولكن الحمالين اخذوا يشيرون الى افواههم ويروننا قليلا من النقود الكنغولية المعدنية وفهمت انهم يطلبون «بقشيشا» فأعطيتهم ما تيسر ، ولم نكد نعرف اننا انتهينا ، أو هكذا اعتقدنا ، حتى نادانا موظف آخر فاقتادنا الى غرفة فيها مكتبان ، على احدهما فتى والآخر عليه فتاة وقد تبين لنا فيما بعد ان الفتى يفتش الرجال والفتاة تفتش النساء ، وكنا سمعنا انهم في الكنغو قد يجردون الناس من ثيابهم للتأكد منهم عند الخروج لأن الكنغو يصدر الماس والمعادن الثمينة وبعض الناس يحاولون اخراجها وتهريبها .

وطلب منا الموظف جوازات السفر وتذاكر الركوب ثم أشار الى حقائب ايدينا التي نحملها ان افتحوها ففتحناها

ففتشها تفتيشا دقيقا ثم قال : ألا يوجد معكم أي نوع من انواع النقود ؟ فأجبناه بالنفي ، فكرر قوله فنفينا ان يكون معنا نقود ثم قال اروني ماذا في جيوبكم فحضر في هذه اللحظة صديقنا كمال السنغالي الذي يعرف العربية والذي كان معنا طوال اجراءات السفر في المطار يترجم لنا من الفرنسية الى العربية لأن الموظفين لا يعرفون الانكليزية فكلّمه فأطلق سراحنا وقال : لا بأس اذا كنتم تريدون ان تذهبوا ، وهنا لم نكد نصدق لأنه كان معنا شيكاتنا السياحية التي دخلنا بها ولو عثر عليها لعاق سفرنا ولعقّد اجراءاته ولرفع الامر الى رؤسائه ، ولا ندري ماذا يحدث بعد ذلك ، وليس ذلك لأن الشيكات السياحية غير مشروعة . فهي مالنا دخلنا به الى الكنغو ، ونريد ان نخرج به ، وقد خرجنا به من جدة ، ولا غبار على مشروعية حملها في الدخول ، أو الخروج ، وقد كنا نخبر بها في المطارات التي يسود فيها النظام ولكن في الاماكن التي تسود فيها الفوضى فان الاخبار بها تعريض لها للضياع وسببه للحوق السوء بحاملها .

وهكذا خرجنا من عنده ونحن لا نكاد نصدق بالخلاص منه ثم انتظرنا مع جميع الركاب حوالي نصف ساعة خارج ساحة المطار حتى سمح لنا بالذهاب الى الطائرة التي وجدناها ممتلئة بالركاب وفيهم عدد من الافريقيين وفيهم بعض الاوروبيين وهندي واحد . وكان معظم

المسافرين في مدينة قوما الكونغولية التي عرفنا أن الطائرة ستمر بها ثم انتيبة في اوغندة ثم نيروبي .

وهكذا تحركت الطائرة في تمام الساعة الثامنة والنصف وخمس دقائق من مطار كنشاسا وكانت ممتلئة بالركاب وقد تسارعوا الى الصعود اليها قبلنا ثم جاء بعض الموظفين بأناس محسوبين عليهم بعد صعود الركاب الى الطائرة فأوقفونا حتى اركبوهم قبلنا ، وعندما صعدنا كانت جميع مقاعد النوافذ قد شغلت قبلنا فاضطررنا ان نركب في وسط الطائرة وفي مكان يقع فوق جناحها مباشرة لذلك لم نتبين من معالم الارض شيئا بل لم نتمكن من النظر الى الارض اصلا .

وكانت الطائرة من طراز « دي سي سكس » ذات المحركات الاربعة تابعة لشركة الخطوط الجوية الكنغولية وقوادها بلجيكيون اما المضيفون فهم فتيان وفتاة كلهم من الكونغوليين .

تكلم المضيف بالفرنسية التي لا نفهم منها شيئا ثم تكلم آخر بانكليزية ضعيفة فقال ان الرحلة الى (قوما) ستدوم ثلاث ساعات وخمسا وأربعين دقيقة ، أي اربع ساعات الا ربعا وبالمقارنة نقول انها تساوي المسافة من جدة الى الرياض مرة ونصفا كل ذلك في ارض الكنغو وارتفاع الطيران «١٨ الف قدم» .

وهكذ سارت الرحلة بطيئة متثاقلة ، وكان جاري في

المقعـد افريقيـا يظهر انه احد الموظفين الكنغويين وعندما حضر الغداء وهو عبارة عن شريحة من لحم الخنزير النيء !

ـ تصور والعياذ بالله ـ لحم خنزير نيء تقدمه فتاة كنغولية عابسة ، واذا قسنا نظافته بنظافتها فلا شك انـه يصدق عليه المثل العامي النجدي «تمَّن وسوى صلـُبَه» .

مطـار قومـا :

نزلنا في مطار قوما دون ان أتبين معالم البلد عنـد النزول لبعدي عـن النافذة ، وكان المطار صغيرا وغيـر نظيف وقد توجهنا الى قاعة العابريـن (الترانزيت) وهي عبارة عـن ركـن صغير تتسع لحوالي ١٥ شخصا وقـد قدموا للعابريـن المرطبات على حساب الشركة ، فلبثنـا هنـاك مدة ساعة كاملة وقبل ان نصعد الصعود النهائـي خرجنا مـن القاعة ولا ادري من الذي دعانا ونحن ركاب نيروبي حوالي ١٠ وتوجهنا الى الطائرة ولكن عندما صعدنا ردونا على اعقابنا وقالوا ان الوقت لم يحـن بعد .

مدينـة قوما من الجـو :

لقد انخفض عدد الركاب الى الربع لذلك وجدنا مقعدا بجانب النافذة ونظرت الى مدينة (قوما) من الجو فألفيت المنظـر ساحرا اذ تقع المدينة وضواحيها على شاطىء بحيرة تنجانيقة في منطقة كلها خضراء شديدة الخضرة وبدت مباني المدينـة اشبه بالغرف والعنابر كلها مبنية بالطوب ومسقفة

بالصفيح المسنم ، اما مباني الارياف البعيد منها فهي اكواخ بنيـت بالقش او هكذا بدت لنا .

لقد اعلنت المضيفة ان الرحلة من (قوما) الى (انتيبة) ستدوم ساعة وربعا اما أنـا فان الطريـق الى انتيبة قـد عرفته حق المعرفة فقد قطعته ذهابا وايابا اربع مرات قبـل هذه المرة ، ومع ذلك فان منظر بحيرة فكتوريا عندمـا تقارب انتيبة وشواطئها الخضراء لا يمكن ان يمل .

ومن أنتيبة قامت بنا الطائرة الى نيروبي ودامت الرحلة ساعة وربعا أيضا حيث نزلت الطائرة بنا مطار نيروبي ولمـا يبق على غروب الشمس غير ١٠ دقائق منهية بذلك رحلـة دامت من الثامنة والنصف صباحا حتى قرب غروب الشمس مع استثناء فرق التوقيت بين نيروبي وكنشاسا وقدره على وجه التحديد ساعة وخمسون دقيقة .

العودة الى نيروبـي :

وكانت اجراءات العودة الى نيروبي في المطـار والجمرك سهلة ميسرة وعدنا الى نيروبي ونحن لا نصدق أننا خرجنا فعلا من الكنغو سالمين . وكنا نحس ونحن ندخل مدينـة نيروبي كأننا كنا قد دخلنا الى المملكـة العربية السعودية ويكفي أن تعلم أن المسافة بين كنشاسا ونيروبي أبعد مـن المسافة بين نيروبي وجدة وأن المسافة أيضا بين جوهانسبرغ وبين كنشاسا أبعد كذلك من المسافة بين نيروبي وجدة علما

بأن المسافة بين نيروبي وجدة أبعد أربعة أضعاف من المسافة بين جدة والرياض .

نيروبي تحتفل بعيد الميلاد :

وقد دخلنا نيروبي وهي تستعد للاحتفال بعطلة عيد الميلاد الذي سيبدأ غدا . وقد رأينا مظاهر الاحتفال بالعيد في صور « بابا نويل » على متاجر الاوروبيين وفي كثـرة المترددين على الحانات والمتسكعين حولها من الافريقيين والافريقيات حيث يكون العيد أكبر موسم لشرب الخمور عندهم ، ولم أجد ما يعطي عيدهم شيئا من البهجة سوى منظر الاطفال الذين كانوا قد لبسوا الملابس الجديدة وتجملوا ما استطاع أهلوهم مما ذكرني بمنظـر الاطفال عندنا في ايام الاعياد كما ازدانت واجهات المحلات الكبيرة بشجرة الميلاد .

أما اخواننا العرب في نيروبي وكذلك الهنود فكـأن العيد لا يعنيهم بشيء اذ أن أكثر حوانيتهم ومحلاتهم التجارية مفتوحة ولم يحفلوا بعيد الميلاد أو يظهروا أي تغيير في لباسهم ، وقد أصبحت الاحياء الاوروبية في نيروبي مقفرة تقريبا اذ أن أكثر الاوروبيين قد غادروا نيروبي الى ممباسة وغيرها لقضاء عطلة عيد الميلاد هناك وبعضهم قد سافر الى أوروبة لقضاء عطلة عيد الميلاد ورأس السنة فيها ...



الإسلام ينتشر في الكنغو



وصلنا الى كنشاسا عاصمة الكنغو قادمين من روديسية ونظرا لضيق الوقت واتساع اقاليم الكنغو وتفرق المسلمين فيه وتشديد الحكومة بحظر السفر الى المقاطعات المتفرقة الا بعد اذن خاص منها ، فقد اقتصرنا على زيارة العاصمة . وقد اتصلنا بكبار المسلمين هناك ويتكون المسلمون من ثلاث طوائف رئيسية :

الطائفة الاولى طائفة الكنغويين

وهؤلاء قليلو العدد ، وضعفاء في الثقافة والمكانة وأكثرهم ممن قدموا من الاقاليم النائية مثل اقليم كيفو والاقليم الشرقي وليس لهم منظمة تجمعهم وان كانوا يتهيئون لكي يؤسسوا جمعية اسلامية كنغولية يقصرون الدخول فيها على الكنغوليين الاصليين ، وقد نصحناهم بتوحيد جهودهم في سبيل الله والدعوة الى الاسلام ، وعدم ادخال العنصرية أو القومية في هذا الصدد ، وأن يوحدوا جهودهم مع باقي المسلمين في الكنغو ، بغية السعي بكل ما يمكن لادخال عدد كبير من الناس في الاسلام وبخاصة في هذا الظرف بالذات الذي هو في الواقع ـ ظرف مؤات للدعوة الى الاسلام في الكنغو حيث تخلصت البلاد من الحكم البلجيكي الذي كان أكثر حكم استعماري تعصبا ضد الاسلام في افريقية حتى كان التعليم في حكمهم كله تشرف عليه الكنيسة .

الطائفة الثانية طائفة النيجيريين :

وقد بنوا مسجدا جامعا هو أكبر جامع في كنشاسا حتى الآن وهو معمور بالمصلين منهم وغيرهم كما أسسوا مدرسة اسلامية في هذا العام بعد أن بنوا لها غرفا ملحقة بهذا المسجد ، ولهم جهود مشكورة في الدعوة الى الله ويشتغلون بالتجارة في الكنغو ورئيسهم هو الحاج عمر المشهور بالحاج باوا .

الطائفة الثالثة طائفة السنغاليين :

ولهم نشاط طيب في الدعوة الاسلامية ايضا وقد حصل احدهم الذي اكتسب الجنسية الكنغولية لأن والدته من الكنغو على رخصة رسمية من الحكومة بانشاء جمعية كنغولية للمسلمين في كنشاسا خاصة ، وبدأ في بناء مسجد كبير ومدرسة اسلامية في كنشاسا بعد أن منحته الحكومة الارض بالمجان . ويدعى الحاج محمد سيسي . وقد قدمت له مساعدة مالية طيبة .

هذا بالنسبة للمسلمين في داخل العاصمة .

المسلمون في الكنغو :

بناء على المعلومات التي حصلنا عليها ممن اتصلنا بهم من كبار المسلمين في العاصمة نذكر ما يلي عن أحوال المسلمين في بقية أنحاء الكنغو .

كان المسلمون في السابق يوجدون بصفة رئيسية في

مقاطعتين هما مقاطعة «كيفو» ومقاطعة «اورينتال» أي المقاطعة الشرقية ، وعاصمتها كسنغاني (ستانلي فيل) سابقا أما الآن فانه يوجد مسلمون في مقاطعة كاتنجا ايضا ، وقد شيد فيها مسجد كبير وهو أعظم مسجد في جميع أنحاء الكنغو كما دخل الاسلام في السنوات الاخيرة الى مقاطعة كاساي وهي مقاطعة لم يكن فيها قبل سنوات مسلم واحد ، وأخذ الآن ينتشر سريعا هناك .

كما ان المقاطعة الاستوائية أخذ الآن الاسلام ينشر فيها ايضا الى جانب المقاطعتين الرئيسيتين اللتين أخذ يزداد انتشار الاسلام فيهما .

ويقال : إنه لو تيسر بذل جهود أكثر لكانت النتيجة أعظم .

وأكثر انتشار الاسلام كان بسبب جهود فردية من بعض المشائخ والدعاة الافريقيين المغمورين ، والذين تكفي أقل مساعدة مادية لمعاونتهم على ألا تكون على شكل نقود تدفع اليهم بل تكون على شكل مساعدة لمدارسهم ودفع نفقات لتجوالهم ، ومعاونة الداخلين الجدد في الاسلام لمدة زمنية معينة ، وما أشبه ذلك .

ونجد اكثر المسلمين في جهة (كاسنقو) في اقليم (كيفو) وفي (كيسنقاني) و (كيندو) و (بونية) في اقليم (الارينتال) و(البرت فيل) في مقاطعة كاتنجا .

ويوجد عدد من المسلمين الجدد في مدينة بومبا قاعدة

مقاطعة (كواتير) الاستوائية رئيسهم الشيخ عبد الرحمن بن اولانقا يساعده اخوه حميد .

أما المسلمون في للوابور قاعدة مقاطعة كاساي فلهم جمعية اسمها بالفرنسية (منسيون اسلاميك) وترجمتها الجمعية التبشيرية الاسلامية رئيسها بودا سليمان ونائبه ابراهيم كابنيا ، وسكرتير الجمعية كودي طاهر .

وتعتبر مدينة كاسنقو في اقليم كيفو أكبر معقل للمسلمين في الكنغو لأنها أول بلد دخله المسلمون الذين دخلوا الكنغو لاول مرة منذ مائة سنة وأكثرهم كانوا ممن قد استقروا في ساحل تنجانيقة من قبل وهم من العرب العمانيين والافريقيين السواحليين .





في ختام حديثنا عن الشؤون الاسلامية في افريقية نقترح ما يلي :

اولا : ايجاد دائرة خاصة في كل بلد اسلامي تسمى : «دائرة الاتصال بمسلمي افريقية» او ما يقرب من مدلول هذا الاسم تكون مهمتها العمل على نشر الاسلام ورفع شأن المسلمين في افريقية .

ثانيا : تعيين ملحق في كل سفارة اسلامية في افريقية يتفرغ للنظر في مساعدة المسلمين ونشر الدعوة الاسلامية وتلقي المساعدات من بلاده وايصالها للمسلمين في حدود الامكانات المتوفرة ، وفي نطاق الاعراف السياسية القائمة في كل بلد .

ثالثا : انشاء صندوق اسلامي عالمي لتمويل الدعوة الاسلامية في افريقية يساهم فيه المسلمون على مستوى الحكومات والجمعيات والافراد ، ونحن لا نشك مطلقا في ان الوقت الحاضر هو انسب الاوقات للقيام بحملة اسلامية واسعة للدعوة والارشاد ونشر محاسن الاسلام امام الافريقيين من غير المسلمين ذلك لان الدين المسيحي الذي هو المنافس الرئيسي قد ارتبط في اذهان كثير من ابناء افريقية بالاستعمار الاوروبي لانه جاء الى افريقية مع الرجل الاوروبي ونظرا الى ضعف سلطان الاستعمار الاوروبي وبالتالي ضعف المنافس فان الفرصة الآن سانحة لنجاح الدعوة الاسلامية اكثر من ذي قبل . وذلك كله اضافة الى

ما هو معروف ومعلوم من ان الاسلام دين الفطرة ، وهو ببساطته ووضوحه ويسره الدين الوحيد الملائم لكل زمان ومكان .

رابعا : الاكثار من المنح في الجامعات والكليات والمدارس الاسلامية في البلاد الاسلامية خارج افريقية وذلك حتى تتاح الفرصة لاكبر عدد ممكن من ابناء المسلمين في افريقية للتزود من العلوم الاسلامية فيها ثم العودة الى بلادهم مبشرين ومنذرين وهادين مهتدين عملا بقوله تعالى : «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » .

خامسا : المساعدة على انشاء ملاجىء ودور للايتام في البلاد الافريقية التي يقطنها مسلمون . وذلك وقاية لابناء المسلمين من ان يقعوا في احضان التربية الكفرية التي تربيهم على الكفر وتصدهم حتى عن اسم الاسلام ، لانه لوحظ ان تلك الطريقة منتشرة انتشارا واسعا لانها تكاد تكون الطريقة الوحيدة العملية لاخراج بعض المسلمين من دائرة الاسلام ، بعد ان لوحظ انه ما من مسلم يدخل الاسلام في قلبه ثم ينبذ الاسلام وينضم علنا الى صفوف المشركين .

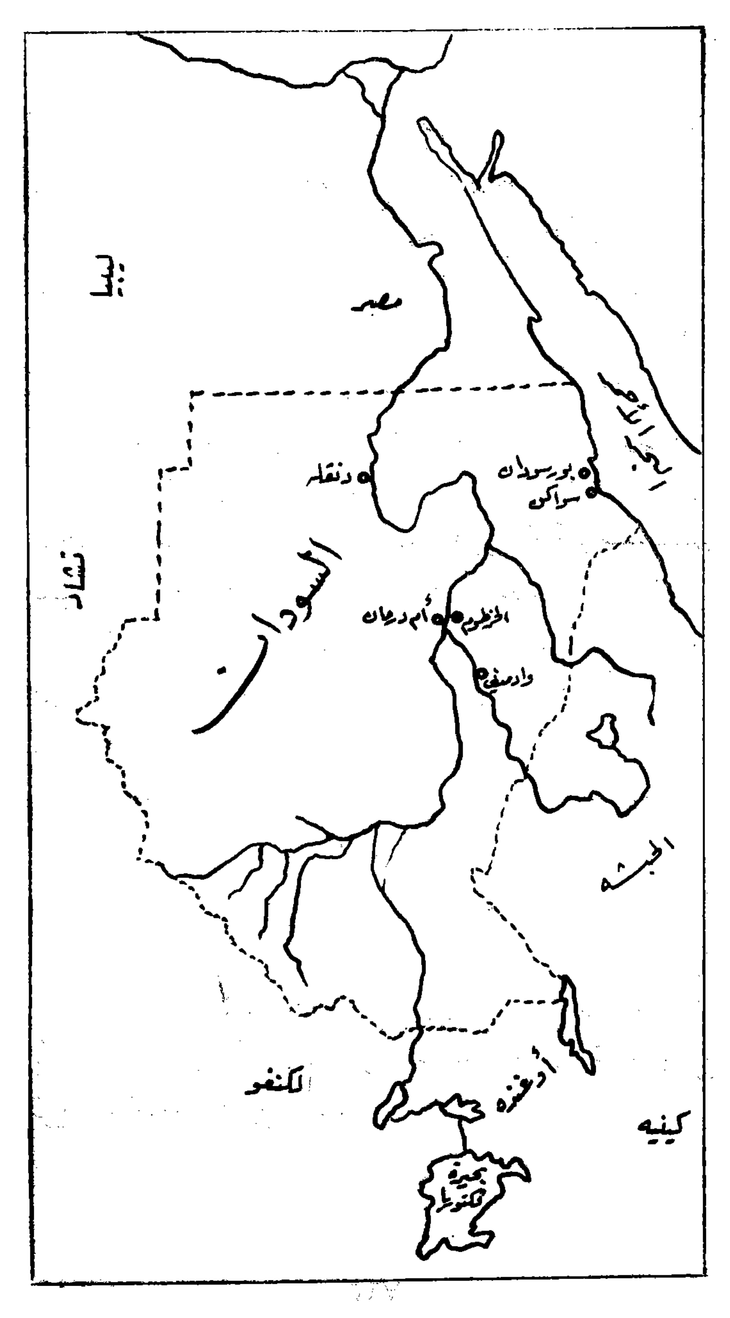
سادسا : ان يختار من المدرسين من مختلف البلاد الاسلامية من ذوي الاستعداد للتضحية والعمل في سبيل الله ويرسلوا الى الاقطار الافريقية المحتاجة مع مراعاة

الظروف والملابسات السياسيــة المحيطة بكل بلد افريقي، وذلك بلا شك علاج سريع .

سابعا : العمل على كثرة طبع الكتب الاسلامية مترجمة الى اللغات الاقليمية واللغات العالمية السائدة في افريقية مثل الانكليزية والفرنسية والسواحلية وغيرها ، وتوزيعها حيث لاحظنا قلة الكتب الاسلامية بل ندرتها في بعض الاقطار .

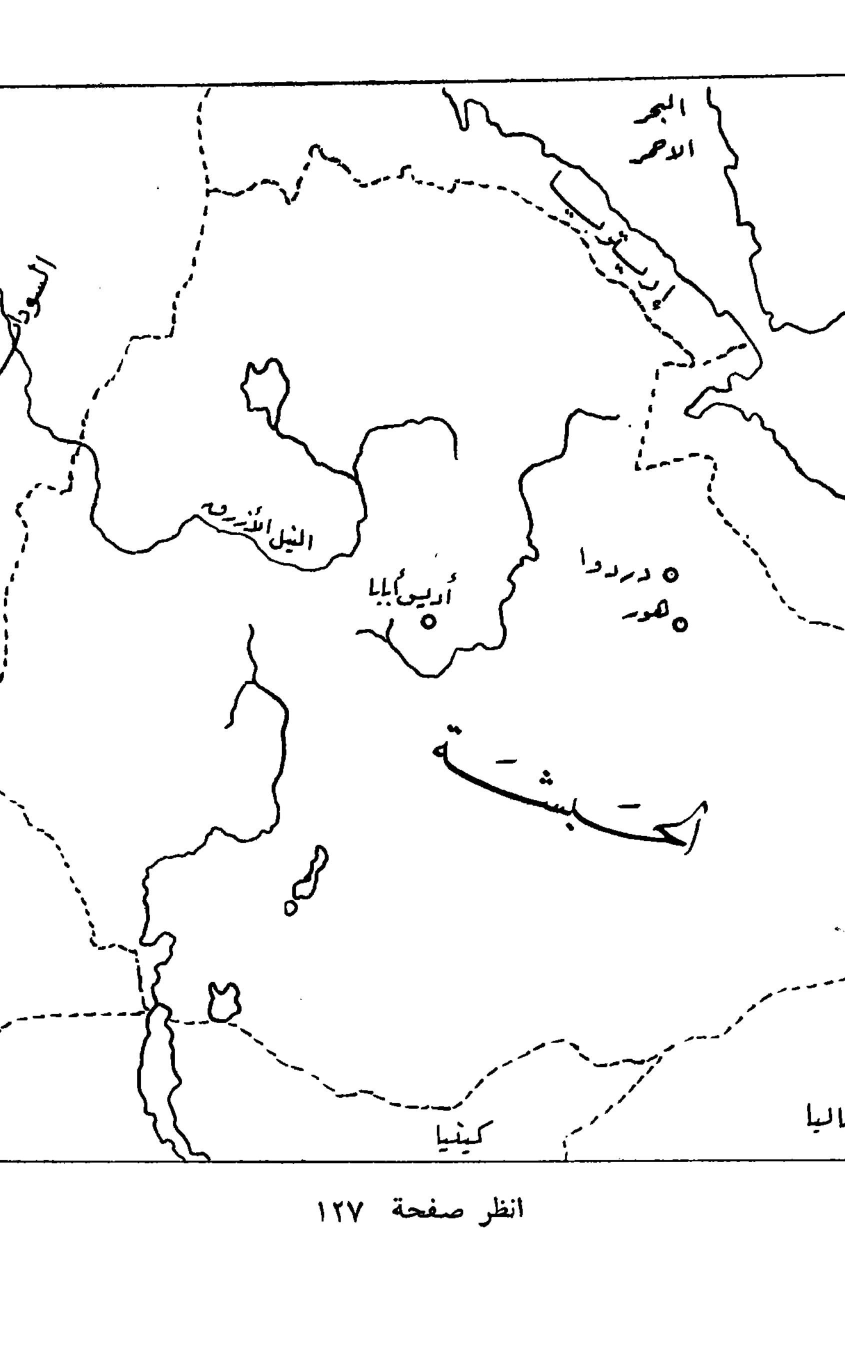
هذه بعض المقترحات ، وهي ليست بصعبة اذا مـــا صحت العزائم وخلصت النيات خاصة لان الاسلام ديـــن الدعوة والجهاد ، دين العمل والحركة بل ان كل مسلـــم سبيله في الحياة ان يدعو الى الله على بصيرة كما قال تعالى لرسوله صل الله عليه وسلم «قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني » وقال تعالى : «ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » . وقال تعالى : « ومـــن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا » ..

مع أن العبء ثقيل، والميدان واسع وناهيك بالتخطيط للعمل في قارة من القارات اذا لا بد من تضافر الجهـــود ، وتكاتف الهمم ، نسأل الله تعالى ان ينصر دينه ويعلـــي كلمته وان يوفق المسلمين الى الرجوع الى دينهم ، والعمل بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم انه سميـــع قريب والحمد لله رب العالمين .



ليبيا
مصر
البحر الأحمر
بورسودان
سواكن
دنقلة
السودان
تشاد
أم درمان
الخرطوم
وادمدني
الحبشة
الكنغو
أوغنده
كينيه
بحيرة فكتوريا

انظر صفحة ٢٢



انظر صفحة ١٢٧



محتويات الكتاب

الموضـــوع الصفحـــة

الموضوع	الصفحة